أبو المرتضى بن شهاب

رائد النهضة الإصلاحية في جنوب شرق آسيا

تأليف
محمد أسد شهاب

ابو المرتضى ابن شهاب

رائد النهضة الاصلاحية
في جنوب شرق آسيا

محمد اسد شهاب

هويـة الكتاب:

الكتاب :	ابو المرتضى ابن شهاب رائد النهضة الاصلاحية في جنوب شرق آسيا
المؤلف :	محمد اسد شهاب
الناشر :	المعاونية الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت(ع)
المطبعة :	امير
الطبعة :	الاولىٰ
سنة الطبع :	١٤١٦هـ
الكمية :	١٠٠٠ نسخة
صف واخراج :	المجمع العالمي لأهل البيت(ع)

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم﴾

«المائدة: ٩»

﴿والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أُولئك هم المؤمنون حقاً لهم مغفرة ورزق كريم﴾

«الأنفال: ٧٤»

﴿الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأُولئك هم الفائزون * يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم * خالدين فيها أبداً إن الله عنده أجر عظيم﴾

«التوبه: ٢٠ ـ ٢٢»

صدق الله العلي العظيم

الإهداء

الى الذين يستمعون القول ويبتغون الحق ويتّبعونه من أجل الحق وحده.

أهدي لهم هذا الكتاب

تقديراً لكفاح المغفور له السيد أبي المرتضى بن شهاب، واعترافاً بفضله عاش مناضلاً مجاهداً، مؤدياً رسالته فأحسن تأديتها، فله الجزاء الأوفى من المولى العزيز القدير.

محمد أسد شهاب

كلمة المجمع

لم تخل مسيرة التأريخ البشري في ادواره المتعاقبة، ومراحله المختلفة من نماذج فذة تسنّمت الذروة في التكوينة الهرمية للبناء الاجتماعي في كل أمة من الأمم.

وينفرد من بين اولئك الأفذاذ بالرتبة العليا في ذلك السلم، أفراد لم يجهَدوا في سلوكهم للصدارة سبيلها، بل كان التأريخ هو الذي ينحني بين أيديهم ليرتقوا منه السنام، ويحلّوا من قمته المنتهىٰ بما تأهلوا به من عوامل رقي في مسيرة الانسان التكاملية.

ومما يزيد من عظمة اولئك الرجال أن يقفوا جلّ حياتهم، وكل مواقفهم في سبيل خدمة الإنسان، وبنائه الروحي علىٰ أسس قويمة من الدين والأخلاق والعقائد الصالحة، لذلك كان أحوزهم لقصب السبق في ذلك الميدان هو من تتسع رقعة سعيه نحو ذلك الهدف، وتكون خطواته أعظم ريادة في تطوير بُنىٰ المجتمعات، وتسيير عجلة رقيّها للوصول إلىٰ كمالها المنشود.

وإذا كان الأنبياء والمرسلون واوصياؤهم عليهم السلام هم السابقين في ذلك المضمار بما كان لهم من دور مرسوم من قبل الله تعالىٰ من أجل إرساء دعائم التوحيد، وإقامة الحق والعدل، بتذكير الفطرة، وإثارة دفائن العقول، وإعادة الوعي الانساني إلىٰ وجهته القويمة التي تكالبت علىٰ حرفها عن مسارها السديد عوامل فاعلة من الهوىٰ والشيطان والطاغوت، فإن ورثة مسيرتهم تلك قد حملوا الأمانة، وأدوا رسالة الاصلاح في الأرض، وساروا في خط اولئك المصطفَين من عباد الله يقتفون آثارهم ويتوخّون مواقع خطاهم في نشر الحق والفضيلة، وإعلاء كلمة الله سبحانه في أرضه.

ومن اولئك الرجال الأفذاذ الذين سلكوا تلك السبيل، حاملين رسالة الاصلاح لبني الانسان هو السيد أبو المرتضىٰ بن شهاب الدين العلوي رائد النهضة الإصلاحية في جنوب شرق آسيا، الذي تقدم الكاتب المحقق محمد أسد شـهاب بـعرض وافٍ لسيرة حياته في هذا الكتاب الذي تضمن الكثير مما يتعلق بتلك السيرة الرائدة، مـع تخصيص جزء كبير منه لاستعراض القصائد التي نضمها السيد ابن شـهاب فـي ولاء الرسولﷺ وأهل بيتهعليهم السلام، والتي أوصىٰ هو بنشرها.

ومما تكفل الكتاب بعرضه مسألة مهمة في حياة ذلك الرجـل، وهـي قـضية الوحدة بين المسلمين التي بذل من اجلها الكثير، وسعىٰ جاهداً لإرساء قـواعـدها، ومحاربة ما يجابهها من عوامل هدم أو إضعاف.

هذا، وقد أُخرج الكتاب في قسمين، تضمن الثاني منهما اشعار السيد ابن شهاب التي قالها في أغراض شعرية مختلفة.

والمجمع العالمي لأهل البيتعليهم السلام إذ قام بنشر هذا السفر الجليل إنما يساهم في إثارة مكنون تراثنا الاسلامي الثرّ، والزاخر بسِيَر الرجال العظام من أتباع مدرسة أهل بيت النبوةعليهم السلام، بإضافة مفردة سامية أخرىٰ من مفردات حضارتنا الاسلامية التليدة، ومَعْلم هادٍ من معالم التأريخ الإنساني المشرق بالخير والحق والفضيلة.

المعاونية الثقافية للمجمع العالمي

لأهل البيتعليهم السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدّم هيئة البحوث الاسلامية بأندونيسيا هذا الكتاب الجديد، عن رائد النهضة الاصلاحية والمكافح الكبير السيد أبي المترضىٰ ابن شهاب، للمؤلف الاستاذ محمد اسد شهاب.

سبق لهيئة البحوث الاسلامية ان نشرت للمؤلف عدة كتب منها: «جولة في ربوع جزر مورو» عام ١٩٨١ طبع في لبنان، ولاقى الكتاب اقبالا ونفد في وقت وجيز.

في هذا الكتاب الذي بين يدي القارئ، والذي نحن بصدده، يقول المؤلف في مقدمته: انه بذل جهدا لتقصي كل ما يتعلق بالمترجم له، حتى يتمكن من اعطاء القارئ الافق الواسع من الوضع الصحيح و بدقة، عن حياة الفقيد رائد النهضة الاصلاحية.

لا ريب ان المؤلف بذل مجهوداً لتأليف وتدوين تاريخ رجل عظيم، عاش في اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين، لاحياء التراث والحفاظ عليه من الضياع. وهي خدمة يشكر عليها.

تطرق المؤلف في كتابه هذا الى عدة مواضيع، كلها تسترعي الاهتمام لتاريخ هذا الرجل العظيم في جميع مراحل حياته. كثيراً ما كانت كتاباته مقتضبة، ولو توسع لفتح للقارئ افاقاً جديدة شتى و مع هذا الاختصار فقد جاء الكتاب بهذا الحجم وافياً. وقد يستطرد المؤلف في بحثه الى مواضيع اخرىٰ لها ارتباط بالموضوع.

ان البحث والدراسة تتطلب المزيد من التوسع في كل فصل من فصول ادوار حياة السيد ابن شهاب، خصوصاً وان هناك مواقف حاسمة مهمة تتطلب وتقتضي المزيد من التوسع فيها، لئلا تكون هناك فجوات تاريخية يرتبط بعضها ببعض ارتباطاً

متيناً قوياً، مثاله عن النشأة والعصر المتردي الذي عاش فيه وهو من أهم ادوار حياته. ففي هذا الدور تكونت شخصيته وتركزت نفسيته. لقد كان موضوع نشأته مقتضباً ويكاد يكون سرداً، مع ان المفروض ان يتوسع المؤلف فيه، كما ان موضوع اسرته جاء مختصراً جداً. في هذه الناحية كان عليه ان يتوسع باسهاب، ويذكر مثلاً سبب تسمية هذه الاسرة بآل شهاب. متىٰ ومن بدأ بهذه التسمية، ومن هم الشخصيات البارزة في هذه الاسرة قديماً وحديثاً، ولكن ربما كان للمؤلف وجهة نظر اخرىٰ في هذا الموضوع احتفظ بها.

لم يفصّل او يعلق المؤلف على مكانة فقيدنا الراحل التي تبوأها في مهجره وما قام به من اعمال، خصوصاً في حيدر آباد حيث قضى اكثر حياته فيها. وفيها قضىٰ نحبه وكان مدفنه، كما ان البحث يقتضي التسلسل التاريخي حتى لا يكون هناك فراغ. ولكن هذا لا يقلل من قيمة الكتاب الذي يعد اول كتاب وضع لفقيدنا المصلح الكبير.

تطرق المؤلف الى ذكر بعض تلامذته فاختصر اختصاراً، مع ان جملتهم كبيرة، والادوار التي قاموا بها للاصلاح كانت عظيمة وناجحة في مجال التوعية والتعليم والاقتصاد. وما هذه المآثر الناطقة اليوم الا من بذورهم التي بذروها، وهم منتشرون في آسيا وافريقيا وجنوب الجزيرة العربية، فلهم القدح المعلىٰ في النهضة الاصلاحية، او تكوين هذا الجيل الواعي المتنور بزعامة السيد ابن شهاد. وهكذا ايضاً في موضوع زملائه. المعروف ان صلات المغفور له كانت واسعة ووثيقة، خصوصاً برجال وزعماء المسلمين في العالم. ذكر المؤلف بعضهم باختصار في مصر والمغرب العربي والشام والعراق وايران وتركيا وجنوب شرقي آسيا وغيرها. والمفروض ان يسهب المؤلف في هذا الموضوع، لان رحلاته الكثيرة وصلاته بهم ومكاتباتهم له، كلها شاهدة بما نقول للفقيد من مكانة وتقدير من رجال العالم الاسلامي. لقد كانت رحلاته كلها مليئة بالاعمال الجليلة، فلا يحل في بلدٍ الا ويوقظ مشاعر القوم ويذكي احساساتهم للنهضة

والاصلاح.

اما موضوع موقف السيد ابن شهاب ونظرته نحو المرأة، فقد ركّزه المؤلف واعطاه حقه من البيان، بمتابعته واستشهاده بنظرية الغير مما زاد الامر وضوحاً، وصار للموضوع اهمية وقيمة.

هناك موضوع كثر الحديث عنه، وهو لماذا اختار فقيدنا الهند ومدينة حيدر آباد بالذات دون غيرها من بلدان العالم، ليكون منطلقاً لدعوته واعماله الإصلاحية؟ ربما يكون ما ذكره المؤلف على اقتضابه ما يشفي الغليل.

قضية المتزمتين وتجار الاديان، هذه قضية هامة من القضايا التي شوهت سمعة المسلمين، وأساءت الى قيمة الدعاة المخلصين. فالمجتمع الاسلامي يئن من اولئك الذين اساؤوا الى الاسلام، ممن يدعي الاسلام. وليس بمستبعد أنهم من اعداء الاسلام، ومن العملاء لاجهزة اجنبية لمحاربة الاسلام والمسلمين باسم الاسلام. فسحوا لاعداء الاسلام مجالاً ومدخلاً اتخذوا منه سلاحاً لمهاجمة المسلمين. وقيل: إن لهم صلة خفية بجهة استعمارية، لتنفيذ مخططاتها العدائية بارتكابهم تلك الاعمال المشينة المخجلة عن عمد.

موضوع النهضة الاصلاحية التي قام بها السيد ابن شهاب من المواضيع المهمة، والنقاط الحساسة التي تعتبر لب الكتاب، ففي هذا الفصل تلمع شخصية السيد ابن شهاب وعظمته ومواقفه. كيف كان يعمل ويخطط للاصلاح العام سياسياً واجتماعياً وثقافياً واقتصادياً في ظروف حالكة وملابسات قاسية؟ وكيف كان يجاهد لبثّ روح الكفاح والنضال وتوعية الشعب؟

فما هي الدوافع التي دفعته لارتياد نهضته الاصلاحية؟

انه موضوع جدير بالاهتمام.

كان السيد ابن شهاب مقتنعاً كل الاقتناع بان النهضة الاصلاحية العامة يجب ان

تبدأ بالنهضة التعليمية لتثقيف العقول وتحرير الافكار، وعليه فقد بدأ بها. وبما ان هذا الموضوع هو الموضوع المهم الاساسي، لتكوين جيل جديد قوي مثقف فاهم واع يشعر بالمسؤولية بصفته فرداً من المجتمع. ومن هذا الجيل، تبلورت الافكار لارتياد النهضة الاصلاحية.

استطاع السيد ابن شهاب تحديد مخططه كما يقتضيه الواجب، وتتطلبه اصول التثقيف بحكمة ورصانة، مما يدل على رجاحة عقله وبعد نظره، فقد نجح واستطاع الوصول الى الهدف الذي ينشده، ووضع مثالاً للعدالة بمفهومها الشامل، علىٰ اساس الاخوة الاسلامية، ومعنى ذلك انه اعاد الحق الضائع فوضعه في موضعه الحقيقي.

ان الواقع الحقيقي المسلّم به هو ان النهضة الاصلاحية التي قام بها السيد ابن شهاب، كانت المنطلق لتطوير الحياة الفكرية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية في المهاجر الشرقية بوجه عام، وفتحت لشعوبها آفاقاً جديدة كانت اساساً للتقدم العلمي والثقافي، الذي، تتمتع به تلك الشعوب اليوم، ولو لا وجود هذه النهضة الاصلاحية لما كانت الشعوب في المهاجر الشرقية تقطف ثمارها، وتتنعم بهذه النعم من التطور الملحوظ، ولما بلغت هذا المستوىٰ الرفيع من التنور.

مهما قيل ما قيل ومهما حاول البعض ما حاول من طمس هذه الحقائق الناصعة، او اعطائها صورة غير صورتها الحقيقية فما هو الا كمنكر ضوء الشمس في رابعة النهار.

بعد انطلاق السيد ابن شهاب في نهضته الاصلاحية، وغرسه البذور ثم رعايتها حتى اثمرت واينعت، جنى القوم ثمارها بكل جوانبها وابعادها، فإذا الجمعيات تنشأ، والمدارس تبنى، والمطابع تؤسس، والجرائد تصدر، والكتب تؤلف وتنشر، ودور الايتام تنشأ، وابناء الشعب يتلقون العلوم في المعاهد ويخرجون حاملين الشهادات. فقد حوربت الامية ودفن الجهل.

كيف كانت الشعوب الاسلامية قبل ذلك العهد؟

كانت الشعوب الاسلامية في اواخر القرن الثالث عشر الهجري قد ضرب عليها الوهن، وهد من جسمها الضعف وبدت ممزقة وخاملة، لان دولة الخلافة، وهي رمز الوحدة الاسلامية كانت تعاني من ازمات خارجية ومشاكل داخلية، وهي تسير في طريقها الى الانحدار والانحلال رغماً منها، واعداؤها يتربصون بها من كل جانب لانتهاز كل الفرص لابتلاع هذه الفريسة نهائياً.

ان ذلك الوضع المتردي العام هو الذي دفع بالسيد ابن شهاب ليبدأ ويشق طريقه في عمله، ويصدع بدعوته للنهضة الاصلاحية، ويسعىٰ السعي الحثيث لانتشال أُمته و ما يمكن انتشاله من المأزق والانحطاط والهاوية التي وقعت فيها.

وكان من أهم اعماله ومساعيه تطوير الوضع الاجتماعي المتأزم، وتطوير معالم التفكير الجامد الى حركة نامية تعليمياً وثقافياً ووعياً للشعور بالمسؤولية، وذلك هو الكفيل لتطوير امة من حالتها المنحطة الى حالة اسمىٰ واحسن، لتكون امة قوية مثقفة قادرة على الصمود، ومواجهة المصاعب وحل المشاكل، فلا خير لأُمة جاهلة ولا أمل لشعب جامد.

اذا عرضت على السيد ابن شهاب قضية من القضايا السياسية ذات الاهمية القصوىٰ، او قضية من القضايا الاجتماعية الحساسة، او من القضايا الاقتصادية المهمة يتناولها بأناته، ليدرسها ويغربلها من جميع النواحي بدقة متناهية، شرعاً وعرفاً وقانونياً، اسبابها، عواقبها، نتائجها بفكر متزن حتى يصل الى نتيجة ناضجة، فهو لا يستعجل في اي عمل يعمله، ولا يقتحم الامر عنوة بعمل ارتجالي، وهذا يدل على رجاحة فكره المتسمة بالمرونة واللياقة.

كل من عرف ابن شهاب او تابع قراءة مؤلفاته، او سبق له ان استمع الى محاضراته او اقواله في مجالسه او عندما يلقي دروسه يشهد له ببعد نظره وكمال

حكمته. اما سلوكه فمعروف، ويشهد له الجميع بمدىٰ استقامته وتقواه. اما مواقفه المقدامة، و كفاحه من اجل امته، وافكاره النيرة واعماله الخيرة، فكلها جعلته قادراً علىٰ ردع التائهين، وتوعية الانعزاليين الجامدين، وهدي الطائشين، فنحاهم جميعاً عن انحرافهم، وازال ما ران علىٰ افكارهم من رواسب العمليات البالية، واعادهم الى الطريق والنهج السوي.

من خلال ما جاء في هذا الكتاب يرىٰ القارئ حقيقة شخصية السيد ابن شهاب الفذة، وسداد رأيه، وبعد نظره يجاهد مخلصاً وينفق بسخاء في سبيل إنقاذ أمته، فتح لهم الابواب المغلقة، وما استعصى عليهم ادراكه، وفهّمهم ما غاب عن اذهانهم. وكان لارباب المصالح الذاتية سعي لطمس الحق والحقيقة، حتى يبقىٰ مجهولاً لدىٰ الامة، فانقلب الامر وظهر الباطل وكانه هو الحق الذي يجب اتباعه، واصبح في عقيدة القوم امراً مقدساً، فتشبث به المتشبثون والزموا الناس التمسك به، وهم لا يدرون انه الباطل.

هدّم السيد ابن شهاب تلك الاساطير الفاسدة بحكمة حكيمة، وطور الشعب وجعل من افراده شخصيات ذات قيمة رفيعة المستوىٰ.

لم يكن السيد ابن شهاب الزعيم الاول ورائد النهضة الاصلاحية فحسب، ولكنه كان ايضاً أديباً كبيراً وشاعراً مفلقاً لا يشق له غبار، فجمع بين الادب والقيادة والزعامة الفكرية والاصلاحية بمفهومه الشمولي، ابتداءً من نشر التعليم والتثقيف الى الاصلاح الاجتماعي والاقتصادي والسياسي واوجد في الامة روح التحمس للنضال.

وخير دليل على عظمة السيد ابن شهاب، هو أنه استطاع ان يوجد من تلامذته عناصر قوية خلفوه في الزعامة، واوصلوا المسيرة على النهج الذي وضعه لهم، فأتموا البناء على اسس تصميمه لتحقيق وجود مجتمع يتمتع بالعدالة الاجتماعية ثم يحافظ عليها.

واليوم وقد مضى على تاريخ ميلاده اكثر من قرن، إذا القينا النظرة ملياً الى وضع

المسلمين، ثم قارنّا بين رجال رواد النهضة في عصر السيد ابن شهاب، وبين ما نشاهده الآن من الحركات والمنظمات والمؤتمرات الاسلامية، التي تقوم بدعمها هيئات اهلية ودولية، وتمونها حكومات باموال طائلة. وطبعا، ان لكل منها هدفاً خاصاً لصالحها، فالفرق عظيم والبون شاسع بين السابقين المخلصين في اعمالهم، إذ ليس لهم هدف شخصي أو مصلحة ذاتية سوى نفع الامة، وبين اللاحقين الذين لهم مصالح خاصة.

تعقد المؤتمرات والندوات، والنتيجة هي اتخاذ قرارات فوق القدرة والطاقة، ولا يمكن أن تنفذ، وتوصيات غير فعالة ولا يسمعها احد، كنداءات الصائح في الصحراء، وتتكرر نفس النغمة بنفس القرارات والتوصيات والاحتجاجات عندما تتكرر تلك المؤتمرات والندوات، وكلها هدر كلام، كهدر الاموال بكرم حاتمي، ولا جدوىٰ لها، إذ تبقىٰ قرارات بدون تنفيذ.

اصبحت المؤتمرات والندوات الشغل الشاغل للهيئات والمنظمات والدول، وأخذت الخلافات الداخلية تتكاثر وتتعاظم داخل تلك الاجتماعات. والغريب بعد كل ذلك أن تصدر البيانات الختامية المشتركة بان المؤتمر ناجح، وعقد في جو من التفاهم الاخوي، فالفرق بين الدعوتين الماضية والحالية واضح.

على رغم ان الخسارة فادحة بغياب رائد النهضة الاصلاحية الاديب الكبير السيد ابن شهاب، غير انه. من المفرح أنه لم يحدث اية ثغرة او فراغ في نطاق النهضة بعد غياب الفقيد، لوجود خلف من مستوىٰ اعاظم الرجال، كالسيد محمد بن عقيل صاحب المؤلفات الكثيرة وامثاله. ولكن بقي هناك فراغ ملموس لم يسد حتىٰ الآن في الادب فلا يوجد في الشعر من يجاريه.

انه رائد النهضة الاصلاحية وزعيمها وبانيها بلا ريب، وهو ايضا اديب كبير وشاعر لا يضاهيه احد، حمل مشعل الادب الى المهجر الشرقي، فتخرج

من مدرسته شعراء. واسمعه ماذا يقول في هذه القصيدة العاطفية الرقيقة التي مطلعها:

من غرامي بقرطها والقلاده | ان أمت مغرماً فموتي شهاده

وهو القائل ايضاً:

على سلمى وان نأت الخيام | من المضنى التحية والسلام

وهو القائل:

تعللنا بذكرهم الحداة | وتهدينا النسائم اين باتوا

وهو القائل:

فتنتك حين بدت بوجه مسفر | ورنت مسلمة بطرف احور

ومن قصائده الخمريات يقول:

روق الخمرة صرفاً وادر | واسقنيها في الظلام المعتكر

ومن قصيدة اخرىٰ مطلعها:

امحدثي عمن أحب واعشق | زدني فبي لهم اشتياق مقلق

وهو القائل ايضاً:

بشراك هذا منار الحي ترمقه | وهذه دور من تهوى وتعشقه

ثم اسمعه ماذا يقول:

بهزك غصن القد ماذا تريدينا | وماذا بلغز العين في السر تعنينا

هذه من مطالع قصائده الغزلية الكثيرة اقتطفنا منها جزءاً يسيراً، وقد كتبوا عنه في الصحف كثيراً، منهم الاستاذ الاديب محمد بن هاشم في سلسلة مقالات نشرتها جريدة حضرموت في سورابايا، والاستاذ العلامة محمد احمد الشاطري في كتابه ادوار التاريخ الحضرمي، والاستاذ الاديب الكبير صالح الحامدي صاحب ديوان سمات الربيع، كتب سلسلة مقالات عن السيد ابن شهاب في مجلة النهضة الحضرمية

من سنغافورا، وكتب الاستاذ محمد احمد مشهور الحداد سلسلة مقالات في جريدة البلاد، التي تصدر من جدة، كما دبج الاستاذ العلامة محمد بن حسن بن علوي بن شهاب ابحاثاً عن السيد ابن شهاب في صحف سنغافورا، وكتب عنه السيد علوي الحداد مفتي سلطنة جوهور الماليزية، والسيد حامد المحضار الف كتاباً خاصاً عن السيد ابن شهاب لا يزال مخطوطاً وكثير ممن لا يمكنني حصرهم كتبوا عن السيد ابن شهاب.

حين يدعو السيد ابن شهاب الى التحرر، فانما يقصد التحرر الفكري السليم من التبعية العمياء. فالحرية في نظرية السيد ابن شهاب ليست الهدف الاول والغاية القصوى، اذا لم يكن رائدها العقل، واساسها البصيرة، ولم تتخذ من النظر البعيد نبراساً، ومن العلم ركناً حصيناً، حتى يمكن الوصول الى الهدف الحقيقي السامي مأمون النجاح.

هناك لا يزال اناس ممن يرىٰ الحرية بمعنىٰ التفسخ والفوضىٰ والارهاب، فهو لا يريدها ويحاربها ايضاً.

لو جمعت نظريات السيد ابن شهاب وتوجيهاته الكثيرة الضخمة، لكانت مجموعة ضخمة من الآراء السديدة والتوجيهات القيمة، التي تمثل نبراساً يستضاء بنوره في الظلمة الحالكة.

شهد المهجر الشرقي عهد انبثاق لحركة نهوض واصلاح كبيرين شاملين في جميع القطاعات بوصول السيد ابن شهاب الى هذه المهاجر عام ١٢٨٨ ـ هـ اذ قام بدور نهضة اصلاحية فعالة وعظيمة.

إذا تقصينا الوضع ودرسنا الامور عن كثب في عهد اواخر القرن الثالث عشر الهجري، او اواخر القرن التاسع عشر الميلادي، نجد ان السيد ابن شهاب عاصر الزحف

الاوروبـي الاستعـماري على العـالم الشـرقي، او العـالم الاسـلامي بـعبارة اصـح، بأساطيلة للسيطرة على الاقتصاديات العالمية، فـي الوقت الذي تـتهاوىٰ الشـعوب الاسلامية في آسيا وافريقيا تحت نير الاستعمار، وبين مخالب الاستعباد الاوروبي ما عدا اليابان.

هذه الحوادث المؤلمة اثرت في نفس السيد ابن شهاب، لانه يرىٰ ويشاهد ذلك في عصره المليء بالمشاكل والمحن المنصبة على العالم الاسلامي، وان حصون دولة الخلافة والمعاقل الاسلامية يدكها الاستعمار.

ولكن من سنن المولىٰ جل شأنه ان تلك المشاكل والمحن هـي التـي تـصهر الرجال وتخلقهم، فيظهرون على مسرح الحياة في الوقت المناسب للاصلاح والنهضة. فالزعماء لا يظهرون الا في الاجواء المكفهرة بالظلماء، والمـتلبدة بـالظلم والفسـاد والطغيان. والتاريخ شاهد ومليء بأمثال اولئك الزعماء، الذين قاموا بنهضة اصلاحية انقذوا بها قومهم من طغيان الظلمة، وانتشلوهم من حضيض الفساد ومهاوي الاستعباد. قد ينجح البعض، وقد يدفع البعض الآخر ثمناً عالياً يذهب ضحية الاصلاح.

ومن الناس من يرىٰ الاصلاح فساداً لمكانتهم وعروشهم

وبعد، فقد احسن الاستاذ محمد اسد شهاب بما قام به من جهد يشكر عـليه، لابرازه تلك الشخصية بتأليفه هذا الكتاب، وقد تولت هيئة البحوث الاسلامية بجاكرتا في اندونيسيا، رغبة منها، نشر هذا الكتاب ضمن سلسلة منشوراتها العديدة، التي بلغت حتى اليوم اكثر من ثلاثمائة وستين كتاباً، باللغات الاندونيسية والعربية والانجليزية، في مواضيع شتىٰ خدمة للعلم والتاريخ.

هـذه محـاولة قيمـة ومجـهود يشكر عليه لاحياء تاريخ العظماء وسـيرهم، وهم جزء لا يتجزأ من التاريخ العام، الذي سيلمحه القارئ من خلال قـراءتـه لهـذا

الكتاب.

مضى ما يقرب من قرن ونصف على تاريخ ميلاد السيد ابن شهاب عام ١٢٦٢هـ نعترف ان ما بلغناه و ما توصلنا اليه وما حصلنا عليه من خير نتمتع به الآن، انما هو بفضل جهوده، وما بذره فقيدنا عندما وضع مخططه في النهضة الاصلاحية. قد يغيب عن ذهن الجيل الحاضر والقادم هذه الحقائق لعدم اطلاعه عليها، فعلينا ان نقدر للمجاهد حق قدر جهاده، وللمكافح حجم كفاحه، اولئك الذين يعملون لله تعالى لرفع شأن الامة ونشر العلم وبث الوعي.

ان الواجب يحتم علينا تقدير وتعظيم هؤلاء المجاهدين المخلصين، وان نعرّف الجيل القادم بهؤلاء الزعماء المجاهدين.

إن ما بلغ من علمنا، ونحن لا نجزم بذلك، ان السيد ابن شهاب لم يكتب مذكرة له في حياته، كما لم يكتب شيئا عن رحلاته، مثل ما يكتب العظماء مذكراتهم. ففيها تصور الحوادث من وجهة نظرهم. كم سيكون لمذكرات السيد ابن شهاب، لو كتبت، قيمتها التاريخية؛ اذ ان في المذكرات عادة كشف امور خفية ذات اهمية قصوى. ولعل الايام المقبلة كفيلة بإبراز ما نتمناه الآن. كما اننا نؤمل، كما يقول مؤلف هذا الكتاب، ان يأتي من بعده آخرون من الجيل المتنور المثقف يبذلون الجهد والطاقة لمواصلة البحث والدراسة، والتقصي لكلّ ما يتعلق بفقيدنا المغفور له، مما تركه من مؤلفات، وبخاصة ما كان مطبوعاً منها، إحياءً للتراث العلمي، وتخليداً لهذا الزعيم العظيم، والمصلح الفذ الكبير رائد النهضة الاصلاحية.

ومن الملاحظ ان السيد ابن شهاب ترك الدنيا ملبياً نداء ربه بعد طمس الاستعمار لدولة الخلافة وازالتها، وطرد آخر سلاطينها بعامين، واستبدالها بجمهورية وطنية علمانية، وهو الذي استمات في حياته مجاهداً للدفاع عن بيضة الاسلام،

ووحدة المسلمين تحت لواء الخلافة. كما انه خرج من هذه الدنيا خالي الوفاض، لم يترك لورثته مالاً ولا عقاراً ولا شيئاً من حطام الدنيا.

رحمه الله وغفر له، ووفقنا جميعاً للعمل من أجل الصالح العام، خدمة للمجتمع وابتغاءً لوجه الله وحده. والله ولي التوفيق.

رئيس هيئة البحوث الاسلامية

جاكرتا ـ اندونيسيا

واقعة حال

كثر اللغط وتعددت التهم والاقاويل التي أثارتها زمرة من ذوي الفتن المغرضين اعداء الحق ومروجي الباطل، يتهمون السيد ابن شهاب بالمروق عن الصراط القويم والخروج عن الجادة المألوفة وطريق السلف، وانه اتى بآراء جديدة غريبة تخالف المعروف والمألوف، وتدعو الى الزندقة. فراجت اسواق المغرضين من تجار الاديان ومستجدي نعم السلطان، وسلاح العاجز القذف والتهم والسب والشتم، فقام السيد في وجوههم وكان في شرخ شبابه، وردّ عليهم بهذه القصيدة، معلنا الحق وموقفه الذي يستميت من اجله ومحاربة الباطل والمبطلين(١):

قال لي بعض مدعي العلم ممن ... اضرم الحمق بين جنبيه نارا
هل ترفّضت قلت لم ادر ما الرفـ ... ـض لديكم حقيقة واعتبارا
فرفيع مقام قومي وسامٍ ... ان يجاروا السفيه والمهذارا
غير ان الضرورة اقتضت الايـ ... ـضاح فالصمت يوهم الإقرارا
ان لي من تمسّكي بكتاب اللّـه ... ما اتّقي به الأخطارا
ولما صحّ من حديث ابي القا ... سم أنقادُ راضياً مختارا
لا أُعاني التأويل فيها اتّباعاً ... للهوى او تعصباً او ضرارا
مذهبي مذهب الوصي ابي السـ ... ـبطين فالحق دائر حيث دارا
اعلم الصحب للمدينة بابٌ ... كم به اللّـه ارغم الكفارا(٢)

---

(١) تم حذف بعض أبيات القصيدة لأسباب فنية.

(٢) اشارة لحديث «انا مدينة العلم وعلي بابها» وقد تكلم بعضهم في هذا الحديث وقد حكم الحافظ السيوطي بصحته والحافظ العلائي بحسنه وله طرق متعددة وما قيل من أن ابن معين كذبه يخالفه ما ذكره الحافظ عنه في ترجمة ابي الصلت في تهذيب التهذيب.

وتـمسّكت بـالشهيدين انـي سـائر في عـقيدتي حـيث سـارا
اشـرف العـالمين اُمّـاً وجـدّا اطـيب النـاس عـنصراً ونـجارا
حـصّنوا العـلم اذ بـنو عـبد شمسٍ خـبط عشـواء يـخبطون سكـارى
غـيّروا بـدّلوا طـغوا وتـعامى حـاملو العـلم خـيفة واضـطرارا
ألف شـهر تـمتعوا ثـم حـقّت نـقمة اللّـه فـاستحقوا الدمـارا
وبأقـوال جـعفر حـيث صحت عـنه نـقضي ونـتبع الآثـارا
وبـنيه الائـمة العـلويين الأُلىٰ حـولوا العـتيم نـهارا
سـالكي المـنهج الذي لم تـجد فـيـ ـه انـعطافاً ولست تـلقى ازورارا
هـؤلاء الاعـلام اشـرف بـيت فـي الورى بـيتهم واعـلىٰ منارا
ايـها الغـمر هـل سـؤالك إيـا ي لجـهل ام خـفة واغـترارا
انـنا ايـها المـغفل نـقفو هـؤلاء الائـمة الاطـهارا
ان يـطوفوا نـطف ونسـتلم الـ ـركن ونرمي كـما رمـوها الجـمارا
اعـلم النـاس بـالكتاب وبـالسـ ـنّة حـيث الهـدى هـناك استـنارا
بـالذي صـحّ عـنهم الأخـذ احـرى فـاقرأ الكـتب وافـحص الأخـبارا
ان تـقل مـا بـه يـدينون رفـض فـهو ديـني عـقيدة وائـتمارا
أعـلى الحـق تـجتري ام عـليهم كيف تسري سرى النسور الحبارى
عـن ابـيهم اتـى الهـدى ثـم عـنهم يـتلقى ويـودع الأسـفارا
فـهو فـي دورهـم وفـيهم عـريق ولدى غـيرهم يـرى مسـتعارا
ما من الشـام جـاء أو ارض طـوس او سـمرقندَ أو أتـى مـن بـخارى
ديـننا حبّ اهـل بـيت رسـول اللـ ـه حـبّاً يكـفّر الأوزارا
ونـحبّ المـهاجرين واصـحا ب النـبي الخـيار والأنـصارا
ضـاعف اللّـه اجـرهم وعـليهم صـيّب العـفو والرضـا مـدرارا

وأحــلّ الجـميع فــي جــنة الخـ ـــلد وأجـرى مـن تـحتهاً الانـهارا
هـــذه الســنّة التــي امــر اللـ ـــه بـهـا النــاس صـبية وكـبارا
ونــهاهم عـــن التــولّي لمــن نـا فــق او جــدّ فـي الفســاد وجـارا
مــا تــريدون بــعد انـا شـرحـنا مــا الصـدور انـطوت عـليه مـرارا
هـــل تســومونـنا انـتقاص عـلي فـــنغيظ المــهيمن القـــهّارا
او عــلى ابـنيه نـجتري وسـخيفٌ مــن يـعيب الشـموس والأقـمارا
ام تــريدون ان نــحبّ ابــن هـند وعـــن النــص مـثلكم نـتوارى
لم تــجد مــؤمناً كــما اخــبر اللـ ـــه مــحباً مــن حـارب الجـبارا
وحـديث النـبي اقـوى عـرى الايـ ـــمان فــي اللّـه بـغضنا الاشـرارا
فـــهو بــاغ ولا كــرامــة للــبا غي ومـن النـار الشـرار اسـتطارا[1]
حارب المـرتضى وسـمّم سـبط الـ ـمصطفى بئـس مـا ارتـضاه قـرارا
يـقتل الصــالحين صــبراً كـحجر يأكـــل الفــيء يــلعن الكـرّارا
وتــمادىٰ يـعيث فــيهم فســاداً وعــلوّاً فــي الارض واسـتكبارا
خـاض لج الضـلال عشـرين عـاماً ثـــم ولّـــى يـزيده الخـمّارا
وتـــقولون بـــاجتهاد مـــثاب يـــا لهـــذا مـــعرّة وشــنارا
لو يكــون الذي زعــمتم صـوابـا لارعـــوى بــعد قـتله عــمارا
هل تـرى عـالم الخـفيات يـرضى مـــا صــنعتم ويــقبل الاعــذارا
ومــن المــخجل احـتجاج انـاس بـــاحاديث تشـــبه الاسـمارا
ســاقهم نــصبهم اليــها افـتراهـا ورواهـــا مـــن يـعبد الديـنارا
ولهـــم كــم مـقلد رام ربـحاً لم يـــزده التـــقليد الا خســارا
اين ربـح الذي يـرى القـار مسكـا يُــقتني او يــرى النحـاس نـضارا

---

(١) لعله ومن ناره الخ ليستقيم البيت.

ربـــنا افـــتح بـــين الجـمـيع بـحق وارفـــع الخـــلف بـــيننا والشـجارا
واهـــدنا أقـــوم الســـبيل ولا تـحـ ـــمل عـــلينا اصـــرا ولا أصـــرارا
وارفـــع الضـــنك عـــن عـــبادك والبأ ســـاء وارحـــم وأرخـــص الاســـعارا
وصـــــلاة عـــــلى نـــــبيك طـــه اعـــظم الرســـل رتـــبة وفـــخارا
وعـــــلى العـــترة الكـــرام امـــان الارض مـــن ان تـــميد او تـــنهارا
وعلى الصـحب من لنـصر رسـول اللّـــه ســـاموا النـفيس والاعـمارا
وعـــلى التـــابعين مـا غـرد القـمـ ـــري او نـــاوح الحـــمام الهـزارا

* * *

في ذِكْرىٰ أبي المُرْتَضىٰ

نـــتلو مـن الكـون سـفرا طـيه عـبر ... لم يقض منها علىٰ طول المدىٰ وطرُ
الفِكــرُ والســمع والأبـصار تألفـه ... يــتلو ويـنبئ وهـو السـفر والخَـبرُ
مـا زال يـجلو الذي مـا زال مسـتتراً ... وهـــو الخـفيُّ الذي مـا زال يسـتترُ
فــانظر الم تــر للــدجناء ظـلمتها ... إذا تــغيّبَ عــنها الشـمس والقَـمرُ
وكم سما يا ترىٰ نـبت عـلىٰ جـمد ... وقــد تــبيّن مـا نـفس ومـا مَـدرُ
مـا أنت مـن حـجر صـلد ولا مـدر ... إن أنت إلا عـــلىٰ عِــلاته بشــرُ
لم يــعينا كــل ذا الإعــياء مـغلقه ... إلا وفي الأمـر صـون هـتكه ضـررُ
أمــا الســؤال فكـل الكـون مسألةٌ ... خذ ما يـليك ودع مـا دونـه خـطرُ
فاقنَعْ هديت وزد يا رب منك هـدى ... لا بدّ من مـرجـع مـهما نأى السـفرُ
إن لم يكــن مـعدل فـالزم مـحجته ... فــلا يــهمك مـنها الطـول والقـصرُ
وسـر وحــاذر فـإن المسـتوىٰ زلق ... واصبر وكـافح فـإن المـرتقىٰ وعِـرُ
فــما ســؤالك مــا لوحٌ ومـا قـلم ... جـفّ المـدادُ وتـم الحكـم والقـدرُ
وقــفت جـهلا أمـام البـاب تـقرعُه ... فـــاستغفر الله عـــلّ الذّنب يُـغتَفرُ
أبقيت في الفُـلكِ والأرواح عـاصفة ... والبحر مـوج وفـي تسـيارها غـررُ
يا رب مـن يـدعي عـلما وفـلسفة ... يــقول للــصدف الخـلاب يـا دررُ
إن تستزيدي فكم مـن كـاذب أشـر ... فــجنة الخـــلد للـصديق يـا سـقرُ
العـيش عــمر وأعــمال مسـجلة ... فــما اعـتذاركـما ليـلىٰ ويـا غُـدرُ
وكم عِظاتٍ تذيب القلب من أسـف ... فـإن أبـيت فـما أقسـاك يـا حـجرُ

لا تأمن الذنب مهما دق من صغر فرب نكبة نار أصلها شررُ
خلقت سبحانك اللهم ممتحنا دار الكفاح ومنك العون والظفرُ
يَرعاكَ يا ابن شهاب بعد محنتها رب غفورٍ إليه الكل مفتقرُ
نعيش ذكراك بعد البين خالدة وفي الحياتين نعم الذّكر والعبرُ
وقد تركت لنا عهدين ما بقيا بقيت فينا هما العرفان والنذرُ
ورثت ما ورث الرسل الكرام لنا فلا تراث سِوىٰ ما تحتوي الزبرُ
وفي حياتك نور يستضاء به لم يبله الدهر فهو الشمس والقمرُ
إن الحياة إذا الرحمٰن باركها فليس يرزاً فيها الطولُ والقصرُ
أنت العلى والمنىٰ والعز مكرمة أنت الحجىٰ والنهىٰ والمجد والظفرُ
يا راوي الدهر أنشدنا قصائده ومتّع النفس شعرا كله دُررُ

عزيزي السيد محمد اسد شهاب

وصلتُ من سفرٍ الى ارض الهند بدعوة من علماء في نيودلهي فلما وصلتُ بوفور وجدتُ خطابكم الكريم فكتبت هذه الأبيات ورحم الله الحبيب صاحب الديوان. وهنيئاً لكم العيد السعيد أعاده الله علينا وعليكم في خير وعافية والسلام.

محبك المخلص

تقديم

عندما زرت ايران عام ١٣٩٢هـ، الموافق ١٩٧٢م تسنىٰ لي ان اقوم بزيارة لبعض علماء المسلمين الاعلام فيها، وتشرفت بالاجتماع مع الكثير منهم في عدة مدن، منها: طهران، قم، شيراز، مشهد، وغيرها.

اجتمعت بالعلامة الجليل السيد مرتضى العسكري صاحب المؤلفات الكثيرة، وعميد كلية اصول الدين في بغداد سابقاً، قبل استيلاء حكومة بغداد عليها ومصادرة املاكها. كما اجتمعت بالسيد العلامة آية الله شهاب الدين الحسيني المرعشي، وبكثير من الشباب المثقف الجامعي الذين يعملون في حقل التعليم والتربية والتثقيف. وسنحت لي فرص زيارة معاهدها العلمية وحوزاتها وجامعاتها وانديتها الادبية، واتصلت برجالها ووجهائها. ودونت كل ذلك في كتاب خاص افردته عن ايران من جميع نواحيها. كما افردت لكل بلد زرته على حدة في كل رحلاتي. منها مثلاً جولتي في ربوع جزر مورو، وضعتها في كتاب خاص طبع بمطبعة سرفي بريس في بيروت عام ١٩٧٩م.

تطرق العلامة السيد المرعشي حين اجتماعي معه في حديثه الممتع الى ذكر السيد ابي المرتضىٰ ابن شهاب، وتكلم باسهاب وهو معجب به وبتآليفه وبحوثه العلمية ودراساته الموضوعية العميقة، الدالة على سعة اطلاعه ومبلغ مستواه العلمي الرفيع، ومساهمته الفعالة في تركيز النهضة العلمية.

السيد المرعشي يقدر السيد ابن شهاب تقديراً كبيراً ويعجب به، كما ابدىٰ لي ذلك كثير غيره من الاكابر في هذا الموضوع.

عجبت ان يكون للسيد ابن شهاب هذه المكـانة المـمتازة، والتـقدير العـظيم والاعجاب الكبير لدىٰ كبار المراجع العلمية الاسلامية في ايران، امثال السيد المرعشي الذي بدا لي سعة اطلاعه على مكانة السيد ابن شهاب.

استطرد السيد المرعشي في حديثه الشائق الممتع، وذكر ان لديه بعض مؤلفات السيد ابن شهاب، منها كتاب «رشفة الصادي» الذي يأمل ان يعيد طبعه احـياء لهـذا التراث الغالي.

مرت شهور بعد عودتي من ايران، فاذا انا برسالة تصلني من السيد شهاب الدين المرعشي، بتاريخ ٨ شوال عام ١٣٩٦هـ، يقول فيها: انه في مقام اعادة طبع ونشر كتاب «رشفة الصادي»، ورجاني ان اكتب شطراً من ترجمة المرحوم السيد ابن شهاب.

لبيت في الحال طلبه على استعجال، تقديراً لجهده وهمته في إحياء وتـخليد التراث الاسلامي. وكتبت ما يقرب من عشرين صفحة بالخط العريض مقدمةً بسيطة للطبعة الثانية من كتاب رشفة الصادي.

ومضت السنون، ويمتد بي الزمن الى فرصة كنا فيها في اجتماع ضم الكثير من الشباب المثقف، ووجدت كثيراً منهم يستفهم متلهفاً، بل ويسـتزيد عـن السـيد ابـن شهاب. فدار بخلدي ان اضع كتاباً موجزاً عن حياته، استقيه من المصادر التي تـذكر عنه. وأن يحتوي هذا الكتاب مراحل حياته ونهضته الاصلاحية، ومواقفه السـياسية والاقتصادية، وبرامجه وآراءه. ورأيت اكمالاً للكتاب ان ألحقه مختارات من قصائده.

بدأت في الكتابة، وشعرت اني في حاجة الى كـثير مـن المـراجـع المـتعلقة بالمترجم له، واسفت آنذاك ان مكتبة وكالة الأنباء العالمية (APB) قد ضـاعت، ولم آسف على شيء كاسفي على ضياع مؤلفات السيد ابن شـهاب، مـن تـلك المكـتبة الخاصة بالكتب التراثية القيمة بجاكرتا، التي كانت في إدارة الوكالة، وذلك اثر اقتحام البوليس الهولندي عام ١٩٤٨م خلال الثورة الاندونيسية الاسـتقلالية، ومـصادرته

جميع الاوراق والوثائق والكتب من ادارة الوكالة ومكتبتها، التي تضم امهات الكتب التاريخية والادبية والدينية والعلمية. ثم تلت هذه المصادرة استنطاقات قاسية مفتعلة، دامت اياماً في مركز القوات المسلحة للبوليس الهولندي، وعلى الرغم من كل ذلك فان العمل في ادارة الوكالة استمر ولم ينقطع الا يوماً واحداً فقط. وكانت النشرات الاخبارية تصدر يومياً مرتين، كالعادة، صباحاً ومساءً بثلاث لغات، الاندونيسية والعربية والانجليزية.

بعد الافراج عن المسؤولين لم يفرج عن الكتب والوثائق والاوراق، وبقيت محجوزة في مركز البوليس الهولندي، علىٰ الرغم من مطالبتنا والحاحنا لاسترجاع ممتلكاتنا من الكتب الصادرة وغيرها. وهكذا فقدت وكالة الانباء هذه المكتبة باجمعها. ولا نعلم ماذا فعلوا بالكتب والوثائق، ونحسب انها احرقت وابيدت كلها. واكملت هذه المسرحية في اواخر عهد الرئيس سوكارنو، حيث هيمن الشيوعيون في ذلك الوقت على دفة الحكم. وتم مصادرة وكالة الانباء العالمية عام ١٩٦٣، ضمن سلسلة مصادرات الصحف اليومية الكبرىٰ، والمجلات التي لا تماشي سياسة الحكومة ونظامها اليساري. فقد صدر مرسوم جمهوري رسمي باسم رئيس الجمهورية الاندونيسية بتاريخ ١٣ ديسمبر عام ١٩٦٣، يقضي بمصادرة وكالة الانباء (APB)، والاستيلاء على ممتلكاتها الثابتة والمتحركة، وكل ما له علاقة بالوكالة التي جمعت حديثاً، والاموال والاقلام والدفاتر والحسابات الجارية والآلات، حتىٰ الموظفين والعاملين فيها، وتم اغلاق مكتب الوكالة (APB) بالشمع الاحمر، وسيق المسؤولون الى مركز المدعي العام، لاستنطاقهم وتحميلهم المسؤوليات المصطنعة لتبرير مصادرة الوكالة وممتلكاتها.

دام الاستنطاق ثلاثة اشهر، ثم افرج عنهم بدون محاكمة لعدم وجود سبيل او منفذ لادانتهم، ولكن الحكومة استحلت الوكالة وممتلكاتها، ثم ادمجت وكالة الانباء

(APB) بما فيها من الموظفين والعاملين فيها، بوكالة الانباء الحكومية «انتارا»، والتي يشرف عليها الحزب الشيوعي مباشرة.

حاولت الحكومة اغراء المسؤولين في الوكالة، فعرضت عليهم مناصب عالية خارج اندونيسيا، ليتقلدوا منصب سفير ومستشار السفارة في اوروبا الشرقية وامريكا اللاتينية، او البلدان الاشتراكية في آسيا. ومعنىٰ هذا في العرف العام المتعارف عليه «نفي» ولكن بأسلوب وطريقة يخفىٰ فيها المكر. وجاء مندوب خاص من قبل الرئيس سوكارنو يحمل معه هذا العرض والاقتراح، ولكنا رفضنا هذا العرض الذي يحتوي على معنى النفي والابعاد من البلاد لمن لا يرغب فيه بأسلوب مهذب، والذي يطبق في كثير من البلدان. ثم ان السفير مقيد بنظم وقوانين الدولة، يجب عليه تنفيذها بقسم يقسم به امام الرئيس.

لقد فضلنا البقاء في اماكننا، وعدم التعاون مع الدولة مطلقاً، وان كان ذلك يجر علينا العواقب الطغيانية. ان امثال هذه الطريقة التي يتخذها الحكام في كل دولة استبدادية ديكتاتورية امر مألوف ومعروف. اذ ليس للحق فيها قيمة ولا للحرية مكانة ولا للعدل وزن.

لم يدم عهد حكم الرئيس سوكارنو طويلاً بعد تورطه في الشبكة الشيوعية، ومصادرته وكالة الانباء العالمية والصحف التي لا تماشي هواه، لقد قضي عليه وعلى سلطته وحكمه بعد سنتين فقط من تاريخ مصادرة الوكالة، وذلك اثر الثورة الشيوعية الفاشلة للاستيلاء على الحكم في يوم ٣٠ ايلول ـ سبتمبر عام ١٩٦٥م[١].

وبسبب فقداني تلك المراجع التي لم يبق منها بيدي الآن الّا النزر اليسير جداً، ونسخة واحدة من ديوان السيد ابن شهاب المطبوع باندونيسيا عام ١٩٢٤، وما وجدته

---

(١) لمن يريد مزيد الاطلاع على القضايا الاندونيسية نحيل القارئ لمراجعة كتاب «صفحات من تاريخ اندونيسيا المعاصرة» الطبعة الثانية ١٩٧١ دار لبنان ـ بيروت.

من بعض كتابات خطية لدىٰ احفاد المرحوم في حيدر آباد، وبعض معلومات تلقيتها من الذين لهم علاقة به، وهم قلة اليوم، اذ قد اختار الله الكثير منهم الى جواره، عليهم الرحمة..

تزودت في بدء العمل من هذه المعلومات، وتجلى لي فيما بعد انه يجب علي الحصول علىٰ المزيد من الوثائق والمراجع والمعلومات. فواصلت العمل وتكبدت مشاق السفر والتنقلات، وقطعت المسافات البعيدة للاتصال بمن لا يزالون على قيد الحياة من زملائه وتلامذته. وزرت اسرة المرحوم في منزله بحيدر آباد في بلاد الدكن بالهند في عام ١٩٧٣، وراجعت اسرته واحفاده فلم اجد مما بقي لديهم الا النزر اليسير من هذه المعلومات التي تزدوت بها. واتصلت بمن بقي من تلامذته، كالسيد المدحج والعيدروس والمحضار وابن شيخ ابي بكر. وكنت اطمع ان اجد الشيء الكثير من الكتب المتبقية لديهم. ولكنهم حدثوني بكل ما علق باذهانهم وما كانوا يذكرونه. وما زال بذاكرتي عالقاً ما كان يرويه ويحدثني به والدي المغفور له علي بن احمد بن شهاب عن السيد ابن شهاب، وكذا ما تلقيته من احاديث المرحوم السيد عقيل ابن زين العابدين الجفري، ومن الاستاذ محمد بن هاشم، وهؤلاء من تلامذة السيد ابن شهاب.

كل هذه المعلومات جمعتها ودونتها في هذا الكتاب المختصر. فالفضل الاول في تدوين هذا الكتاب راجع لمولانا العلامة السيد شهاب الدين المرعشي الحسني الذي فتح الباب لاحياء ذكرىٰ السيد أبي المرتضىٰ ابن شهاب الذي ابدى اهتمامه باحياء تراثه. وكانت همته هي التي دفعتني وبعثت فيّ الروح لوضع هذا الكتاب.

كل من تسنىٰ له الاطلاع، ولو على كتاب واحد من مؤلفات السيد ابن شهاب المطبوعة او المخطوطة على رغم ندرة وجودها الآن، والتي اصبحت عزيزة المنال ومن نوادر الكتب، يستطيع بلا ريب الاستفادة منه،واستخراج معلومات وفوائد كثيرة، ولا بد ان يعترف بعد ذلك بان السيد ابن شهاب علم من الاعلام، واحد اساطين العلم،

ورائد من رواد النهضة الاصلاحية المخلصين في القرن الرابع عشر الهجري.

كل مؤلفاته تشهد له على ما بلغه من مستوىً رفيع. وكتبه في مجموعها موسوعة علمية ضخمة قيمة، تشمل الادب والفلسفة والحكمة واللغة والتاريخ والدين والسياسة والثقافة والاقتصاد. ولو اعيد طبعها لكانت العلم النير الذي يستفيد منه العلماء والباحثون وطلبة العلم.

فللسيد ابن شهاب كتب كثيرة متعددة المواضيع والبحوث، طبع جُلها قديماً بالمطبعة الحجرية في سنغافورا والهند، وذلك قبل ظهور المطابع الحديثة في تلك البلدان، ولم تكن الاحرف العربية من الحديد معروفة آنذاك. وطبع من مؤلفاته في القاهرة، عند بدء ظهور الطباعة بالاحرف العربية المعروفة بالطباعة الاميرية، كتابه «رشفة الصادي»[1] عام ١٣٠٢هـ وقد مضى على طبعه الى تاريخه ما يقرب من قرن. اما ديوانه فطبع باندونيسيا عام ١٩٢٤، بمدينة بوقور بعد وفاته بعام واحد. مجموع كتبه المطبوعة (٣٢) كتاباً، والباقي لا يزال مخطوطاً. ولا ريب ان كل كتبه المطبوعة قد تقادم عهدها وقل وجودها واصبحت من نوادر الكتب، وليس من السهل على الباحث العثور على هذا التراث القيم، اذ يتطلب جهداً كبيراً للعثور عليه، وهي ان وجدت فمتفرقة في اندونيسيا وماليزيا والهند وجنوب الجزيرة العربية، بايدي اناس ربما ورثوها من آبائهم، والمؤسف أنه لم يكن لهم اهتمام بها او تقدير لها.

قيل لي ان بعض مؤلفات المغفور له السيد ابن شهاب المخطوطة والمطبوعة موجود بمدينة تريم بجنوب الجزيرة العربية، والمؤسف أنني لم تسمح لي الظروف بالوصول الى مناطق جنوب الجزيرة ا لعربية، خصوصاً بعد استيلاء الشيوعيين على الحكم عام ١٩٥٧ وبلغني من مصادر متعددة ان حكومة الجنوب صادرت جميع الكتب الموجودة في مكاتب الافراد، والهيئات التعليمية، والمدارس والمكتبات،

---

(١) راجع الفصل الخاص بعنوان رشفة الصادي من هذا الكتاب.

وجمعتها في مكتبة الدولة العامة، وتعددت الاقاويل حول تلك الكتب المصادرة. ومن الناس من يقول: انها جمعت في دائرة الدولة لحفظها، ومنهم من يقول: إنـها احـرقت وابيدت باعتبارها كتباً سامة مخدرة، من كتب الرجعية والكهنوتية التي تميت القلوب وتخذل الارواح، لان نفوس الحكام لا تستسيغ ما في امثال تلك الكتب التي لا تماشي المفاهيم الشيوعية، فاحرقوها وابادوها، لئلا تسمم عقول الناشئة على حد قولهم.

لا اجزم بشيء من هذه الاقاويل، لاني لم اصل في رحلاتي الى جنوب الجزيرة العربية، ولكن العهدة على الراوي. وقد استعنت بكثير ممن اعرفهم في الجنوب العربي ليمدوني بما لديهم، او لدىٰ غيرهم من معلومات في هذا الشأن. رحب القـلة وتـلكأ الاكثرية وخشي الآخرون، ولست اعلم سـبب ذلك، ألخـوفهم مـن بـطش الحكـام وطغيانهم وعسف ولاة الامور؟ ام لان الرعب والخوف قد غلبهم حتىٰ صاروا يخشون صوت الناعق والصفير؟ ومعلوم ان الشعب الذي يعيش خائفاً مكبوتاً لا يمكن له ان يعمل شيئاً.

وبعد، فان هذا مجهود المقل، وكل املي ان يتاح لغيري مواصلة الدراسة ومتابعة البحث، والتقصي بصفة موسعة عامة فيما يستحقه فقيدنا من العناية والتقدير لوضـع كتب عنه اوسع مجالاً. كما أرجو ان يقوم آخرون بجمع تراثه ومـؤلفاته ومـراسـلاته وخطبه، وما تركه لمن بعده من المخطوطات لطبعها، واعادة طبع مؤلفاته المطبوعة التي اصبحت نادرة، والله ولي التوفيق.

محمد اسد شهاب

١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م

نسخة من رسالة السيد المرعشي الى مؤلف الكتاب

بسمه تعالى

تحية زاكية اقدمها الى فضيلة الشريف
الاجل السيد محمد اسعد شهاب العلوي الحضرمي
دام مجده وفاق سعده .. وبعد: تلك
التهاني قد استلمنا كتاب التبريك فشكرنا
الباري سبحانه على دوام صحتكم وارجوا من
المولى الكريم تعالى شأنه أن يؤيدكم ويسددكم
في نشر آثار آبائكم الطاهرين خدمة العلم
والدين ذراري طه وياسين والرجاء الواثق
ان ترسلوا الينا شطراً من ترجمة المرحوم
المجيد السيد ابي بكر وانجاله الكرام ووفياتهم
ومواليدهم وقبورهم واسماء تآليفهم ومشايخهم

لمحة سريعة:

هذه لمحة سريعة عن ادوار حياة زعيم النهضة الاصلاحية العلمية، وباعث التحرر الفكري، و رائد الاصلاح الاجتماعي، وعالم من العلماء الفطاحل، ونابغة من نوابغ الادب العربي الملقب بقريع البلغاء السيد ابي المرتضىٰ بن شهاب. علم من اعلام القرن الرابع عشر الهجري. نشر العلم وحارب الجهل، و حطم عقال الجمود والتبعية العمياء، وجاهد في سبيل هدفه، واستمات لترسيخ دعائم الحق، وكان لاعماله الخيرية صدىً واسع هز المجتمع، وقلب الأوضاع فيه الى نشاط فكري متفتح.

كانت ولادته رحمه الله في عام ١٢٦٢هـ الموافق للعام ١٨٤٦م.

وهو في غنىً عن الاطراء والمديح، ونحن لا نقول ما ليس فيه جزافاً ولا نمدحه عفواً اذ ليس في المدح فائدة. ولكننا نذكر الواقع كما هو واقع، خدمة للحقيقة، واداء لامانة التاريخ.

ترك تراثاً قيماً لمن بعده من مؤلفاته المخطوطة والمطبوعة، كما ترك من بعده خلفاً من خيرة تلامذته، الذين قاموا بأداء الرسالة خير قيام خدمة للمجتمع، هذبوا الجيل من بعده مقتفين اثر استاذهم، وواصلوا المسيرة الجهادية حاملين معهم مشعل الإشعاع، ناهجين نفس الدرب الذي سار عليه استاذهم السيد ابن شهاب، بنفس الخطة التي وضعها لهم فحملوا الامانة، وادوا الرسالة، وصاروا قدوة صالحة لمن بعدهم.

في هذه اللمحة السريعة من صفحات حياة فقيدنا، معدن العلم الغزير الذي لا ينضب والسيل الدافق من ا لادب، نبرز مكانته التي احتلها عن استحقاق في المجتمع، بعد كفاح وصراع مريرين ضد الباطل، عانى فيهما ما عانى وهو صابر جلد، حتى استطاع الوصول الى هدفه، وبلوغ مناه.

مؤلفاته كثيرة، وهي تصور حقيقة شخصيته، واتجاهاته الفكرية، ومواقفه الحازمة، ومبدأه الذي استمات لتحقيقه، وهدفه الذي ينشده، وهي خير دليل علىٰ

إخلاصه لامته. تاريخه جزء لا يتجزأ من تاريخ نضال الابطال، وكفاح اولي العزائم والدعاة الذين وقفوا نفوسهم وحياتهم ووهبوها لله تعالى سعياً وراء مرضاته.

اقتفى السيد ابن شهاب آثار خطوات من سبقه من اهله، سالكاً مسلك آبائه واجداده، المتسلسلين الى رسول الله سيدنا ونبينا محمد خير البشر ﷺ.

وقد توفي رحمه الله في ١٠ / ٥ / ١٣٤١هـ المصادف لـ ٢٩ / ١٢ / ١٩٢٢م. رضي الله عنه، واسكنه فسيح جناته.

مسلك الدعوة:

يرى السيد ابن شهاب ان المسلك الامثل في اسلوب الدعوة الاسلامية يجب ان ترتكز على دعامتين متينتين قويتين.

الاولى: موجهة الى المسلمين لتنوير بصائرهم، وازالة غشاوة الرواسب عن أذهانهم، وازاحة الاساطير الخيالية المطبقة في الافكار، وصقلها لتبدو لامعة يتبلور بها العقل الذي منحه الله للبشر، تلك المنحة الالهية العظيمة التي جل الانتفاع بها، والاستنارة بنورها. وبالعقل فضل الله البشر على سائر المخلوقات، ولا قيمة لبشر بدون عقل، فهو والسوائم على حد سواء.

ان الغفلة والجمود الفكري من تراكم الرواسب يجب ازالتها من العقول، حتى يستطيع الانسان ادراك الحقائق بمفهومها نقية ناصعة، كما أنزلها الله تعالى على نبيه محمد ﷺ.

الثانية: دعوة الامم والشعوب غير الاسلامية الى الاسلام بالحكمة والموعظة الحسنة التي ترتاح اليها النفوس، وبالتفهيم بما تتقبله العقول، والحوار بأسلوب حسن وبالطريقة العلمية، على ان يكون الداعي عالماً متفقهاً، واسع الاطلاع، رحب الصدر، سامي الاخلاق، حسن السيرة، صابراً قنوعاً، ليكون مثالاً واسوة طيبة يقتدىٰ به،

يواصل الطريق ويستمر في الدعوة بما أمر الله به، بموجب الدستور الذي وضع للدعاة.

ان الدعوة إلىٰ الطريقة المثلىٰ والنهج الصحيح ليست من الامور البسيطة السهلة، اذ تتطلب من الداعي، كما ذكر السيد ابن شهاب، إلىٰ جانب العلم والثقافة، تحليه بالصبر والحزم، والتذرع بالحكمة والأناة ولين الجانب وبعد النظر، وعدم الاغترار بالمال، او أن يلهيه طمع الدنيا في منصب او مركز.

تعرض كثير من الدعاة السباقين لمشاكل وعراقيل، وهذا امر معلوم بالضرورة من عدة وجوه، أهمها موقف الاعداء الذين يتربصون في كل مرصد، لقطع مسيرة الدعاة وعرقلة اعمالهم، وقد يتعرض الداعي لاغتيال اذا رأوه خطراً، إذ يكون التخلص منه واجباً في عرفهم.

ثم لا يفوتنا ان هناك فرقة من النفرات الضالة تمشي على هذه السيرة، وقد أُنشئت لتحارب المسلمين باسم الاسلام، وتعادي الحق باسم الحق، وتتآمر على كل فئة صالحة تدعو للحق والصواب.

حكمة ربانية أن يستطيع الانسان بعقله وفكره ان يميز بين الحق والباطل، والحسن والقبح، ويفرق بين الاصيل والدخيل، ويعرف الجيد من المزيف. ضدان باقيان ما دامت الدنيا، الحق والباطل. والخير والشر، فللحق والخير انصار كما ان للباطل والشر أعوانا.

عندما يتصفح المرء تاريخ العظماء والمصلحين ورواد النهضة، يتجلى واضحاً شخصية كل واحد منهم، وكذا نجد في سيرة ابن شهاب ومواقفه بين سِيَر أولئك الابطال من العظماء في التاريخ. ولعل القارئ يتوق للمزيد من معرفة شخصية هذا الزعيم الفذ، والمصلح العظيم في جميع نواحي حياته، فهو اديب من الادباء وشاعر من الشعراء وعالم من العلماء ومصلح كبير قام بنهضة فكرية قلب بها الاوضاع الى (١٨٠) درجة، بدون ثورة ولا اراقة دماء. فتاريخه مليء بالمفاجئات في كثير من النواحي التي تعرض

لها، من عداوة المعتدين، وكراهية المبغضين، وحسد الحاسدين، ومقاومة عملاء الاستعمار، فكان يواجه كل ذلك بتؤدة وأناة، وحنكة وصبر حتىٰ استطاع بذكائه تحطيمهم كلهم واحداً بعد آخر. فهي سيرة تاريخية مليئة بالعبر والعظات.

جاهد وكافح طيلة حياته، لا من اجل نفسه او اسرته، ولكن من اجل امته عامة، فمتاع الحياة عنده لا قيمة له ولا يهمه شيء من حطام الدنيا وكان لا يميل في اعماله الى الارتجال، ولا يتسرع بتصديق اقوال القالة، بل يسمع منهم ويتحرى الحقيقة، ويكره لغو الكلام. يعرفه الناس انه جدي لم يستبد يوماً برأيه، ويقبل آراء الغير من اخوانه وزملائه، بل قد يراجعهم ويناقشهم حتى يصلوا جميعاً في فكرة الى نقطة اتفاق واحدة، ويعالج الامور بحنكة وروية. ومعروف عنه انه متواضع جدا، سامي الاخلاق، يرحب بالقادم اليه ومن جاءه، ويسلم على كل من يلاقيه، واذا مر في شارع من الشوارع يقف من عرفوه اجلالاً وتكريماً، يتقدمون إليه مسلمين عليه. كان موضع احترام الجميع ومحل تقديرهم ومحبوباً لديهم يهابه الحكام ورجال الدولة، فهو في طليعة رجال الاصلاح ورواد النهضة الفكرية في عصره، آلت اليه القيادة والريادة بظهوره على مسرح النهضة الاصلاحية. التف حوله المثقفون، واحتشد العلماء الاحرار عنده، لانهم وجدوا فيه املهم الذي ينشدونه، فكانوا له عوناً وأنصاراً يؤيدون دعوته الاصلاحية.

اذا ذكر اسمه اقترن بفكرة انه رائد النهضة الاصلاحية، وذكر معه الادب والعلم وسمو الاخلاق، فكان اسمه يؤدي معنى النهضة والادب والعلم والاصلاح. هذه هي المزية التي امتاز بها السيد ابن شهاب، وانفرد بها في حياته، واصبحت عَلَماً وذكرىٰ له بعد وفاته.

ما من اديب او عالم في جنوب الجزيرة، او في المهاجر الشرقية الا ويقدر السيد ابن شهاب باعجاب واجلال مترحماً عليه، ومعترفاً بانه باعث النهضة، والكل يقر بذلك

ويشهد بمكانته وفضله، الا من ختم الله على قلبه وبصيرته من الحاقدين الحاسدين.

ومعروف عنه انه لا يميل الى التصوف، وله قصائد كثيرة عبّر فيها عن رأيه في التصوف والمتصوفة، وربما يكون عدم ميلانه للتصوف ناتجاً من طبيعة الاسرة الشهابية التي قل من يتصوف منهم، ولكني احسب انه يفرق بين التصوف الحقيقي، وبين أولئك الذين اتخذوا التصوف وسيلة لاعمال غير مرضية، ففي فصل آخر من هذا الكتاب ذكرنا نتفاً من قصائده في هذا الموضوع.

لم يقتل السيد ابن شهاب، لان قاتليه جبنوا عند ملاقاته، ولم يُغتل، لان الذين حاولوا اغتياله ولّوا هاربين رهبة منه. ولكنه مات شهيداً على فراشه، تلك هي ميتة الشهادة، مات مكافحاً مجاهداً جلداً.

والمؤسف حقاً انه لم ينجب من بعده من اولاده من يكون له ولو عشر معشار من مستواه. اما الذراري من بناته فقد انجبن الكثير الطيب من أخيار الرجال.

غالى بعض مقدريه ـ حسب رأينا ـ في قولهم: ان السيد ابن شهاب كان حكيماً بارعاً بلغ مبلغ درجة حكماء العالم. ونرىٰ ان هذا الوصف مبالغ فيه، على اني مقدر للسيد ابن شهاب، ولا أبخسه حقه، فاني ارىٰ ان تلميذه السيد احمد السقاف كان يصفه بأنه من الحكماء في القرن الرابع عشر الهجري، فمن يراجع ديوانه يجد جل قصائده حكماً بالغة وآيات بينات ناطقة، ومعنىٰ ذلك ان السيد ابن شهاب كان حكيماً، فهو حكيم معترف به بدون مبالغة، كما ان السيد احمد السقاف لم يكن زعيماً في درجة استاذه السيد ابن شهاب.

ويبخس آخرون السيد ابن شهاب بقولهم عنه بأنه بئس المربي، كيف يمكن له ان يكون زعيماً، وهو لا يحسن حتى تربية اولاده، ولم يهذب ابناءه. وهذه ليست بحجة وإنما هي تهم باطلة وسخرية حاقدة، فالسيد ابن شهاب، كما قلنا مراراً، يهمه أمر قومه ومجتمعه قبل نفسه واولاده واحفاده واسرته. ضحىٰ بكل شيء، وآثر على نفسه

واسرته لعصبة قومه، وهذا منتهى الايثار، وعنوان الزعامة الحقة.

انهالت الدنيا عليه من كل جانب فنبذها، وتوافرت لديه كل اسباب العظمة فانزوىٰ عنها، وجاءه النفوذ فلم يستغله. بل كره لنفسه ان يكون في عظمة الملوك وفخر ارباب الوجاهات، لانه لم يطلب ملكا، ولم يُرد جاهاً ولا مالاً ولا مركزاً، بل ادى رسالته ليرضي ضميره طمعاً في رضى الله ورسوله، لانه يشعر بالمسؤولية في هذا العالم نحو امته وقومه، فهو لم يعش حياة البذخ والاسراف، فكانت حياته كفافاً وكان بيته كسائر بيوت الشعب، يعيش عيشة البساطة وكان يميل اليها، فقد اتته الدنيا منصاعة اليه فردها لمن يريدها ولم يقتن لنفسه بيتاً في هذه الدنيا، وهو القائل:

شهوات الناس في الدنيا خيال وهي ان لم تك من حل وبال
فاعمل الخير تجد في جنة الـ ـخلد ملكاً ونعيماً لا يزال

هذه هي الشخصية العظيمة لعَلَم من اعلام هذا الدور، توفرت فيه كل صفات الزعامة القوية الحقة، الزعامة الاصلاحية والسياسية بتفوق مع ماله من علم وادب وصلاح. وباستحقاق تبوأ مكاناً في مصاف زعماء العالم المصلحين، وهو جدير بذلك.

العصر المتردي:

العصر الاسلامي في اواخر القرن التاسع عشر، واوائل القرن العشرين الميلادي كان عصر ركود، واسترخاء فكري، وخمول ذهني، هيمن على معظم النواحي والمجالات الاجتماعية والسياسية والتعليمية والتربوية والاقتصادية، بل على كل مرافق الحياة الادبية والثقافية وغيرها في العالم الشرقي. اسبابها كثيرة، منها تكالب الدول الغربية علىٰ الخلافة الاسلامية، وتمزق المسلمين في الداخل، والضعف العام، ولذلك يصفه بعض المؤرخين بأنه عصر الضعف والمسكنة والاسترخاء بالنسبة للمسلمين، وقد تساقط جل البلدان الاسلامية من عقد الخلافة في اواخر عهدها،

الواحدة بعد الاخرىٰ، لتكون مستعمرة تابعة لدولة غربية! أو شرقية.

تأبى الدول الغربية أن تنافسها دولة اسلامية، فهي ترىٰ وجود الخلافة الاسلامية خطراً عليها، فتخشاها وتعتبرها عدوها اللدود الذي يجب محوه وازالته من الوجود، فانبرت الدول الغربية مجتمعة، على رغم الخلافات بينها، متحدة ضد الخلافة الاسلامية، تحوك المؤامرات عليها لاستنزاف قواها ومحاصرتها اقتصادياً وعسكرياً وسياسياً، وتسللت الايدي الصهيونية، وظهرت الافكار العصرية حتى تردت الاوضاع الداخلية، مما سهل تسبب الانفجار لتحطيمها.

استنبول عاصمة الخلافة الاسلامية، اصبحت في شغل شاغل بمشاكلها الامنية الداخلية وتردي السياسة الخارجية، فازدادت سوءاً واستعصاءً كلما مرت بها الايام.

وكانت مؤامرة الدول عليها مستمرة متواصلة، بل تشتد ضد الخلافة فيها لاجتثاثها. نرىٰ اقطار اوروبا الشرقية البلقان، التي تحميها دولة الخلافة الاسلامية، تتساقط الواحدة تلو الاخرىٰ لتصبح تلك البلدان بمساعدة الدول الاوربية المتحالفة، حكومات مستقلة ذات سيادة، تتصدى لمجابهة ومقارعة دولة الخلافة الاسلامية، التي دعتها دول اوروبا بالدولة الاستعمارية، حتىٰ لقد تأثر بهذه الدعاية كثير من المسلمين، حيث يسمون الخلافة الاسلامية بالدولة الاستعمارية، واخذت صفحات الكتب واعمدة الصحف بهذه النغمة الغربية في محاربة الخلافة الاسلامية، والهدف من ذلك اضعاف نفوذ الخلافة الاسلامية في العالم الاسلامي، وبث روح القومية والوطنية لتفقد دولة الخلافة قدرتها، وينفلت زمام السلطة والحكم من قبضتها، فتجرها الى العجز عن مجابهة المشاكل الخارجية، لانشغالها بالامور الداخلية المستعصية حينذاك، مما سهل اضعاف دولة الخلافة الاسلامية، وتمزيقها الى اجزاء باسم قوميات وشعوب جديدة، ما كانت معروفة ولا موجودة من قبل.

جل البلدان الاسلامية التي اقتطعت من جسم الخلافة الاسلامية، وقعت في

براثن الاستعمار الشرقي الروسي او الغربي الاوروبي، ترزح تحت وطأة الظلم وطغيان الاستعباد، واصبح العالم الاسلامي عاجزاً ضعيفاً يعتوره الوهن الشامل حتىٰ كاد يفقد الامل في معالجته.

كانت الدول الغربية الكبرىٰ آنذاك، وهي انجلترا وفرنسا وإيطاليا وروسيا، يسوؤها ان ترىٰ الخلافة الاسلامية المتمثلة في الدولة التركية تسيطر على هذه الارجاء الواسعة، ولها قوة الشكيمة والسلطة الواسعة والنفوذ العظيم في قلوب الملايين المسلمين من هذا العالم، لذلك اجمعت هذه الدول سلوك سبيل المؤامرات لاضعاف الخلافة التركية، وارهاقها بالثورات الداخلية. وانطلاقاً من هذا الاتفاق أُلبت شعوب اوروبا الشرقية، الواقعة تحت حماية دولة الخلافة الاسلامية، علىٰ الانتفاض والثورة عليها، ومدت الثوار بالاسلحة والعتاد، فثارت بلغاريا وصربيا ورومانيا وغيرها، واشغلت هذه الثورات المسلحة المتوالية دولة الخلافة، وانهكت ميزانيتها الى حد كبير، في حين كانت الدول الغربية تعمل من الخارج للضغط على دولة الخلافة، ومحاصرة نفوذها بصفة غير مباشرة. كيف لا وهذه الدولة الاسلامية في اوروبا قذىً في اعين الغربيين.

ان معاهدة سان ستيفانو عام ١٨٧٨م قد وجهت بوجه خاص لاضعاف الحكم الاسلامي، ومساعدة شعوب البلقان للتمرد على دولة الخلافة طلباً للاستقلال، وقد اعترفت هذه المعاهدة باستقلال دول رومانيا، الجبل الاسود، صربيا، كما انشأت دولة بلغاريا. واستمرت هذه الدول الكبرىٰ تمد الشعوب حتىٰ انفصلت عن الدولة الاسلامية، وما ان استقلت هذه الدول حتىٰ اشتدت عداوتها لدولة الخلافة الى ابعد الحدود.

هذا التدهور المستمر في مستوىٰ قوى دولة الخلافة عسكرياً وسياسياً واقتصادياً، اثار الغيرة والحمية في قلوب الشباب المتحمس، واخذوا يتهامسون فيما

بينهم بعدم رضاهم واستيائهم من الاوضاع المتدهورة لدولة الخلافة، وانها تسير الى الحضيض وهم يرونها ويشاهدونها، جر ذلك الى تكتل الشباب من جميع الطبقات، بما فيهم القوات المسلحة، وقرروا انه لابد لهم من القيام بعمل جاد لانقاذ دولة الخلافة من الانهيار، وللمحافظة على كيان الدولة لا بد من ابعاد وبتر من يعتبرونه غير صالح للحكم، او ضعيفاً في ادارة الدولة وقلب الاوضاع كلها الى مستوىً جديد، والمعروف ان لدول الاستعمار عملاء يخدمون المصالح الاستعمارية، لتحطيم المسلمين وتمزيقهم الى أُسر قَبَلية وجماعات عشائرية وكتل عنصرية، غُذيت بعقائد مزخرفة من إلحادية اشتراكية، او دينية تزمتية متطرفة، استعين في نشرها بمن يتقمصون الدين لتعزيز نشر المفاهيم التي تجر المسلمين الى التمزق والويلات، هؤلاء وهؤلاء هم السبب الاول في هذه المأساة المؤلمة، التي حطمت المسلمين وورطتهم في التخلف الفكري.

الانقلاب التركي:

يعتبر يوم ٢٧ نيسان / ابريل عام ١٩٠٩م في تاريخ دولة الخلافة، يوماً جرىٰ فيه اكبر حادث، كان بداية لمآسي من الانقلابات التي تعتبر نقطة تحول خطير، اذ حدثت تبدلات عظيمة في سياسة دولة الخلافة آنذاك، ففيه قام جماعة من الشباب التركي لجمعية تركيا الفتاة، وجمعية الاتحاد والترقي، فاتحدوا وأجمعوا امرهم، وانقضوا على الخليفة عبد الحميد وأجبروه على التنازل عن السلطة، ولم تكن فكرة ازالة الخلافة او اقامة جمهورية قد تخمرت في اذهانهم، بل كانوا يطلبون اصلاحاً عاماً، وجعل الحكومة شبه علمانية، مع بقاء دولة الخلافة رمزية.

في ذلك اليوم فقد الخليفة عبد الحميد سلطته، واقتادوه مخفورا الى منفاه في سلانيك، وعين بعده اخوه محمد الخامس، وحاول القيام باعباء السلطة، لكنه عجز عن

مجابهة الشباب التركي، فسلم الامر والقيادة اليهم مختاراً، ولم يطل عهد الحكومة الفتية حتى اخذت تواجه عدة قضايا ومشاكل كبيرة، ما كانت تحسب لها حساباً من قبل.

في عام ١٩١٢ عقد ممثلو شعوب صربيا وبلغاريا واليونان اجتماعاً، قرروا فيه اقامة حلف دفاعي مشترك بينهم، هدفه مجابهة الخلافة وتحطيمها، وكان ذلك بايعاز من روسيا بضمان منها لمساندة الحلف الثلاثي الدفاعي، وتعرضت دولة الخلافة من جراء ذلك للثورات الداخلية باستمرار، من شعوب اوروبا الشرقية الواقعة تحت حماية دولة الخلافة.

انتهزت ايطاليا فرصة انشغال دولة الخلافة بمشاكلها الداخلية في البلقان، وباتفاق مع دول اوروبا الغربية وبمساعة فرنسا هاجمت ايطاليا ليبيا، واحتلت طرابلس وبرقة بعد معارك ضارية ومقاومة شديدة ابداها الشعب الليبي، وهي المعارك المعروفة بحرب طرابلس الغرب، وهكذا تم لايطاليا احتلال ليبيا عام ١٩١٣، غير ان الشعب الليبي رفض الاحتلال، وقاوم بكل قوة وضراوة واستمرت المقاومة حتىٰ نشوب الحرب العالمية الثانية.

تمرد شعب الجبل الاسود على حكم دولة الخلافة، ثم أعلن انفصاله عنها واستقلاله بالحكم دولة حرة مستقلة، ثم تبعه شعب صربيا وبلغاريا بعد ذلك، ومن ذلك الحين بدأ ينكشف الضعف الكامن في دولة الخلافة، واخذ نجمها بالأُفول، ثم وهنت شوكتها في جميع الحقول والمستويات، حتى اضطرت تحت ضغط الدول الكبرىٰ الى قبول معاهدة صلح لندن عام ١٩١٣، التي تنص على تخليها عن جميع الاماكن التي تسيطر عليها في اوروبا الشرقية وعن حمايتها، ومنح شعوبها حق تقرير مصيرها بنفسها.

بعد عام من توقيع تلك المعاهدة اندلعت الحرب العالمية الاولى، فلم تجد دولة الخلافة لنفسها بُداً ومخرجاً الا الانضمام الى الالمان في هذه الحرب ضد الحلفاء، ففي

يوم ٢٨ حزيران، يونيو عام ١٩١٤م انطلقت الشرارة الاولى للحرب العالمية الاولىٰ، باغتيال ولي عهد النمسا في مدينة ساراجيفو (في يوغوسلافيا حالياً) فاندلعت الحرب، وحاربت المانيا الى جانب النمسا، ثم دخلت تركيا الى جانب المانيا، وانضمت روسيا الى جانب الحلفاء وبعد ذلك جاءت ثورة البلاشفة عام ١٩١٧م، وحل الشيوعيون محل القياصرة، وانتهت الحرب العالمية الاولىٰ بفوز الحلفاء.

إن استمرار المؤامرات التي تحوكها الدول الغربية ضد الخلافة الاسلامية، قد ترك أثره العظيم على العالم الاسلامي اجمع، بما في ذلك بلدان آسيا الوسطىٰ، وزاد الوضع سوءاً، حيث كان المسلمون في ذلك الوقت متفرقين، تتنازعهم الاهواء، وتسيطر عليهم اتجاهات دينية، وافكار جديدة طارئة، ونزعات استحوذت على البعض منهم لمصالح ذاتية، ووُجد علماء السوء ووعاظ السلاطين وفقهاء البلاطات، الذين توظفهم السلطات لتبرير الافعال المخالفة للعرف والانسانية والدين. كل ذلك ساعد في زيادة تفتيت وتشتيت القوىٰ الاسلامية والتجمع الاسلامي، في الوقت الذي يوالي الغرب خطواته في التقدم الصناعي والهندسي والسياسي، والمسلمون لاهون بالمسائل الثانوية والامور الجانبية، مما سهل لساسة الغرب الطامعين ان يسيطروا على بلدان المسلمين الغنية، بعد ان قطعوا اوصال الخلافة الاسلامية، وجزّؤوها الى شعوب وقوميات، وتقاسموا البلدان الاسلامية فيما بينهم، فكان من نصيب روسيا آسيا الوسطىٰ، بحكم الوضع الجغرافي، المعروفة بثرواتها المعدنية، وكان لفرنسا سوريا ولبنان، ولانجلترا العراق وفلسطين، تمهيداً لجعلها وطناً قومياً لليهود، وتنفيذاً لوعد بلفور، كما احتلت انجلترا ايضاً شرقي الاردن. اقر الحلفاء تقسيم آسيا وافريقيا وتجزئتهما بين الدول الغربية المستعمرة، ومع كل هذا لم تستطيع روسيا ان تسيطر على بلدان آسيا الوسطىٰ الاسلامية بسهولة، فقد دامت المقاومة اعواماً انتهت بحصار الروس لقلعة «انابا» الاسلامية، ودافع المسلمون دفاعاً قوياً للحفاظ على هذه القلعة، التي

بقيت مركزاً للكفاح حتى فني الكثير منهم، وقضىٰ من قضىٰ بسبب فقدان الزاد والعتاد، واسر من اسر من الباقين الموجودين في ا لقلعة، حـينذاك اسـتطاع الروس احـتلال القفقاس، اما من اسر من المسلمين في هذه المعركة فقد سيقوا الى معاقل العذاب في سلوسبروج، حيث قضي عليهم جميعاً في ذلك المنفىٰ، وكان الروس قـبل احـتلالهم لبلدان آسيا الوسطىٰ الاسلامية كثيراً ما يختلقون الاسباب، ليتخذوها ذريعة وتمهيداً لاحتلال تلك البلدان، وكانت روسيا تتهم المسلمين بانهم يسيئون معاملة المسيحيين ويعذبونهم لتثير حفائظ مسيحيي العالم، وتؤلبهم ضد مسلمي آسيا الوسطىٰ، وتجعل لنفسها عذراً في هجومها على البلدان الاسلامية باسم انقاذ الاقلية المسيحية من مظالم المسلمين، ووحشيتهم، مع ان الواقع التاريخي المؤكد يثبت انه ليس هناك مسيحيون في بلدان آسيا الوسطىٰ.

رأت روسيا ان الانجليز يستعمرون الهند وبعض مناطق جنوب آسيا، وهولندا مستولية على اندونيسيا، وفرنسا على بلدان الهند الصينية، وبعض بلدان افريقيا موزعة على الاستعمار الغـربي، وهـذه المسـتعمرات تـدر آلاف المـلايين مـن الجـنيهات لمستعمريها، وكان حظ روسيا كحظ غيرها من دول الاستعمار المستولية على ارجاء واسعة، غنية بالبترول والفحم الحجري واليورانيوم والمـغنيسيوم والذهب والنـحاس ومعادن اخرىٰ، الى جانب خصوبة ارضها. فكانت روسيا تعتمد كلياً على الموارد التي تدرها عليها بلدان آسيا الوسطىٰ الاسلامية.

واذا رجعنا الى معاهدة لندن عام ١٩٢٠ التي تمت بين الدول الغربية وروسيا من جهة، وتركيا من جهة اخرى، في موضوع مرور السفن عبر البسفور والدردنيل، نجد ان هذه المعاهدة لم تكن الا وليدة معاهدة سان ستيفانو عام ١٨٧٨م، فقد اضعفت هذه المعاهدة تركيا من جهة، وافادت روسيا من جهة اخرىٰ، حيث كانت تلك الدول جبهة واحدة امام تركيا، ثم حل عام ١٩٢٣ الذي عدّلت فيه هذه المعاهدة لتقتصر على الدول

المحايدة، لئلا تشمل المانيا وايطاليا واليابان، التي بدأت آنذاك تنافس الحلفاء وتطورت الى مستوىٰ الدول الكبرىٰ، ثم عدلت هذه المعاهدة بمعاهدة اخرىٰ عام ١٩٣٦، تم التوقيع عليها في مونتريو.

في هذا العصر المتردي وبين مجتمع متفكك ضعيف، وتحت جو ملبد قاتم تسوده الازمات ولد السيد ابن شهاب في عام ١٢٩٢هـ وسط قوم ضعاف البنية، وفي ظروف شملتها الفوضىٰ العارمة والعصبيات القاسية، مما بعث في النفوس حب العزلة والميل الى الانطواء والانزواء، فتكوّن مجتمع شبه انعزالي، فاقد للروح الوثابة، خال من الطموح الاسلامي، وساد على افراده روح القناعة بما هو عليه، فعشعشت هذه الحالة في عقولهم، واستقرت في اذهانهم عقيدة يؤمنون بها.

في هذا الجو المتدهور، وفي هذه البيئات القلقة، وبين هذه الفوضوية الاجتماعية نشأ السيد ابن شهاب وترعرع، وعاش في هذا العصر المتردي السيئ للمسلمين، بين عدم الاستقرار وبين الاضطرابات المحلية والفوضىٰ العامة في العالم الاسلامي.

لم يجد السيد ابن شهاب بُدّاً في بدء حياته من العيش بين هذه الظروف باجوائها الموبوأة. ذاق حلوها ومرها، فسبرها وكانت له اعظم مدرسة دفعته الى إعمال الفكر لسلوك سبيل يحرر قومه من الامراض الاجتماعية وينقذهم.

اما من عرفوا بالفقهاء فقد انشغلوا بالامور الفرعية، والخلافات في الاستنتاجات في الامور العامة والعمل لرفع الكابوس السائد. لقد استشرى هذا المرض في الافراد والجماعات وبين الحكام والمحكومين.

عاش السيد ابن شهاب في عنفوان شبابه مع زمرة من طلبة العلم، في ذلك الجو المشحون بما لا يرتضيه حر الضمير، ولا يسكت عنه ذو طموح وعزم. ومن الطبيعي ان يعيش غريباً في هذا المجتمع الذي يعتبره الكثير شاذاً في آرائه وافكاره، فصبر على

مضض، غير انه وجد افراداً من الشباب يشاركونه في آرائه النيرة، ويتألمون لهذه الاحوال الشاذة، ويلمسون المآسي في اوضاع قومهم، وكان السيد ابن شهاب يمتاز بتحمسه لمبدئه وعقيدته طموحاً بعزم قوي صارم ينحو الى هدف معين.

من هذا المنطلق بدأ السيد ابن شهاب يعمل وهو في عنفوان شبابه لتحطيم هذه الاوضاع، ففاجأته مقاومة شديدة وردود فعل ضارية، وبدافع روح الشباب كان يواجه الشدة بأشد منها، ويجابه العنف بأقسىٰ منه، ولا عذر للمتخلف المريض فكرياً، السادر في لجج الجمود والانزواء، وكان يقول: إن الامر يقتضي ذلك، وانه على الحق والحق منصور.

بدأ التطور الفكري الاصلاحي يأخذ في مجراه الجديد الصحيح، لدىٰ جملة من الشباب المتنور من زملائه، لتقويض معالم الاوضاع البالية والافكار الجامدة من رواسب العهد الماضي القريب. وانتبه قومه من غفلتهم مبهوتين من دوي هذا الصوت الجديد الذي لم يألفوه، وأخذوا يرمقونه بكثير من الشك والريب والحذر.

مضى السيد ابن شهاب في طريقه الاصلاحي لا يلوي على احد، حتىٰ استطاع تكوين فكرة استساغها الشباب وتقبلها، وحلت الفكرة في قلوبهم بوعي وادراك وفهم. واستيقظت على اثرها زمرة من بني قومه فقدروه وعظموه وكان له عندهم مكانة مرموقة.

بلغ السيد ابن شهاب مرحلة النضوج، وجاوز الكهولة والشيخوخة وهو يحتفظ بروح شبابه الغض كما كان، لم تؤثر الشيخوخة فيه، بل كان قوياً في بنيته، قوياً في افكاره، وقوياً في عقيدته ومبدئه، واستمر في اعماله بروح الشباب الغض بدون فتور، لم يفتقد شيئاً من قدرته ولم يطرأ عليه، وهن في عزمه، ولم تثنه الشيخوخة عن نشاطه المعروف عنه بل كان انتاجه ايام شيخوخته اكثر واوسع من ذي قبل، فقد تضاعفت اعماله الدراسية وابحاثه العلمية، وتقصيه الامور وانكبابه على التأليف، حتى اصبح

بيته محطة الوافدين اليه من اماكن بعيدة شتى، للاستفادة من مجالسه واحاديثه، وكانت مجالسه لا تمل القاصدين المستفيدين، حيث يأتي البعض منهم لمصالحه الخاصة يسترشده او يستخيره فيما استعصى عليه من مشاكل خصوصية كانت ام عمومية، ومنهم من يأتي اليه يلتمس منه ان يكون حكماً فيما شجر بين الأفراد لفصل الخلاف.

فالسيد ابن شهاب وهو في هذا السن اصبح المرجع العلمي والقضائي والاستشاري، الجميع متفقون عليه، وواثقون به، وراضون منه ان يكون حكماً او مشيراً او ناصحاً، لاطمئنانهم اليه في صلاحه وتقواه ونزاهته وورعه.

وسيجد راغب المزيد ـ خصوصاً الدارس والباحث ـ في تتبع تاريخ السيد ابن شهاب في جميع ادوار حياته المرتع ا لخصب، من عهد طفولته وشبابه الى مرحلة نضوجه، واخيراً الى مرحلة شيخوخته.

يمتاز عظماء الرجال عن غيرهم بمميزات كثيرة، هذه المميزات هي التي جعلتهم يصلون في مراحل حياتهم الى مرتبة لا يصل اليها غيرهم.

النشأة

لم يكن السيد ابن شهاب وحيد أبويه، فله اخوة ذكوراً وإناث، لكنه كان اكثرهم ذكاء وابعدهم همة، تجلىٰ ذلك منذ طفولته.

في اثناء سنة ١٢٢٦هـ كان احد فضلاء السادة العلويين قد خرج ومن معه من وطنه تريم الى قرية صغيرة تسمىٰ حصن آل فلوقة، وهي قرية صغيرة بقرب مدينة تريم، وتعتبر احد مصائفها. وقدر ان كان اهله في مدة الحمل، فشاء الله ان يولد له قبل العود الى المدينة في ذلك المكان، ابن كاحسن ما يتمنىٰ الوالد ان يكون ولده. اما الاب فهو السيد عبد الرحمن بن محمد بن شهاب العلوي، واما الابن فهو السيد ابو بكر ابن شهاب نابغتنا وشاعرنا الاكبر.

استقبلت العائلة ولادته بالفرح وبالبشرى، كما يستقبل الابوان عادة عندما يبشران بمولود ذكر، فحب الآباء والامهات للأولاد دون الاناث طبيعة بشرية متواترة متأصلة في قلوب الشعوب بدون استثناء، من قديم الزمن حتىٰ اليوم والى المستقبل، والاسلام يعارض هذه الإحساسات المتأصلة المألوفة، التي تفرق بين مخلوق ومخلوق من بني آدم الذين كرمهم الله، ﴿واذا بُشِّر احدهم بالانثىٰ ظل وجهه مسوداً وهو كظيم﴾.

لقد كان فرح والديه وكافة الاسرة بهذا المولود عظيماً، المولود الذكر الجديد الذي زاد من عدد افراد الاسرة، لقد زادهم ولداً فزادهم اعتزازاً وشاء الله ان تبرز هذه الدرة من صدفتها، بل ان يطل من أُفقه هذا الهلال الذي ما زال على مرّ الايام يزداد نمواً، وينير على ربوع وادي الاحقاف ليكون فاتحة عهد جديد للادب والشعر، وليزداد به العلم انتعاشاً وازدهاراً لتلك الديار الجامدة. رباه والده منذ طفولته تحت عنايته ورقابته

واشرافه المباشر، تربية كريمة حسنة في احضان المجد، بين اسرة عرفوا بالفضل وسمو التربية التي تنتهجها الاسر العملية الصالحة، شأن كل والد يود لولده الخير، كما سبق ان ربى اخوته من قبله. والتربية حلية في اليسر وملجأ في العسر كما يقول ارسطوا الفيلسوف.

نشأ الولد في كنف والده اعواماً، كانت فيها مواهبة الطبيعية قد اخذت تنمو وتنتعش، ثم تعرض والده لمرض ألم به اقعده عن الخروج، ولم يمهله المرض طويلاً حتى وافته المنية. لقد كانت الفاجعة على هذه الاسرة عظيمة، والرزيئة فادحة، لغياب رب الاسرة.

كان السيد ابن شهاب آنذاك لا يزال حدثاً صغيراً لم يبلغ سن الرشد بعد، ولقد كانت الحادثة ضربة أليمة في نفسه، تركت في قلبه اثراً عميقاً. فقد والده الذي يحبه ويحن عليه، ولكنه وجد من اخيه الاكبر وشريكه في هذا المصاب من يخفف عنه اللوعة والاسىٰ، وخير من يسليه ويهون عنه آلامه النفسية.

يرىٰ هذا الطفل البريء من ابيه ثم من اخيه الاكبر خير امام يقتدي به، وافضل مثال يحتذي حذوه، وكثيراً ما يقف اخوه الاكبر وينظر الى اخيه الاصغر، ودموعه تترقرق في عينيه، لانه يرىٰ ويجد في اخيه البراءة، والطهارة، فتزداد رأفته وحنانه ومحبته فيه، ويتضاعف أعتناؤه به اكثر، بذل قصارىٰ جهده في تربيته، كما كان يفعل والدهما، فأحسن كفالته وتهذيبه وتربيته وتعليمه، فقام اخوه الاكبر مقام والده المرحوم.

التحق السيد ابن شهاب وهو ابن ست سنوات بالدراسة، وواصلها تلقياً من خيار علماء ذلك ا لعصر، من اهل التقى الصالحين الذين لا يشق لهم غبار. وكانت النجابة تلمع فيه، والتهبت شعلة العبقرية والذكاء لديه، ونما شرهه اشد شره إلىٰ التهام العلوم واكتساب المعارف، مما دفعه ا لى الاخذ عن فطاحل كبار العلماء، دفعه إلىٰ ذلك

شدة فهمه مع صفاء قريحته وسرعة حفظه، فتقدم تقدماً باهراً أدهش مشايخه واساتذته، حتى لقد اذن له البعض منهم في الاستقلال بالتدريس وهو في دور المراهقة، وهو سن يندر التأهل فيه للتدريس، بل كانت له في صغره بعض فتاوى وتعليقات علمية تدل على تفوقه وعبقريته. وهنا ابتدأت حياته الادبية، اذ بدأ ميله الى الادب واشتغل بمطالعة بعض الكتب الادبية والدواوين الشعرية، وشرع في قرض الشعر.

مشايخه واساتذته:

منهم: العلامة السيد عبدالله بن علي بن شهاب، عميد الاسرة الشهابية آنذاك.

العلامة السيد العلوي السقاف.

العلامة السيد محمد بن ابراهيم بلفقيه.

العلامة السيد احمد بن محمد المحضار.

العلامة السيد الحسن ابن الحسين الحداد.

العلامة السيد علي بن محمد الحبشي.

العلامة السيد محسن ابن العلوي السقاف.

هؤلاء هم من جهابذة العصر في ذلك الزمن، ومن كبار العلماء الاعلام، ومن الشخصيات البارزة في جنوب الجزيرة.

كان السيد ابن شهاب منذ نعومة اظفاره مثالاً للجد والاجتهاد، متوقد الذكاء حتى صار مثالاً حسناً لاقرانه من الطلبة ومفخرة يفتخر به معلموه واساتذته.

كثيراً ما يراجع معلميه واساتذته، ولا يألو جهداً في مناقشتهم في كثير من المسائل، التي لم يكن في حسبانهم ان يصدر منه النقاش فيها، فيزداد تقديرهم وحبهم له لتقصيه الابحاث الدراسية.

يقضي السيد ابن شهاب بعد عودته من الدرس وقته معتكفاً في مكتبة والده بين

الكتب، مكباً على مطالعة كتب الادب ومراجعة اسفار التاريخ، ويمحص ما يقرأه تمحيصاً دقيقاً.

قد يذهب في امسيات ايامه الى بيوت اساتذته، او زملائه الذين هم معه في الدراسة، لمراجعة ما استجد له من الكتب، او لتتبع البحث والدراسة حتى يستقر له ما يشفي غليله، فهو لا يكتفي بما يدرسه تلقياً من اساتذته فقط، ولكنه يمحص كل مسألة دراسة وبحثاً حتى يجد ما يشفيه.

تفتق ذهنه بالشعر وهو في سن الخامسة عشرة من عمره، فسالت اقلامه بعدد من القصائد، وتفتحت اكمام شاعريته بما يحفظ الكثير من قصائد الشعراء المتقدمين والمحدثين، هذا بجانب ما كان يتتبعه بشغف زائد، من كل ما ينتجه الادباء والشعراء نثراً ونظماً وما يؤلفه المؤلفون. وكانت هوايته الاولى اقتناء ما تصدره المطابع من الكتب الحديثة او القديمة، وحيازة المخطوطات وان غلت قيمة، حتى تجمعت لديه في وقت وجيز مجموعة كبيرة من امهات الكتب، زيادة عما في مكتبة والده.

رأىٰ اساتذته فيه هذا النبوغ فتفألوا له بمستقبل زاهر باهر فكانوا يستعذبون احاديثه وابحاثه وتصديه دائماً الى صميم الواقع من حقائق الامور، على ان المسائل التي قد يطرقها السيد ابن شهاب، في خلال تلك البرهة من الزمن قد يعتبرونها من المسائل المستهجنة، ذلك لانها قد تقادمت عليها عوادي الزمن، وغمرت بضاعتها طيات الاعوام، فجهلها الناس ـ والمرء عدو ما جهله ـ فلا عجب ان لا تتحمل المشاعر سماع امثال تلك الابحاث النابية عن افهامهم، أن يعتبروها خارجة عن الحقائق، مخالفة لما ألفوه من التقاليد المتوارثة، وايثار البعض الركون والانزواء.

على رغم اعجاب الاساتذة بالسيد ابن شهاب وتقديرهم لابحاثه وافكاره النيرة، فانهم يفضلون ان لا يتسرع لمسابقة الزمن، لان المجتمع الذي يعيش فيه ضيق الافق، لم يألف سماع شيء من امثال هذه الامور، التي يقولها السيد ابن شهاب مخالفة

لما نشأوا عليه، فمهما كان ما يقوله حقاً ناصعاً لا يمكن لهم ان يؤمنوا به.

سار هؤلاء النخبة ـ السيد ابن شهاب وزملاؤه ـ في طريقهم بايمان قوي، وعزم صادق يؤدون الرسالة طلباً لرضئ المولئ بدون كلل أو ملل او خوف من احد، حتى صاروا المحجة الاولى والقدوة المثلى لطلاب العلم والمتنورين من الجيل الصاعد، واصبحت بيوتهم ملتقى طلاب العلم والادباء والمفكرين، وفى مجالسهم كان يستطاب البحث العلمي الحر.

في تلك الفترة وفي ذلك المجتمع ظهر السيد ابن شهاب وسطع نجمه، فتكتل حوله جمع من نجباء زملائه، وممن تلقوا عنه وتغذوا بافكاره الحرة وصاروا من اصفيائه، حاملين معهم هذه الروح الوثابة، يدعون الى الحق الصريح بدون مواربة، فقد كاد الحق ان ينطمس بعد تكالب الاهواء عليه من كل جانب، وغمرته مصالح السياسة او سياسة المصالح، فجرفت المجتمع الى الضعف والوهن في الادراك والتفكير.

جابهت مدرسة ابن شهاب هذا المجتمع الانعزالي الراكد بأسلوبها الجديد، واستطاعت في وقت وجيز ان تحوز نصيباً وافراً في تهذيب النشء الصاعد، من الجيل الجديد واصلاح افكاره، فقلبت الاوضاع التي الفها المجتمع، وازالت ما ران على العقول من آثار التبعيات.

في جميع ادوار تاريخ البشر، لا يخلو كل مجتمع مهما بلغ به الركود والجمود والتخلف، من وجود فرد أو افراد الهمهم الله العقل والدراسة والعلم، يمكن وصفهم بانهم عباقرة أو فلتات ذلك المجتمع في زمنهم، فيكونون منارات للفكر الحر، ومصادر للاشعاع العلمي، ومشاعل لتنوير الاذهان، فهؤلاء الافذاذ هم القوة التي تستطيع ان توقظ هذا المجتمع الراكد، وتهزه ليصح من سباته، ويخلع شعار جموده، وينفض غبار الوهن الذي استشرى في جسمه وروحه.

ليس بالميسور لكل مجتمع مخدر ضعيف الادراك أن يتقبل ما لم يألفه، او ان

ينسجم معه، وكيف يتفتح له قلبه عفوا والموضوع عنه غريب؟ ولكن المصلحين هم الذين يستطيعون بإخلاص ان يسلطوا اضواءهم على هذا المجتمع، فتنير له السبيل وتوضح له الهدف.

الرواسب التي تتراكم بطول الزمن تنصهر الى عادات، والعادات المتوارثة ليست قابلة للتغيير المفاجئ، بل قد يكون رد فعل عكسي، لذلك فان الحكماء يتبعون الحكمة في التوعية والتبصير، ومجاراة الواقع حتى يجتذبوا المدعو تدريجيا الى الحق الصراح. فالمرء غالباً ما ينفر من كل شيء يجهله، وقد يلجأ الى الجدل اعتماداً على عقليته وما نشأ عليه، وهذا يصدق على كل مجتمع متخلف ثقافياً.

في هذا المجتمع الذي نشأ فيه السيد ابن شهاب، وهو كالمجتمعات الاخرى المتخلفة، يرى أولئك النخبة المتحررة شذاذاً خارجين عن مألوفهم، فوصفوا هذه النخبة بالمروق والانحراف، واتهموهم بتغيير الاوضاع وتخريب العقائد.

حاولت سدىً ان أجد ولو بعضاً من قصائد السيد ابن شهاب، التي نضمها وهو في سن دون العشرين، لان المعروف انه نظم الشعر وهو في الخامسة عشرة من عمره، فلم أجد الا هذه القصيدة التي قالها وهو في سن الرابعة والعشرين، على رغم كثرة انتاجه الادبي، وديوانه المطبوع لم يستوعب كل ما قاله من قصائده المطولة او القصيرة.

يخاطب السيد ابن شهاب، وهو في عنفوان شبابه في الرابعة والعشرين من عمره، شريف مكة عبدالله باشا بن عون في عهد الخلافة التركية عام ١٢٨٦هـ يشرح له ما جرى على بني الحسين ابن الامام علي عليه السلام من المظالم التي انصبت عليهم، والقصيدة الكاملة يجدها القارئ في باب المختارات، منها:

آل الحسين بني ابيك عرتهم ... فتن واضحىٰ شملهم متصدعا
بثوا اليك شكية فيما جرى ... ممن اذاقهم العذاب الا وجعا
من فرقة اخزى واهون ان يسا ... ق الى جنابك ذكرهم او يرفعا

ورثـوا فـعال بـني امـية فـي قـبا ... ئـحهم وقـتلهم الشـيوخ الركـعا
عـطفاً اخـا العـزمات ان لنـا بكـم ... رحماً وهل تـرضىٰ بـها ان تـقطعا
حـاشاك يـابن الاكـرمين إذا بـنا ... عــثر الزمـان تـقول تـعساً لالعـا
واقلب بنصرك يابن عون سجسجاً ... ريـحاً تـهب عـلى ربـانا زعـزعا
لتقر عيني خير من وطئ الثـرى[1] ... وتسرّ فـاطم والبـطين الا نـزعا[2]
واليك مـن نـجل الوجـيه خـريدة ... تسبي نهى مـن در مـنطقها وعـى

والقصيدة طويلة بدأها بالغزل شأن الشعراء القدماء، وكان لهذه القصيدة تأثير عميق لدى شريف مكة، فاتخذ اجراءات اتصل فـيها بـالباب العـالي مـقر الخـليفة، واهتمت دولة الخلافة بما جرىٰ على الاسرة العلوية، وحاولت ان تقوم باعمال حاسمة لو لا ان الاوضاع لم تمكن دولة الخلافة، فقد كانت بريطانيا في عدن، والجنوب العربي تحت حمايتها، ودولة الخلافة قد أنخر جسمها الضعف والوهن.

---

(١) خير من وطئ الثرى هو سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

(٢) البطين الانزع هو الامام علي بن ابي طالب عليه السلام.

اسرته

ينتسب السيد ابو المرتضىٰ بن شهاب من جهة والده وامه الى الاسرة الشهابية العلوية، سليلة العترة النبوية الطاهرة، وهو السيد ابو بكر بن عبد الرحمن بن محمد بن علي بن عبد الله بن عيدروس بن علي بن محمد بن شهاب الدين بن احمد بن عبد الرحمن بن الشيخ شهاب الدين بن عبد الرحمن بن علي بن ابي بكر السكران بن عبد الرحمن السقاف بن محمد مولى الدويلة ابن علي بن علوي بن الفقيه المقدم بن محمد بن علي ابن الامام محمد صاحب مرباط ابن علي خالع قسم ابن علوي بن محمد صاحب الصومعة ابن الامام علوي بن عبدالله بن المهاجر احمد بن عيسى[1] بن محمد النقيب ابن الامام علي العريضي ابن الامام جعفر الصادق عليه السلام ابن الامام محمد الباقر عليه السلام ابن الامام علي زين العابدين عليه السلام ابن الامام السبط الشهيد الحسين عليه السلام ابن امير المؤمنين الامام علي عليه السلام وابن فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين بنت سيد الكائنات ومفخرة الموجودات محمد رسول الله صلى الله عليه وآله.

نسب تحسب العلى بعلاه   قلدتها نجومها الجوزاء

---

(١) لما نجحت دعوة الداعي الى الله يحيىٰ بن الحسين الحسني بقطر اليمن سنة (٢٨٠هـ)، واستمرت خلافة آله بها وعز اهل البيت، هاجر عدة منهم الى تلك النواحي من الحجاز والعراق فراراً من ظلم العباسيين وعبث القرامطة، فهاجر قبل السيد احمد بن عيسى ابناء عمه محمد بن يحيىٰ بن محمد بن علي بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين السبط، وهاجر معه ايضاً احمد بن عبد الله بن موسىٰ بن حسين بن علي بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين، ويرافقهم محمد بن جعفر بن حسن بن موسىٰ بن جعفر بن محمد. فقتلوا في طريق اليمن قبل وصولهم إليها وذلك في سنة (٣١٣هـ)، ثم هاجر بعدهم المهاجر الى الله احمد بن عيسى المذكور، وابنه عبد الله في سنة (٣١٧هـ) فجاء الى حضرموت وهي تفور ببدعة الاباضية الخوارج، فنشر الدعوة الاسلامية الحقة باللين والحكمة والموعظة الحسنة، فاهتدى منهم من اهتدى وضل من ضل وهم المتشبثون بالاباضية، وكان دخول بدعة الاباضية إلى حضرموت سنة (١٢٩هـ).

هاجر جده الاعلى احمد بن عيسىٰ من البصرة عام (٣١٧هـ)، فراراً من الظلم والطغيان الذي انصب على آل البيت ﷺ واتباعهم، واتجه احمد المهاجر واسرته من بعده الى جنوب الجزيرة العربية ومنهم من اتجه الى شمال افريقيا وافريقيا الغربية والشرقية وجزرها، مثل زنجبار ومدغشقر وجزر القمر، ونجد الآن بعض سلالة المهاجر احمد بن عيسىٰ في الصين واليابان والسيام (تايلاند) وبورما والفليبين وآسيا الوسطى ونيسابور وايران وقزوين وسمرقند وطبرستان والهند وباكستان والهند الصينية التي تعرف الان بفيتنام ولاوس وكامبوديا وماليزيا واندونيسيا، ووصلت سلالة احمد المهاجر الى جزر سليمان والجزر النائية في اواسط المحيط الهادي والجزر الواقعة قرب المنجمد الجنوبي.

وبمرور الزمن وتعاقب الهجرات المتوالية، نجد منهم الآن في اوستراليا ونيو زيلاندا وبلدان اوروبا والامريكيتين، وتجنسوا بجنسية تلك البلدان وذابوا في خضمّ تلك المجتمعات.

والسيد ابن شهاب يفتخر بانتسابه الى هذا البيت العلوي من اسرة آل شهاب الدين، فقال في قصيدة له سماها طهور الشراب من شمائل السادة آل شهاب، وهي قصيدة طويلة، يجدها القارئ في المختارات من قصائده التي اوصى بها، مطلعها:

الا لا يعيب المجد والفضل اقلال ... وكل لئيم لا يسوّده المال
اذا امتحنت بيض الصفاح وجربت ... فبالنصل لا بالغمد يتضح الحال

ثم يقول من نفس القصيدة عند ذكره لهذه الاسرة:

فروع شهاب الدين غوث الورىٰ الذي ... عليه من النور الالهي سربال
انابت به لما استضاءت بنوره ... طوائف لا تحصى غواة وضلال
أولئك حتى الآن وراث شعبهم ... وهل ارثهم الا علوم واعمال
ولم لا وهم من صفوة العلوية الا ... لى لهم بالسبق تعترف الآل

يقول وهو يفتخر بانتسابه الى هذا البيت العريق، ويعتذر عن التقصير:

وهـا انـا مـنكم غـير انـي مـقصر	عن السعي في نجد الفضائل مكسال

ثم يهنّئ هذه الاسرة بقوله:

هنيئاً لكم آل الشهاب وكيف لا	يُهنّا الذي لم يطغه الجاه والمال

ينتمي السيد ابو المرتضىٰ بن شهاب من ابيه وامه الى البيت الشهابي المعروف من الأُسر العلوية العريقة، وعدد اسر البيت الشهابي قلة قـليلة، خـصوصاً اذا قـورن بالاسر العـلوية الاخـرى، كـاسرة بـيت العـطاس وآل السـقاف وآل الحـبشي وآل العيدروس وآل ابن الشيخ ابي بكر بن سالم وغيرها من الاسر العلوية، فهذه الاسر تمثل الغالبية الساحقة من مجموع الاسر العلوية.

اما البيت الشهابي فهو من الاسر المحدودة افراد عائلاتها، مثل بيت آل يحيىٰ وبيت آل القدري وبيت آل ابن سهل، وغيرها من الاسر الصغيرة المحدودة. ويـمتاز البيت الشهابي ببيت العلم فثمانون من افراد هذا البيت حاملون شهادات جامعية في الطب بجميع فروعه، والهندسة بكل أقسامها، والحقوق وغيرها ذكوراً واناثاً، ويعرف افراد هذه العائلة بالتواضع وحب مساعدة الغير، وليس لهم طمع في الحياة.

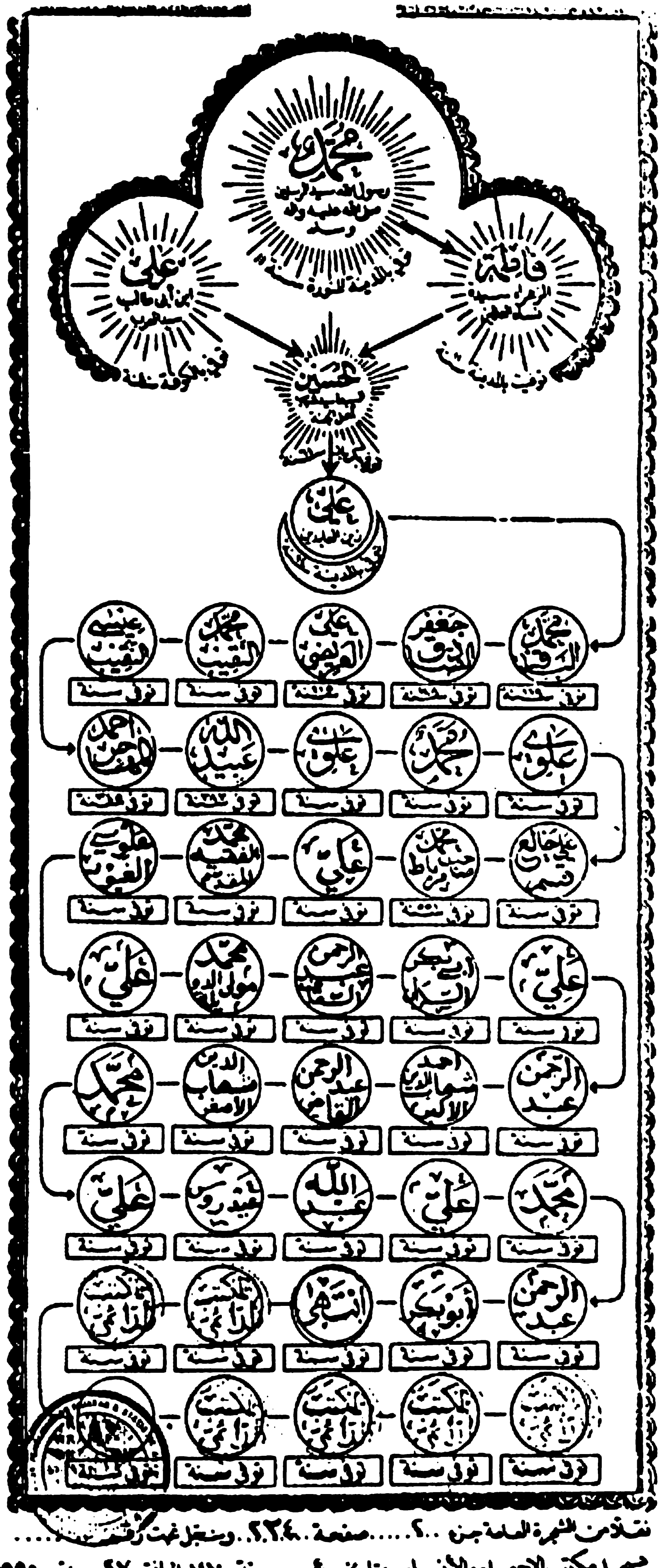
قد يشتبه البعض في الاسرة الشهابية ويقع لديه الالتباس في اصل هذه الاسرة، فالاسرة الشهابية الموجودة في الشام وفي لبنان بالذات، هي من سلالة الامير بشـير الشهابي الملقب بالامير، وهذه الاسرة كما تحدثنا اوثق المصادر التاريخية قدمت من الحجاز ثم استوطنت لبنان. فهي من العرب الاقحاح الخلص. ولا نعرف الى اي القبائل تنتمي هذه الاسرة. هل الى كندة او بني مرة او الى الغساسنة، وهذه الاسرة تقيم بالشام وبلبنان بالذات، وهي من الاسر المعروفة، تتمتع بصيت حسـن فـي المـجتمع، ولهـا مكانتها المرموقة. اما الاسرة الشهابية الثانية فهي من بني شهاب الدين، المـنتمية الى المهاجر احمد بن عيسى بن محمد النقيب ابـن عـلي العـريضي ابـن الامـام جـعفر

الصادقﷺ واسرة احمد بن عيسى المستوطنة بالبصرة في العراق قررت الهجرة ومغادرة العراق، بسبب الطغيان المنصب عليها، وتوجهت الى اليمن واستقرت بمدينة الجسيسية بجنوب اليمن. وبها توفى احمد ابن عيسى ودفن فيها. وقبره معروف يزار.

واصل بعض اولاده واحفاده وبني عمومته الهجرة للدعوة الاسلامية في القارة الآسيوية، ويعرفون في الهند بآل عظمة خان. استوطن البعض منهم تلك البقاع، وواصل الآخرون هجرتهم الى جنوب شرقي آسيا وجزر الباسفيك، ولهم بها عقب وسلالات معروفة منتشرة اندمجوا باهلها وشعبها، وتقلد البعض منهم قيادة أُمور الدولة والحكم والسلطنة بعد هداية تلك الشعوب الى اعتناق دين الاسلام.

وبيت آل شهاب المعروف بآل شهاب الدين تفرعت منه اسر اخرىٰ كبيت آل الزاهر وبيت آل الهادي وبيت آل المشهور، وكلها من غصن واحد.

فالفارق واضح وبيّن بين الاسرتين، اسرة الشهابي المنتمية الى الامير بشير الشهابي بلبنان، وبين اسرة آل شهاب المنتمية الى المهاجر احمد بن عيسىٰ.



نقلاً من الشجرة العامة جزء ..٢..... صفحة ..٢٢٤.. وسجل تحت رقم ......

بسجل مكتب الاحصاء والأنساب بتاريخ ... سنة ...١٤١٠ الموافق ... سنة ...١٩٩٠م

زملاؤه

للسيد ابن شهاب اصدقاء اوفياء وزملاء لازموه، ومعارف في معظم بقاع الارض التي زارها وتردد اليها، وبذلك توثقت الصلات ثم استمرت عبر المراسلات في البلدان العربية والاسلامية وغيرها من الاقطار.

اتصل به كبار العلماء والزعماء وفحول الشعراء والادباء، والذين لهم اعمال بارزة مرموقة في الشؤون الاجتماعية ممن لا حصر لهم، ارتبطوا به ارتباطاً وثيقاً، ونجدها جلية في مراسلاته ومكاتباته وبعض قصائده وهي كثيرة. ومن هذه الصلات، صلات الامراء به الذين كانوا يجلونه ويعظمونه تعظيماً، لا اعلم هل كان ذلك تقديراً حقاً منهم له او خشية ومجاملة او حذراً منهم ورهبة.

ان المعروف ان شخصية السيد ابن شهاب قوية، وهو عزيز النفس معتد بها كريم سمح الاخلاق، وهو الذي يقول بافتخار واعتزاز:

وسنام اي الارض اذهب منزلي ولي الندامئ الغرّ من امجادها

اني لتكرمني الاسود بارضها لعظيم منزلتي وعظم مفادها

وفي هذه العجالة نكتفي بايراد ذكر بعض زملائه، ممن لهم القيادة والريادة والذين شاركوه في النهضة الاصلاحية بما فيهم الادباء والشعراء.

السيد محمد احمد المحضار

هو في مقدمة اصدقاء السيد ابن شهاب، وهو من العلماء الاعلام، ذو شخصية فذة، وهو فوق ذلك مؤرخ واديب وشاعر وخطيب مفوه، يتسابق الناس لسماع احاديثه التي لا تمل، ويمتاز بالكرم والجود والسخاء، منزله مأوىً للضيوف القادمين

والوافدين، من جميع الاقطار والجهات الى بيته العامر في مدينة بوندو وسلو بـجاوا الشرقية، والسيد المحضار من الرجال العاملين المصلحين، بذل جهده للاعمال الخيرية في تشييد المعاهد العلمية وبناء المدارس الدينية، وعمارة المساجد والاهتمام بالجيل الصاعد وتثقيفه.

كان ابيض اللون طويل القامة مفتول العضلات، صلته بالسيد ابن شهاب صلة متينة جمعتهما وحدة العقيدة والمبدأ والهدف والغاية، وكان شديد الاعجاب بالسيد ابن شهاب، يحفظ الكثير من قصائده ويستشهد بها في مجالسه وخطبه ومحاظراته.

للسيد المحضار مؤلفات لا تزال مخطوطة، وتعليقات وحواش على الكتب التي يقرأها، وهي في غاية الاهمية، وقد يسترسل في تعليقه على مـوضوع الكـتاب الى التفصيل المسهب، وكانت تعليقاته مدعومة بالأدلة والحجج العلمية. ومـعروف عـن السيد المحضار الوضوح، لا يداري ولا يخشى.

شاهدت في عام ١٩٢٩ من شهر ذي القعدة في منزل السيد محمد ابن ابي بكر ابن يحيىٰ بعض مؤلفات وقصائد ومكاتبات ورسائل للسيد المحضار في مجموعة لا بأس بها لا تزال كما هي مخطوطة بقلمه المعروف بالحبر الاخضر، لم ترتب او تبوب وهي كما هي. اطلعت على اكثرها من هذه المجموعة، فوجدتها بلغت من الجودة في دقة التحليل، وفي كيفية عرض المسائل المستعصية وتحليلها مبلغاً كـبيراً بـاسلوب شائق، يمكن جعلها اساساً ومرجعاً لحل تلك القضايا. ومن المكاتبات رسائل دارت بينه وبين السيد محمد بن عقيل صاحب المؤلفات الشهيرة كالنصائح الكافية وتقوية الايمان والعتب الجميل وغيرها، كما اطلعت على مجموعة رسائل اخرىٰ مـنها مـع السيد عقيل بن زين العابدين الجفري، وتمتاز هـذه المكـاتبات بـطرق المـواضـيع السياسية والاجتماعية، وهناك مجموعة رسائل اخرى مع كبار الشخصيات الاسلامية في العالم، منها ما استرعى انتباهي، وهي مكاتباته مع الامام يحيىٰ حميد الدين امام

دولة اليمن آنذاك. ولو رتبت ونسقت هذه المجموعة لجاءت في عدة مجلدات كبيرة. ويقول السيد محمد ابن ابي بكر ابن يحيىٰ ان تلك المجموعة هي الجزء الصغير، والمعروف ان المجموعة الكبيرة موجودة في مكتبته في مدينة بندووسو.

والسيد المحضار احد الشعراء المكثرين، وله قصائد حمينية وحكمية عديدة متفرقة متناثرة لم تجمع. والسيد المحضار يقول الشعر في كل مناسبة سانحة تسنح له، وما نشرتها بعض صحف المهجر هي القليلة بالنسبة الى كثرة ما قاله من القصائد.

عندما بدأت اكتب هذا الكتاب حاولت ان اجد ما شاهدته عام ١٩٢٩ لدىٰ السيد محمد بن ابي بكر بن يحيىٰ المقيم في سورابايا، فلم اعثر على شيء منها. فقد اختاره الله الى جواره، ثم حدث الهول الهائل والطامة الكبرىٰ بسبب نشوب الحرب العالمية الثانية، واحتلال اليابان لهذه الجزر بين عام ١٩٤٢ وعام ١٩٤٥ ثم أعقبتها الثورة الاستقلالية التي دامت حتىٰ شهر كانون الأول من عام ١٩٤٩. وواصلت البحث هنا وهناك وعثرت على بعض قصائد السيد المحضار التي لا تتجاوز ثلاث قصائد، محفوظة في مكتبة المرحوم السيد هاشم ابن شيخان السقاف بقرسي، ولا تزال هذه المكتبة محفوظة يتولاها ابناء المرحوم، وهما محمد واحمد. وجدت هذه القصيدة مكتوبة بخط رديء تعسر قراءته.

وسألت السيد حسين ابن السيد محمد المحضار عن مؤلفات والده، وما تركه من آثار وتراث بما في ذلك من مؤلفات وقصائد ومكاتبات، فقال: ان طول الزمن وتعاقب الاحداث وتوالي المحن بسبب نشوب الحرب العالمية الثانية، وما أعقبها من ثورات وحروب الاستقلال التي لم تبق ولم تذر، قد بعثرت كل شيء، ثم ان هجرة السكان خلال تلك الحوادث جعلتهم لا يفكرون في شيء سوىٰ سلامة انفسهم فقط، فكيف يمكن لهم التفكير في المحافظة علىٰ الكتب او جمعها؟ فالمحنة الكبرىٰ التي واجهناها وعشنا معها كانت قاسية جداً وقد دامت زهاء خمس سنوات عجاف، فقدنا

بسببها ممتلكاتنا واموالنا، بل الكثير فقدوا حتى ارواحهم. وهكذا تبعثر وفقد كل ما ترك في المنازل والبيوت.

يرىٰ السيد المحضار ان المسلمين امة واحدة، وهم الذين على طريقة آل البيت(ع)، تلك الطريقة الأسنىٰ والسبيل الاقوم، ومن لم يكن معهم وعلى طريقتهم فهم خارجون عن المحجة المثلى.

ويتجلىٰ ذلك في مؤلفاته وتعليقاته وقصائده الموزونة او النثرية الحمينية منها او الحكمية. ومنها قصيدته التي مطلعها:

بشرى لنا من جانب القدس العلي بحبيبه الاعلى وسيدنا علي

ومنها:

اسماء خص بها النبي وصنوه وبنوهم من كامل ومكمل
خالصة لهم فليس لغيرهم منها سوىٰ ما في يد المتطفل
معلومة التنصيص عند ائمة الـ ـتلخيص والتخصيص فرض الافضل
ومسميات وافقت اسماءها برت أليّة من بذلك يأتلي

وفيها يقول في حق اهل البيت(ع) بعد أن بيّن أن مذهبهم هو خير المذاهب:

يروون عن آبائهم عن جدهم عن جبرئيل عن الكريم المفضل
فلو أن أصحاب المذاهب انصفوا تبعوه لكن فات حز المفصل
سل منهم النعمان والثوري وما لك والامام الشافعي والحنبلي

* * *

وللسيد المحضار قصائد كثيرة في النبي صلوات الله عليه وفي الامام علي وآل البيت عليهم السلام، ومما قاله في الامام علي عليه السلام:

ايا من قال جهلاً في علي ... بان النص كان به خفيا

هو الاولى به من غير نص ... فكيف وقد بدا منه جليا

فاقرء آية التبليغ فيها[1] ... تجد نصاً يغيظ الناصبيا

يقول ابنه السيد حسين المذكور: انه لم يعد يتذكر شيئاً من قصائد والده الا الشيء اليسير جدا، وقد يتذكر منها في مناسبات، وها هو يذكر الآن هذين البيتين:

والله ما قتل الحسين ... ورض في البيدا عظامه

الا مبايعة السقيفة ... والتخلف عن أسامه

سألت السيد مكرراً ومستفهماً، عن الكتب بجميع انواعها المخطوطة والمطبوعة التي كانت موجودة في مكتبته العامرة، كيف صارت؟

قال: كما ذكرت لك عن الاهوال، وما سلم منها وهو قليل جداً ارسل الى مدينة قيدون بجنوب الجزيرة العربية، لينتفع طلاب العلم منها، غير أن سوء الطالع والحظ العاثر لازما تلك الكتب، حيث صادرت الحكومة الشعبية الشيوعية الديموقراطية الاشتراكية المسيطرة على جنوب الجزيرة المكتبات حتى الكتب الموجودة لدى الافراد، فضلاً عن الكتب الموجودة في المكتبات العامة والمعاهد العلمية والمدارس، حتى المكتبات الخاصة للافراد، كلها لم تسلم من المصادرة واستيلاء الحكومة عليها، باعتبارها كتب سامة، وشاع الخبر ان جل تلك الكتب ابيدت واحرقت، وهكذا كانت نصيب الكتب المرسلة من اندونيسيا.

للسيد المحضار صلات وثيقة بزعماء المسلمين في العالم، سواء كانوا في

---

(١) هي آية قوله تعالى ﴿يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته﴾ نزلت يوم غدير خم بتعيين علي عليه السلام للخلافة على ملأ من الناس.

البلدان الاسلامية او خارجها، وله معهم مساجلات ومحاورات جمة في اوضاع المسلمين واحوالهم، وما يجب في الدفاع عنهم في مواجهة الاستعمار الذي حل في البلدان الاسلامية، واصبح المسلمون مستضعفين في بلادهم ووطنهم، ضعفاء عجزة لا يقدرون على شيء، وكان يحث زعماء المسلمين علىٰ وجوب مضاعفة العمل، والكفاح في سبيل انقاذ المسلمين من الحالة التي هم فيها، ولا يتم ذلك الا بنشر العلم وبث الوعي، والتخلص من العقول المتحجرة لعملاء الاستعمار، وله في هذا الصدد المجال الواسع من النضال.

موقف السيد المحضار من الاستعمار الهولندي والبريطاني معروف لدىٰ الخاص والعام، وهو لا يهادن الاستعمار وعملاء المستعمرين. كانت اعماله في نطاق النهضة الاصلاحية مطبقة على المنهج الموضوع لتحرير العقول من التبعية والتقليد. اعماله في انشاء المدارس والمعاهد العلمية ناطقة شاهدة بما له من فضل في محاربة الجهل والامية.

قلنا ان للسيد المحضار قصائد كثيرة قالها في مناسبات عديدة منها التي مطلعها:

بدت تتهادى في ملابسها العذرا ... فابدت لمن قد لام في حبها العذرا

وله قصيدة اخرى مطالعها:

سقى الحيا حيث مصطافي ومرتبعي ... بلؤلؤ الطل مهما شاء من مطر

اما قصيدته المعروفة بالغديرية وقافيتها نونية، فمعروفة لدى الجميع، ولطولها نقتطف منها هذه الابيات:

ايا من حلت الاهواء منه ... محلاً اعقبته هوى وغبنا

تجد نص الغدير من التعامي ... يفيد بلفظه القطعي ظنا

وكيف يكون مظنوناً وفيه ... من الايضاح ما اغنى واقنى

توفي السيد المحضار رحمه الله في مدينة سورابايا عاصمة جاوا الشرقية عام

١٩٢٥م ـ ١٣٤٤هـ اثر مرض ألزمه الفراش عن عمر ناهز ٦٤ عاماً، اذ كان ميلاده عام ١٢٨٠هـ وكان وفاته بعد ثلاث سنوات من وفاة السيد ابن شهاب. شيعت جنازته عشرات الالوف من المشيعين الى مثواه الاخير وصلي عليه في جامع مسجد عمفيل الكبير اعظم مساجد اندونيسيا واقدمها. ودفن تحت قبة كبيرة بجوار مسجد القبة في قلب مدينة سورابايا. أبّنه يوم الدفن كثير من افاضل العلماء الاعلام ووجهاء القوم منهم الاستاذ احمد غنائم الامير المصري الذي كان حينذاك باندونيسيا، فاسهب واطال ذاكرا فضائل المرحوم واعماله وجهاده وهو فرد كأُمة وكان الحاضرون وجوما يستمعون لكلمة التأبين. لم تشهد مدينة سورابايا في تاريخها تشييع جنازة كهذا التشييع الذي ملأ القلوب والاسماع حيث توافدت الجموع الغفيرة من المدن والقرى بجاوا للمشاركة، وانهالت برقيات التعازي من اكثر الاقطار في هذا المصاب الاليم، واقيمت له مجالس التعزية في كثير من مدن اندونيسيا وجنوب الجزيرة وبعض بلدان افريقيا. نشرت الصحف المحلية العربية والاندونيسية نبأ الوفاة ووصفت باسهاب معالم التشييع، كما نشرت خطب التأبين، وانفردت جريدة حضرموت التي تصدر من مدينة سورابايا باللغة العربية بنشر سلسلة تأبينات في حلقات متتابعة كتبها افاضل القوم عن المغفور له فلم يتركوا بابا من تاريخ حياته الا ذكروه، تاريخه واعماله وكفاحه وجهاده وفضله وعلمه وادبه الى غير ذلك، كما نشرت القصائد الرثائية من شعراء المهجر الشرقي وجنوب الجزيرة.

وضريحه الى اليوم مزار يزوره الكثيرون من مقدريه وعارفي فضله. وخلف المغفور له ذرية صالحة عديدة ذكورا واناثا، ومن اولاده علوي وعبدالله وصالح وحسين ومحضار ولهم ذرية من اسباط واحفاد منتشرون في مدن اندونيسيا والجزيرة العربية.

يقرر السيد المحضار في قصيدته شارحا الاوضاع الحقيقية بصراحة بان

الالقاب والمسميات الاصيلة كالهادي والمهدي والناصر والمنصور والصادق والصدوق والمولى والولي وما شابهها اسماء والقاب خص بها النبي محمد ﷺ آل بيته دون غيرهم، ولكن مدلسوا التاريخ من النواصب والخوارج جعلوا هذه الالقاب وقمصوها لمن هب ودب محاولين ومتعمدين التدليس.

ثم يصف السيد المحضار آل البيت ﷺ بأنهم قد باعوا انفسهم لله تعالى.

الاستاذ محمد بن سالم بارجاء

الاستاذ محمد بن سالم بارجاء شاب مثقف متنور اتصل بالسيد ابن شهاب ايام مكوثه في مدينة سورابايا، فلازمه ولم يفارق مجالسه، يحضر دروسه ويستمع الىٰ محاضراته، وكان السيد ابن شهاب معجباً بالاستاذ بارجاء ويرى فيه الخير والصلاح فحثه على العمل لمصالح الامة العامة واقترح عليه انشاء واصدار اول جريدة باللغة العربية في مدينة سورابايا وقوى عزمه ثم دعمه. فما كان من الاستاذ بارجاء الا ان نفذ الفكرة فاصدر فعلا اول جريدة باللغة العربية باسم (الاقبال) وكان ذلك في اوائل القرن العشرين. وكانت ادارة جريدة الاقبال مجمعا للشباب المثقف المتنور المتحرر. ومن ادارة جريدة الاقبال انطلقت الاضواء للنهضة الاصلاحية وصارت لسانها الناطق وحاملة مشعل الاصلاح ونشر الوعي والتحرر مما اثار حفائظ حكومة الاستعمار الهولندي فضاعفت من اهتمامها بهذه الحركة الجديدة وتربصت بالاستاذ با رجاء محمد بن سالم وتتبعت خطواته محاولة عرقلة اعماله والحد من نشاطه ثم تحطيمه، والى هذه القضية يشير شاعر المهجر السيد احمد السقاف في قصيدة له بما يلي:

سمعوك في الاقبال تزأر فانثنوا   فرقا وودوا خيفة لو تدهن
فأريتهم معنى الثبات وان جمـ   ـع الذل والايمان ما لا يمكن

سعت هولندا بكل طاقاتها لاعتقال الاستاذ با رجاء وتبرير فعلها في اتخاذ تلك

الخطوات الجائرة، حتى استطاعت اعتقاله بتهم ملفقة مصطنعة تافهة جـداً، اعـتقلته القوات الهولندية مع زمرة من زملائه المكافحين بينهم رجل الاريحية الشهم الاستاذ يوسف علي شكر غني احد كبار مصدري السكر الى اوروبا وامريكا. وعلى اثر هذه الحادثة قامت ضجة كبرىٰ في البلد وتوالت الاحتجاجات من كل جـانب وتـصدىٰ السيد عقيل ابن زين العابدين الجفري للدفاع عن المعتقلين وكان السيد المحضار في مقدمة الجميع.

حاولت هولندا اثبات التهم على المعتقلين وجندت عملاءها للتحريض واثبات الجريمة وتهمة اثارة الشغب والفوضىٰ والقلاقل في البلاد بنشر الافكار السامة ضـد الدولة كما حاولت تبرير اعمالها التعسفية بحجة المحافظة على الامن العام، ولكـنها خشيت من هيجان الرأي العام، وتصديه لفضح حيل الاستعمار. فلم تجد هولندا امام هذا الهيجان والصيحات الكبرى التي رجت البلاد، الا الافراج عن المعتقلين وخـرج الاستاذ بارجاء وزملاؤه من الاعتقال واستقبلتهم الجموع الحاشدة من الامة في موكب حافل وسار الموكب العظيم بالهتافات وصيحات النصر في اهم شوارع المدينة حيث توقفت جميع حركة المرور، واستقبلهم الشعب بالهتافات الجهادية ورفع الشـعارات الحماسية وهم يحيون المكافحين.

اقام الاستاذ الشاعر الكبير ورئيس تحرير جريدة حضرموت السيد محمد بن هاشم، حفلة استقبال كبرى في المعهد العلمي (مـدرسة حـضرموت) حـضرها رواد النهضة الاصلاحية وزعماؤها ووجهاء الشعب وجـمع غـفير مـن الشـباب المـتنور واكتظت القاعة الكبرى الى الساحة الواسعة الرحبة وتبارىٰ فيها الخطباء والشعراء في تقدير وتعظيم المكافح الاستاذ محمد بن سالم بارجاء وزملائه. القى الاستاذ السـيد محمد بن هاشم قصيدته العصماء بعنوان (أ أبا الرجاء).

ليس من فضول الكلام ان يقال: ان الاستاذ محمد بن سالم بارجاء قد استسقى

من معين السيد ابن شهاب الذي لا ينضب. وكان الاستاذ بارجاء احد طلائع الشباب الناجحين الذين شمروا عن ساعد الجد وواصلوا الكفاح لتحقيق النهضة الاصلاحية. وقد افنى الاستاذ بارجاء شبابه مكافحاً للمصالح العامة حتى اقعدته الشيخوخة ووهنت قواه فلازم منزله متعبدا وهو في اواخر ايام حياته، وقد ادى فريضة الحج وتشرف بزيارة نبي الامة سيدنا محمد خير البريةﷺ. وتوفي بمدينة مالانغ بجاوا الشرقية.

اما القصيدة التي قالها شاعر المهجر الشرقي السيد احمد السقاف والتي ذكرناها قبل هذا، فها هي كاملة:

صدق واخلاص وقلب مؤمن	وجميل صبر للعواقب يضمن
واذا كبير النفس كلل سعيه	عون الاله، فكل صعب هين
فله المآرب تنقضي وله المغا	لب يرعوي وله المعاند يذعن
لم يعدم الزمن الرجال على وجو	د بقية منهم اتيت تبرهن
ثق يا ابن سالم انني ارعى الجميـ	ـل واذكر الود القديم وافطن
مهما تقلبت الامور او افترقـ	ـنا في الظواهر او تباعد موطن
فاذا عددتك في الرجال فذاك اد	نى ما يقال وذاك حق يعلن
واذا مدحتك فالثناء على الفضا	ئل والمكارم يستطاب ويحسن
ان الفضائل والمكارم كلما	خفيت يجليها التقى والمعدن
عشرون عقدا في جهاد عدوة الـ	اسلام نمعن في الكفاح وتمعن
حتى الكلام لكي نقدر في الكلا	م فلا نفصله يكال ويوزن
فبكل باب مهلك وبكل جسـ	ـر مزلق وبكل فج مكمن
سمعوك في الاقبال تزأر فانثنوا	فرقا وودوا خيفة لو تدهن
فأريتهم معنى الثبات وان جمـ	ـع الذل والايمان ما لا يمكن

السيد عقيل بن يحيى

هو الشاعر الموهوب والاديب الكبير والنكتي البارع من ابناء عمومة العلامة السيد محمد بن عقيل صاحب المؤلفات. وللسيد عقيل هذا، ديوان شعر كبير نشرت بعض قصائده صحف المهجر الشرقي وتدرس كثير من قصائده في المدارس لطلاب الادب العربي، اما ديوانه فلا يزال مخطوطا ولم يكن له حظ في النشر.

من قصائده السائرة على الالسن قصيدته التي مطلعها:

رم المجد وابذل في تطلبه الجدا ولا تن وادأب في تجشمه جدا

وله من القصائد المطولات التي بلغ بعضها ستمئة بيت دفاعاً عن آل البيتعليهم السلام ويرد فيها على المناوئين الذن يحاربون الحق. فمن تلك القصائد الكثيرة هذه القصيدة التي مطلعها:

الحق فيالصدقوالتمويه فيالدجل والحق انصع شيئ ظاهر وجلي
والقول قولان، قول يستضاء به في المدلهمات، قول بالفسوق ملي
والمفسدون على اقوالهم ظلم يعافه كل معوجّ ومعتدل
وفي الزمان اعاجيب ترى وبه قوم تملكهم ضرب من الخبل

بجانب هذه القصائد الكثيرة له قصائد اخرى حمينية بالعامية الدارجة وجل هذه القصائد الحمينية الدارجة في مدح آل البيت النبوي الكريم. يقول السيد عقيل انه يفضل ان يكون المديح باللغة الدارجة ليسهل فهمها وحفظها. ومن هذه القصائد الكثيرة نورد هنا مثالاً:

اللولة بالوصية ما رضوا وقت النبي في ساعة استحضار
والثانية شلو الخلافة بينهم ولعاد خلو قسم لانصار
والثالثة والرابعة عصبوا واطلقوا واجمعوا على الاشوار
علي ولي الله مولانا علي زوج البتول الفاتك الكرار

مــا خــوفته جــموعهم، وجــه عــــليهم ضـــرب بـــالبتار
رجــعو طــير وادرعــو بـالحيلة لانـــهم صـــاروا دعـــاة النـــار

لم نعثر حتى اليوم على ديوان السيد عقيل لدى احفاده واسباطه وللسيد عقيل عقب جلّهم منتشرون بجزيرة جاوا. ومن ابنائه السيد محمد الصحفي المعروف الذي اصدر عدة مجلات بجاكرتا منها الترجمان والمكوىٰ وجريدة برهوت اصدرها مـن مدينة الصولو بجاوا الوسطى.

توفي السيد عقيل بمدينة المسيلة بحضرموت من اليمن الجنوبي ومن اولاده السيد علي ابن عقيل خريج الجامعة في سوريا.

لكثرة عدد زملائه واصدقائه الذين لهم صلة متينة وعلاقة طيبة بـالسيد ابـن شهاب في جميع الاقطار، فلا نستطيع حصرهم ونكتفي بما عن لنـا مـن هـذا العـدد المحدود من اسمائهم وبدون ترجمة لاحد منهم:

محسن بن علوي السقاف	
احمد بن محمد المحضار	
احمد زيني دحلان	مفتي مكة المكرمة
حسين البلكرامي	وزير معارف سلطنة حيدر آباد
حسن بن حسين الحداد	
علي بن محمد الحبشي	
فصل باشا ابن علوي بن سهل	عضو مجلس المبعوثان وامير ضفار
احمد بن عمر بن يحيىٰ	
حسن بن علوي الجفري اليمني	
محمد بن عيدروس بن شهاب	
محمد بن طاهر الحداد	

توفيق باشا	خديوى مصر
مير عثمان علي خان	سلطان حيدر آباد الدكن
صالح بن غالب القعيطي	سلطان الشحر والمكلا
برغش بن سعيد	سلطان زنجبار
ابوبكر بن ابراهيم	سلطان سلطنة جوهور الماليزية
عبدالله باشا ابن عون	شريف مكرة المكرمة والحجاز
احمد فضل	حاكم لحج
فضل بن علي بن محسن العبدلي	
محمد بن محسن العبدلي	
احمد فارس الشدياق	صاحب الجوائب
مهدي بن علي خان	
عثمان بن محجوب	
صالح بن جعفر	
عبد الرحمن آل ابن ابراهيم	
علي يوسف	صاحب جريدة المؤيد
عبد الله مديحج	
السلطان عبد الحميد	سلطان دولة الخلافة
حسن بن عبدالله بن حامد	
عبد القادر القباني	

تلامذته

انجبت مدرسة السيد ابن شهاب جملة كبيرة وطبقة مثالية من تلامذته ومريديه الذين ارتشفوا من معين علمه فانتفعوا منه لملازمتهم له. تثقفوا بثقافته، واقتبسوا من قبس آرائه. درسوا عنده أخذاً وتلقيا حتى نبغوا، فكانوا من فطاحل العلماء الاعلام في الادب والتفسير والفلسفة والامور الاجتماعية. تكونت من هذه المجموعة زمرة صالحة تعد في طليعة من شاركوا مباشرة في تحقيق هدف النهضة الاصلاحية التي قام بها واسسها ووضع منهاجها ومهدها.

واصبحت هذه المجموعة فيما بعد هم رواد النهضة الاصلاحية وهم الزعماء والقادة المخلصون. ونبغ من هذه المجموعة الذين ساروا على منهج استاذهم باذهان نيرة وقادة وبافكار متحررة متفتحة تخلصت من التبعية العمياء. هذه المجموعة الصالحة هي من اصحاب المبادئ السليمة والعقيدة الصحيحة بروح سامية، شخصياتهم قوية وهم الراغبون في العلم، تبوأوا مراكز عالية في المجتمع ورفضوا المراكز في الدولة لانهم لا يريدون ان يكونوا آلة صماء بايدي الولاة والحكام. فكانوا في الحقيقة زعماء الشعب والأُمة واصبحوا مثالاً حسناً كما تركوا لمن بعدهم تاريخاً حسناً يقتدى به كما تركوا ايضا تراثا علمياً. نذكر هنا عدداً منهم:

السيد محمد بن عقيل

هو العلامة الجليل والبحاثة القدير صاحب المؤلفات الكثيرة منها:

١ ـ العتب الجميل في الجرح والتعديل — طبع عدة مرات

٢ ـ النصائح الكافية — طبع عدة طبعات

٣ ـ تقوية الايمان مطبوع

٤ ـ فصل الحاكم مطبوع

وله عدة مؤلفات اخرى قيمة لا تزال مخطوطة، من تلك المخطوطات:

١ ـ احاديث المختار في معالي الكرار، مع تعليقات ضافية وابحاث قيمة بحجج دامغة، وهو من خير الكتب ومن اهم المراجع التاريخية.

٢ ـ المراسلات وهي مجموعة مراسلاته ومساجلاته ومراجعاته مع زعماء المسلمين وعلمائهم ومع رؤساء الدول الاسلامية وكبار الشخصيات البارزة في مصر والشام والعراق وايران والهند واليمن والمغرب وغيرها، وهذه المجموعة عبارة عن وثائق تاريخية ثمينة ذات قيمة علمية يتجلى فيها الحق الذي اراد اصحاب الاهواء والقيادات التي تفرض ارادتها بالقوة طمسه، فشوهت حقائق معالم التاريخ وخنقت الافكار، فغربل السيد ابن عقيل القضايا واشهر الحقائق حتى اصبحت واضحة جلية لا ينكرها الا مأفون العقل والبصيرة.

٣ ـ مذكرات في اربع مجلدات كبيرة. كان السيد ابن عقيل حريصا كل الحرص على تدوين مذكراته يومياً، فيضع كل موضوع على حدة، وهذه ثروة تاريخية ثمينة.

٤ ـ ثمرات المطالعة وهي تعليقاته وتمحيصاته لكل كتاب او صحيفة يقرأها، هنا يتجلى مبلغ حرصه في المطالعة.

ولا نعلم ان كان له مؤلفات اخرى غير التي ذكرناها. اصدر السيد ابن عقيل عدة صحف في المهجر الشرقي منها (جريدة الاصلاح) اصدرها عام ١٣٢٦هـ من سنغافورا. و(مجلة الامام) باللغة الماليزية عام ١٣٢٤هـ ورأس تحريرها السيد شيخ الهادي بن شهاب، وفي عام ١٣٢٥هـ كان السيد احد مؤسسي الجمعية الاسلامية في سنغافورا في ضمن سلسلة النهضة الاصلاحية، وانتخب السيد محمد احمد السقاف رئيساً لمجلس ادارتها. وفي نفس العام كان السيد من مؤسسي مدرسة الجنيد بسنغافورا. وكان للسيد

ابن عقيل نشاط بارز في مشاركة تحرير عدة صحف باللغة العربية والماليزية وكان يكتب المقالات في الصحف المصرية والشامية بتوقيع مستعار وهو ايضا كثير الرحلات، زار اليابان والصين وروسيا في عهد القياصرة وسافر بالقطار عبر سيبيريا الى اوروبا وزار بلدانها شرقا وغربا كما حضر المعارض الدولية في اوروبا، وقد افادته هذه الرحلات الطويلة الشاقة التي تعد في ذلك الوقت مجازفة لصعوبة المواصلات ووعورة المسالك[1]. جاب بلدان الشرق الاوسط والادنى وكثير من بلدان آسيا واوروبا وأفريقيا وله في اليمن ومصر والشام والحجاز صلات برجالاتها وشخصياتها البارزة كما له صلات في البلدان الاخرىٰ التي زارها في آسيا، كان مقره في سنغافورا وفيها تأهل، والسيد ابن عقيل لبق في اتصالاته بمنتهى المرونة، وكان الزعماء والعلماء ورؤساء الاحزاب السياسية يجلونه ويقدرونه لعلمه وسمو اخلاقه.

كانت بريطانيا تنظر الى السيد ابن عقيل كما تنظر الى استاذه السيد ابن شهاب بنظر الريبة وعدم الارتياح من وجوده في سنغافورا لاعماله التي تعتبرها بريطانيا معاكسة لمصالحها، وكانت بريطانيا تعاكسه وتضايقه مضايقة في كل محل يحل فيه من مستعمراتها ومحمياتها التي لا تغيب عنها الشمس. وهكذا حدثت له حادثة عندما زار السيد ابن عقيل مدينة المكلاً بجنوب الجزيرة العربية وهي محمية بريطانية، إذ رأىٰ العسس ورجال مخابرات الامن يحيطون به ومنعوه من البقاء في المدينة اكثر من ٤٨ ساعة وطلبوا منه مغادرة البلاد في اول باخرة ترسو في الساحل. فتوجه السيد ابن عقيل الى عدن على متن باخرة هندية صغيرة، وانتشرت أنباء هذه الحادثة في جميع

---

(١) قد يلتبس على كثير من القراء اسم السيد محمد بن عقيل فيختلط في ذهنهم لكثرة من يحمل نفس الاسم (محمد ابن عقيل) فهناك السيد محمد بن عقيل الصحفي المعروف صاحب مجلة الترجمان والمكوى وجريدة برهوت، وهو من الكتاب البارزين ويمتاز في كتاباته بالنكت، وله ايضا مذكرات، وبعد الحرب العالمية الثانية ترك الصحافة وتوجه للدعوة الى الله وله اتباع كثيرون وهو خطيب مفوه مصقع، قوي الحجة يسترسل في خطابه استرسالا، توفي بجاكرتا عام ١٩٧٩.

الاصقاع، وما ان بلغ أسماع زملائه هذا الخبر المؤلم في المهجر الشرقي مما حدث له من تصرفات بريطانيا، حتى عقدوا اجتماعاً طارئاً مستعجلاً دعي اليه السيد محمد بن عبد الرحمن بن شهاب في جاكرتا وقرروا تقديم احتجاج وتأليف لجنة لجمع التبرعات المالية النقدية لتدعم موقف السيد ابن عقيل وتأييده متابعة في اعماله، وتولى السيد محمد بن عبد الرحمن بن شهاب العمل والاشراف على سير الامور، ثم قامت مسيرة كبيرة من الشعب المسلم الى مركز القنصلية البريطانية ومكتب استعلاماتها وبهتافات صاخبة وتمت المظاهرة بسلام ولم يحدث ما يعكر الامن.

توفي السيد محمد بن عقيل بمدينة الحديدة باليمن عام ١٣٥٠هـ و شيعت جنازته تشييعاً رسمياً بالمراسيم المتبعة من قبل دولة اليمن والجنود حاملو اسلحتهم المنكسة واعلنت الدولة الحداد ثلاثة ايام. واشترك في التشييع العلماء والشخصيات البارزة، أبنه كثير من رجال العلم ورثاه كثير من الشعراء ونشرت صحف اليمن وصحف المهجر الشرقي الخبر وما أُلقي من التأبينات ومراثي الشعراء وكتب الكتاب باسهاب عن المغفور له السيد ابن عقيل تاريخ حياته وجهاده.

وممن رثاه زميله شاعر المهجر الشرقي السيد احمد عبدالله السقاف بمرثية عصماء بلغت ٦٨ بيتاً.

لم يمت من سعى فأحيا المعالم ... وقضى في هوى العلى والمكارم
فلماذا نذري الدموع ونأسى ... ولماذا حزنا نقيم المآتم
او نبكي مجاهدا ركب الاهـ ... ـوال ان عاد راجعا بالمغانم
قدم الصالحات ثم مضى فهـ ... ـو على من يضاعف الاجر قادم
عشت عيش المجاهدين ترينا ... كيف يستصغر العظيم العظائم
وترينا الثبات والصبر والحـ ... ـلم وبذل الندى وصدق العزائم
لك نفس ابية تانف الظـ ... ـلم وراى في موقف الراى حازم

ان آثــارك التــي ســوف تـبقى   هي معنى عـلاك وهـي التـراجـم
إن تـواريت فـي التـراب فـتمثا   لك فـوق المـآثر الغـر قـائم
قـائل ذا مـحمد بـن عـقيل العـ   ـامل المـخلص التـقي المـعالم
هـجر الدار اذ راى سـاكـنيها   بـين اعـمى اصـم او مـتصامم
امـة لا تـحس مـن حـرج يـبـ   ـعث منها الشـعور وطءُ المـناسم
هـم افـراد التـبسط فـي البسـ   ـط على الشرب او لذيذ المـطاعم
الفـوا الذل واسـتعدوا لمـن امـ   ـعن فـي الظـلم بـالرقى والتـمائم
لم يـخافوا تـقلب الظـلم بـالنا   س ولم يشـعروا بـخطب مـداهـم
كـم اليـه الفـقيد او مـا ولكـن   ايـن رب الحـجا اللـبيب الفـاهم
جـهلوا نـصحه ومـا ارخـص الدر   اذا سـمته بسـوق البـهائم
عـمرك الله مـا الذي يـبتني الفـر   د وحـيدا وحـوله الف هـادم
كم ابت حضرموت ان تعرف الفضـ   ـل وكم ضـيع الرجـال الحـضارم
ولكـم قـبله ابـاها ابـي   لا يـبالي بـغاشم او بـظالم
لا تنال الخـطوب مـنه ولا تـاخذ   ه فـي الله قـط لومـة لائـم
تـاركا للـغني بـين ربـاها   ذمـما ثـم تشـتري بـالدراهـم
وانتحى يطلب السـلامة فـي السـا   حـل لكـن دهـره لم يسـالم
وهـواء البـلاد يـحكمه الجـهـ   ـل لمـن صـح عـقله لا يـلائم
ليس بدعا ان مسّك الظلم كم حـلـ   ـت بـذرية النـبي المـظالم
زار بـاريس وهـي تـختال زهـوا   وتـرى الحـر مـن يـبيح العـظائم
فـاراهـا مـن الكـمال مـثالا   واراهـا الرجـال تـحت العـمائم
لك فـي مـصر والحـجاز مبرا   ت وفـي الشـام والعـراق مكـارم
ومـقام بـين الرجـال واهـل العـ   ـلم والفـضل عـربهم والاعـاجم

سحت في الارض ناثرا درر الحكـ ... ـمة تزهو بك القرى والعواصم
وانتهت في مغارس الفضل ايا ... مك بين المجاهدين الأكارم
في حمى من نجلهم من حماة الد ... ين انصاره الليوث الضراغم
الامام المعظم المفتدى يحـ ... ـيى وانجاله السيوف اللهاذم[1]
لهم تالد من المجد بالقر ... بى وفي العز ما لهم من مزاحم
شرف لا يرام تحمي حماه ... سابحات يريبها كل حائم
ولهم طارف من المجد مكتو ... ب بسمر القنا وبيض الصوارم
عرفوا قدر ذلك الضيف[2] هل ... يعرف قدر العظيم الا الاعاظم
ايها الراحل العظيم الى الرحمـ ... ـة والقرب والنعيم الدائم
هذه خطة الحياة وهذا ... منتهاها فمن من الموت سالم
مضحك شأننا بمعترك العيـ ... ـش فكل مدافع او مهاجم
فتامل تر الورى بين جذلا ... ن ومستعتب وراض وناقم
وكئيب مما يعاني ومسرو ... ر بايامه وباك وباسم
غير ان السرور يظهر كالبر ... ق بغيم من المكاره قاتم
وعلى ضوء ذلك البرق تبقى ... قوة الروح للزمان تقاوم
رب يوم سررت فيه ويوم ... مظلم بالخطوب اسود فاحم
احرجتني به الهموم كما يحـ ... ـرج من اعسر الغريم الملازم
كغداة استفقت رعبا لما طـ ... ـيّره ذلك النعي الواجم
خط سطرا فكل نقطة حرف ... منه نبل وكل حرف صارم
قطع الله ذلك السلك فالقلـ ... ـب به الروع والعيون سواجم

---

(١) اللهاذم: القاطعة.

(٢) الضيف هو السيد محمد بن عقيل.

ان يكن سرنا ببشرى فكم جر ... عنا ناعيا سموم الأراقم
كلما سلت العلوم سلاحا ... لدفاع صالت به يد آثم
حسب من يبتغي من ما ... ت غريقا في بحره المتلاطم
ذوقتنا حضارة العصر شهدا ... وارتنا العيش الرغيد الناعم
فاذا العيش إذ بلوناه مرا ... واذا الشهد مشبعا بالعلاقم
اضعفت من نفوسنا امم الغر ... ب فلا فرق بيننا والسوائم
وادعت ان في ثقافتها البلسـ ... ـم والمهلكات تلك البلاسم
وارتنا برق المواعيد حتى ... اذكرتنا بجودها جود حاتم
واختلفنا على بقية ارث ... كلنا طامع وكل مساهم
فاتت رحمة بنا تقسم الما ... ل فكان التراث حظ القاسم
ندبت سوء حظنا فندبنا ... ها لتخفيف خطبنا المتفاقم
واستجرنا بها، اذ هي بالنا ... ر تلهى ونحن وفد البراجم[1]
هل ترى في فسيح ذا الشرق شعباً ... صدق الغرب وانثنى غير نادم
نحن في راحة الزمان متاع ... يطلب الربح فيه كل مساوم
(كلنا وارد السراب وكل) ... حمل في وليمة الذئب طاعم
ما خلا بقعة تخيرت العز ... لة فيها الامام من نسل هاشم
حسبها من حديث احمد ما ميز ... ها عن لداتها[2] بالعلائم
حكمة تنشر العلوم وايما ... ن هما مجدها القوي الدعائم
لم تلامس حضارة الغرب لكن ... لم تقع مثل غيرها في المآزم

---

(١) البراجم مفرده برجمة بضم الباء، وهو العظم الصغير في مفاصل اصابع اليد والرجل، وفي المثل (ان الشقي وافد البراجم) وذلك لمن يلقي نفسه في الهلكة.

(٢) لداتها: أترابها.

فــيها الامــن مســتتب وروض الــ ـعلم داني الثمار والشرع حـاكـم
وبــها العــيش لا يــزال انــيق اللــ ـلون غضا شذي عـرف الكـمائم
بـــقعة تـــنبت الفــضيلة والعـــز وحصن مـن فـتنة الغـرب عـاصم
كــتبت للـــفقيد خـــاتمة العـــمـ ـــر وإن الامـور عـند الخـواتـم

والسيد ابن عقيل كاتب معروف ولا يقول الشعر الا نادراً جدا وهو من المقلين في الشعر.

ومن الذين أبنه ورثاه العلامة السيد علوي ابن طاهر الحداد مفتي سلطنة جوهور الماليزية، اذ تربطه بالسيد ابن عقيل رابطة وثيقة وصلات قوية. وعندما بلغه نبأ وفاته رثاه بقصيدة طويلة وأبنه بسلسلة من المقالات نشرت في مجلة الرابطة التي تصدر من جاكرتا.

وممن رثى المرحوم السيد ابن عقيل العلامة حجة الاسلام السيد محسن الامين صاحب المؤلفات الكثيرة بمرثية طويلة مطلعها:

ســالت دمـوع العـين كـل مسـيل حـــزنا لفـــقد مـحمد بـن عـقيل
رزء بـــدا فـــيه الزمـــان بـــمقلة مكـــــفوفة وســـاعد مشـــلول

وممن رثاه ايضاً الكاتب الاديب والصحفي المعروف محمد علي لقمان صاحب جريدة (فتاة الجزيرة) التي تصدر من عدن بقصيدة مطلعها:

مـاذا الظـلام عـلى ربـى الاقـطار فهل الكسوف سرى على الاقـمار

وممن رثاه ايضا الاستاذ العبقري السيد محمد بن هاشم بمرثية عصماء نقتطف منها ما يلي:

هو الحـين لا العـلم الغـزير يـرده ولا الحلم في صيد الرجال يـصده
هو الحين مهما يبلغ المجد بـالفتى صعودا فلا يغني عن الحين مـجده

ويقول فيها:

عذيري وما ان من عذير من الردى يـفضل افـذاذ الرجـال فـرنده

فيا ليته والدهـر مـن ليت سـاخر يرى عمره مـا كـان يـاخذ زيـده

فينجاب من بـين الامـاثل نـحسه كما انهل ما بـين الاسـافل سـعده

بـني عـلوي مـات عـنكم مـحمد اب مشـفق جـم نـداه ورفـده

بـني عـلوي مـات عـنكم مـحمد اب في تلاقي مجدكم ظـل جـهده

بني علوي ان بـقى فـي نـفوسكم نفيس من الاشفاق فـاليوم عـهده

هـلم انـثروا الدمـع الغـزير فـانما تناثر مـن مـجد الحـضارة عـقده

سنبكي ونبكي مـا بـقينا فـهل لنـا سـلو بـه يـنسي عـلاه وجـده

بـهمته العـظمى تسـلق شـامخاً من المجد حتى حـل نـبتون بـنده

وحلق فـي جـو المـعارف طـائرا فلم تـلهه ليـلى النسـيب ودعـده

مـن العـظماء الطـامحين بـعزمهم لادراك شأو لا يـصور حـده

الى ان قال:

اقـر يـراعـي بـالقصور لانـه رثاء جليل جلّ في النـاس فـقده

تغمده المولى بـمرج مـن الرضـى يـضوع خـزامـاه الصـريح ورنـده

ورثاه ايضاً العلامة الجليل السيد عبد الرحمن بن عـبيد الاله السـقاف بـهذه المرثية:

مـاذا اقـول وافكـاري مـقسمة وفي‌الحشا من جوى الاحزان نيران

جـاء النـعي فـاشجاني واوقـفني والعـين بـاكـية والقـلب حـيران

قد فتّ في عضدي موت الهمام فهل يا آل يحييٰ بكـم للكسـر جـبران

مـصيبة كـلنا يشـجى بـغصتها اصاب منها العلى والعـلم خسـران

الىٰ أن يقول:

اه عـــليكم بـني الزهـراء اخّـركم   في العزم ضعف وفي الاخلاق ادران
فـــاين تـاويل تـطهير الاله لكـم   وفـي البـصائر مـن احـقادها ران
نـصيب كـل لئـيم بـينكم مـقة   وحظ كـل كـريم النـفس هـجران
مـــا للـــفضائل والرذائــل مـا   فـيهن عـــار، لان القـوم عـيران
اهكذا مـن يـحب المـجد سـيرته   كـلا ولكـن هـذا الجـيل سكـران
ما في الديار أخو صدق يصارحكم   ولا اللـحى تـحتهن اليـوم ذكـران
خذلتم ابـن عـقيل وهـو زيـنتكم   فـمات والجـوف للاسـلام حـران
واستاثر العارفوا قـدر الرجـال بـه   فـحق مــنا له مــدح وشكـران
ضيف الائمة حيث الامن يـحفظه   فـي الظـهر والبـطن قـرآن ومـران
حـيث الحـمية للاسـلام مـوقده   بـها كـم ارتـد عـدوان وكـفران

ويقول فيها:

لهفي على ابن عقيل ثـاويا جـدثا   مـن بـلقع مـنه بـالايمان عـمران
لم تبك ام العلى مـثل الجـمال وان   اودى عـــليها لهـــاميم وغـــران
وحــيث قـلت بـواديـنا نـوادبـه   ففي العـراق عـليه الدمـع غـدران
والهـــند واليـمن الخـضراء تـندبه   ومـــصر ايــضا وظـهران وايـران
وان قضى ابن عقيل وهـو مـهتضم   فـجده مـات قـدما وهـو نـجران
مـا زال فـي تـعب آل النبي تـها   داهم مـن الجـور أُقـتاب وكـيران
فــي ذمـة الله لا غـبتك مـرحـمة   ولا عـــداك مـن الرحـمن غـفران
في روضة لك اصحاب الكساء بها   فـوق الاسـرة بـالفردوس جـيران

ورثاه ايضاً العلامة السيد عقيل بن زين العابدين الجفري المقيم بمدينة سورابايا تعجيزاً وتصديراً لقصيدة السيد الشاعر حيدر الحلي:

(اظبى الردى انصلتي وهات وريدي) وتـفنني مـا شـئت فـي تـبديدي
ظعن الخـليل ولا نـصير يـرتجى (ذهب الزمان بـعدتي وعـديدي)

وللمرحوم السيد ابن عقيل مباحثات علمية ومساجلات في مواضـيع كـثيرة حساسة، ذكرها في مذكراته عن رحلاته الطويلة الى اوروبا ومحاوراته مـن رجـال المستشرقين الغربيين وابان لهم اوجه اخطائهم في كتاباتهم او ما اثبتوه في مؤلفاتهم، كانت جلسات المحادثات قد تستغرق وقتا طويلاً وقد تواصل الجلسات في الايام التالية حتى يتوصلوا الى نقطة التفاهم، واعترف البعض منهم بانها غير متعمدة وان ذلك مبلغ ما وصل إليه علمهم وان المصادر التي اعتمدوا عليها هي ما وصلت اليـهم مـن الكتب، ووعدوا انهم سيضيفون في الطبعات القادمة هذه المعلومات الجديدة ويراجعوا الكتب التي لم تصلهم ولم يطلعوا عليها من قبل.

ويعرف عن السيد ابن عقيل صراحته في احاديثه او مناقشاته بالعلم والمنطق وعندما يتباحث مع المستشرقين في الموضوع ويصل الى الهدف، يستطرد الى الامور السياسية لدولة كل مستشرق، لان كل مستشرق مرتبط ارتباطاً وثيقاً بدولته خصوصاً في الامور السياسية المتعلقة بالمسلمين، ولذلك فان السيد مـمن يـقاوم الاسـتعمار والمستعمرين بضراوة، تعرض السيد ابن عقيل كثيراً الى ضغوط المستعمرين في كل بلد يحل فيه.

حدثني السيد العلامة عقيل الجفري، انه على رغم تضلع السيد ابن عقيل في العلوم الدينية والأدب العربي والفلسفة، فانه كان سياسياً ضليعاً وذو نفوذ واسع وهو رجل عمل لا رجل اقوال ويعد من المع علماء وساسة زمانه كان يهتم في المقام الاول بتشييد المعاهد العلمية واصدار الصحف ونشر الكتب، وللسيد ابن عقيل آراء سديدة يدلي بها على الحاضرين، فيتقبله البعض بالاعجاب والتقدير وقد يسخر منه البعض الاخر، لان آراءه كان فيها نظر للمستقبل، ثم لا يعدو بعد فترة ان يؤمن باقواله من كان

يسخر من كلامه قبلا. وقد حذر السيد ابن عقيل زعماء العرب والوجهاء منهم اثناء الحرب العالمية الاولى، اذا انتصر الحلفاء على الالمان فويل للعرب من مكر الغربيين وان فلسطين ستكون الضحية الاولى، فالوزير البريطاني اللورد بلفور قد تعهد لليهود واعترف ان فلسطين هي الوطن القومي لليهود ويجب ان تفتح باب الهجرة لليهود ليستوطنوا فلسطين، وكتب السيد ابن عقيل الى وجهاء العرب وزعمائهم يحذرهم بالخطر الداهم عليهم وان العاقبة ستكون سيئة اذا تساهلوا، وكان جل العرب يحسنون الظن بالحلفاء بل ان البعض منهم مسترسلون في التخبط وراء الانجليز وحلفائهم اندفاعاً وراء العاطفة والظن وأن من الانجليز كل خير للعرب والمسلمين، بل ان منهم من لا يرون الخير من تركيا ولم يكتفوا بذلك بل اعلنوا الكراهية والحرب على تركيا. لا نعلم ماذاكان وقع رسالة السيد ابن عقيل لزعماء العرب في هذا الموضوع وما هو صداه لديهم.

الامير شكيب ارسلان والسيد ابن عقيل

نعي الامير شكيب ارسلان السيد ابن عقيل عندما بلغه خبر وفاته بهذه الكلمة بعنوان:

مصاب الاسلام محمد ابن عقيل

ليس فقد السيد الشريف محمد بن عقيل بن يحيىٰ العلوي الحضرمي بخطب على السادة الاشراف الحضارمة وحدهم ولا برزء القطر اليمني منفردا، ولا بمصاب الامة العربية من دون غيرها، بل لعمري هذا هو الماتم الذي يحق ان يجلس للعزاء فيه الاسلام من اقصاه الى اقصاه، والمناحة التي يشترك فيها جميع الاقطار اهل كلمة لا اله الّا الله محمد رسول الله. فقد كان السيد ابن عقيل غطريفا كبيراً من غطارفة هاشم وجحاجحة قريش، منيع الايمان ومشرف التوحيد الماحي للاوثان. وكان عارفا ما عليه من حقوق هذا الدين الذي نشره اجداده في الارض، فقضى حياته في خدمته

ووقف عمره على بث دعوته، وكان له اليد الطولى في هذه النهضة العربية الاجتماعية في الاقطار الاندونيسية التي قد ظهرت اثارها واينعت ثمارها، ونال من ارشاده وايقاظه القطر اليمني والافق الحضرمي خاصة، ولم يزل الى ان لحق بالرفيق الاعلى سراجاً منيراً يستضييء العرب بنوره وعماداً كبيراً يستندون اليه، ولقد جمع اشتات المحامد، ورأينا فيه كيف يجمع العالم في واحد. رحمه الله وجزاه عن العرب والاسلام خيراً. ولقد اتيت على جزء من فضائله بمقالة نشرتها في جريدة العهد الجديد البيروتية عندما جاءني نعيه الاليم وذكرت فيها تشرفي بلقائه في المدينة المنورة قبل الحرب العامة ببعضة اشهر وتجاذبنا اهداب المباحثات السياسية يومئذ، ولم نكن متفقين في جميع الافكار ولكن كنا متفقين في نصرة الامة العربية ومناصرة الاسلام.

وفي اثناء مقامه الاخير باليمن لم اخل من سلامه وقتا بعد آخر بواسطة الاخ الفاضل المسلم النبيه المفكر الدكتور زكي كرام نزيل برلين الذي كان يكاتبه. وقبل انتقاله الى رحمة ربه بقليل ارسل يسألني عن أمور واحوال اقلقته من جهة الحجاز. وبينما كنت انتظر جوابه في هذا الموضوع جاءني نعيه من ابن اخيه السيد عبدالله بن احمد بن يحيىٰ فنزل عليّ نزول الصاعقة، لاني في مقدمة من يقدرون هذا الراحل الجليل الذي فقدناه. انطفأ سراج كبير من سرج الاسلام. والاسلام هو الذي فقده. واما هو فقد انطلق من سجن هذه الدنيا الى ساحة القدس التي لا نهاية لها. وما اجدره بقولي في رثاء فقيد آخر من هذه الطبقة، المغفور له احمد باشا تيمور:

ليهنك يا تيمور انك حزتها   الى ملأ لا يعرف الموت زائره
وانك لو خيرت فيما ترومه   لكنت سعيدا بالذي انت صائره

اسال الله ان يحسن عزاء السادة الحضارمة وعزاءنا جميعا بفقد هذا السيد السند وان يلهمنا واياهم الصبر الجميل.

جنيف ٢ نوفمبر ١٩٣١

شكيب ارسلان

وكان السيد ابن عقيل على جلال مقامه يمثل التلميذ البار لاستاذه السيد ابن شهاب فهو يعظمه ويجله معترفا بفضله عليه، فلا يذكر استاذه في المحافل والمجتمعات العامة والخاصة او في مكاتباته او مؤلفاته الا باسم شيخنا العلامة السيد ابن شهاب.

السيد عقيل بن زين العابدين الجفري

عالم جليل وأديب كبير وشاعر مرموق من مواليد مكة المكرمة عام ١٢٨٢هـ درس في صباه بالحرم المكي الشريف لدى شيوخ من العلماء الأجلاء وتحت رعاية والده الرجل الصالح العلامة السيد زين العابدين الجفري، وعندما ترعرع بعثه والده الى تركيا ليواصل دراسته في معاهدها العليا واستقر في العاصمة استنبول وبعد نجاحه وتخرجه منها واصل دراسته الجامعية واختار دراسة الطب والتحق بكلية الطب في الجامعة، لكنه لم يكمل مستواه الجامعي فترك الكلية وهو في السنة الثالثة من دراسته الطبية. يجيد اللغة التركية اجادة تامة تكلماً وكتابة وخطابة كانه من ابناء تركيا الاقحاح، كما يحسن اللغة الالمانية بجانب معرفته واجادته اللغة العربية الذي هو من ابنائها.

عاد الى الحجاز ولكنه لم يقم فيها طويلاً، وبدأت صلته بالسيد ابن شهاب مراسلة، وكان معجباً بالسيد ابن شهاب ويوقره، ثم غادر الحجاز وكان ذلك في عهد الشريف عون، متجهاً الى اوروبا وزار عواصمها وبعض بلدانها وواصل رحلته الى آسيا وتوجه الى حيدر آباد للاجتماع بالسيد ابن شهاب وتتلمذ في مدرسته ولازمه ورافقه. وافادته هذه الملازمة التي تتلمذ فيها عند السيد ابن شهاب، والسيد الجفري يعد من النوابغ ولا عجب اذا اصبح من رجال العلم اللامعين والساسة البارزين. واسع الاطلاع قوي الحجة في حديثه رحب الصدر كريم وسخي لا يرد طلب طالب ووافد لحاجة. لا

يتاخر عن كل عمل خيري. ينفق بسخاء لمساعدة الارامل والايتام والعائلات الضعيفة والاسر الفقيرة، وكان يخصص لهم نفقات شهرية سرا، لا يعلم بها احد الا بعد وفاته. افنى امواله وممتلكاته التي ورثها من والديه في سبيل الدعوة الاسلامية والدفاع عن المستضعفين وفي المشاريع الاصلاحية العامة. ساهم في تأسيس المطابع العربية عام ١٩٢١ بمدينة سورابايا كما تبرع للمؤسسات الخيرية بسخاء، وشارك مشاركة فعالة في اصدار الصحف والمجلّات باللغة العربية والاندونيسية وانفق على طبع مؤلفات السيد محمد بن عقيل في مطبعة العرفان بصيدا لبنان لصحاحبها الشيخ احمد عارف الزين صاحب مجلة العرفان وجريدة جبل عامل.

كان السيد عقيل الجفري يكتب المقالات في صحف المهجر الشرقي وفي بعض الصحف العربية بتوقيع مستعار، وبحكم وضع السيد الجفري وعمله فله صلات واسعة بعظماء الرجال في العالم. ومراسلاته معهم، جمعت في ملف كبير، وله مساجلات خاصة مع الشيخ الزواوي احد العلماء الاعلام البارزين في مكة المكرمة في مسائل وشؤون اسلامية عامة وهي شبيهة بكتاب المراجعات للسيد الموسوي ومكاتباته مع شيخ الازهر سليم البشري..

وللسيد الجفري عدة مؤلفات منها مطبوعة باسماء مستعارة ومنها ما نشر باسم صديقه السيد حسن التقوي الشيرازي المهاجر الايراني الى اندونيسيا واستقر بها واقام بمدينة سورابايا وتأهل فيها وله أسباط دون الاحفاد، لم يكن له عقب ذكور من اولاده واقام في مدينة سورابايا يزاول التجارة حتى وافته المنية.

للسيد الجفري تعليقات كثيرة على الكتب التي يطالعها، وله مجموعة خاصة لرسائله المتبادلة بينه وبين السيد محمد المحضار صديقه الحميم تطرق فيها للامور السياسية في مقاومة الاستعمار الهولندي واحوال المسلمين المستضعفين، ونظريته في الامور الاجتماعية وكيفية اصلاحها والى النقد الذاتي، وهذه المجموعة من الرسائل

حفظت في ملف كبير. وله ايضاً مساجلات علمية مع بعض العلماء وهذه المساجلات عبارة عن كشكول علمي.

والسيد الجفري من الشعراء المجيدين غير انه غير مكثر، نشر بعض من قصائده في صحف المهجر الشرقي ولا يزال غيرها مخطوطاً من تلك القصائد مرثية في استاذه السيد ابن شهاب.

السيد الجفري من طلائع المجاهدين والمكافحين ضد الاستعمار الهولندي والمدافعين عن المستضعفين بقلمه وماله ولسانه ونفسه، قاوم الاستعمار الهولندي مقاومة فعالة اقلقت الهولنديين المستعمرين، فاعتقلته السلطات الهولندية الحاكمة وسجنته عام ١٣٤٧هـ وصادرت بعض ممتلكاته وجملة كبيرة من الكتب في مكتبته، وكنت انا وبعض الاخوة السيد محمد ضياء شهاب والسيد عيدروس المشهور صاحب امتياز جريدة حضرموت والسيد احمد بن عمر باعقيل نزوره بين الحين والآخر في الساعة المقررة لزيارته وهي لا تزيد عن ساعة فلكية في المساء والضابط الهولندي يحضر عند زيارتنا ولا يفارقنا الا عندما ما يحين ساعة انصرافنا ولم يطلق سراح السيد الجفري الا بعد ان قضى فترة طويلة في السجن ولم يقدم للمحاكمة، وخرج السيد الجفري شامخ الرأس وواصل كفاحه ضد الاستعمار الهولندي مما اضرم الحقد عليه فاعادت الكرة مرة اخرى واوعزت الى عملائها باشعال النار في منزل السيد الجفري لاحراقه والتخلص منه، واحترق البيت كله ولم يسلم شيء فيه من الأثاث والكتب الا ارواح الساكنين فيه، وكانت الحادثة في منتصف الليل حيث العالم في هدوء تام.

عندما بلغ الخبر أصدقاءه ومعارفه توافدوا اليه مسرعين ليشاركوه في المصاب الأليم، فكان يستقبل الجميع بالبشاشة مما يدل على علو نفسه ويقول: ان ذلك هو الكفاح ولا يتم الكفاح الا بالنتضحية بشتى اشكالها واوضاعها، وشكر القادمين في

مواساتهم له وكل شيء هين لديه. واستمر يواصل كفاحه ضد الاستعمار الهولندي واتصل بالمجاهدين الاندونيسيين المكافحين ضد الاستعمار الهولندي حتى اندلعت الحرب العالمية الثانية وتورطت هولندا في هذه الحرب واكتسحت اليابان جنوب شرقي آسيا واستسلمت هولندا للقوات اليابانية الفاتحة، وبهذا انتهى تاريخ الاستعمار الهولندي من اندونيسيا.

كان السيد الجفري يحمد الله دائماً على اطالته عمره ومعاصرته للأحداث التي ابتلي بها في حياته وكان في اواخر ايام حياته يعيش قرير العين لان الله اتاح له حضور اعلان استقلال اندونيسيا يوم ١٧ / ٨ / ١٩٤٥، كما شاهد اخر الاسرى من الهولنديين المستعمرين يساقون الى المعاقل وشاهد عيانا انهيار دولة الاستعمار، فكان يشعر بشفاء الغليل، وها هي اعلام ورايات اندونيسيا ترفع على مباني جمهورية اندونيسيا الفتية، اذ تحققت آماله وآمال الشعب الاندونيسي، طفح اغتباطه بالشكر للمولى العلي القدير الذي اذل الاستعمار وسلم الله الشعب الاندونيسي من براثن العبودية فأصبح حرا مستقلاً. هذا هو الاستقلال الذي ينشده السيد الجفري والذي كافح واستمات من اجله وبذل ممتلكاته في سبيل حرية الشعب الاندونيسي واستقلال وطنه. صار يعيش مع الحوادث قرير العين مغبتطا شاكرا وحامدا.

والسيد الجفري على علو مقامه وسعة علمه وسمو مكانته في المجتمع يتحاشى الظهور ويميل الى الدعة والبساطة فهو متواضع يستقبل الناس احسن استقبال يبش للجميع ولا يفرق بين الناس فكلهم في نظره سواسية.

توفي بمدينة سورابايا عام ١٣٧٢هـ عن عمر ناهز التسعين، رحمه الله رحمة الابرار.

الاستاذ محمد بن هاشم

شاعر وأديب وكاتب أريب وهو من رجال التربية. اسس المعاهد العلمية والتربوية في كثير من بلدان المهجر الشرقي وهو ايضا صحفي قدير ترأس تحرير عدة صحف منها المدرسة وجريدة حضرموت ثم تفرغ لأمور التربية والتعليم، تخرج على يده كثير من رجال العلم البارزين منهم:

١ ـ الاستاذ عبدالله بن نوح الشاعر المفلق قائد كتيبة جيش التحرير الاندونيسي لمنطقة جاوا الغربية، وله ديوان شعر لا يزال مخطوطا ونشر بعض قصائده في صحف المهجر الشرقي وبعض المجلات العربية، وله مؤلفات باللغة العربية والاندونيسية. وفي الثلاثينيات ترأس تحرير جريدة (المؤمن) وبعد الاستقلال ترأس (هيئة البحوث الاسلامية) بجاكرتا وهو استاذ الادب العربي بجامعة اندونيسيا، اسس المعاهد الاسلامية منها معهد الاحياء والمعهد الزراعي العالي.

٢ ـ وتخرج على يد الاستاذ ابن هاشم، السيد هاشم بن يحيىٰ الاديب الشاعر، نشر بعض قصائده في صحف المهجر الشرقي وفي بعض المجلات الكويتية له ديوان لم يُطبع بعد وهو ايضاً من رجال التربية والتعليم.

٣ ـ وممن تخرج على يديه أيضاً الاستاذ عبدالله عبدالرحيم الخوجة والاستاذ محمد السقاف والاستاذ سعيد باحويرث.

كان الاستاذ محمد بن هاشم يكتب في عدة صحف من صحف المهجر الشرقي بجانب توليه رئاسة تحرير جريدة حضرموت التي اشرنا اليها والتي تصدر من مدينة سورابايا، وهي من ارقىٰ الصحف العربية التي تصدر في المهجر الشرقي واوسعها انتشارا، وكان الامير شكيب ارسلان والسيد التفتازاني والعلامة الشيخ رباح حسونة الازهري والعلامة الاستاذ محمد المرشدي يكتبون في هذه الجريدة. ولم تسلم هذه الجريدة من الضغوط الاستعمارية الاستفزازية وتعريض صاحب الامتياز المسؤول

السيد عيدروس المشهور مراراً للاستنطاق امام المدعي العام الهولندي بتهمة تحريض الرأي العام للاضطرابات والاعمال الفوضوية الغوغائية واثارة القلاقل ضد الامن العام، وهدد المدعي العام صاحب الامتياز بتحمل المسؤولية من عواقب اعماله المخلة للامن العام. وبما أنه ليس للمدعي العام مستمسك في دعواه لجأ الى الاتهام ثم الى التهديد والوعيد. وحقيقة الامر التي لا مرية فيها ان الخوف والخشية سيطرا على عقول حكام الاستعمار مما جعل المدعي العام يفعل فعلته تلك، ويظهر ذلك من تلجلج المدعي العام في تقديم التهم امام صاحب الامتياز وكانت اجوبة صاحب الامتياز منطقية وبحجج دامغة، وحاول المدعي العام تبرير دعواه بشرعية الحكم الاستعماري، وعندما فقد اتزانه لجأ الى التهديد والوعيد، وهذا شأن الضعيف الخائف. ولم تنته تلك الاستنفزازات بل تكررت الاستدعاءات مرات أخرىٰ. فطوراً امام المدعي العام وطورا آخر امام محافظ الامن العام، واحياناً لدى مدير المخابرات، ومرة اخرىٰ امام القوات المسلحة، ومن حين إلىٰ آخر لدى المشرف العام على الصحافة والنشرات. فلا يمر شهر الا ويأتيه استدعاء من تلك الجهات المختصة والدوائر المسيطرة على دفة الحكم. وبحكم هذا الوضع المتكرر الف صاحب الامتياز تلك الاستفزازات والمحاولات من المستعمر لاستنزاف قواه المعنوية واضعاف روحه وبلبلة افكاره ولكن كانت النتيجة عكسية، وكلما دعي السيد المذكور الى احدى تلك الدوائر أفلج عليهم بمنطقه القوي، وخرج من الاستنطاق وهو موفور الكرامة مرفوع الرأس اشد عزيمة واصلب عقيدة واقوى من ذى قبل. واستمر في كتاباته ومقالاته ودفاعه عن المستضعفين والمحرومين الاندونيسيين اصحاب البلاد، ومهاجمته الاستعمار الهولندي البغيض الذي يستنزف خيرات البلاد.

للاستاذ محمد بن هاشم عدة مؤلفات علمية وتاريخية وكتب مدرسية طبعت في اندونيسيا وفي مصر. من مؤلفاته المطبوعة (رحلة الى الثغرين) في مجلد واحد

وكتاب (تاريخ الدولة الكثيرية) في مجلدين. وكلا الكتابين طبعا بمصر، ومن الكتب المدرسية ألّف في اللغة العربية والانشاء والجغرافيا والطبيعيات وكلها طبعت باندونيسيا. كما ان له شروحات وتعليقات على كثير من الكتب العلمية. منها شرحه على منظومة (اليواقيت في فن المواقيت) للعلامة السيد محمد الشاطري وله ايضا مؤلفات اخرى.

اما قصائد الاستاذ ابن هاشم على ما نعلم فلم تجمع حتى بعد وفاته ولكن نشر بعضها في صحف المهجر الشرقي في المناسبات.

في عام ١٩١٢ تولى الاستاذ ابن هاشم التدريس في مدرسة جمعية خير بجاكرتا ووضع لمدارس الجمعية نشيدا ينشده التلاميذ كل صباح عندما يجتمع التلاميذ صفوفا قبل دخولهم الاقسام او في مناسبات اخرى. كما وضع اناشيد اخرى كثيرة تنشد في اكثر المدارس الاسلامية. من تلك الاناشيد نقتطف هذه الانشودة باسم جمعية خير:

بجمعية الخير يرقى الوطن	وينجاب عنها ظلام الفتن
وندرس للعلم في كل فن	لها الشكر منا بطول الزمن
لها الشكر منا على كل حال	فقد علمتنا حميد الفعال
ونخدم اوطاننا والبلاد	وننقذها من مهاوى الفساد
هلموا هلموا رجال السداد	فقد آن اصلاح هذا الوطن
نفر من اهل الهوى والضلال	ونتبع ما قد اتى في السُنن
نحب النبي وآل النبي	ونعرض عمن طغى وافتتن
نعظم بالفضل آل الرسول	ونكرم اولاد الزهراء البتول
وليس سوى فرع تلك الاصول	حسين وفاطمة والحسن
عليهم من الله ازكى السلام	هداة البرايا ونور الظلام

وقــــد وجــدوا رحــمة للانـــام   وان غــضب المــفترى او طــعن

الاستاذ ابن هاشم من البارين لاستاذه ومن الذين يعترفون ويفتخرون بانهم من خريجي مدرسة السيد ابن شهاب. عندما بلغه نبأ وفاة استاذه وقد كان مديرا للمعهد العلمي (شمائل الهدى) بمدينة فكالوغن بجاوا الوسطى تأثر كثيراً من ذلك النباء المؤلم، فأقام مأتما تأبينيا كبيراً حضره علية القوم ووجهاء البلاد الذين قدموا من كل حدب وصوب حتى اكتظ بهم المكان على سعته والقى الاستاذ ابن هاشم مرثيته من ٢٦ بيتا أثرت في الحاضرين تأثيراً بالغا، ومطلع المرثية:

اورنا احتمال الصبر كـيف يكـون   وكيف بـه الخـطب المـهول يـهون

والمرثية بكاملها مثبتة في فصل وفاة المغفور له السيد ابن شهاب.

بين الاستاذ ابن هاشم والاستاذ احمد عبدالله السقاف شاعر المهجر صـلات متينة وصداقة وثيقة يجمع بينهما وحدة العقيدة والمبدأ والهدف، والسقاف من مقدري الاستاذ ابن هاشم ومن المعجبين به ومقدريه فجاشت نفسه بهذه القصيدة المكونة من ٨٨ بيتا تقديرا واعترافا وتعظيما لفضل زميله الاستاذ ابن هاشم وهي ما يلي:

جدير بان يـحييْ العـظيم مـعظما   وحــق لذى الاقــدام ان يـتقدما
وشان كبير النفس حب الكمال ان   يــرى بـالمعالي مسـتهاما مـتيما
وكل امـرئْ يـصبو إلىٰ مـا يـروقه   ويقضي طويل العمر مسـتهترا بـما
فمن مغرم بالحلم والعـلم والنـدى   ومن هائم باللحظ والثغر واللـما[1]
ومــن مســتهام بــالحطام وواله   بـجاه ومـيّال مـع النـفس حـيثما
تـغربل ابــناء الزمـــان تـجاربي   فـما تـركت مـطربشا[2] او مـعمما
فــطوراً بــغاثاً كــالنسور وتـارة   تــريناً زبـيباً قـبل أن يـتحصرما

(١) اللما: سمرة أو سواد في الشفة أو اللثة، مما يستحسن.

(٢) الطربوش: لباس للرأس، طاقية حمراء كان الاتراك والعرب يستعملونه ويضعونه على رؤوسهم.

واخرىٰ ترينا جاهلا عند نفسه ... غدا علما من كل صوب مُيمما
ومعتقدا في نفسه الفضل ناسيا ... الى ذاته اعمال من قد تقدما
وعابدَ مال في المبرات منه ما ... تناول منه خشية الفقر درهما
وكاتم علم لو توقف رشدنا ... على نصحه لم تلف في الارض مسلما
صحبت فما الفيت غير ابن هاشم ... ابيا ولم أُلفِ امرأً منه اكرما
وعشت فلم ادرك سواه مهذبا ... ورمت فاعياني فتى منه احزما
بهمته رام المعالي فنالها ... وبالجد في كل المحامد أسهما
وبالعزم والاقدام أخضع دهره ... وبالعلم والتقوى على غيره سما
فلا فضل إلا وهو فيه مفضَّل ... ولا فخر الا كان فيه المقدما
له نفس حُرٍّ لا تقيم به على ... أذى الذل حتىٰ لمحة الطرف رَيْثَما
يلاقي خطوب الدهر غير مُروّع ... إذا عبس الدهر الخؤون تبسما
تصدى لاصلاح الزمان وأهله ... فلاقى الذي يلقاه ذو العزم منهما
فما فلّت الأقوال صارم عزمه ... بل استن حتى صار أنكى وأصرما
رأى ما بوادي حضرموت فساءه ... واشفق إشفاق الغيور على الحمى
فهب إلى الاصلاح يدعو رجاله ... فصاح به في الشعب جهل تحكما
رويدك إن القوم في سكرة الهوى ... يرون التمادي في الجمود تقدما
فما خلقوا في الأرض إلا ليبتنوا ... قصوراً ويفتنوا شراباً ومطعماً
بآذانهم وقرٌ فلستَ بمُسْمع ... ولستَ بهادٍ مَن عن الحق في عمى
فلم يثنه عن خدمة الشعب ذاك بل ... تجشم في إصلاحه ما تجشما
فضحّى بما ضحّى وجد ولم يزل ... يرمم من بنيانه ما تهدما
وهاجر لاستكشاف حالة قومه ... (بجاوة) ألفاها أضرَّ وأشأما
رأى عجمة قد أخرستهم وخطة ... أضاعت مزاياهم وجهلاً مخيما

رأى ما يذيب القلب من سوءِ حالهم ... ويبكي حنوّاً كل ذي مقلة دما
رأى أمة تلهو وشعباً يقوده ... هواه بأنواع السموم مُسَمَّما
تجرد عن أحساسه وشعوره ... فلو قُطعَتْ أوصاله ما تألما
فأنشته من نافع العلم منعشا ... وحط على جرثومة الداء مرهما
وأيقظه من نومه كلما رأى ... بها مزعج الأحلام عاد فَهَوَّما
وشمَّر للتعليم ساعد جده ... فشاد بناءً للفضائِل محكما
وأسس دوراً للمعارف أصبحت ... لأبنائنا نحو السعادة سُلَّما
أزالَ بها جهلاً وأصلح فاسداً ... وقوَّم معوجّاً وعَرّب أعجما
ألا فلتَجرّ الذيل (سربايةِ) التي ... بها الأرض إذ شرفْتها باهت السما
تجنت علينا سابقاً ونبت بنا ... وكم فوّقت نحوي ونحوك أسهما
فلما رضيت اليَوم عنها وأذعنت ... غفرنا لها من ذنبها ما تقدما
بها «حضرموت» اليوم للعلم معهد ... به الغرس ميمون الطوالع قد نما
تُدَرِّب بالآداب والعلم والنهى ... لمستقبل الأيام جيشاً عرمرما
ومهما أطَلت «حضرموت» صحيفة ... رأينا شعور الشعب فيها مجسَّما
سمعنا بها روح الحياة يخاطب الـ ... ـزمان ويستقضيه بالعنف مغرما
سمعنا بها سحر البيان وقوة الـ ... ـجنَان وما تروي الشجاعة عنهما
بها قُدْتَ أفكاراً وحركت جامداً ... وعلَّمت جهالاً وأيقظت نُوماً
وناصرت أحراراً وأكبت حاسداً ... وشجعت أنصاراً وأسكت لُوَّما
فيا رجل الأعمال معذرة فقد ... عدمت لساناً عن علاك مترجما
بماذا أفيد الناس عنك وكلهم ... يرى فوق هذا الفضل فيك مسلّما
وإن شذ فيهم أكمه بك جاهل ... فلا عجباً ان ينكر الشمس ذو عمى
و والحقّ إني لست بالشاعر الذي ... إذا هم يوماً بالكلام تكلما

ولكـــن مـدح العـاملين يـعلم الـ ـفصاحة من قد كان بالعي مـلجما

عـظائِم أعـمال[1] إذا مـا ذكـرتها تـصير بـها الألفـاظ شـعراً مـنظما

وكم مـرة حـاولت أن أمـدح امـرأً فأشـــعر عـند النـطق أنَّ بـفي مـا

ولست بـما أثـني عـليك بـه امـرأً يحاول أن يستوضح الناس مـبهما

ولكـــن شـعباً لا أرى فـيه عـاملاً سـواك وإن ألفـيت لم ألف أعـظما

يجازيك بالاحسان سـوءاً بـجهله فأنـطقته بـالشكر إذا ظـل أبكـما

وعـلمته حســن الثـناء عـليك إذ تأخر عن حسن الوفـاء وأحـجما

واعلم أن البـعض يـتلو قـصيدتي يراها ذُعاف السم والبعض بـلسما

وإن جـزائـــي أن يــقال مُـعلّمٌ تخلى لنظم الشـعر يـطري مـعَلّما

عـليَّ التــغني بـــالثناء لأهـــله بـــحق وتـــعليم البـليد ليـــفهما

وأن اندب الشعب الذي ساء حـظه وإن كان تـذكار المـصائب مـؤلما

أسكّان وادي حضرموت، أمـالكم عيونٌ ترى جـوَّ السـياسة مـظلما

أمـــا تـتعدى عـدة الشـاي نـظرة ترون بها صـرح الأمـاني مـحطما

أطار عـلى واد ابـن راشـد طـائر فألقـى عـلى أهـليه غـازاً مُـنوّما

بكائي على شـعب تـعرقه الهـوى فشـــيبه قـبل الشـباب واهـرما

أضـاع حـقوقاً للـبلاد فأصـبحت تـــراثـاً بشـرع الأقـوياء مـقسما

وهل قام حق للضعيف الذليل فـي زمان بـه أضـحى القـوي مـحكما

إلامَ وحـــتّامَ الغــرور بــني أبـي وهذا لهيب النار فـي الدار أُضـرما

وأنى ينال الغلبَ في الحرب أعزل وأنى يـجاري جـاهلٌ مـن تـعلما

وإلا دعـــوا عِــزَّ الحـياة لغـيركم فما زال بطن الأرض للـعار أكـتما

دعوا العلم إن العـلم صـعب مـناله وإن نِـلتُم مـنه القـليل المـرجـما

---

(١) وفي نسخة: محامد لا تحصى.

فلا تحسنوا بالعلم إلا لباسكم ... ولا تتقنوا بالعلم إلا التكلما
ولا تُسمِعوا من جد في السعي عاملاً ... لاصلاحكم إلا الأذى والتبرما
وإن ذَب عنكم فاشتموه وكلما ... أذاقكُم شهْداً أذيقوه علقما
ولا تنفقوا الأموال إلا على الهوى ... وما يورث الشعب الأسى والتندما
فليس لها إلا العوائد مصرفاً ... وليس لها إلا الموائد مصرما
(لِمَنْ تجمع الدنيا إذا لم ترد بها) ... وليمة عرس أو ختاناً ومأتما
لمن تجمع الدنيا إذا لم تنل بها ... قضاء مراد النفس أو تسفك الدما
هنيئاً فهذا المجد والسؤدد الذي ... به الحظ وافاكم موفّىً متمّما
وسخَّر أهل الشرق قاطبة لكم ... وجاءكم الغربيُّ عفواً ليخدما
على رسلكم لا تقبلوا نصح ناصح ... وظنوا السراب الماء والخسر مغنما
فإن تصبحوا أضحوكة لا يضركم ... وقولوا مديح إن سمعتم تهكما
فما المجد إلا أن تعيشوا بذِلَّة ... وما الفخر إلا أن تسودوا توَهُّما

في عام ١٩٢٤ ترأس الاستاذ ابن هاشم اول بعثة علمية من نوعها من اندونيسيا الى القاهرة تظم ١٧ طالباً للالتحاق بجامعات مصر، وكان الاستاذ عبدالله بن نوح احد اعضاء هذه البعثة وكان عمره لا يتجاوز الثانية والعشرين، نجح افراد هذه البعثة وعادوا الى وطنهم اندونيسيا وهم خير قادة للامة الاندونيسية.

مرت الاعوام والسنون واذا بنا نسمع نبأ نعي وفاة الاستاذ ابن هاشم. انتشر النبأ المؤلم في المهجر الشرقي وتأثر من هذا النبأ اصدقاؤه وزملاؤه ومقدرو فضله فاقاموا له الفواتح في كثير من بلدان اندونيسيا، وأبنه ورثاه الكثير في مقدمتهم تلميذه الوفي استاذ عبدالله بن نوح بهذه المرثية بعنوان (الى روح المرحوم السيد محمد بن هاشم):

بكى القلب حزنا من وفاة محمد ... سليل المعالي والاثيل المؤبد
لهونا فكان النعي ابلغ واعظ ... وتهنا فكان الموت اهدى لمهتد

فـلما نـعى النـاعي افـقنا كـانما حـياض المـنايا مـا خـلقن لرود
كأن لم يكن منا رحـيل ولم نـقف على راقد فـي ضـمن قـبر مـلحد
كأن لم يكن بين المـنازل والربـى شـجون ولا تـذكار حـزن مـردد
كأن لم نكن في الركب من عهد آدم على متن هوج وسـط قـفر مـجرد
كأن لم نكن في الفلك والبحر مائج عــلى لجـج سـود وأُفـق مـمدد
كأن لم يمت شيخ ولم يمض شادن ولم يـفن فـتان بـخد مـورد
وفيت فلما جزتها يـا ابـن هـاشم تـوفيت فـي اوج الوفـاء المـجدد
تـذكرت عـهدا والعـهود مـواثـق فـيا لهـفي مـن ذكـر عـهد مـوكد
لعمرك ليس العـيش حـلما لنـائم ولكـنه فـي كـل بـاق مـخلد
ورب دفـين فـي التـراب وذكـره ضياء مدى الدهر الطويل المـمدد
مـضيت ولكـن المكـارمَ حـضّر عـوالي غـوالي كـاملات كـخرَّد
خـلود فـلا اخـلاد مـنك تـرفعاً الى الارض للعيش الكثيف المجسد
فَـخُلصّتَ مـن دار بـلينا بـدائـها سـموم افـاع او مكـائد حُسّـد
وكـنت لنـا هـديا فـانجبت بـيننا نـجوما واقـمارا تـضيء لقـصد
مـحمد، امـا كـنت فـينا مـحمدا فـذاك لعـمري مـن ابـيك مـحمد
عـليه سـلام الله يـتلو صـلاته تـعم ذوي الطـهر العـلي المـمجد
وتبقى لنا ما غرد الطير فـي الربـى واحيا الدجى ليـلا نِـداء المـوحد

السيد علي بن احمد بن شهاب

زعيم وسياسي محنك، مصلح كبير، ترأس عدة حركات سياسية وهو من رجال الفكر ومن رواد النهضة الاصلاحية، قاوم الاستعمار الهولندي مقاومة فعالة ولا غرابة اذا تعرض لضغوط من استنطاق الى محاكمات وكان يراسل جريدة المؤيد التي تصدر

من القاهرة لصاحبها السيد علي يوسف. كما يراسل صحف الشام وتركيا بجانب ما كان يكتب للصحف المحلية، يكشف فيها سوءات الاستعمار الهولندي في اندونيسيا وبريطانيا في ماليزيا وما تعانيه شعوب تلك المناطق من امتهان واستعباد واستنزاف خيرات البلاد باعمالها التعسفية، وكان لتلك المقالات صدى عظيم. وتضايقت هولندا من تلك المقالات المتوالية. وهذه من الاسباب التي جرته الى المحاكمة.

صلاته وثيقة بالزعيم الوطني مصطفىٰ كامل رئيس الحزب الوطني وبالاستاذ عبدالقادر قباني صاحب صحيفة ثمرات الفنون ومع الاستاذ حسن الطويراني بالقاهرة، كما ان له بالشام وتركيا اصدقاء كثيرين.

والسيد علي خطيب بارع وله اسلوب خطابي معروف يهيج مشاعر السامعين وهو يهوى الرحلات. زار تركيا مقر دولة الخلافة قبل الحرب العالمية الاولىٰ ومكث بها مدة من الزمن. اتصل خلالها بولاتها وزعمائها وبكثير من اعضاء مجلس المبعوثان (البرلمان) من البلدان الاسلامية، وكان يشرح لهم اوضاع المسلمين في بلدان شرقي آسيا وما يلاقونه من ظلم واستعباد. دخل مصر عدة مرات لكي يلتقي باصدقائه ومعارفه كما زار المغرب والشام والعراق والحجاز وادى فريضة الحج ودخل الهند عدة مرات وبلدان الملايو وسنغافورا. اما بلدان جنوب الجزيرة العربية فقد تأهل بها وتزوج من بناتها على رغم انه من مواليد جاوا وينتهز دائما في كل رحلاته الفرص للاجتماع بقادة الاحزاب السياسية وزعماء الامة ورجال الصحافة للتباحث معهم وشرح الاوضاع السيئة التي تعانيها شعوب تلك المناطق من ظلم وطغيان الاستعمار وما يمكن من تنسيق اعمال لدرء مفاسد الاستعمار وكيفية تنفيذ تلك الاعمال الموجهة ضد طغيان الاستعمار وقد تم الاتفاق على:

١ ـ تنسيق الاعمال ضد الاستعمار.

٢ ـ تبادل الانباء والزيارات من الشخصيات.

٣ ـ الاهتمام بالنشء من الجيل الصاعد بإعطاء المنح الدراسية.

٤ ـ على دولة الخلافة ودولة مصر فتح ابواب مدارسها لطلاب العلم من جنوب شرقي آسيا.

٥ ـ توثيق العلاقات التجارية بين مسلمي جنوب شرقي آسيا ورجال الاقتصاد في تركيا ومصر.

بعد عودته الى جاكرتا من رحلته، جمع رجال النهضة وقدم لهم تقريرا مفصلاً عما قام به من اعمال وما تم من الاتفاقيات الاصلاحية وشرح لهم اوضاع المسلمين في كل بلد زاره واجتماعه ببعض زعماء الامة ووجهائها ورجال الصحافة والعلماء، على ان تستمر هذه الاتصالات بالرسائل وتبادل المعلومات.

كان علي بن احمد صاحب مشاريع اصلاحية وهو من روادها الاوائل، له طموح في انهاض الامة. انتخب بالاجماع ليرأس جمعية خير في اول عهدها عند تأسيسها، وهو خطيب اجتماعي معروف وممن يهتم بالايتام واقترح على زملائه اقامة وتأسيس دار للايتام باسم (دار الشفقة) ثم وضع النظام الاساسي والاداري، ولم يمض وقت حتى أُخرج المشروع الى حيز الوجود.

كان يأتي اليه رجال الاعمال والزعماء ورجال الجمعيات والشخصيات البارزة يستشيرونه لغرض الاستنارة بآرائه، فلا يضن عليهم ويزودهم بآرائه ونصائحه وحث الجميع على الاهتمام بنشر العلم وبناء دور التعليم وتشييد المعاهد العلمية وتنمية الاقتصاد وتقويته واحياء روح ا لاعتزاز بالنفس وعدم الشعور بالنقص خصوصاً امام الاوروبي، ومقاومة الاستعمار والمستعمرين ومحاربة الالحاد والملحدين.

له مؤلفات في التاريخ والتربية وفي مسائل اجتماعية، طبع منها كتاب واحد وهو (الثلاثة الابطال) في التاريخ الاسلامي باللغة العربية وترجم الى اللغة الاندونيسية وهو من سلسلة التاريخ الاسلامي، وقد قررت الهيئة المركزية لجمعية خير تدريس

هذا الكتاب في جميع مدارسها ومعاهدها، اما مؤلفاته الاخرى فلا تـزال مـخطوطة، وتولى شرح ديوان الشاعر الحضرمي عبد الحق وقام بطبعه عام ١٣٥٦هـ.

وقد توفي في أواخر عهد الاحتلال الياباني لاندونيسيا، وقبل استسلام اليابان للحلفاء بثلاثة أشهر، وذلك في شهر كانون الثاني ١٩٤٥.

السيد احمد بن عبدالله السقاف

هو شاعر المهجر الشرقي والكاتب الاديب العبقري الفذ والمربي الناجح. اسس في حياته عدة معاهد اسلامية وتولى ادارة بعضها واشرف بنفسه على التدريس فيها. وهو لطيف العشرة، بعيد النظر مستميت في حب آل البيت النبوي الطـاهر ومـتمسك بتعاليمهم ويطبق فقههم عملياً بحذافيره.

له عدة مؤلفات تاريخية وقصصية وروايات وبحوث علمية وله ديوان.

اما كتبه المطبوعة فهي:

١ ـ خدمة العشيرة

٢ ـ فتاة قاروت

٣ ـ الصبر والثبات

٤ ـ عاقبة التساهل

٥ ـ الديوان

وله مؤلفات اخرى لا تزال مخطوطة منها:

١ ـ تاريخ سلطنة بانتان

٢ ـ دخول الاسلام الى اندونيسيا

٣ ـ تاريخ الدعاة

اصدر مجلة الرابطة وتولى رئاسة تحريرها، وهي من المجلات العلمية. واسس

مطبعة في جاكرتا لطبع الكتب والتراث الاسلامي.

ليس كل قصائده مثبتاً في ديوانه المطبوع، فإن له قصائد اخرى كثيرة حكمية وحمينية لم تثبت في الديوان وهي متناثرة هنا وهناك في المجلات والصحف، وكان المرحوم قد جمع قصائده الحمينيات في ديوان خاص ولا يزال مخطوطاً. اما ديوانه المطبوع فهو ما تسنى للاستاذين محمد ضياء شهاب وسقاف الحبشي جمعه بعد وفاة الشاعر احمد السقاف وقد تولت مكتبة الارشاد للطباعة والنشر بجدة طبع هذا الديوان في بيروت الطبعة الاولى والثانية، بطباعة جيدة متقنة.

الاستاذ احمد السقاف ممن يفتخرون بانه من خريجي مدرسة السيد ابن شهاب ويعتز دائما في احاديثه ومجالسه مستشهدا باقوال استاذه ولا غرابة ان يكون نبأ وفاة السيد ابن شهاب الصدمة الكبرى في حياته وكان التأثير في نفسه عميقا، فرثى استاذه بمرثية طويلة مثبتة في مكان آخر من هذا الكتاب.

تاقت نفسه وهو في شيخوخته إلىٰ العودة الى وطنه بعد ان قضى نصف قرن في المهجر الشرقي صال فيه وجال وخدم المجتمع وشيد دور العلم ونشر اللغة العربية فكانت اعماله ناجحة وازدهرت واثمرت، وما كان الناس يودون فراقه لو لا شوقه الى وطنه الذي تركه وهو في عنفوان شبابه ومقتبل عمره، وسيعود اليها وهو في شيخوخته. وجد الجد فعزم على السفر واعد العدة وجمع كل ما يحرص عليه في حياته وركب الباخرة متوجهاً شطر وطنه حضرموت. وشاء الله ان يختاره الى جواره في عرض البحر وكان ذلك في عام ١٣٦٩هـ ـ ١٩٤٦م وكان آخر ابيات قالها وهو يودع المهجر الشرقي المرعى الخصيب ما مطلعها:

وداعـــا ايـها المـرعى الخـصيب　　　فـفيك العـيش اضـحى لا يـطيب

ترك وراءه عدة ابناء عبدالله وصالح ومحمد وغيرهم وقد نبغ محمد وهو شاعر كأبيه وهو من رجال الحزب الوطني الاندونيسي، تولى عدة مناصب رفيعة في وزارة

الاعلام واشرف على قسم الاذاعة العربية من يوم تأسيسها وكان يكتب ويشارك في تحرير مجلة الشؤون الاندونيسية، عين ملحقا اعلاميا في السفارة الاندونيسية بالقاهرة عدة اعوام. وكانت صلاته بزعماء مصر وثيقة كما كانت صلته وثيقة بسماحة الحاج امين الحسني رئيس الهيئة العليا لشؤون فلسطين وانتخبته حكومة اندونيسيا عضوا في كثير من وفودها وبعثاتها.

اما شعره فمن الرقيق الممتاز وقد ورث الادب والشعر من ابيه. وعندما فاز الحزب الوطني الاندونيسي في الانتخابات العامة عام ١٩٥٥ وعين علي ساسترو امين جويو رئيسا لوزراء اندونيسيا القى الاستاذ محمد بن احمد السقاف قصيدته العصماء مهننا الحزب الوطني الاندونيسي ورئيسها بهذا الفوز والنصر المبين.

الشيخ صالح بن سند الكثيري

هو احد زعماء قبيلة بني كثير التي ترجع في سلسلة نسبها الى قبائل الشنافرة الهمدانية، وهو بطبيعة الحال ينتمي الى الاسرة الكثيرية صاحبة الدولة والسلطة الحاكمة بمنطقة حضرموت الداخلية. وللدولة الكثيرية تاريخ طويل اذ حكمت البلاد اكثر من سبعمئة عام. وقد اسهب الاستاذ ابن هاشم في كتابه (تاريخ الدولة الكثيرية) في تاريخ هذه الدولة في جزءين، والكتاب مطبوع بالقاهرة عام ١٩٥٧. والدولة الكثيرية دولة عريقة وذات جذور عميقة في جنوب الجزيرة العربية. ولكن بريطانيا قضت عليها قضاء ملؤه الحقد والكراهية انتقاما منها، فانهارت اثر تسليم بريطانيا زمام الحكم لزمرة صغيرة من الشيوعيين، عندما ارادت بريطانيا مغادرة محمياتها في جنوب الجزيرة ومستعمراتها في عدن، سلمت البلاد بردا وسلاما بجميع قواتها المسلحة الى ايدي تلك الشرذمة الماركسية، مثلما سلمت فلسطين لليهود عام ١٩٤٨ وسلمت بريطانيا سنغافورا الاسلامية الى ايدي الصينيين عام ١٩٧٦ فأفسدت البلاد

وطغت على العباد. وهكذا طبقت التعاليم الماركسية والاحكام الشيوعية بالقسوة، فاحتضنتها روسيا ووجدت موطنا لقدمها في الجزيرة العربية وهيمن الاتحاد السوفييتي المنحل مباشرة على تلك المناطق، واصبح حكام البلاد كقطع لعبة الشطرنج في ايدي حكام السوفييت، وليس لاهل البلد امر او حول الا ما يقوله السفير السوفييتي الحاكم المطلق.

الشيخ صالح بن سند زعيم آل الكثير في المهجر الشرقي، وهو من القوميين الاقحاح، ترأس (الهيئة المركزية للجمعية الكثيرية الشنفرية العربية الاسلامية الاصلاحية) بجميع فروعها واقسامها المنتشرة في جميع المهجر الشرقي وهو المشرف المباشر لجميع معاهد ومدارس الكثيرية.

انتخب الشيخ صالح بالاجماع ليرأس الوفد الكثيري من المهجر الشرقي لمفاوضة الدولة الكثيرية بحضرموت في جميع الامور الاصلاحية بالوطن، وسافر الوفد من اندونيسيا برئاسته وجملة من اعضاء الوفد المنتخبين متوجها الى حضرموت واستقبلته الدولة استقبالاً فخما وحل الوفد ضيفا على الدولة طول اقامته بحضرموت. وقد جرت مفاوضات وتم الاتفاق واتخذت القرارات الاصلاحية في الوطن مما بشر الجميع بالخير للامة الحضرمية.

يعتز الشيخ صالح بن سند ويفتخر بانه ممن تلقوا عن السيد ابن شهاب ويذكر ذلك بكل اعتزاز في احاديثه الخاصة والعامة، ولا يذكر اسم السيد ابن شهاب الا بالتقدير والاجلال وبأنه رائد النهضة الاصلاحية بحق وباعث الروح الاسلامية بين الشعوب في المهاجر الشرقية، ويقول الشيخ صالح بن سند إنه في جميع اعماله وخطواته يحذو حذو السيد ابن شهاب. وكثيرا ما يستشهد الشيخ صالح باقوال السيد ابن شهاب.

يحدث الشيخ صالح عن نفسه في مجالسه كيف كان اتصاله بالسيد ابن شهاب

قائلاً:

كنت تواقا للتعرف إلىٰ السيد ابن شهاب. قبل لقائي به ومعرفتي اياه مباشرة كنت اسمع عنه كثيراً، ومن حسن حظي كانت الصدف متاحة لي فاجتمعت به وانـا لا ازال شابا في مقتبل عمري، فهالتني شخصيته وامتلأ في عيني فاكبرته، سمعت كلامه وهو يتحدث فأعجبني حديثه لما حواه من حكم ومعانٍ جليلة وآراء نيرة سديدة، فتحت امامي آفاقا جديدة واسعة تشفي العليل فما وددت مفارقته. لقد استعظمته فقدرته واحببته من اول جلسة سمعت فيها حديثه، فلازمته واستفدت من ملازمتي له، وكانت معاينتي له فاقت ماكنت اسمع عنه من الاخبار والاحاديث، حقا انه رجل زمانه، راجح الفكر بعيد النظر مع سمو اخلاقه وعلو همته فكلامه طلية لا يمل، ويستفيد منه كل سامع مُصغ اليه، ولا عجب ان يقدره ويجله ويعظمه كل من اجتمع له. فهو استاذي وقدوتي.

كنت أرى السيد ابن شهاب دائماً يفكر ويعمل ويكافح ويجاهد في سبيل مصلحة أمته ومن أجل شعبه وسعادته في جميع المجالات بما في ذلك مجال التربية والتعليم والتهذيب. فأنا اشعر بالسعادة التامة حين مجالستي له، واستماعي لحديثه واستفيد منه، فاواظب على حضور دروسه ومحاضراته التي يلقيها على جمع من طلبة العلم ورجال الفكر او على مجموع الشباب المثقف المتنور. كنت اشعر بالغبطة والسرور لاني كنت ممن اسعدهم الحظ ـبتوفيق من اللهـان اكون بين هذه المجموعة الطيبة من الشباب المتنور، تلك الفرصة الطيبة التي كسبتها واستفدت منها، كانت لي الركيزة الاولى والمشعل النير، أضاءت السبل وانارت لي الطرق التي اسلكها الآن وانتهجها في حياتي وجهادي. فتلك الفرصة الذهبية كانت لي اعظم فرصة في حياتي الطيبة التي لا تقدر بقيمة أبداً. فلقد انارت لي المحجة.

هكذا يقول الشيخ صالح بن سند الكثيري بكل فخر واعتزاز مؤكداً ان علاقته

باستاذه السيد ابن شهاب مستمرة متواصلة حتى آخر ايام حياته.

بعد عودة الشيخ صالح بن سند من حضرموت رئيساً للوفد الكثيري، قدم تقريرا ضافيا للجمعية الكثيرية التي اوفدته قال:

على رغم النجاح الذي احرزه الوفد في مفاوضته مع الدولة الكثيرية واتخاذ تلك القرارات الحازمة الموفقة التي نؤمل ان تنفذ وتطبق بحذافيرها في القريب العاجل، فاني اتوجس خيفة من وجود شرذمة ماركسية، فهذه الشرذمة اراها كالسم في الجسم او كالنار في الهشيم، فان الحريق إنما هو من الشرر الصغير، وقد حذرت المسؤولين في الدولة وبعض الاخوة ممن لهم مكانة في المجتمع من عواقب هذا التساهل والاهمال، فان عواقبها وخيمة، إن عدم الادراك والنظر البعيد بعين ثاقبة الى هذا الخطر الداهم من الزحف الماركسي ومؤامراته التوسعية يجرّ إلىٰ تقويض الدولة واحتلال البلاد واستعباد الشعب، فالماركسية لا تسالم احداً ولا تتسامح مع احد ما لم يدُرْ في فلكها وينضوِ تحت عقيدتها ويتماشَ مع سياستها، ومن شذ عنهم فهو الضحية الاولى.

ولكن لرجال الدولة ووجهاء الامة وجهة نظر مبنية على الديمقراطية، فالضغط يولد الانفجار بل يجر الى الاعمال التخريبية، أو العمل من وراء الستار خفية، ومن الحرية ينطلق وينبعث الاصلاح ولكل في الحياة رأيه ووجهة نظره، ولن يبقى ولن يدوم إلا الأصلح.

حاورتهم جميعاً وكان وجهة نظرهم عن الديمقراطية والحرية هي الخطأ التام بعينه، وكررت لهم جمعياً أنه اذا استمر التساهل فسيأتي يوم تسيطر الماركسية على الدولة وعلى مقاليد الامور بالقوة وتقضي على الاوضاع الديمقراطية وتعكس الحياة الاجتماعية لتصير هناك دولة ماركسية تقوم على انقاض الدولة المبادة، وما اكثر الحوادث والعبر. ولكن رجال الدولة وبعض قادة الامة يرون من كلامي التشاؤم وقالوا

لي إنني انظر بمنظار اسود قاتم وانني اجعل من الحبة قبة وانني غير متفائل في شيء، وهم ينظرون الى هذه الامور أنها بسيطة جدا بل وانها مما يقوي دعائم الديمقراطية في البلاد وان الشعب سيرى الخير ويرى الشر، وفي العالم الديمقراطي لا تعيش إلّا الديمقراطية ويحتجون ببريطانيا ففيها الحرية التامة فالشعب لم يختر الّا الديمقراطية وان الشيوعية لم تجد لها موطئ قدم فيها وهكذا فان الماركسية والمبادئ الاخرى كلها في طريقها الى الزوال والفناء في هذه الدولة الكثيرية الديمقراطية. هكذا كانت عقيدة الحكام في الدولة الكثيرية وفكرة وجهاء الامة فيها. ولكني لبثت اكرر في كل حديثي معهم وفي جلساتي واجتماعاتي بهم الخاصة والعامة احذرهم من مغبة التساهل والاعتماد على الفكرة الديمقراطية الخاطئة، وأبنت لهم كيف ان المؤامرات تحاك من كل جانب وان الفتن تبذر في كل محل لتمزيق الشعب الى كتل صغيرة ضعيفة وتشتيته بالافكار والمفاهيم الجديدة المستوردة، ولا يكفيهم ذلك بل ويثيرون المسائل الفرعية الدينية الخلافية لاشغال الامة بالخلافات الجانبية التي تقوض دعائم الدولة الحاكمة لتحطيمها وازالتها من الوجود.

وعلى اثر هذه المحاورات راجعت المسؤولين في الدولة الكثيرية مرة اخرى بصفة رسمية لاجراء مباحثات ومفاوضات خاصة تتعلق بهذا الموضوع الذي اراه في غاية الاهمية ويرونه من توافه الامور التي لا تستحق الاهتمام بها مطلقا.

وباسم الوفد الكثيري الذي يمثل رسميا الهيئة العليا للجمعية الكثيرية باندونيسيا وبالمهاجر الشرقية عقدت مباحثات اخرى لدرس هذا الموضوع دراسة عميقة، واتفق الجانبان بعد مباحثات اولية على وضع النقاط وحصرها حصراً في هذا الموضوع بالذات ولحل القضايا الاخرى وتمت المفاوضات بين الوفد الكثيري القادم من المهجر وبين مندوبين من الدولة الكثيرية، وفي الاجتماع الاول قدم الوفد مشروعه الاصلاحي العام خصوصاً فيما يتعلق بالامور الداخلية للدولة الكثيرية بيقظة تامة

وعدم التساهل في مواجهة المبادئ والمفاهيم الوافدة من الشيوعية والماركسية، وعندما بدأ النقاش في هذا الموضوع شعر الوفد بهيمنة النفوذ البريطاني الذي يدعي المسؤولية التامة لهذه المناطق الواقعة تحت حمايته، وبدأ سير المفاوضة في تلجلج مصطنع وان الهيمنة البريطانية واضحة وهي تسيطر على الاوضاع السياسية كما تعرضت الدولة الكثيرية لضغوط قوية عرقلت سير المفاوضة ووضعتها في طريق مسدود، وما دام الطريق مسدوداً فالحل مفقود. وتوقفت المفاوضة ولم يستطع الوفد مواصلة عمله بعد هذا الحد على رغم ما بذلت من الجهود لمواصلة سير المفاوضة ولكنها باءت بالفشل الذريع، وعاد الوفد الكثيري من حيث اتى وهو يعاني من حسرة ما بعدها حسرة.

ودار الزمن دورته، وتطورت الامور، وانقلبت الاوضاع بشكل غريب وتحققت فراسة الشيخ صالح بن سند الثاقب في ماكان يتوجس منه خيفة وماكان يرىٔ من خطر للشيوعية التي استشرت وصار ما صار في البلاد واستولى الشيوعيون على مقاليد الحكم وازيلت الدولة الكثيرية وانقلبت الامور وانعكست الاوضاع، فإذا السلطان الكثيري لاجئ في جدة ورجال الدولة في السجون والعلماء والشخصيات المعروفة يساقون الى ساحة الاعدام، وهكذا ازيلت الدولة الكثيرية من الوجود.

لقد نبّه الشيخ صالح بن سند المسؤولين في الدولة بما فيهم السلطان نفسه، حسين بن علي الكثيري من مغبة التساهل ولم يكتف الشيخ صالح بن سند بتنبيههم فقط بل انذرهم بالويل ان لم يفيقوا من خيالاتهم الديمقراطية ويتداركوا الامور قبل استفحالها.

صالح بن غالب القعيطي

هو ولي عهد السلطنة القعيطية، ينوب عن ابيه في ادارة البلاد بحضرموت

الساحلية من الجنوب اليمني، درس على يد السيد ابن شهاب وتفقّه في مسائل اصول الدين وتعمق في دراسة علم الحديث بجانب دراسته لفنون الادب، كان ذا شخصية قوية وروح فياضة طموحة سامية لتطوير وضع امته ساعياً لتحقيق النهضة الاصلاحية بنشر العلم ومحاربة الجهل المخيم على امته تحقيقاً شاملا في اطار السلم والتوادّ والاتحاد.

له مؤلفات علمية مطبوعة، يتحدث باسترسال وباسلوب جذاب مؤثر على السامعين، وكانت مجالسه مجالس علمية تدل على موهبته الواسعة واطلاعه على مجريات الاوضاع الدولية والاجتماعية العامة، وهو رحب الصدر حسن الاخلاق بالرغم من كونه ولي العهد في السلطنة، لانه تتلمذ على يد السيد ابن شهاب وكان من الملازمين له. يقول هذا الامير انه استسقى من معين صاف لا ينضب هو معين استاذه السيد ابن شهاب وان ملازمته لاستاذه هي التي افادته.

كان السيد ابن شهاب يرى في هذا الامير الخير، ويأمل منه وعلى يده الخير لوطنه وامته ولكن السيد ابن شهاب يخشى عليه من بطانة السوء التي تحيط بوالده، خصوصاً اذا اسندت اليه السلطة وتولى الحكم، فعاقبة السوء لا محالة واقعة عليه، وكثيراً ما حذره استاذه أن عليه ان يكون يقظا واعيا من تلك الثلة، ثلة السوء، عملاء بريطانيا المستعمرة، وبريطانيا تنفي انها مستعمرة وتدعي أنها حامية لا غير. وللسيد ابن شهاب قصيدة في هذا الامير الشاب وتلميذه الذي يرجو على يده الخير ومطلعها:

ذهبت الى منازلة الاسود ... وذلك ما ورثت من الجدود

والقصيدة طويلة يجدها القارئ في المجموع من قصائد السيد ابن شهاب في موضع من هذا الكتاب.

السيد محمد بن عبدالرحمن بن شهاب

عالم من العلماء الاعلام، بحاثة ومدقق حينما يكتب في موضوع، تتسم دراسته حين يطرق بحثا بالعمق والمنطق العلمي، اللذين يدلان على علو موهبته ودقته في البحث باسلوب علمي منطقي. مع سلاسة التعبير والبعد عن التعقيدات.

له صلات وثيقة مع الامير شكيب ارسلان وكانا يتبادلان المعلومات العلمية والمباحثات التاريخية، وكان الامير شكيب ارسلان يعتمد اعتمادا كليا على السيد محمد بن عبدالرحمن خصوصا في الابحاث العلمية والتاريخية، وفي تعليقات الامير شكيب ارسلان على كتاب (حاضر العالم الاسلامي) للورد ستودارت، يجد القارئ فصلا طويلاً من دراسة السيد محمد بن عبد الرحمن بن شهاب عن جزر القمر شملت صفحات عديدة من الكتاب.

السيد محمد بن شهاب من رجال النهضة الاصلاحية في المهجر الشرقي ومن الساسة البارزين، وفي فترة من الفترات ترأس جمعية خير وتولى مجلس ادارتها عام ١٩٠١، وبجانب هذا كله فهو من رجال الاقتصاد والاعمال التجارية وباستطاعته تمويل الحركات الاصلاحية بالمال، وهو من رجال حزب شركت اسلام البارزين دعم الحزب بالنفس والنفيس.

في عام ١٩٢٨ انتخب بالاجماع رئيسا عاما للهيئة المركزية العليا للرابطة العلوية، وتولى رئاستها سنوات حتى وافته المنية عام ١٩٤٩ بمدينة سورابايا ودفن فيها عن عمر ناهز ٦٢ عاما. كان لنبأ وفاته رجة كبيرة في الاوساط الاسلامية، شيعت جنازته الى مثواه الاخير في غاية المهابة مجللا بعلم الرابطة العلوية وانهالت برقيات التعازي المشاركة في هذا المصاب من جميع الاحزاب والجمعيات والشخصيات البارزة في المهاجر الشرقية وجنوب الجزيرة كما شاركت وفود الاحزاب والجمعيات من جميع بلدان جاوا، واقيمت له مجالس التعازي في جميع بلدان المهاجر الشرقية

وأبنه الخطباء ورثاة الشعراء وكتبت الصحف فصولا مطولة وسلسلة من المقالات تستعرض فيها تاريخ حياته المليئة بالجهاد والكفاح الطويل واعماله المثمرة.

رثاه كثيرون من شعراء المهجر الشرقي وجنوب الجزيرة، منهم زميله في الكفاح وصديقه شاعر المهجر الشرقي السيد احمد السقاف بهذه المرثية:

بشراه أدى الواجبات وودَّعا ... والموت مبتدأ الحياة لمن سعى
والعيش كالحلم اللذيذ يحول دو ... ن تمامه داعي المنون إذا دعا
من شؤم هذا العصر هذا السلك كم ... أدمى القلوب وكم أراع وكم نعى
ولكم أثار أسىً وقطَّع مهجةً ... وكم استدرَّ من الجفون الأدمعا
يتحسَّس الخبر المسيء فكلما ... ألقاه جاء به إلينا مسرعا
لو كان يشعر أو يحس بما به ... يجري لذاب من الأسى وتقطعا

* * *

هدَّ القوى نبأٌ لو استولى على ... جبل لأصبح خاشعاً متصدعا
نبأٌ أذيع صبيحة الاثنين أز ... عج وقعه منا القلوب وروّعا
(ملأ) الربوع أسى فلا تلقى امرأً ... إلا لقيت محوقلا مسترجعا
(فغدا) يفارقنا السهاد وقد نفى ... عنا الكرى نبأ أقضَّ المضجعا
جهرت به هذي (المُسِرَّة) ليتها ... همست به أو فاتني أن أسمعا
أخذت تحدثني بأن محمداً ... لما رأى ضعة الزمان ترفعا
عاف البقاء مع الليالي إذ رأى ... حق الإله لدى الأنام مضيَّعا
لبَّى نداء الحق مسروراً وأصبح ... بالرضى من ربه متمتعا
عاش الفقيد من القلوب محبباً ... وقضى فوُدِّع بالقلوب مشيَّعا

* * *

صبراً بني علوي إن الخطب مشتر ... ك على كل الأنام توزعا

فمصيبة الاسلام في زعمائه ... تنتاب أنصار الفضيلة أجمعا
وهم الأنام ومن سواهم في الورى ... همَجٌ حكى البُهم السَّوام الرتعا
صبراً على مر القضاء بني أبي ... إذ لا يردّ مقدراً أن نجزعا
والمرء يدفع خصمه حتى إذا ... حكم الإلٰه فحقه أن يخضعا

* * *

غاب الشهاب مخلفاً آثاره ... إذ ليس للانسان إلا ما سعى
فسلوا المدارس هذه لتجيب إذ ... لو لا الفقيد لما رعاها من رعى
من ذا سواه على إقامتها قضى ... أيامه وبما أفاد تبرعا
فبعزمه جمعية الخير ارتقت ... وغدا بها روض المعارف ممرعا
للعلم علم الدين أضحت منهلاً ... يروي العطاش وللفضائل منبعا
وبه اقتدى من قام في فتح المدا ... رس فاقتفى آثاره وتتبعا
وله تجاه البائسين وفي صفوف ... المشفقين مكانة لا تدَّعى
فمتى وعى خبراً يثير دواعي الـ ... إشفاق بات مؤرقاً لن يهجعا
وغدا يدير الاكتتاب فكم لمنـ ... ـكوب سعى وعلى مُقِلٍّ وسّعا
جلَّت مناقبه عن الإحصاء ليـ ... ـس لطامع في حصرها أن يطعما
ولو استطعت وكان لي قلم جعلـ ... ـتُ لكل مكرمة أتاها مَشرَعا
يكفيه فخراً أن رابطة العلى ... قد صيَّرته لسرّها مُستودعا
فسما بها نحو العلى حتى قضى ... متبوئاً منها المحل الأرفعا
عرف الزمان وأهله ورأى الحوا ... دث تستجدُّ لكل قوم منزعا
ورأى بني علويٍ استولى على ... مجموعهم عدم الوفاق وأوقعا
وتفرقت أهواؤهم حتى غدا ... حبل المودة بالحظوظ مقطعا
فدعا الرجال إلى التآخي وابتنى ... حصناً برابطة الإخاء مُمنَّعا

غـرسٌ تـبارك ثـم أصـبح مـورقاً ... بـــــالإتحاد وبـــالتصافي أيـــنعا
وسقاه من ماء التـعارف فـاستوى ... ونـــما وأخـــرج شـــطأه وتـفرعا

* * *

أنـــعم بـــرابـــطة الكـــرام فـــإنها ... كالغيث إذ يحيي المـوات البـلقعا
لا بل هي الشمس المضيئة نـورها ... عـــم البسـيطة لم يـغادر مـوضعا
وهـــي الســـفينة للـنجاة أدار دفـ ... ـــتها الفـقيدُ كـما أدار المـجمعا
بـــحميّة تأبـــى عـليه لدى اشـتبا ... ه الرأي إلا أن يـــفيد ويـــنفعا
وصـــلابة تأبـــى عـليه إذا اسـتبا ... ن الحـــق إلا أن يـقول ويـصدعا
ونـدىً يـفسر للـورى مـعنى الكـ ... ـريم وكيف ينفق ما تملك أجـمعا
ولو اقتضى النفع الضحية لافـتدى ... نـــفع العـــموم بـــروحه وتـطوعا
إخلاصه في النفع حـين يـقوم بـيـ ... ـن الناس يجعل للـنصيحة مـوقعا
تهوي القلوب إليـه إجـلالاً فـحيـ ... ـث أقام عَزَّ وحيث نـادى أسـمعا

* * *

من سوء حظي أن يـقيّدني النـوى ... عن فرض تشـييع الفـقيد ويـمنعا
إذ لو حضرت لقمت في تلك الجمـ ... ـــوع مـؤبناً ومـترجـماً ومشـجعاً
ولقلت هذا ابن الشهاب بـقية الســ ... ـــلف الكـرام الصـالحين مـودَّعا
هـــذا الرئـــيس مـــودعاً أحـبابه ... لا بـــدع أن نأســـى وأن نـتوجعا

* * *

علَم الهدى هذا وهذا النـعش بـالـ ... ـــعَلَم المـــفدى قـد بـدا مـتلفعا
ليس الذي يشتَمُّ نشـر المسك بـل ... نشر الثـناء عـلى الفـقيد تـضوَّعا
يا من عـهدنا مـنه حُسْـنَ رعـاية ... هلا ترى الأبـصار حـولك خُشَّـعا
ها هـم بـنوك يشـاهدونك راحـلاً ... لا يـــملكون اليـوم إلاَّ الأدمـــعا

دعـــهم فـــقد فـقدوا أبـاً مـتحنّناً　　بـــرّاً تــقياً مســـتقيماً أروعــا
الـيــوم نُــعذر إن تـملّكنا الأسـى　　ويـــحق للأكـــباد أن تـــتصدّعا
والـيـــوم يـــجمُلُ أن يـــتمَّ ثـباتنا　　ويـــــزيننا بـــالصبر أن نـــتذرعا
والـيـــوم يـحسن أن نـخلّد ذكـره　　بـفعالنا بـــعد الفـــواتـح والدعـا
وضع الفـقيد لنـا الأسـاس فـحقنا　　أن نســـتمر عـــلى البـناء ونـرفعا
فالعيب أن يبقى الأسـاس مـعطلاً　　والويـــل أن يـــنهار أو يـتزعزعا
فـإلى الأمـام تـقدّموا لـلخير قـو　　لوا ليس مـــنا مــن تأخـر إصـبعا
وتجشموا الأخـطار لا كـان الذي　　يخشى المخاطر أو يهاب المصرعا
طعم المـنون لدى المـحقق واحـدٌ　　مـــهما تــعدَّد شكـــله وتـــنوّعا
المـــوت حـــقٌ والمـقدّر لا يُـردّ　　ونحن عن طلب العلى لن نـرجـعا

* * *

ومن رثاه العلامة السيد علوي بن طاهر الحداد بمرثية مطلعها:

رقوا لقلب حـليف البث مشـجون　　في غمرة من طوامي الحزن مسجون

ومنهم ايضا السيد عبدالله الحبشي بمرثية مطلعها:

افـــل الشـهاب فـعمت الظـلمات　　وتـــزايـــدت بـــأفوله الحســرات

وغيرهم ممن رثاه كثيرون واكتفينا بهذا النزر اليسير.

* * *

هؤلاء الذين ذكرتهم هنا هم بعض شخصيات من تلامذة السيد ابن شهاب من مجموعة كبيرة منتشرة في المهاجر الشرقية وجنوب الجزيرة ممن عرفتهم واجتمعت بهم وعاشرتهم، هؤلاء الذين نهجوا نهجه ومشوا على طريقته وطبقوا تعاليمه وواصلوا الجهاد للوصول الى الغاية والهدف الشريف.

مؤلفاته

خلف السيد ابن شهاب تراثا قيما فياضا من مؤلفاته الكثيرة طبع بعضها طبعات قديمة بمطابع حجرية في الهند وسنغافورا قبل ما يقرب من قرن من الزمن، ومنها ما طبع بمصر عام ١٣٠٢ تقريباً، وطبع منها ديوانه في اندونيسيا عام ١٩٢٤. وما زال اكثر مؤلفاته مخطوطاً،اما المطبوعة فتكاد تكون نادرة الوجود يعسر الحصول عليها الآن، ولم يُعد طبع شيء منها على رغم اهميتها.

هذه قائمة ببعض مؤلفاته المطبوعة المعروفة التي عثرنا عليها:

١ ـ رشفة الصادي في فضائل بني النبي الهادي.

٢ ـ فتوحات الباحث.

٣ ـ العقود اللؤلؤية في اسانيد السادة العلوية.

٤ ـ الترياق النافع.

٥ ـ اقامة الحجة على التقي بن حجة.

٦ ـ اسعاف الطالب.

٧ ـ نوافح الورد.

٨ ـ الورد القطيف شرح الورد اللطيف.

٩ ـ ذريعة الناهض، وقد شرحها بعض علماء اليمن.

١٠ ـ النظام في المنطق.

١١ ـ تحفة المحقق.

١٢ ـ كشف النقاب عن وجهة الصواب.

١٣ ـ الشهاب الثاقب على السباب الكاذب.

١٤ ـ الارجوزة.

١٥ ـ رفع الخيط عن مسائل الضغط.

١٦ ـ التنوير.

١٧ ـ التذكير.

١٨ ـ وجوب الحمية من مضار الرقية.

١٩ ـ الديوان.

اما المخطوطات كما حدثني بعض الاخوة فمنها:

٢٠ ـ الشجرة العلوية.

٢١ ـ الديوان الحميني.

هذه بعض مؤلفاته التي عرفناها او عثرنا عليها او سمعنا عنها من بعض الاخوة ممن يملكون هذه الكتب، والمعلوم ان هذه الكتب التي ذكرناها الّفت في سنوات متفاوتة من سني حياته، منها ما الّفه وهو في شرخ شبابه ومنها ما كتبه وهو في مرحلة نضوجه ومنها عندما وصل الى مرحلة شيخوخته، وكذا كانت قصائده التي قالها في مناسبات عديدة خلال الاعوام المديدة من سني حياته، وكلها تصور الادوار التي عاشها وصارعها.

والمعروف وكما يتحدث به الاخوة ان للسيد ابن شهاب مؤلفات اخرىٰ متعددة المواضيع ولكني لم اقف عليها، فقد قيل ان مؤلفاته تزيد عن الاربعين كتاباً. اما محاضراته وخطبه فكان يلقيها ارتجالا ولم يدوّن منها الا اليسير جداً، ولو كان الامر كاليوم حيث وجود آلة التسجيل لكانت محاضراته وخطبه التي كان يلقيها مجموعة كبيرة تضاهي مؤلفاته.

مكتبته

تظم مكتبة السيد بن شهاب بحيدر آباد الدكن بالهند انفس الكتب من امهات المراجع العلمية من مطبوعات ومخطوطات وتعد من كبريات المكتبات الشخصية الخاصة والتي تضاهي مكتبات الجامعات العالمية.

عندما تاحت لي الفرص في زيارتي للهند عام ١٩٧٣ حرصت كل الحرص علىٰ الذهاب الى حيدر آباد لزيارة اسرة المغفور له السيد ابن شهاب، وكان يرافقني في هذه الزيارة الاستاذ محمد منور نينار الاستاذ بجامعة جواهر لال نهرو في نيودلهي والعلامة الباحثة السيد عبدالله مديحج المقيم بحيدر آباد، وكانت أول مرة اجتمع فيها باحفاد السيد ابن شهاب وبحضور من الفضلاء بينهم السيد عبدالله خمور والسيد العيدروس.

بحثت مع احفاد السيد ابن شهاب بحضور السادة المذكورين قضية مكتبة جدهم وما فيها من المخطوطات القيمة النادرة التي لا تقدر بثمن، وهي تراث اسلامي عظيم، واقترحت عليهم:

اولاً ـ وجوب المحافظة التامة علىٰ هذهِ الكتب، والعناية بها وصيانتها من التلف والضياع، فلا تكون عرضة للارضة وعدم التصرف فيها حفظا لهذا التراث القيم الذي مضى عليه اكثر من نصف قرن من وفاة المغفور له وذلك خدمة للعلم وارضاء لروح الفقيد وبراً به، وبذلك نصون التراث خدمة للأُمة لينتفع الناس به ويستفيد طلبة العلم والباحثين منه.

ثانياً ـ بما أنّ الاوضاع في حيدر آباد حالياً غير مرضية بجانب قلة من يهتم بامثال هذه الكتب، وعدم اكتراث الشباب بهذه القضية لانشغالهم بامور الحياة الصعبة

وتكاليفها الباهضة المرهقة، ثم وجود ضغوط خفية من الدولة وارباب النفوذ من البراهمة على المسلمين وعرقلة سير الدعوة الاسلامية، وكان بطبيعة الحال ان ينصرف الناس عن هذه الكتب وينعدم إقبالهم عليها، كان من المستحسن حفظاً لهذا التراث الاسلامي من التلف ولعدم الامن في المستقبل من مصادرة الحكومة لهذه المكتبة او ضمها الى المكتبات الحكومية، أن تباع هذه المكتبة بكاملها لاحدى المكتبات العالمية الكبيرة او مكتبات الجامعات لتضمها الى مكتبتها وبذلك تحفظ هذه الكتب وينتفع بها الناس وطلاب العلم والباحثين والمؤلفين وغيرهم، وفي الوقت نفسه نرضي السيد ابن شهاب.

نال اقتراحي هذا رضى الاحفاد واستحسان الحاضرين ووافق الجميع ممن حضر على هذا الاقتراح. ووعدتهم باتيان من يرغب في امتلاك هذه المكتبة بكاملها شراءً نقداً. وتكررت زيارتي بعد تلك الجلسة لهذه الاسرة خلال اقامتي بحيدر آباد. وقد تم موضوع بيع المكتبة بالرضى والاستحسان، وقمنا بزيارة ضريح المغفور له السيد بن شهاب وكان يرافقني في هذه الزيارة السيد عبدالله مديحج وكان هو الدليل، وموقع الضريح في ساحة مسجد جامع سلطان القعيطي، سلطان حضرموت الساحل.

غادرت الهند وفي اثناء رحلاتي كنت اعرض هذه المكتبة علىٰ من اتوسم فيه الخير لاقتنائها. ومن حسن الصدف بعد مضي فترة قصيرة من الوقت التقيت بالسيد حسن مدرسي وشرحت له الامر فوعدني خيراً، وسعى لتحقيق هذه الامنية، ورغبت احدى الحوزات العلمية في ايران في اقتناء هذه المكتبة بكاملها بشروط، وهي كما يلي:

١ ـ الثمن يتفق عليه بقرار من لجنة خاصة وبرضا الطرفين البائع والمشتري.

٢ ـ يدفع الثمن نقداً وفوراً.

٣ ـ يتحمل المشتري جميع التكاليف واجور التعبئة والنقل والشحن وما اليها

من المصاريف الاخرى.

على هذا تم الاتفاق، وبدأ السيد حسن مدرسي والحوزة العلمية يعدّان العدة لتنفيذ شراء المكتبة بكاملها. وسافر السيد حسن مدرسي الى الهند ووصل الى حيدر آباد موفداً من قبل الحوزة العلمية لاتمام الاجراءات اللازمة في انهاء شراء المكتبة ونقلها الى ايران بموجب الشروط المتفق عليها.

مضى وقت واذا بي افاجأ برسالة من السيد حسن مدرسي يخبرني انه فوجئ بصدمة عنيفة عندما وصل الى حيدر آباد واجتمع باحفاد السيد ابن شهاب عندما ابلغوه ان الكتب كلها شحنت وارسلت الى المكلا باليمن الجنوبي الديمقراطي.

وواقع الامر انه حدثت ظروف طارئة لأسرة السيد ابن شهاب بعد انتظار، خامرهم الياس والشك، وحبّب اليهم احد القادمين من جنوب الجزيرة والموفد من قبل حكومة عدن عدم بيع المكتبة، فمن الاصلح حفظاً لهذه الكتب الكثيرة والقيمة إهداؤها الى احد المعاهد العلمية بجنوب الجزيرة. وبالفعل شحنت الكتب كلها في صناديق عديدة وارسلت الى المكلا. وقد قام بتجهيزها وتحمل مصاريفها بعض المحسنين.

وصلت الكتب الى المكلا والبلاد تحت سيطرة الحكم الماركسي الشيوعي، وقد قيل ان الدولة صادرت الكتب طبقاً للتعاليم الماركسية التي تحارب الاديان والمبادئ الاخرى باعتبار هذه الكتب كلها سامة مخدرة للعقول يمنع تداولها وقراءتها، ما عدا الكتب الماركسية الشيوعية.

لا يعلم احد مصير هذا الكتب، وتعدّدت الاقاويل، فمنها قول انها احرقت بكاملها لئلا تتعب الرقابة من مراجعتها بحجة انها كتب سامة، ومنها انها جمعت وضمت الى كتب المكتبة العامة للدولة. وهكذا كانت الخسارة فادحة عامة.

١ ـ ضياع الكتب وعدم انتفاع احد بها، وفقدان تراث كبير بفقدها وهي اكبر خسارة.

٢ ـ الخسارة المادية، فلم تنتفع اسرة السيد ابن شهاب بشيء منها.

٣ ـ التكاليف التي تحملها المحسنون لشحن الكتب الى المكلا ضاعت هباء.

قضي الامر وفات الاوان وعاد السيد حسن مدرسي بعد تحمل مشقة السفر، آسفاً خائباً، وعاد من حيث اتى بخفي حنين يعض اصابعه ندماً من ضياع المكتبة فوق ما تحمله من المتاعب ومشقة الاسفار والتنقلات وما صرف لاجلها من مصاريف.

بعد عودته الى ايران بعث الي برسالة جاء فيها:

بسمه تعالى

الى اخي في الله العلّامة الجليل الاستاذ محمّد اسد شهاب:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ارجو ان تكونوا علىٰ صحّة وعافية كاملتين وأن يديم الله عليكم نعمه وان يرزقكم خير الدنيا والآخرة. فانّي لا انسى مالك عليّ من الفضل فيما قمت به من تكريم وحفاوة لاخيك والمخلص لك اثناء تشرفي لاداء العمرة في رجب من هذه السنة. وإن هذا إلّا تعبير عن اصالتك ونجابتك ودليل على فضائلك الجمة وانتسابك الرّوحي والنّسبي إلى آل البيت صلوات الله عليهم. ومالي ازاء خلقك الرفيع وادبك الجليل سوى ان ادعو إلى الله ان يكثر من امثالك وان يمنّ علينا ببقائك.

وبعد فان كان علىٰ ذكرك سألتني ان اسافر الى الهند لحمل كتب العلّامة السيد ابي بكر بن شهاب الدين ﷺ ونقلها الى ايران لان تبقى ذكرى خالدة له في احدىٰ المكتبات العامة. وقد وفّقني الله لهذا السفر في شهر ذي القعدة المنصرم فذهبت الى الحبيب احمد بن عبدالله مديحج في حيدرآباد وسلّمته كتابك الذي كتبت له بواسطتي إلّا انه اخبرني انّ الكتب نقلت الى حضرموت قبل سبع سنوات فرجعنا بخفي حنين....

آل البيت النبوي عليهم السلام

السيد ابن شهاب ممن تملك قلوبهم حب الرسول سيد البشر سيدنا محمد ﷺ، وخامر عواطفه وجوب الدفاع عنه وآل بيته الطاهرين الميامين رضوان الله وسلامه عليهم اجمعين، بعقيدة راسخة وايمان قوي، يتجلى ذلك واضحاً في احاديثه وما يلقيه من محاضرات وما في مؤلفاته، منها: رشفة الصادي في بحر فضائل بني النبي الهادي[1] وما يجده القارئ في قصائده الكثيرة المثبتة في ديوانه المطبوع وغير المثبت منها، واحاديثه خصوصاً بعد بلوغه مرحلة النضوج وتجاوزه سن الاربعين من عمره الى ايام شيخوخته. ففي قصيدته التي يمدح فيها رسول الله النبي المصطفى محمداً ﷺ ميزة ظاهرة وبارزة لا نرى هذه الميزة لدى الكثيرين من الشعراء المادحين، لقد قالها بدافع العقيدة واحساساته المرهفة، فنلمس في كل بيت من ابيات تلك القصيدة العواطف الرقيقة والشعور الدافق الذي يقطر من نفسية الشاعر المليئة بالرقة والتأثر ويصور منتهى الحنو وهو راجع لسبب العلاقة الوثيقة النسبية، فوق الصلة الدينية التي يشارك فيها غيره ممن لا صلة لهم بالنبي نسباً ولا رحماً، فهو لا يثني مجرد ثناء فحسب ولكنه يحن حنو الطفل الرضيع الى امه وحنو الام الى طفلها الرضيع.

ففي ثنايا كلماته وعباراته نغمة عميقة مليئة بالعطف والود والولاء ولا غرو فهو يحن بروح الرحم وعاطفة البنوة المتسلسلة في بيت النبوة الي المصطفى ﷺ وكأنه يضرب على وتر لا يوجد في قيثارة غيره.

اذا اشتبكت دموع في خدود ... تبين من بكى ممن تباكى

---

(١) راجع فصل موضوع رشفة الصادي في هذا الكتاب.

الا تراه في مرثيته في الامام الشهيد علي ابن ابي طالبعليه السلام كيف ينوح ويتألم ويبكي ويحن ثم يثور غيرة وحمية وحماسة[1].

للسيد ابن شهاب مولفات كثيرة في آل البيتعليهم السلام كلها دراسات علمية وبحوث تاريخية، وكذا قصائده التي جاش بها صدره وتبلورت في مدائحه للنبيصلى الله عليه وآله وسلم ومراثية للامام عليعليه السلام وسائر الائمة من آل البيت النبوي الشريفعليهم السلام.

نأتي هنا بنتف ومقتطفات مما تعد فرائد عصماء من قصائده. ونستفتح بقصيدته التي ناجى بها سيد الانبياء الاصفياء نبينا محمدصلى الله عليه وآله عند تشرفه بزيارته بالمدينة المنورة عام ١٣٠٢هـ وكان عمره انذاك ٤٠ عاماً، وقف امام مقصورة الضريح الشريف وانشد قصيدته هذه جهراً امام الملأ من الزوار من جميع الاقطار وهم امام الضريح الطاهر والزوار يصغون اليه، وما ان أتمّ إلقاء قصيدته حتى تسابق الجمع الغفير من الزوار ينهالون عليه مسلمين بمزيد من الاعجاب والتقدير وطلبوا منه نص القصيدة وتناقلوها.

لقد كان الوضع في ذلك الزمن سمحاً، خلافاً للوضع الحاضر الذي يعتبر الزيارة والتقدير والتعظيم شركاً عظيماً لا يغتفر.

وقد شرح كثير من الادباء والعلماء هذه القصيدة وعلق عليها آخرون من الكتاب والمؤرخين، منهم الاستاذ المؤرخ السيد محمد ضياء شهاب، ولا يزال الكتاب مخطوطاً، ومطلع هذه القصيدة التي توسل بها الى النبي محمدصلى الله عليه وآله وسلم هو:

لذي سلم والبان لولاك لم اهوا ... ولا ازددت من سلع وجيرانه شجوا

ولولاك ما انهلت على الخد ادمعي ... لتذكار ما الروحاء تحويه من احوى[2]

ثم يصف السيد حالته عندما تشرف امام الضريح الطاهر لسيد البشر أنه كيف

---

(١) السيد صالح الحامد مجلة النهضة الحضرمية ـ سنغافورا العدد الحادي عشر عام ١٩٣٤.

(٢) الروحاء: موضع بين مكة والمدينة، وهو الى المدينة أقرب.

عرته هزة الجلال والعظمة، معتذراً عن تأخره عن اداء واجب الزيارة، فيقول:

وانـــي لتـــعروني لذكـــراك هـزة   كما اخذت سلمان من ذكرك العروا
وها انا قد وافـيت للـروضة التـي   بها نير الايـمان مـا انـفك مـجلوا
وقـــفت بـــذلي زائـــراً ومســـلماً   عليك سلام الخاضع الرافع الشكوى

يجد القارئ القصيدة بكامها وهي طويلة مثبتة في فصل (القصائد التي اوصى بها).

وقصيدة اخرى من جملة قصائده قالها في مدح سيد الكائنات النبي المصطفى محمد وآله عليهم افضل الصلاة وازكى التسليم. هذه القصيدة، وهي من روائع قصائده، عدد ابياتها ٤١ بيتاً بالحروف المهملة، وهي تدل على منتهى نبوغه الشعري ومطلعها:

ســـــاد رســـل الله طـــه احـــمد   مـــــصدر الكـــل له والمـــورد
هـــــو روح الله والامـــــر ومـــعـ   ـــــلو له العـــالم وهـــو المـــدد

والقصيدة هذه مثبتة ايضاً في فصل القصائد التي اوصى السيد بنشرها.

إن مرثيته في مولانا الامام علي بن ابي طالب﷣ التي حازت شهرة عـالمية، قالها في يوم ذكرى استشهاد الامام علي﷣ في ٢١ رمضان المعظم عام ١٣٠٦هـ وكان عمر السيد بن شهاب آنذاك ٤٤ عاماً، وقد اصبحت هذه المرثية العصماء الفريدة تتلىٰ في شهر رمضان من كل عام في ذكرى يوم استشهاد الامام﷣، ومن هذه المرثية:

قفا وانثرا دمعا على التـرب احـمرا   وشقا لعظم الخـطب اقـبية الكـرى
ولا تـــجعلا غـير الســواد ولبســه   شعاراً لتذكار المصاب الذي جرى
ولا تألوا جهدا عن النـوح والطـما   صدورا بها الايـمان اثـرى واثـمرا

ويستطرد في هذه القصيدة موجهاً خطابه الى الامام علي﷣ يشكو ويشرح له ما يلاقيه ابناؤه وسلالته واتباعه من طغيان الظلمة الذين يسعون لابادة هذه المجموعة من الوجود انتقاماً لما حدث في معركة بدر حيث يفتخر المنتقم يزيد الاموي بقوله:

لعبت هاشم بالملك فلا　　خبر جاء ولا وحي نزل
ليت اشياخي ببدر شهدوا　　جزع الخزرج من وقع الاسل
لأهلوا واستهلوا فرحاً　　ثم قالوا يا يزيد لا تشل
لست من خندف ان لم انتقم　　من بني احمد ما كان فعل

يقول السيد ابن شهاب وهو يخاطب الامام علياًعليه السلام فيما حدث وصار لابنائه وسلالته من بعده من ظلم الظالمين وطغيان الطاغين:

وبعدك جاءت ذات ودقين يا ابا　　تراب وجاءت بعد ام حبوكرىٰ
دماء بنيك الغر طلت وبدلت　　حفيظة قرباهم عقوقا مكفرا
لقد عم كرب الدين في كربلاء اذ　　بتربتها امسى الحسين معفرا

ويتلهف متأسفاً لتاخر عصره وعدم مشاركته في تلك المعارك، متمنياً لو تاحت له الظروف وحظي بحضور تلك الايام، لينضم إلىٰ صفوف آل البيت المجاهدين الميامين ومن معهم من الابرار، واسمعه اذ يقول:

ويا ليتنا في يوم صفين والذي　　يليه شهدنا كي نفوز ونظفرا
ونشرب بالكأس الذي تشربونه　　فاما واما او نموت فنعذرا

وكلها مليئة بالحماسة المتدفقة والعواطف السامية.

امله الوحيد في حياته

ليس للسيد ابن شهاب امل في حياته بعد ادائه فريضة الحج واداء العمرة والتشرف بزيارة سيد الكونين المصطفى خير البشر سيدنا ونبينا محمدصلى الله عليه وآله وسلم بالمدينة المنورة سوى شيء واحد فقط، هو زيارة العتبات المقدسة بالنجف الاشرف حيث مثوى سيد الاوصياء امير المؤمنين الامام علي بن ابي طالبعليه السلام ثم كربلاء حيث مثوى سيد الشهداء الامام الحسينعليه السلام، هذه الامنية ظلت تراود نفسه وتؤجج قلبه وهو يعاني

منتهى الحسرة، شاعراً بشيء من النقصان اذ لم تتح له ظروف الوصول إلى هناك لزيارة تلك البقاع الطاهرة. تتجلى امنياته تلك في احاديثه وفي قصائده، اذ يصور فيها مشاعره المعبرة عن عمق احساساته الدفينة، فيقول:

وهل لي الى ساح الغريين زورة — لاستاف ريّا رندها وبشامها
اذا جئتها حرمت ظهر مطيتي — وحررتها من رحلها وخطامها
واخلع نعلي في طواها كرامة — لساكنها الثاوى أريض اكامها
اذا شاهدت عيناى انوار قبة — بها مركز الاسرار قطب انتظامها
سجدت اليها سجدة الشكر خاشعاً — وعفرت وجهي من شذي رغامها
هنالك ذات المرتضى ومقرها — وجنة مأواها وحسن مقامها

وقبل ان يختتم السيد قصيدته هذه، التي يجدها القارئ كاملة في فصل آخر من هذا الكتاب، وجّه السيد التماسه مخاطباً الامام علي بن ابي طالب معتذراً عن التقصير ومؤملاً منه الحضوة:

اليك ابا الريحانتين مديحة — بعلياك تعلو لا بحسن انسجامها
مقصرة عن عشر معشار واجب الثـ — ـناء وان ادت مزيد اهتمامها
مؤملة زلفى لديك وحظوة — ومعذرة عن عيها واحتشامها
وازكى صلاة بالجلال تنزلت — من المنظر الاعلى واذكى سلامها
على المصطفى والمرتضى ما ترنمت — على عذبات البان ورق حمامها
وفاطمة الطهر التي المجد كله — محيط بها من خلفها وامامها
وسبطي رسول الله ريحانتيه والـ — ـائمة من اعقابه وفئامها
واصحابه الموفين ايمان عهده — وبيعته في بدئها واختتامها

الغدير[1]

لما بلغ السيد ابن شهاب ٦٨ عاماً من عمره وهو متمتع بروحية النضال الوثابة المليئة بنشاط الشباب، انشأ هذه القصيدة في عام ١٣٣٠ وتليت قراءتها في حفل عيد الغدير في وصف وثناء امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام. وعدد ابياتها (١١٠) أبيات وهو العدد الابجدي المطابق لاسم مولانا امير المؤمنين علي عليه السلام. وسميت القصيدة «النبأ اليقين» وتعرف بالقصيدة الغديرية لان الهدف والقصد الاول هو التطرق لذكر تنصيب النبي محمد صلى الله عليه وآله للامام علي عليه السلام بالخلافة من بعده فهو وليه ووصيه. وبيعة ١٨الغدير هو الحدث التاريخي العظيم الذي امتلأت به بطون امهات كتب التاريخ، والذي يحاول انكاره ضعفاء النفوس الحاقدون.

القيت هذه القصيدة أول مرة في الحفل العظيم امام الجمع الغفير من معظم الشخصيات والطبقات البارزة من علماء ورجال التربية والساسة في الهند، نالت الاستحسان والتقدير وتناقلها المعجبون ونسخها الناسخون وتناولتها الايدي وانتشرت بصفة واسعة في جميع الاوساط في المهجر الشرقي وجنوب الجزيرة، ولمع نجم السيد ابن شهاب.

مطلع هذه القصيدة:

خذو الحذر ان تطّوفوا بخيامها　　　وان تجهروا يوما برد سلامها

وما زال السيد يسترسل في مدحه للامام علي عليه السلام حتى يصل الى لب الموضوع فيطرقه بقوله:

اليس بخم عزمة الله امضيت　　　الى الناس انذاراً بمنع اختصامها
بها قام خير المرسلين مبلغاً　　　عن الله امراً جازماً بالتزامها

---

(١) لمن يريد المزيد من الاطلاع في هذا الموضوع عليه مراجعة كتاب (الغدير) للعلامة الشيخ الاميني في احد عشر مجلداً.

الست بكم اولى ومن كنت صادع   بمن هو مولاها وحبل اعتصامها
هو العروة الوثقى التي كل من بها   تمسك لا يعروه خوف انفصامها
اما حبه الايمان نصا وبغضه   جلي امارات النفاق وشامها[1]
اما حبه حب النبي محمد   بلى وهما والله ازكى انامها

سواد العين

هذه المرثية العصماء المسمّاة «سواد العين» في استشهاد مولانا الامام الشهيد ابي عبدالله الحسين بن علي(ع)، وهي مرثية مشهورة متداولة ومعروفة بين اوساط محبي آل البيت واتباعهم، تتلى في مجالس المآتم الحسينية يوم ذكرى استشهاده في العاشر من شهر محرم كل عام، وتقرأ ايضاً في مناسبات اخرى، ومطلع هذه المرثية:

براءة بر في براء المحرم   عن اللهو والسلوان من كل مسلم
فهل خامر الايمان قلب امرئٌ يرى   بتلك الليالي لاهياً ضاحك الفم

ويسترسل السيد ابن شهاب الى ان يقول:

فهاجت جماهير الضلال واقبلت   بجيش لحرب ابن البتول عرموم
تألب جمع من فراش جهنم   غواة يرون الشرك اكبر مغنم

ثم يصف الحسين البطل المغوار التي ابت نفسه الكريمة الا العز والشرف والكرامة بقوله:

ابت نفسه الشماء الا كريهة   يموت بها موت العزيز المكرم

ثم يوجه السيد ابن شهاب خطابه الى تلك الاسرة الحاقدة التي تكره الاسلام بقوله:

فيا اسرة العصيان والزيغ من بني   أُمية من يستخصم الله يخصم

---

(١) شامها: يريد علاماتها، وهي جمع شامة.

هدمتم ذرى اركان بيت نبيكم لتشييد بيت بالمظالم مظلم

الى ان يقول:

ولا بدع ان حاربتم الله انها لشنشنة من بعض اخلاق اخزم

ونازعتم الجبار في جبروته ولكنه من راغم الله يرغم

ثم يصف السيد ابن شهاب غيظه تأسفاً من عدم المشاركة في المعركة الشريفة حيث الطغيان في محاولته لطمس الحق وابادته:

وإنا وان كنا من الضيم والاسى وفرط التلظي نمزج الدمع بالدم

فلسنا الألىٰ ننحو بندب سراتنا نياح الغواني خفن سوء التأيم

ولكننا غيظاً نعض اكفنا لما فاتنا من ثأرنا المتقدم

ثم يوجه السيد ابن شهاب خطابه الى النبي محمد خير البرية ويشكو له عبث الايادي الاثيمة بآل بيته بعد وفاته:

نبي الورى بعد انتقالك كم جرى ببيتك بيت المجد والمنصب السمى

دهتهم ولما تمض خمسون حجة خطوب متى يلممن بالطفل يهرم

ثم يقول:

فكم كابد الكرار بعدك من قلىً وخلف الى فتك الشقي ابن ملجم

ثم يقول السيد ابن شهاب بعد ان يسترسل في شكواه: إنه يعظم كل من عظمه النبي محمد ﷺ، حيث يقول:

نعظم من عظمت ملء صدورنا ونرفض رفض النعل من لم تعظم

هاج النواصب فكالوا عليه التهم بانه رافضي لقوله: نرفض رفض النعل، وفي هذا الموضوع يقول السيد ابن شهاب من قصيدة طويلة:

قال لي بعض مدعي العلم ممن اضرم الحمق بين جنبيه نارا

هل ترفضت قلت لم ادر ما الرفـ ـض لديكم حقيقة واعتبارا

الى آخر القصيدة.

يقول السيد محمد بن عقيل: وقد ولع اخابث النواصب وسفهاؤهم باطلاق كلمة الرفض على كل موال لاهل البيت معاد لاعدائهم.

وعلق الاستاذ المؤرخ السيد صالح العامدي عل هذه القصيدة التي يجدها القارئ كاملة في فصل خاص بالقصائد التي اوصى السيد بنشرها في مكان آخر من هذا الكتاب. يقول السيد الحامدي: رحمك الله يا بن شهاب، ليس الثأر ثأرك، ولا ثأري انا، ولا ثأر هاشمي ومطلبي، ولكنه ثأر محمدﷺ وترة كل من أُشرب في قلبه دين محمدﷺ وحب محمدﷺ، وتلك فتن يأتي الله بها مقاييس يقاس بها عمق الايمان، وبعد فماذا؟

تلك اسرار، وفي طيها اسرار، وقد ذهب الظالم والمظلوم، وعند الله تختصم الخصوم، اما نحن فنشارك في تمني أنه لو أُتيح لنا ان نشهد في صف آل محمدﷺ تلك الوقائع ونخوض معهم تلك المعامع ونشرب بالكأس الذي يشربونه، فاما واما او نموت فنعذرا.

تتلى هذه المرثية الحسينية المعروفة بقصيدة (سواد العين) في كل مناسبة في مجالس العزاء الحسينية.

الثناء العاطر

هذه احدى قصائد السيد بن شهاب التي اوصى بها للنشر، وجل قصائده التي اوصى بها تتعلق بآل البيت النبوي الطاهر عليهم السلام وهذه القصيدة التي سماها «الثناء العاطر على اهل البيت الطاهر عليهم السلام» تتكون من ٩١ بيتاً وهي من القصائد المطولات.

اشتهر السيد ابن شهاب بمدائحه للنبي محمد وآل بينه عليهم السلام. فكان له بسبب ذلك ما رفعه الى سدة شاعر آل البيت. وبهذا اشتهر وعرف، فطار صيته، وله في مدائحه لآل

البيت فن خاص رائع، ومنحىً مستقل ممتاز بأسلوبه الاخاذ في شعره، فلم يكن تابعاً لغيره بل ظل متشبثاً متمسكاً بطريقته الخاصة واسلوبه المعروف بسمو المعنى وشائق العبارة، وسلاسة التركيب حيث تنعكس فيه روح الشاعر ونفسيته من حب ودفاع واستماتة، والمأمول من الجيل الصاعد ان يتولى ويقوم بشرح واف لقصائد السيد ابن شهاب.

وقصيدته هذه المسماة بالثناء العاطر مطلعها:

دع ذكر ايام الشباب الراحل وحديث لابسة الحلى والعاطل

ويستطرد في ابياته الى ان يقول:

واملأ ضميرك من محبة سيد الـ ـكونين هادينا الشفيع الكافل
وبحب صهر المصطفى ووصيه واخيه حيدرة الشجاع الباسل
ذي العزم ساقي الحوض مولى المؤمنيـ ـن الحبر علام القضاء الفاصل
والدرة الزهراء فاطمة التي بعد الرسول قضت بحزن الثاكل
ذات السيادة مطلقاً بالنص لا يأباه غير مكابر متحامل
والسيدين اللابسي حلل الشها دة من فريق في الشقاوة واغل
خانوا بقتلهما الامانة والديا نة، لكن الجبار ليس بغافل

ثم يصف اهل الكساء الذين نزلت فيهم الآيات البينات وانهم حجة الله على الناس اجمعين وهم الآيات البينات الكبرى، وماذا يقول الجاحد؟

اهل الكساء الخمسة الاشباح حـ ـجة ذي الجلال على المريب الداجل
هم بينات الله، هم آياته الـ ـكبرى لارغام الجحود الجافل

ثم يصف الاحاديث المروية عن آل البيت عليهم السلام المعروفة بالسلسلة الذهبية وكيف اخذوا عن النبي اخذاً مباشراً متسلسلاً من إمام الى إمام إليه صلى الله عليه وآله:

الآخذي علم الرسول شريعة وحقيقة من فاضل عن فاضل

منهم يشم شذى النبوة بالولا ... دة والوراثة والسلوك العادل

وهم الائمة والأدلة يوم تز ... دحم الخلائق كالجراد العاظل

شرف النبوة والعروج ورؤية الـ ... ـباري تبارك والكتاب النازل

شرف الى العرش انتهى، فامامه ... تقف الثوابت وقفة المتضائل

من لم يصل عليهم فصلاته ... بتراء في اسناد اوثق ناقل

اثنى عليهم ذو الجلال فكل ما ... نثني به تحصيل امر حاصل

ثم يصف فضائل آل البيتﷺ بما مجّدهم الله به في القرآن الكريم من سورة (هل اتى) وتطهير ذواتهم تطهيراً كاملاً شاملاً:

في هل اتى تمجيدهم وبآية الا ... حزاب قطع لسان كل مجادل

من سبق تطهير الذوات ومن ذها ... ب الرجس عن ماضيهم والقابل

ويبشر السيد ابن شهاب محبي آل البيتﷺ ومؤدي حقوقهم بالجزاء الاوفى من الله عزوجل:

وعلى محبيهم لواء الحمد يخـ ... ـفق بالامان من العقاف الهائل

وبعد ذلك يصف الذين يستحلون بغض الآل بأن مثلهم كمثل كلاب السوء التي تبول في المساجد وان نور الشمس لا يطمسه دخان، وهم ليسوا الا ككلاب السوء او كحمار السوء المعربد وكلا السوأين لا يضران ولا ينفعان.

مثل الذين استحلى اذى بيت الرسو ... ل كجرو سوء في المساجد بائل

ولربما سود الكلاب على البدو ... ر تهر ان منيت بداء عاضل

ايضر اشعال الدخان لطمس نو ... ر الشمس بل تعشى عيون الشاعل

واذا حمار السوء عربد ناهقاً ... ايحط من قدر الجواد الصاهل

هذه القصيدة طويلة كما ذكرنا، وانما أوردنا منها بعض الابيات لنعطي للقارئ الصورة الواضحة الحقيقية لروح السيد بن شهاب، ونود في هذه المناسبة لفت نظر

القارئ الى البيت الذي وردت فيه الصلاة على آل البيتعليهم السلام من هذه القصيدة، وذلك قوله:

مـــن لم يـــصل عـليهم فـصلاته بـــتراء فـــي اســـناد اوثـق نـاقل

لان الصلاة على الآل مقرونة بالصلاة على النبي محمدصلى الله عليه وآله وسلم، إذ عندما سئل النبي محمدصلى الله عليه وآله وسلم: كيف نصلي عليك؟ أجابصلى الله عليه وآله وسلم بقوله: قل: «اللهمّ صلِّ على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد».

هذه هي الصلاة كما امرنا بها النبي محمدصلى الله عليه وآله وسلم وهي الصلاة المعروفة بالصلاة الابراهيمية، كما نهى النبي محمدصلى الله عليه وآله وسلم عن الصلاة البتراء اي حذف ذكر الآل. وفي هذا الموضوع يقول الامام محمد بن ادريس الشافعي:

يــا آل بـيت رسـول الله حـبكم فـرض مـن الله فـي القـرآن انـزله

كفاكـم مـن عـظيم القـدر انكـمو من لم يـصلِّ عـليكم لا صـلاة له

بشرى للمحبين

بشرى للمؤمنين الذين يقتفون آثار النبي محمدصلى الله عليه وآله وسلم وآل بيته الكرام بأن لهم مستقبلاً أخروياً زاهراً، وهنيئاً لهم بذلك المقام الاعلى مع المصطفى الرسول الاعظم وآل بيته الميامين، يقول السيد ابن شهاب فيهم:

بشرى مؤدي حقهم بـالشرب مـن حـــوض تـــتم بـه نـجاة النـاهل

يحار الانسان ويتعجب من القوم الذين يكرهون آل بيت النبي الميامين، وهم يتلون القرآن تكراراً، وفيهم يقول السيد:

عجباً لمـن يـتلو الكـتاب مكـرراً وحديث انسـان الوجـود الكـامل

فيرى ويسمع ثم يـجحد مـجدهم حسـداً و تكـذيباً لأصـدق قـائل

افيرحم الجبار من يؤذي بني مختاره هيهات ليس بفاعل

وللسيد ابن شهاب ابيات اخرى في مبغضي آل البيت عليهم السلام وهم الذين اسودت قلوبهم لكراهيتهم للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم فكرهوا ايضاً اهل بيته.

اما الذين يوالون آل بيت النبوة عليهم السلام فيقول عنهم السيد ابن شهاب:

ومن دينه حب النبي وآله بيوم التنادي كيفما كان يقبل

فحب النبي وآله هو النهج القويم والطريق السوي وهو الصراط الحق للذين انعم الله عليهم بالخير العميم، ولذا يحث السيد الناس على محبة الرسول وآل بيته صلى الله عليه وآله وسلم:

وكن محب محبيهم وناصرهم فبغضهم وجلال الله يؤذيه

ووال بالود من والى خليفته والزم عداوة من اضحى معاديه

يقصد السيد من سياق واضح العبارة وجوب موالاة الخليفة امير المؤمنين الامام علي بن ابي طالب، وموالاة الائمة من بعده، وعلى المرء أن يملأ قلبه وضميره بمحبة النبي وآله. يقول السيد:

واملأ ضميرك من محبة سيد الـ ـكونين هادينا الشفيع الكافل

وبحب صهر المصطفى ووصيه واخيه، حيدرة الشجاع الباسل

ذي العزم ساقي الحوض مولى المؤمنيـ ـن الحبر علام القضاء الفاصل

وبهذا الصدد رد السيد ابن شهاب على ابن الكلواذي الناصبي الذي تطاول على مقام آل البيت لبغضه لهم وكان يحسب انه قادر على مس كرامتهم، فرد عليه السيد بقصيدة مطلعها:

قل لابن كلواذي وخيم المورد اوقعت نفسك في الحضيض الاوهد

وفي نهاية القصيدة يقول السيد:

ان المحب مع الحبيب مقره ولسوف تعلم مستقرك في غد

فعليكما سخط الاله ومقته وعلى الذي بك في العقيدة يقتدي

آل بيت النبوة

يقول السيد ابن شهاب في كتابه رشفة الصادي صفحة (١٣٤) عن آل بيت النبوة الكرام ما يلي:

ولما رأيت ألسن المحبين بمدائحهم لاهجة، وقلوبهم لسماعها مرتاحة ومبتهجة، وشاهدت لأئمة البلاغة الى ذلك البيت المعمور ولوجاً، ولمخدرات القرائح الى ذلك الفلك العالي صعوداً وعروجاً، ولا يكاد المعاني في تلك الرياض الانيقة دخولاً وخروجاً، وكنت قديماً لفقت ابياتاً تشبثت فيها بخدمة ذلك الجناب الرفيع، وتشبهت فيها باهل الادب، ولكن انى يدرك الضالع شأو الضليع، استخفني على اثباتها الطرب لحديث المرء مع من احب.

وهذه نتف من القصيدة التي اشار اليها السيد، ومطلعها:

من غرامي بقرطها والقلاده   ان امت مغرما فموتي شهاده

وبعد ابيات طويلة يتخلص الى ذكر آل بيت النبوة بقوله:

آل بيت الرسول اشرف آل   في الورى انتم اشرف ساده

انتم السابقون في كل فخر   اسس الله مجدكم واشاده

واستمر السيد في مدح آل بيت النبوة الى ذكر فضلهم وفضائلهم بالكمال والشمول ثم يقول:

من يصلِّ ولم يصل عليكم   فهو مبدٍ لذى الجلال عناده

معشر حبكم على الناس فرض   اوجب الله والرسول اعتماده

ويستطرد السيد الى ذكر الأئمة ﷺ واصفاً موقفهم يوم الحشر والنشر حاملين الوية الحمد الخفاقة ومحبوهم من ورائهم شاكرون حامدون آمنون مستبشرون:

وبكـم ايـها الائـمة فـي يـو　　م التـنادى عـلى الكـريم الوفـاده

يـوم تأتـون واللـواء عـليكم　　خـافق مـا اجـلها مـن سياده

والمـحبون خـلفكم فـي امـان　　حين قول الجحيم هـل مـن زيـاده

فـاز والله فـي القـيامة شـخص　　لكـم بـالوداد أدّىٰ اجـتهاده

كل مـن لم يـحبكم فـهو فـي النـا　　ر وان اوهـنت قـواه العـباده

خاب من كـان مـبغضا أحـداً منـ　　ـكم ومن قـد اساء فـيه اعـتقاده

ظـل مـن يـرتجى شـفاعة طـه　　بـعد ان كـان مـؤذياً اولاده

ويختتم السيد ابن شهاب قصيدته هذه بقوله:

وعـليهم مـن الرسـول سـلام　　ليس يحصي سوى الكـريم عـداده

يقول السيد ابن شهاب في كتابه رشفة الصادى صفحة (١٣٧) عن قصيدته هذه بعد ان نقل الكثير من القصائد في مدح آل البيت الطاهر من قصائد فحول الشعراء المتقدمين والمعاصرين ما يلي:

اقول: وفيما نقلته من الابيات من النظم في هذه الوريقات، نزهة رائقة، لخواطر المحبين، ورشفة من صبيب ذلك العذب المعين، واشارة الى ما وراء ذلك مما مدح به اهل البيت الاطهار، وإيماء الىٰ ما نظم في حقهم من الشعر الذي لا تحتمله كبار الاسفار، وجناب النبي ﷺ يسع جوائز الجميع، والمقدم الى حضرته وحضرات اهل بيته لا يضيع، وقد اصغىٰ عليه الصلاة والسلام الى بانت سعاد وقد كسا كعباً البردة عند الانشاد.

* * *

الشجرة العلوية:

اهدى احد سراة العلويين للسيد ابن شهاب كتاب (الشجرة العلوية) وبعد اطلاعه عليه، كتب في الحال أبياتاً على ظهر الكتاب، نقتطف منها ما يلي:

فروع سمت بالمجد من دوحة العليا لها الصب يصبو لا لهند ولا ميا
فاكرم بها من دوحة طاب اصلها ومن سلسبيل الوحي طاب لها السقيا
ومن حيدر اعني ابن فاطمة الذي اذا صال لم يغلب وان قال لم يعيا
وفاطم والريحانتين ومن جرى من النسل جري الاصل اكرم به جريا
اولئك حزب الفضل من آل هاشم بناة العلى ليسوا عدياً ولا طيا
وعنهم حديث المجد يروى وفيهم مواريث طه العلم والحلم والفتيا
عليهم مدار الحق بل وبهديهم تناط امور الشرع اثباتاً او نفيا

الحب والولاء:

الحب والولاء، والبغض والكراهية، ضدان متعاكسان لا يجتمعان، والمحب مع من احب، والحب النقي لله تعالى يدفع بالمحب للولاء والاخلاص له والاستماتة من اجله، ومحبة الله تدفع المؤمن الى المحبة والاخلاص لنبيه رسول الرحمة ﷺ والدفاع عنه بالمال وبكل ما اوتي من قوة، ذلك هو الحب الصادق، وحب النبي ﷺ يمتزج حتمياً بحب آل بيته ﷺ والى ذلك يشير السيد ابن شهاب ويقول:

حب اهل البيت قربه وهو اسمى الحب رتبه
ذنب من والاهم يغـ ـسله مزن المحبه
والذي يبغضهم لا يسكن الايمان قلبه
علمه والنسك رجس عسل في ضرع كلبه
لمن الله عدوّ الآ ل ابليس وحزبه

يقول السيد حسين حامد المحضار في مؤلفه عن السيد ابن شهاب:

ان مذهب السيد ابن شهاب هو مذهب العالم المهتدي السائر على النهج النبوي على ضوء صحيح المنقول وصحيح المعقول.

النجاة

ان الايمان بالحق والدفاع عنه ومحاربة الباطل هو السبيل الوحيد الى النجاة واليه يدعو السيد ابن شهاب ويحث الجميع للتشبث بمحبة النبي محمدﷺ المنقذ الاعظم باتباع اوامره والابتعاد عن نواهيه وانتهاج منهج النبي المصطفىﷺ واهل بيته عليهم السلام والاقتداء بهم وباعمالهم والسير على طريقهم وموالاتهم، وآل البيت عليهم السلام هم العترة الطاهرة الذين ورثوا علم النبي محمدﷺ، وكل من سلك طريقتهم نجا من الضلال.

اذا كنت ذاعين الى المجد رامقه	ونفس الى اسمى المراتب تائقه
عليك بحب المصطفى من بهديه	ودعوته نجّى الجليل خلائقه
وايده بالمعجزات فاصبحت	براهينه للشرك بالحق ماحقه
وحب الوصي المرتضى حيدر الذي	له هجمات في المواقف خارقه
وتعظيمك الزهراء سيدة النسا	فليس لها منهن في الفضل لاحقه
وحب الشهيدين اللذين اعتدت على	حياتهما غلف من الدين مارقه
واولادهم حمال اسرارهم وحا	فظي الدين من كيد الفئات المفارقه
وهم كابر عن كابر قد توارثوا	غوامض علم المصطفى وحقائقه
اولئك اهل البيت والعترة الأُلىٰ	بفضلهم الآي الكريمة ناطقه
وعن جدهم قد جاء ان وجودهم	امانٌ لئلّا تصبح الارض غارقه
وان محبيهم بيوم الجزاء في	معيتهم اذ راية الحمد خافقه

ومبغضهم حشو الجحيم وهل ترى — لهم مبغضاً الا القلوب المنافقه
وكم اورد الحفّاظ اخبار فضلهم — بنقل ابانوا عزوه وطرائقه
الوف من الاعلام دانوا ودوّنوا — جلائل ما امتاز وابه ودقائقه
بتقبيل ايديهم نوال المنى لمن — له نية التعظيم للمجد سائقه
ولكن اذا لم يرضه ابن[1] فحبذا — ودعواه حقا خلة غير لائقه
فكن مخلصا في حبهم كي تنير في — فؤادك من افق العنايات بارقه

بنو الزهراء:

من الكتب التي الفها السيد ابن شهاب، كتاب (رشفة الصادي من بحر فضائل بني النبي الهادي) الّفه في عنفوان شبابه، واسلوبه في هذا الكتاب اسلوب المتقدمين الذين يتخذون السجع في العبارات، طبع اول طبعة عام (١٣٠٣هـ) بالقاهرة وفيها بعض اخطاء وهنات ليست من عنده، ربما كانت متعمدة، فقد تبرأ السيد منها، فلا يخلو الأمر من ايد اثيمة تلاعبت بحذف كلمة اضاعت المعنى والمقصد وإضافة كلمة اخرى اخلت بالمعنى وعكست الواقع فاضاعت الهدف. ولم يطبع الكتاب بعد تلك الطبعة الى الآن فأصبح من الكتب النادرة.

ذكرنا في فصل خاص هذا الكتاب بعنوان (رشفة الصادي) بيّنا فيه الحقيقة واماطنا اللثام لازالة الشك من الاذهان. والكتاب في مجموعه كتاب قيم، يحتج به كثير من الباحثين والعلماء الاعلام منهم العلامة حجة الاسلام السيد شرف الدين الموسوي مؤلف كتاب النص والاجتهاد والمراجعات وغيرها من مؤلفاته الشهيرة، وكذا السيد العلامة آية الله شهاب الدين المرعشي يعتبر كتاب رشفة الصادي من الكتب المعتبرة المعتمد عليها، راجع رسالته المثبتة في هذا الكتاب.

---

(١) المضاف محذوف يقدره القارئ.

أثبت السيد ابن شهاب هذه القصيدة في مقدمته لكتابه رشفة الصادي، وهي ايضاً مثبتة في ديوانه المطبوع، حيث يصف بني الزهراء بقوله:

هم الراقون في اوج الكمال ... وهم اهل المعارف والمعالي
وهم سفن النجاة اذا ترامت ... باهل الارض امواج الضلال
امان الارض من غرق وخسف ... وحصن الملة الصعب المنال
وهم في غرة الدنيا بدور ... تسامت بالجميل وبالجمال
وهم ساداتنا من غير شك ... فنحن عبيدهم وهم الموالي
كفى خبر الوصية انهم والـ ... ـكتاب معاً الى يوم الجدال
وان محبهم في الحشر ناج ... من النيران ذات الإشتعال
بنو الحسنين للثقلين شادوا ... قصور المجد والرتب العوالي
بنو الزهراء افضل كل انثى ... وحيدرٍ السميدع للنزال
بنو الهادي وبضعته التي لا ... تقاس لدى التفاضل بالمثال
عليهم بعد جدهم صلاة ... وتسليم ورحمة ذي الجلال

الائمة:

ان الذود والدفاع عن النبي واهل بيته امر محتم مفروض على كل فرد من المسلمين بدون استثناء، فالنبي والائمة هم خلاصة الخلاصة، والائمة هم الآخذون ارث الرسول بالتلقي والاجازة، يروون الاحاديث النبوية عن اب وجد مسلسلة الى النبي محمد ﷺ، تلك الاحاديث التي يطلق عليها اسم السلسلة الذهبية، وبهذا يحث السيد ابن شهاب كل مسلم على موالاة النبي محمد ﷺ وآل بيته عليهم السلام فيقول:

لُذْ بالنبي وبالأئمة من بني ... علوي الغر الهداة الحائر
فهم الخلاصة من سلالة احمد ... ومعين فياض الندى المتواتر

والآخذو إرث الرسول اجازة وتلقيا من كابر عن كابر
والمقتفون سبيله قَدَماً على قدم الى القدم الشريف الطاهر
حتى انتهى سر النبي مسلسلاً فيهم الى اهل الزمان الحاضر
يروون عن آبائهم عن جدهم عن جبرئيل عن العزيز الفاطر
وهم بحور العلم فاض اذيها[1] من ذلك البحر المحيط الزاخر
تحيي بها موتىٰ القلوب ولم تزل تسقي حدائق كل قلب عامر
بمعارف وعوارف ولطائف وعواطف من ذي الجلال الغافر
ومواهب ومناقب ومراتب وغرائب وعجائب للناظر
وبدا هناك من الحقيقة حقها في سرّ سير باطن عن ظاهر
بمشاهدٍ تصفو لكل مجاهد وموارد عذبت لكل موازر
ومدارك ومناسك ومسالك للقوم لم تسلك لغير الضامر
وبذلك امتزج الراح بالـ ـماء الاوائل منهم بالآخر
فاسلك سبيلهم وزرهم والتزم شرط التأدب في وقوف الزائر
ثم الصلاة على النبي وآله والصحب ماهب النسيم الحاجري

(١) اي موجها.

كيف الخلاص؟

ان الاسراع للتوبة والاعتراف بالخطيئة هو المسلك السوي للعودة الى الصراط المستقيم لكسب رضا الله الغفور الرحيم، والى هذا الموضوع يشير السيد ابن شهاب في قصيدة طويلة نقتطف منها ما يلي:

حـتى مـتى الرجـعىٰ الى الغـفار … والى مـتى التسـويف بـالاعذار
وعلام تـحجم ان تـتوب فـينمحي … درن الذنـوب بـماء الاسـتغفار
كيف الخلاص وما الوسـيلة للـنجـ … ـاة سوى الحبيب المصطفى المختار

ويختتم السيد قصيدته الطويلة هذه بهذه الابيات:

وارفـع اذى مـتمردي جـيرانـها الـ … ـغاوين واقـطع شأفـة الاشـرار
وعليك بعد المـصطفى واخـيه والـ … ـزهراء والحسـنين صـلى البـاري
والعـترة الاطـهار اقـمار السـرى … ومـهاجري الاصـحاب والانـصار

الامام جعفر الصادق عليه السلام:

يقـول العلامـة السيد محمـد بن عقيل صاحب المؤلفات ما يلي: احتج السنة في صحاحهـم بجـعفر الصادق عليه السلام الا البخـاري فكـأنه اغـتر بما بلغه عن ابن سـعد وابن عياش وابن القـطان في حقـه على انـه احتج بمن قـدمنا ذكـرهم (اي بـعض شياطـين النواصـب ومنافقيهم) وهنا يتحير العـاقل ولا يـدري بـماذا يـعتذر عـن البخاري.

ويقول السيد ابن عقيل في كتابه العتب الجميل على اهل الجـرح والتـعديل، المطبوع في صيدا ـ لبنان عام ١٩٤٢ في صفحة ٣٣ ما يلي:

وقـول القـطان آنفا فـي الامـام جـعفر الصادق عليه السلام: «ومجالد احب الي مـنه»

كلمة جافة مؤذية، ومجالد بعينه هو مجالد بن سعيد الهمداني وقد ذكره في تهذيب التهذيب وذكر مقالاتهم، ومنه تعلم في اي درك انزلوا عالم اهل البيت الطاهر، والله المستعان.

واسمع الآن ما يقوله السيد ابن شهاب:

قضية اشبه بالمرزئه ... هذا البخاري امام الفئه
بالصادق الصديق ما احتج في ... صحيحه واحتج بالمرجئه
ومثل عمران بن حطان او ... مروان وابن المرأة المخطئه
مشكلة ذات عوار الى ... حيرة ارباب النهى ملجئه
وحق بيت يممته الورى ... مغذّة في السير او مبطئه
انّ الإمام الصّادق المجتبى ... بفضله الآي أتت منبئه
اجل من في عصره رتبة ... لم يقترف في عمره سيئه
قلامة من ظفر ابهامه ... تعدل من مثل البخاري مئه

ان كراهية وبغض آل البيتﷺ داء وبيل اجتث القلوب السقيمة، والنفوس المريضة ينبعث نتنها بدون شعور المرء المبغض مهما حاول إخفاءه، وكل اناء بما فيه ينضح.

القصائد التي اوصى بها:

للسيد ابن شهاب قصائد كثيرة لا تحصى، فهو المعروف بالشاعر المكثر في انشاء القصائد الطويلة، وقد يرتجل القصائد في المناسبات، وجل قصائده من النوع الجيد والممتاز، ولا تمر عليه مناسبة دون ان يقول شعراً، حتى قيل عنه الشاعر المكثر والشاعر القصصي. وما جمع في ديوانه هو الجزء اليسير مما استطاع جمعه القائمون

بطبعه في اندونيسيا. مع ان مركز عمله ومكتبته كان في حيدر آباد بالهند. جل اشعاره متفرق هنا وهناك، لم يعتن بها كما لم يهتم بها غيره. ما عدا القصائد التي اوصى بها، فهي متداولة بين الأيدي وله مراسلات نثراً وشعراً كان يبعثها الى زملائه ولم تكن لديه مسوداتها، فان وجدت فلدى المرسل اليه اذا كان ممن يحتفظون بالرسائل، لان العصر الذي عاش فيه لم تكن معروفة فيه اساليب نقل الرسائل وحفظها وطبعها بالآلات الحديثة.

القصائد التي احتفظ بها السيد هي قصائد قيلت بمجموعها في آل البيت النبوي الطاهر مدحاً او رثاء، جمعها ورتبها واوصى بنشرها ولا تزيد عن خمس وعشرين قصيدة.

إننا نقدر جهود القائمين علىٰ في جمع ما يمكن جمعه من تلك القصائد المتناثرة والمتفرقة في وقت قصير بعد وفاة المرحوم مباشرة حفظاً لتراثه من الضياع. ولو لا ما بذلوه من جهد لما طبع الديوان ولضاعت القصائد كما ضاعت سابقاتها.

من القصائد المفقودة التي لم نعثر عليها قصائده الارتقيات من حرف الظاء الى حرف الياء ومجموعها اثنتا عشرة قصيدة، وهي من روائع قصائده. أما الارتقيات من الالف الى الطاء فهي مثبتة في الديوان ومجموعها ست عشرة قصيدة، كلها تتسم بسمو المعنى ومتانة التركيب وسلاسة الاسلوب على منوال ما هو مثبت. ارجو ان يجدها الغير في وقت لاحق لتضاف وتكمل ما نقص حتى تتم الارتقيات كما نظمها السيد وكذا بعض قصائده الاخرى التي لا تزال مفقودة ومجهولة المصير. وما وجدنا منها فقد الحقناه بقصائده واشرنا إليه.

هذه هي القصائد التي اوصى بها للنشر مستهلاً إياها بقصيدة في مدح النبي

المصطفى خير البشر محمد ﷺ، وعدد ابياتها بيتان ومئة وهي مليئة بالحنو والعاطفة والشوق له ملتمساً فضله وفيض بركاته العميمة، جاءه زائراً مسلماً تائباً مقدماً شكواه فجاشت نفسه بكل ما يكنه قلبه من آلام من معاكسة بني قومه ومعاناته اذاهم وعداوتهم له، فقد نفد صبره وضاق صدره راجياً من الله النصر. وقد شرح القصيدة وعلق عليها تعليقاً وافياً لغة وتأريخاً، اخي المؤرخ البحاثة السيد محمد ضياء شهاب فجاء بمجلد ضخم لا يزال مخطوطاً.

لذي سلم

القصيدة الاولى الغراء في مدح سيد الاصفياء ﷺ:

لذى سلم والبان لولاك لم أهوا ... ولا ازددت من سلع وجيرانه شجوا
ولولاك ما انهلت على الخد ادمعي ... لتذكار ما الروحاء تحويه من احوى[1]
فانت الحبيب الواجب الحب والذي ... سريرة قلبي دائما عنه لا تطوى
وانت الذي لم أصب الا لحسنه ... ولم يله عن ذكراه سري ولو سهوا
وحيث اتخذت القلب مثوىً ومنزلاً ... ففتشه وانظر سيدي صحة الدعوى
أورّي اذا شبّبت يا ظبي حاجر ... بزينب او سلمى وانت الذي تنوى
واني وان نلت المنى منك نازحاً ... على البعد عن مغناك مولاي لا أقوى
أبي الحب الا أن أذوب صبابة ... وغصن شبابي كاد للبين ان يذوى
تحملت أثقالاً بها أطّ كاهلي ... من الشوق لا يقوى على حملها رضوى[2]
وبي بين أحناء الضلوع لو اعج ... تنادر في الاحشاء جمر الغضا حشوا
إلامَ احتمالي بالنوى مضض الهوى ... وحتامَ أفلاذي بنار الجوى تشوى[3]
ثكلت حياتي أن أقمت ولم أقد ... مطية عزمي نحو منزل من اهوى
خليلي من فهرٍ أجيبا منادياً ... الى الفوز يدعو لا للبنىٰ ولا علوىٰ
وكونا لدى الترحال والحط رفقة ... لنضو اشتياق يمتطي للسرى نضوا[4]

---

(١) الروحاء: موضع قرب المدينة.

(٢) يقال: اطّ البعير اذا أنّ تعباً أو حنيناً، فاستعاره هنا للكاهل.

(٣) مضض الهوى: ألمه.

(٤) النِضْو: المهزول من الابل وغيرها.

فـيـاحبذا ازمـاعنا السـير تـرتمي بنا ... اليعملات السـهل والشـقة الشـجوا[1]

بـإرقالها نـرمي الفـجاج ونـقطع الـ ... ـهضاب ونطوي في سرانـابها الدوا[2]

ونهوى بـها ولاشـوق يـحدو قـلوبنا ... مجدين حـتى نـبلغ الغـاية القـصوى

وما الغاية القصوى سوى المنزل الذي ... لحـصبانه العـيوق يـغبط والعـوّا

حـاب بـها القرآن والوحـي نـازل ... وجـبريل فـي أرجـائها يـنشر الألوا

بـلاد بـها خـير البـرية ضـارب ... سـرادقه واخـتارها الدار والمثوى

مـدينة خـير المـرسلين وخـاتم النـ ... ـبين والهـادي الى الاقـوم الاقـوى

حـبيب إله العـرش مأمـونه الذي ... بـغرته فـي الجـدب تسـتمطر الانـوا

نـبي بـراه الله مـن نـور وجـهه ... وأوجد منه الكـون جـلّ الذي سـوى

وابـرزه مـن خـير بـيت أرومـة ... وأطـهرهِ ذاتـاً واشـرفه عـزوا[3]

لآبـاء مـجد يـنتمي ولأمّـها ... ت عـزنجيبات الى امـنا حـوا

وبـانت لدى مـيلاده ورضـاعه ... بـراهـين آي لا تـرد لهـا دعـوى

ومـنذ نشـا لم يـصب قـط ولم يـزغ ... ولم يأت مـحظوراً ولم يـحضر اللـهوا

الى أن أتـاه الوحـي بـالبعثة التـي ... بـرحـمتها عـم الحـضارة والبـدوا

فأضحت به الاكوان تـزهو وتـزدهي ... ولا بدع ان تـاهت سـروراً ولا غـروا

واسرى بـه الرحـمن مـن بـطن مكـة ... الى القدس يـختال البـراق بـه زهـوا

فـقدمه الرسـل الكـرام وهـل تـرى ... لبكـر العـلا غـير ابـن آمـنة كـفوا

وزج بـه والروح يـخدمه الى ... طباق السما والحجب من دونه تطوى

الى الملأ الاعـلى الى الحـضرة التـي ... بـها ربـه نـاجاه يـا لك مـن نـجوى

---

(١) الشجواء: الصعبة.

(٢) الدوّ: الفلاة.

(٣) عزاه الى كذا عزواً: نسبه، وعزا هو اليه: انتسب، فقوله: عزواً أي انتساباً.

فأولاه مـــا أولاه فـــضلاً ومـــنة … وأشـهده بـالعين مـا جـل ان يـروى
وفـي النزلة الاخـرى تـجلى إلهـه … لدى سدرة مـن دونـها جـنة المأوىٰ
فما كـان أزهـىٰ ليـلة قـد سـرىٰ بـها … وعاد ولما تـبدُ مـن فـجرها الأضـوا
فأكـرم بـمن أضـحى بـمكة داعـياً … وأمسى الى عـرش المـهيمن مـدعوّا
أتـى وظـلام الشـرك مـرخ سـدوله … وبالناس عن نهج الرشاد عمى أروى[1]
فـما زال يـدعوهم بـحكمة ربـه … الى اليـمن والايـمان والبـر والتـقوى
واصـبح يـتلو سـيد الكـتب بـينهم … فـيالك مـن تـال ويـالك مـتلوّا
فأعـجز أربـاب البـيان بـديعه … وأخـرسهم رغـماً والغـى بـه اللـغوا
تـنبئهم عـن كـل عـلم سطوره … وتخبرهم بـالغيب مـن آيـه الفـحوى
فـصدقه أهـل السـوابـق والألىٰ … أتـيح لهـم أن يشـربوا كـاسه صـفوا
وكـذبه قـوم عـن الحـق قـد عـموا … وصموا بـإعجاب النـفوس وبـالطغوا
فسـفه أحـلام المشـايخ مـنهم … وآذوه لمـا عـاب ديـنهم الالوى
فـهاجر مـن بـطحاء مكـة سـارياً … وباتت عيون القوم عـن نـوره عشـوا
فـما راعـهم الا الصـباح وأن رأوا … على رأس كـل مـنهم التـرب مـحثوا
وأم مـع الصـديق أكـالة القـرى … تلين له الشجوا وتـطوى له الفـجوا[2]
فشـرّف إذ وافـىٰ مـنازل طـيبة … وسكـانها والتـرب والمـاء والجـوا
وألقـى عـصا التسـيار إذ أحسـنوا له … وللمؤمنين الاوس والخـزرج المأوى
وفيها فشـا الاسـلام وانـبجست بـها … عيون الهدى والحق وانزاحت الأسـوا
ونـاصره الانـصار فـيها وآمـنوا … به وارعووا عن جهلهم أحسن الرعوى
وقاتل مـن لم يـدخل الديـن طـائعاً … وشـن عـلى اعـدائـه الغـارة الشـعوا

---

(١) اسم امرأة بالمدينة حلفت كاذبة فدعا عليها سعيد بن زيد الذي اقتطعت ارضه بيمينها فعميت فضرب المثل بها.

(٢) أكالة القرىٰ هي المدينة، والشجواء: الصعبة، والفجواء: ما اتسع من الأرض، ويُقصران ضرورة للشعر.

وفــرق شــمل المشــركين بــعزمه ... ثُباتٍ فما اسـطاعوا لتـمزيقه رفـوا[1]
وقــاد اليــهم جـحفلاً بـعد جـحفل ... ووالى عــليهم فـي ديـارهم الغـزوا
يــصبّحهم مــن صــحبه بــفوارس ... يرون مذاق الموت ان جـالدوا حـلوا
يـخوضون لج الهـول عـلماً بأن مـن ... نجا من حتوف الحـرب تـقتله الادوا
مآثــر تــروى عـن حـنين وخـيبر ... وعن أحد والفـتح والعـدوة القـصوى
ولمْ لا وهم في نصر من سبح الحصى ... بكــفيه والاشـجار جـاءت له حـبوا
وكــلمه ضب الفــلاة وســلمت ... عليه ولانت تحت اخمصه الصـفوا[2]
وحــن اليــه الجـذع شـوقاً وإنـنا ... من الجذع اولى ان نحن وان نجوى[3]
فأي فــؤاد لم يــهم فــي وداده ... وأيــة نـفس لا تــزال بــه نشـوى
ولما شكـا العـافون مـا حـل عـندما ... بأنــيا بـها عـضتهم السـنة السـنوا[4]
دعـا فـاستهل الغـيث سـبعاً بـصيّب ... مـريع سـقى سـفل المـنابت والعـلوا
فأيــنعت الاثــمار فـيها وأخـرجت ... غثاء مـن المـرعى لأنـعامهم أحـوى
وعم العباد الخـصب وانـجاب عـنهم ... بـدعوته البأســاء والقــحط واللأوا
أتى نـاسخاً ديـن اليـهود وشـرعة الـ ... ـنصارىٰ وأحـيا بـالحنيفية الفـتوى
فــما لغـلاة السـبت أبـدوا جـحوده ... عــناداً وفـي التـوراة أنـباؤه تـروى
ومــا للــنصارى انكـروا بـعثة الذي ... بأخــباره الإنـجيل قـد جـاء مـملوا
فــبعداً لكــم أهـل الكـتابين إنكـم ... ظــللتم عـلى عـلم وآثـرتم الأهـوا
ولا بدع أن يرضى العمى بالهدى من ار ... تضى الفوم والقـثاء بـالمن والسـلوى

---

(١) رفا الثوب رفواً: أصلحه.
(٢) الصفواء: الحجر الضخم الصلد.
(٣) جوي جوىً: حزن.
(٤) سنة سنواء: شديدة.

ومن يبتغ التثليث ديناً فلن ترى
له أذنا للحق واعية خذوا[1]

ولو أنهم دانوا بدين محمد
وملته لاستوجبوا العز والبأوا[2]

ألا يا رسول الله يا من بنوره
وطلعته يستدفع السوء والبلوى

ويا خير من شدت اليه الرحال من
عميق فجاج الارض تلتمس الجدوى

اليك اعتذاري عن تأخر رحلتي
الى سوحك المملو عمن جنى عفوا

على أن خمر الشوق خامرني فلم
يدع فيّ عرقا لا يحن ولاعضوا

وإنــي لتعروني لذكراك هزة
كما أخذت سلمان من ذكرك العروا

وما غير سوء الحظ عنك يعوقني
ولكنني احسنت في جودك الرجوا

وها أنا قد وافيت للروضة التي
بها نير الايمان ما انفك مجلوا

وقفت بذلي زائراً ومسلماً
عليك سلام الخاضع الرافع الشكوى

صلاة وتسليم على روحك التي
اليها جميع الفخر أصبح معزوّا

عليك سلام الله يا من بجاهه
ينال من الآمال ما كان مرجوا

عليك سلام الله يا من توجهت
الى سوحه الركبان تطوي الفلا عدوا

عليك سلام الله يا سيداً سرت
بهيكله العضباء ترفل والقصوا[3]

سلام على القبر الذي قد حللته
فأضحى بأنوار الجلالة مكسوا

اليك ابن عبدالله وافيت مثقلاً
بأوزار عمر مر معظمه لهوا

غفلت عن الاخرى وأهملت امرها
وطاوعت غي النفس في زمن الغلوا[4]

ومنك رسول الله ارجو شفاعة
تغادر مسودّ الصحائف ممحوا

ولي في عريض الجاه آمال فائز
بما رامه من فيض فضلك مبدوا

---

(١) اذن خذواء أي خفيفة السمع.

(٢) البأو: الفخر.

(٣) العضباء والقصواء: اسمان لناقتيه ﷺ.

(٤) الغُلواء، وتسكن اللام: اول الشباب.

ومــن سـرك ابـذر فـي فـؤادي ذرة لأرجـــع بـــالعلم اللـــدني مـــحبوا
على عتبات الفـضل انـزلت حــاجتي وتـــالله لا يـــمسي نـــزيلك مـجفوا
وقـــد صـح لي مـنك انـتماء ونسـبة اليك لسان الطعن مـن دونـها يكـوى
وانت الذي تؤوي النـزيل وتكـرم الـ ـسليل وترعى الجار والصهر والحموا
وقد مسني مـن اهـل بـيتي وبـلدتي اذىً وكـــثير مـــنهم اكـــثروا العـدوا
فكن مـنصفي فـالصبر ضـاق نـطاقه وخذلي بحقي يا بـن سـاكـنة الأبـوا
وقـــابل بألطـــاف القـــبول مـــديحة مـــبرأة عـن وصـمة اللـحن والإقـوا
بـــمدحك تـــزهو لا بـــرونق لفـظها وترجو على الاتراب ان تدرك الشأوا[1]
تـــؤمل ان يســـقى مـــحررها غـــداً من الكوثر المورود كأسـاً بـها يـروي
وصـلى عـليك الله مـا انـهل صـيب من المزن فاخضلت بـجناته الجـنوى
صـــلاة كـما تـرضى مـعطرة الشـذا تفوح بها في الكون رائـحة الغـلوى[2]
ويســـــري الى أرواح آلك ســــرها وصحبك والاتباع في السر والنـجوى

---

(١) الشأو: السبق.

(٢) الغلوى: الغالية، وهي ضرب من الطيب.

سيد الكائنات

القصيدة الثانية بموجب ترتيب فقيدنا الشاعر في مدح سيد الكـائنات النـبي الاعظم محمدﷺ. تمتاز هذه المديحة الفريدة بكونها مهملة الحروف اي أنها خالية من الحروف المنتقطة. ليس من السهل كتابة صفحة واحدة نثراً بالحروف المهملة فكيف اذا كانت شعراً موزوناً ومقفىً؟

تتكون هذه القصيدة من ٤١ بيتاً، بينما يعجز البعض عن انشـاء عـدة ابـيات بالحروف المهملة، وهذا نوع من تفنن وقدرة شاعرنا ونبوغه في الشعر والادب.

ســـاد رســـل الله طــه احــمد	مــــصدر الكـــل له والمـــورد
هـــو روح الله والامـــر ومــعـ	ـــلوله العـــالم وهــو المــدد
كـــامل لمـــا ســرى الهــمه	عــلم مــا اللــوح حواه الصـمد
للـــورى هـــادٍ وللأمـــلاك والـ	ـــملأ الاعـــلى الامـــام الاوحـد
وله الكـــــرار ردء حـــامل	عـــلم الاســلام وهــو الامــرد
صــهره المـملوء عــلماً صــدره	وله العـــم الهـــمام الاســـد
وعــلى الاعــدا حســام صــارم	ســـلّه الله ورمــــح امـــلد
والطــــهور الطــهر لو لا حــلمها	لدهـــى الاســلام هــول اســود
وعـــلى كـــل امـــاء الله طـ	ـــرا لهـــا والله صـــح السـؤدد
وإمـــاما العـــدل مــا ودهــما	وله الحـــمراء مأوىً احـــد[1]

---

(١) يقصد الشاعر بكلمة الحمراء النار.

ولدا الحـوراء مـرحـىٰ لهـما   مـعصم المـعصوم مـهد امـهد[1]

حـاملا الاسـرار مـا سـاءهما   سـاء طـه والصـراط المـوعد

عـلما عـلم عـلى مسـطور امـ   ـرهما صـال العـدو المـلحد

لا رعـى الله الأُلىٰ عـادوا رسـو   ل الهـدى لولا هـواهـم لهـدوا

اسـلموا طـوعاً وكـرهاً ورأوا   عـودهم اولى الى مـا عـودوا

هـم اولو ارحـامه لارحـموا   مكـرهم ارداهـم والحسـد

وعـلى حـل عـرى الاسـلام والسـ   ـلم مـرداً وكـهولاً مـردوا

صـرموا العـهد أسـالوا دم او   لاده والآل طـراً هـددوا

عـاملو السـوء لهـم مـا عـملوا   ولهـم حـر السـموم المـوصد

واصـل الله عـلى اهـل الكسـا   ء سـلاماً وعـلى مـا ولدوا

هـم لعـمر الله اعـلام العـلى   وهـم أُس الهـدى والعـمد

مـلأوا الامـصار عـلماً واسـعاً   وله أعـلىٰ عـماد اطـدوا

كـم أمـالٍ حـرروها ومـعا   ل مـحال حـصرها والعـدد

وحسـود سـاءهم صُـمَّ صـدا   ه واصـماه الاسـى والكـمد[2]

كـرم الاصـل الى الأولاد سـا   رٍ ولو طـال المـدى والامـد

وسرى الاولاد مسرى الاصـل حـا   ل مـحل لهـم مـا وعـدوا

مـدحهم والطـور والمسـطور والـ   ـحرم المـعمور اوحـى الاحـد

شُـوَر مـحكمها كـالدهر والـ   ـحمد اطـراء لهـم مـطرد

طـهروا والإصـر مـمحو كـما   حكـم الله المـمد المسـعد

كـل راء سـامع والاهـم   ولوى الرأس الاصـم الارمـد

---

(١) كلمة مدح تقال للرامي المصيب.

(٢) يقال: أصم الله صداه اي اهلكه.

مــــرسلو دمـــعهم مـــهما دَعَـــوا سحراً او هــــللوا او حــمدوا
ولهــــم درس كـــلام الحكـــم الـــعدل راح والمــصلى المــعهد
حـــــرم الله عـــلى الحـــمراء لحـــمهم مـــهما ســـواهــم وردوا
كـــــرم الواســـع لا مـــا عـــملوا ومـــــراد الله لا مــــا حـــصدوا
مـــعهم حـــول لواء الحـــمد كـــل مـــوالٍ وعـــداهـــم طـــردوا
كـــــلما امّ حــــماهم آمـــــل حـــصل الســــعد له والســـدد
أصــــلح اللـــهم اكـــرامـــاً لهـــم كـــل حـــام ومـــحام وحـّــدوا
واعـــد رحـــماك للاســـلام حـــو لاً وطـــولاً وســـمواً عـــهدوا
وكـــد الاعـــداء واردهـــم حســـاري اساری عمدوا أو هـودوا
وعـــلى اهـــل الكســـاء الله صـــلیٰ دوامـــاً والســـلام الســـرمد
مـــا دعـــا داع ومـــا ســـاع سـعی وحـــدا حـــاد وصـــاح الهـــدهد

الامام علي بن ابي طالبؑ

بعد مدحه سيد المرسلين، سيدنا ونبينا وحبيبنا محمدﷺ، تأتي مباشرة بالترتيب الموصى به هذه القصيدة العصماء وهي مرثية في مولانا امير المؤمنين وامام المتقين سيدنا علي بن ابي طالبؑ بموجب امره في حياته وترتيبه بدون فاصل بعد النبي محمدﷺ، ومن هنا يتضح كل الوضوح ما يذهب اليه.

انشاء هذه المرثية في ٢١ من شهر رمضان المعظم عام ١٣٠٦هـ بمناسبة ذكرىٰ استشهاد امير المؤمنين الامام عليؑ، وتقرأ هذه القصيدة سنوياً من هذا الشهر في مجالس خاصة لمحبي آل البيت ومواليهم.

انشأ هذه المرثية بروحه المتأثرة واحساسته المنكسرة، تتفجر منه ا لآلام والاحزان من ثنايا كل كلمة من الكلمات. ومن مطلع المرثية يظهر منتهى تأثره العميق من الفاجعة، آلمته وتوجع منها ثم حث على لبس السواد ونثر الدموع وشق الاقبية لهذا المصاب الأليم. والسيد ابن شهاب لا يصانع ولا يجامل اذ يقول بوضوح في اعداء آل البيتؑ ومخالفيهم من النواصب:

وتباً لقوم خالفوك وزخرفوا — لاشياعهم زوراً من القول منكرا

وتباً لمن والاهم وارتضاهم — أئمته في الدين يا بئس ما اشترى

وصب عليهم ربهم سوط نقمة — وجرعهم طين الخبال وتبرا

ثم يقول باعتزاز وافتخار بعقيدته ومبدأه انه من الموالين للامام عليؑ يحب من احبه ويعادي من عاداه:

نوالي مواليكم ونقلي عدوكم — ونجتث عرق النصب ممن به اجترى

وهذه هي القصيدة كاملة:

قفا وانثرا دمعاً على الترب احمرا وشقا لعظم الخطب اقبية الكرى
ولا تجعلا غير السواد ولبسه شعاراً لتذكار المصاب الذي جرى
ولاتألوا جهداً عن النوح والطما صدوراً بها الايمان اثرى واثمرا
وما النوح مجدٍ في الخطوب وإنما يخفف من نيرانها ما تسعرا
وما كل خطب يخلق الدهر حزنه وينسخه كر الجديدين مذ عرا
ألم تريا ما في قلوب أولي التقى لفقد وصي المصطفي سيد الورى
اذا مضت العشرون من رمضانه تصدع فيها كل قلب تذكرا
مصاب به الايمان اضحى مكبلاً وامسى به الاسلام منهدم الذرى
بضربة اشقى الآخرين ابن ملجم دم الراس فوق العارضين تحدرا
دم لو مزجت البحر منه بقطرة لاصبح مسكاً ذلك البحر اذفرا
فيا ضربة اهوت بضاربها ومن يواليه في الكفر الصريح الى الثرى
ويا ضربة عنها الامين ابن عمه بصادق وحي الله نبّا وخبرا
فجاء لها ليث الكتائب موقناً بها لم يشب ايقانه دونها امترىٰ
ولم يلتفت اذ ناحت الوز دونه ليمضي أمرا في الكتاب مقدرا
هو الحين لكن حكمة الله اشقت الـ ـمرادي وخصت بالشهادة حيدرا
والا فما قدر الخبيث اللعين ان يساور بازاً او يصاول قسورا
بسبق القضا نالت يد الكاب هامة تهاب شبا اسيافها اسد الشرى
فآه على ضو النبي وصهره وثانيه ايام التحنث في حرا
وأعلم اهل الارض بعد ابن عمه واعظمهم جوداً ومجداً ومفخرا
واولهم من حوض الايمان مشرباً وارفعهم في محف الزهد منبرا
واضربهم للهام في حومة الوغى اذا ازّ قدر الحرب كر وكبرا

اذا قـارع الابـطال ظـلت نـفوسهم ... تَـردّد بـين الاسـر والقـتل مـهدرا
الا يـا امـير المـؤمنين وسـيد الـ ... ـمنيبين أن جـن الدجـىٰ وتـعكرا
عـليك سـلام الله يـا مـن بـهديه ... تـبلجت الانـوار والحـق اسـفرا
وتـباً لقـوم خـالفوك وزخـرفوا ... لأشياعهم زوراً مـن القـول مـنكرا
وتـباً لمـن والاهـم وارتـضاهم ... ائمته في الدين يا بئس ما اشـترى
لئن ظـفروا مـن هـذه الدار بـالذي ... أرادوا فـإن المـرء يـحصد مـا ذرا
وبعدك جاءت ذات ودقين يـا ابـا ... تـراب وجـاءت بـعد ام حـبوكرىٰ
دمـاء بـنيك الغـرّطلت وبـدلت ... حـفيظة قـرباهم عـقوقاً مكـفرا
لقد عم كرب الدين فـي كـربلاء اذ ... بـتربتها امسـى الحسـين مـعفرا
على حين قرب العهد بالوحي اصبحت ... مواثـيق طـه فـيه مـحلولة العرىٰ
ومن دونـه العـباس خـرّ مـجندلاً ... فـيا لأخ والى فـاودى فـاعذرا
ولا بدع ان نالوا الشـهادة بـل لهـم ... بيحيى وعيسى اسوة بالذي جـرى
لتذكار ذاك اليـوم فـلبيك كـل ذي ... فـؤاد بـه خـط السـعادة سـطرا
فكـم مـاجد مـن آل بـيت مـحمد ... تـحكم فـيهم نـابذو الديـن بـالعرا
ومـن لس الاقـينة او حـظيّة ... قـصاراه او عـوداً وخـمراً ومـيسرا
ضـغائن فـي سـود الكـلاب أمـية ... اكنت بها مـن بـدر الغـدر مـضمرا
مـواليـد سـوء حـاربوا الله عـنوة ... وفي الارض عاثوا مفسدين تـحبرا
على ظالمي آل الرسول صـواعـق ... من اللعن مـا لبـى الحـجيج وكـبرا
على ظالمي آل الرسول وهـم هـم ... شآبـيب لعـن كـلما بـارق شـرا
وصب عـليهم ربـهم سـوط نـقمة ... وجـرّعهم طـين الخـبال وتـبرا
الا يـا ذوي المـختار انـا عـصابة ... نـمتّ اليكـم بـالولادة والقـرا[1]

---

(١) يريد والقرابة.

نـوالي مـواليكـم ونـقلي عـدوكم ونجتث عرق النصب ممن به اجترىٰ
ويا ليـتنا فـي يـوم صـفين والذي يـليه شـهدنا كـي نـفوز ونـظفرا
ونشـرب بـالكاس الذي تشـربونه فــاما وامــا او نــموت فــنعذرا
بني المصطفى طبتم وطاب ثـناؤكم رثــاءً ومــدحاً بــالبديع مــحبرا
فلا زلت مهما عشت ابكي عـليكم وانــظم دراً مـن ثـناكـم وجـوهرا
ودونكـم عـذراء نـظم بكـم زهت يـــحق له اوالله ان تـــتبخترا

النبأ اليقين

القصيدة المسلسلة الرابعة من الترتيب، في مدح امير المؤمنين الأمام علي بن ابي طالبعليه السلام وسماها «النبأ اليقين في مدح امير المؤمنين»، وعدد ابياتها (١١٠) أبيات وهي من القصائد المطولة، وعدد ابيات هذه القصيدة كعدد اسم الممدوح، انشأ هـذه المديحة في عام ١٣٣٠هـ تقرأ هذه القصيدة في شتى المناسبات. ويقول السـيد ابـن شهاب ان الناس مهما بلغوا ما بلغوا من سمو المكانة فانهم مقتدون بالامام عـليعليه السلام مصداقاً لقول الرسول الاعظم نبينا محمدصلى الله عليه وآله «علي مع الحق، والحق مع علي» وقول الامام علي عليه السلام: «سلوني قبل ان تفقدوني» والسيد ابن شهاب يقول:

مذهبي مذهب الوصـي ابـيالسبـ ـــطين، فـالحق دائـر حـيث دارا

وفي معنىً ان الناس اتباع للامام عليعليه السلام يقول السيد ابن شهاب ملخصاً أياه في هذا البيت:

فكل امرئ من سابقي امـة الهـدىٰ وان جـــل قـــدراً مـــقتدٍ بـغلامها

ثم يستطرد ويقول:

ولا ســـيف الا ذو الفـقار ولافـتى سوىالمرتضىجاءتبصدقحذامها

يسرد السيد ابن شهاب ويصف فضائل الامام عليعليه السلام وجهاده جنباً لجنب مع النبي لتعزيز مكانة الاسلام مفادياً بنفسه وروحه.. يبارز اعداء الاسلام كمبارزته لعمر بن ود يوم الخندق حيث احجم الغير واعرضوا عن دعوة الرسول، ولبى الامام وحده. يقول السيد ابن شهاب:

وعـمر ابـن ود يـوم اقـحم طـرفه مدى هوة لم يخش عقبى ارتطامها

دنا ثم نادى القوم هل من مبارز ... ومن لسبنتى[1] عامر وهمامها
تحدى كماة المسلمين، فلم تجب ... كأن الكماة استغرقت في نيامها
فناجزه من لا يروع جنانه ... اذا اشتبت الهيجاء لفح ضرامها
وعاجله من ذي الفقار بضربة ... بها اذنت انفاسه بانصرامها
وكم غيرها من غمة كان عضبه ... مبدد غماها وجالي قتامها[2]

ذكرني هذا الوصف بما قاله شاعر آل البيت الاستاذ محمد كاظم الازري البغدادي في قصيدته المشهورة بالشمسية في مدح النبي محمد وآل بيته. وقيل ما مدح النبي محمد وآل بيته بمثل القصيدة الشمسية، وقد خمسها كثير من فحول الشعراء القدماء والمعاصرين. يقول الازري في قصيدته الشمسية عن وقعة الخندق ومبارزة الامام علي ابن ود:

ظهرت منه في الوغى سطوات ... ما اتى القوم كلهم ما اتاها
يوم غصت بجيش عمرو بن ود ... لهوات الفلا وضاق فضاها
وتخطى الى المدينة فرداً ... لا يخاف العدى ولا يخشاها
فدعاهم وهم الوف ولكن ... ينظرون الذي يشب لظاها
اين انتم من قسور عامري ... تختشي الاسد بأسها في شراها
فابتدى المصطفى يحدث عما ... يؤجر الصابرون في اخراها
قائلاً ان للجليل جناناً ... ليس غير المجاهدين يراها
من لعصر وقد ضمنت على الله ... له من جناته اعلاها
فالتووا عن جوابه كسوام ... لا تراها مجيبة من دعاها
واذا هم بفارس قرشي ... ترجف الارض خيفة ان يطاها

---

(١) السبنتى: الجريء.

(٢) القتام هو الغبار.

قـائلاً مـا لهـا سـواي كـفيل هـذه ذمـة عـلي وفـاها
ومشـى يـطلب البـراز كـما تـمـ ـشي خماص الحشى الى مـرعاها
فـانتضى مشـرفيه فـتلقى سـاق عـمرو بـضربة فـبراها
والى الحشـر رنـة السـيف منه يـملأُ الخـافقين رجـع صـداها
يـا لهـا ضـربة حـوت مكـرمات لم يـزن ثـقل اجـرها ثـقلاها
هـذه مـن عـلاه احـدى المعالي وعـلى هـذه فـقس مـا سـواها

هذا ما اردنا نقله من القصيدة الشمسية للازري.

استرسل السيد ابن شهاب في مديحته (النبأ اليقين) في وصف الوقائع وجهاد الامام علي عليه السلام الذي ثبت فيها حيث هرول الآخرون فارين مدبرين جزعين ثم تطرق الى ذكر البيعة في غدير خم التاريخي، وما جرى فيها من خطبة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم لبيعة الإمام واختتم قصيدته المديحية بقوله:

وأزكـى صـلاة بـالجلال تـنزلت من المنظر الأعلى وأزكـى سـلامها
على المصطفى والمرتضى ما ترنمت على عـذبات البـان ورق حـمامها
وفـاطمة الطـهر التـي المـجد كـله مـحيط بـها مـن خـلفها وامـامها
وسـبطي رسـول الله ريـحانتيه والـ أئـمة مـن اعـقابه وخـتامها

قلنا: ان السيد ابن شهاب رجل واضح الى ابعد الحدود لا يمالئ ولا يتزلف، بل يحارب التزلف والنفاق بشدة.

وهذه قصيدة النبأ اليقين في مدح امير المؤمنين كاملة:

خذوا الحـذر ان تـطّوفوا بـخيامها وان تـجهروا يـوماً بـرد سـلامها
وايـاكـم ان تـنعتوها وتـعلنوا محاسن يـقضي حـبها بـاكـتتامها
فعنها وعـن خـلع العـذار بـعشقها عواذل تخفي الغل تحت ابـتسامها
يحاولن غضاً مـن كـرامـة قـدرها ويلحظن شزراً من قضى في هيامها

يلاطفن من لم يصب نحو جمالها ويغمزن من لبى دعاة غرامها
دعوهن في عشوائهن وعرضوا بسلوانها واصغوا لدعوى اتهامها
ولا تنكروا اطراء ضراتها وقوا نفوسكم من ثلبها وانثلامها
وعن غمرات الحب كونوا بمعزل قصي ولا تستهدفوا لسهامها
ولا تقتدوا بي حيث اقدمت انني خبير باخطار الهوى واقتحامها
ذروني وشأني واقبلوا النصح واطبعوا على جبهات الذل عارا هتضامها
فليس لكم عزمي وبأسي ونجدتي واهدار روحي في مرامي مرامها
ساحمل نفسي في هوى غادة النقا على الصعب ركضاً او تسام لسامها
واجري جيادي بين عشاق حسنها الى ان ارى قدحي معلى استهامها
واصمي غوي العاذلات بثاقب من الشهب حتى تنزوي في كمامها
وخير لنفسي خوضها حومة الوغى لمرضاتها من بردها وسلامها
منازل سلمى وجهتي وهي كعبتي ارى الفوز في تقبيلها واستلامها
ينازعنها في امرة الحسن نسوة واين خزامى رامة من ثمامها
افيهن كلّا من صباحة وجهها مشابهة او من قناة قوامها
فما السحر الا من سقيم جفونها وما السكر الا من مروّق جامها
اليها صبا اهل البصائر والنهى ومن خبروا خذم الظُبا من كهامها
واسعدهم حظاً بها من لصدقه اذا زارها منت برفع لثامها
وقد علمت ان ليس غيري من الألىٰ بها شغفوا كُفاً لعالي مقامها
تجرعت مر الصاب صوناً لعهدها وحفظ مواثيق الهوى وذمامها
محاسنها الغراء عين محاسن الـ ـوصي قريع الحرب حال احتدامها
علي اخي المختار ناصر دينه وملته يعسوبها وامامها
واعلم اهل الدين بعد ابن عمه بأحكامه من حلها وحرامها

واوســـعهم حـلماً واعـظمهم تـقىً وازهـدهم فـي جـاهها وحـطامها
وأولهـــم وهـــو الصـــبي اجـــابة الى دعـــوة الاسـلام حـال قـيامها
فكل امرئٍ من سابقي امـة الهـدى وان جـــل قـــدراً مـــقتدٍ بـغلامها
ابي الحسن الكرار فـي كـل مأقـط مبدد شوس الشـرك نـقاف هـامها
فتى سمته سمت النبي ومـا انـتقى مـــواخـــاته الا لعـــظم مـــقامها
فدت نـفسه نـفس الرسـول بـليلة سرى المصطفى مستخفياً في ظلامها
تعاهد فـيها االمشـركون وأجـمعوا على الختر بئس العهد عـهد لئـامها
على الفتك بالذات الشـريفة غـيلة على طمس انوار الهدى باصطلامها
فـبات عـــلي فـي فـراش مـحمد ليبتاع ما تـهذي بـه فـي سـوامـها
لعـــمري هـــل تـدري بأن أمـامها على الفرش ساقيها حميم حـمامها
له فـــتكات يـوم بـدر بـها انـثنت صناديد فـهرٍ هـمُّها فـي انـهزامـها
تذوب عـلى اهـل القـليب قـلوبها اســـى وتـــرثيها بـعض بـــنامها
سقى عتبة كأس الحتوف وجرع الـ ـــوليد ابـنه بـالسيف مُـرَّ زُؤامـها
وفي أحـد أبـلى تـجاه ابـن عـمه وفل صـفوف الكـفر بـعد التـئامها
بـــعزم ســـماوي ونـفس تـعودت مسـاورة الابـطال قـبل احـتلامها
اذاق الردى فيها ابن عثمان طـلحة امـير لواء الشـرك غـرب حسـامها
وفيها لعمري جاء جبرئيل شـاكـراً مواساته في كشـف غـمى غـمامها
ولا ســـيف الا ذوالفـقار ولا فـتى سوى المرتضى جاءت بصدق حذامها
وفي خيبر هل رحبت نفس مرحب بـــغير شـــبا قـرضابه لاخـترامـها
حصونٌ حصان الفرج كـان بسـيفه كما قـيل اقـواهـا وفـض خـتامها
رمـاها امـام الرسـل بـالاسد الذي فـــرائســه الآســاد حـال اغـتلامها
ولولاه قـاد الجـيش مـا دُكَّ مـعقل ولا اذعـــنت ابـــطالها بـــاغتنامها

وعمرو بن ود يوم اقحم طرفه   مدى هوة لم يخش عقبى ارتطامها
دنائم نادى القوم هل من مبارز   ومن لسبنتى عامر وهمامها
تحدى كماة المسلمين فلم تجب   كأن الكماة استغرقت في منامها
فناجزه من لا يروع جنانه   اذا اشتبت الهيجاء لفح ضرامها
وعاجله من ذي الفقار بضربة   بها آذنت انفاسه بانصرامها
وكم غيرها من غمة كان عضبه   مبدد غماها وجالي قتامها
به في حنين ايد الله حزبه   وقد روعت اركانه بانهدامها
تقدم إذْ فرّ الجماهير وانبرى   لسفك دم الاعدا وشل لهامها
سل العرب طراً عن مواقف بأسه   تجبك عراقاها ونازح شامها
وناشد قريشاً من اطل دماءها   وهد ذرى ساداتها وكرامها
وكسر معبوداتها ثم قادها   الى دين طه المصطفى بخزامها
اجنت له الحقد الدفين واظهرت   له الود في اسلامها وسلامها
ولما قضى المختار نحباً تنفست   نفوس كثير رغبة في انتقامها
اقامت ملياً ثم قامت ببغيها   طوائف تلقى بعد شر أثامها
قد اجتهدت قالوا وهذا اجتهادها   لجمع قوى الاسلام ام لانقسامها
اليس لها في قتل عمار عبرة   ومزدجر عن غيها واجترامها
اليس بخم عزمة الله امضيت   الى الناس انذاراً بمنع اختصامها
بها قام خير المرسلين مبلغاً   عن الله امراً جازماً بالتزامها
الست بكم اولى ومن كنت صادعٌ   عن الله امراً جازماً بالتزامها
هو العروة الوثقى التي كل من بها   تمسك لا يعروه خوف انفصامها
اما حبه الايمان نصاً وبغضه   جليّ امارات النفاق وشامها[1]

---

(١) جمع شامة وهي العلامة.

امــا حــبه حب النـبي مــحمد بـلى وهــما والله ازكــى انـامها
تزاحمن في فكري اذا رمت نـظمها فـتحجم اقـلامي لفـرط ازدحـامها
أأنـــعته بـــالعلم وهـــو عـــبابه فسـائله عــن امـواجـه والتـطامها
او الكـرّ والاقـدام وهـو هـزبره الـ ـغضوب فما العبسي وابن كدامها[1]
او الجود وهو السحب منهلة او الـ ـبلاغة وهو المـرتقي فـي سـنامها
هــو الحـبر قـوام اللـيالي تـحنثاً وفي وقدات القيظ خـدن صـيامها
شــمائل مــطبوع عــليها كأنــها سـجايا اخـيه المـصطفى بـتمامها
حنانيك مولى المـؤمنين وسـيد الـ ـمنيين والسـاقي بـدار سـلامها
ابـثك شكــوى لوعــة وصــبابة يـسـهيّجهاباالليل سـجع يـمامها
فلي قـلب مـتبول ونـفس تـدلهت بــحبك يـا مـولاي قـبل فـطامها
وداد تمشّى في جـميع جـوارحـي وخامرها حتى سرىٰ فـي عـظامها
هو الحب صـدقاً لا الغـلو الذي بـه يــفوه مــعاذ الله بــعض طـغامها
ولا كـاذب الحب ادعـته طـوائـفٌ تشــوب قـلاها بـانتحال وئـامها
تخال الهـدى والحـق فـيما تأولت غـروراً وتـرميني سـفاهاً بـذامـها
وتنبزني بـالرفض والزيـغ ان صـبا اليك فـؤادي فـي غـضون كـلامها
تـلوم ويأبـى الله والديـن والحـجا وحــرمة آبــائي استـماع مـلامها
فـاني عـلى عـلم وصـدق بـصيرة مــن الامـر لم انـقد بـغير زمـامها
الا ليت شـعري والتـمني مـحبب الى النــفس تــبريداً لحـرّ أوامـها
متى تنقضي ايام سـجني وغـربتي وتنحل روحي من عقال اغـتمامها
وهـل لي الى سـاح الغـريين زورة لاســتاف ريّــا رنـدها وبشـامها
اذا جــئتها حـرمت ظـهر مـطيتي وحــررّتها مـن رحـلها وخـطامها

---

(١) اي عنترة وربيعة بن مكدم.

واخلع نعلي في طواها كرامة لساكنها الثاوي اريض اكامها
اذا شاهدت عيناي انوار قبة بها مركز الاسرار قطب انتظامها
سجدت اليها سجدة الشكر خاشعاً وعفرت وجهي من شذي رغامها
هنا لك ذات المرتضى ومقرها وجنة مأواها وحسن مقامها
وثمة يحيى من موات القلوب ما سقته شآبيب الرضا بانثجامها[1]
يفيضون من تلك المشاعر مالئي الـ ـحقائب من جم الهبات جسامها
واني على نأي الديار وبينها وصدع الليالي شعبنا واحتكامها
منوط بها ملحوظ عين ولائها قريب اليها مرتو من مدامها
امت اليها بالبنوة واقتفا سبيل هداها صادعاً باحترامها
اليك ابا الريحانتين مديحة بعلياك تعلو لا بحسن انسجامها
مقصرة عن عشر معشار واجب الثـ ـناء وان ادت مزيد اهتمامها
اذا لم تصب ريباً فنغبة طائر وطلّ اذا لم يهم وبل رذامها
ونفثة مصدور تخفف بعض ما تراكم في احنائه من جمامها
مؤملة زلفى لديك وحظوة ومعذرة عن عيها واحتشامها
وازكى صلاة بالجلال تنزلت من المنظر الاعلى واذكى سلامها
على المصطفى والمرتضىٰ ما ترنمت على عذبات البان ورق حمامها
وفاطمة الطهر التي المجد كله محيط بها من خلفها وامامها
وسبطي رسول الله ريحانتيه والأ ئمة من اعقابه وفئامها
واصحابه الموفين ايمان عهده وبيعته في بدئها واختتامها

ثارت حفائظ النواصب من هذه القصيدة وتقوّلوا على السيد ابن شهاب وتعرض لمؤامرة المتآمرين، فقاومهم بصرامة كما هو معروف عنه وكما يتعرض له كل

---

(١) أثجم: دام، والسماء: اسرع مطرها.

مصلح في التاريخ، فهزمهم شر هزيمة وباؤوا بالخسران المبين.

لم يكن السيد ابن شهاب في موقفه المتصلب ورسوخ ايمانه وقوة عقيدته إلا امتداداً لمن سبقه من كبار المصلحين والقادة الافذاذ واجلاء العلماء العاملين. وبوجود السيد ابن شهاب وقيامه ودعوته للنهضة الاصلاحية تفتحت الاذهان وتحررت العقول فشيدت المعاهد العلمية وفتحت المدارس وتقاطر طلاب العلم ينهلون من معينه الدافق الذي لا ينضب، نبغ الكثير منهم فكانوا احسن اسوة لمن بعدهم.

أشار السيد ابن شهاب مؤكداً في قصيدته الى حادثة تاريخية مهمة جداً، وهي الاجتماع الذي عقده رسول الله سيدنا محمد ﷺ لجميع الذين شاركوه في تأدية الحج، وهو الحج الاخير بالنسبة للنبي. فان هذا الحادث التاريخي الخطير في تاريخ الاسلام، الذي حاول اعداء الاسلام واعداء الحق غمطه وطمسه ثم انكاره ما وسعهم الانكار والتزييف والتضليل والغمط لهو حادث معلوم. وتاريخ ابلج كالشمس في رابعة النهار. وقد تولى المؤرخون والباحثون تحقيق هذه الحادثة من جميع جوانبها، وقد حاول بعض الحمقى انكارها كراهية وبغضاً للنبي ﷺ وتكذيباً لاقواله ﷺ. وكفى الجميع ما قام به العلامة الشيخ الاميني من تاليف كتابه القيم (الغدير) الذي جمع فيه كل ما يتعلق بهذا الحادث وما قيل فيه مستنداً إلىٰ المصادر التاريخية من قديم الزمن الى يومنا هذا. ومستفيضاً في بحثه، وقد بلغ عدد مجلداته احد عشر مجلداً، ومع ذلك لم يستوعب كل ما قيل في الموضوع نثراً وشعراً.

اود ان اثبت هنا ما قاله شاعر النبي، حسان بن ثابت الذي كان من جملة الحاضرين الذين شهدوا البيعة للامام علي عليه السلام يوم غدير خم، «يا معشر مشيخة قريش اتبعها قولي بشهادة من رسول الله في الولاية ماضية».

يناديهم يوم الغدير نبيهم	بخم واسمع بالنبي مناديا
وقد جاءه جبريل عن امر ربه	بأنك معصوم فلا تك وانيا

وبـــلغهم مـــا انـــزل الله ربـــهم — اليك ولا تـــخش هـناك الا عـاديا
فـــقام بـــه اذ ذاك رافـــع كـــفه — بكف عـلي مـعلن الصـوت عـاليا
فـــقال فـــمن مـــولاكـم ووليكـم — فـــقالوا ولم يـــبدوا هـناك تـعاميا
الهك مـــــــــولانا وانت وليـــــنا — ولن تجدن فـينا لك اليـوم عـاصيا
فـــقال له قـــم يـــا عـــلي فأنـني — رضيتك من بـعدي امـاماً وهـادياً
فـــمن كـــنت مـــولاه فـهذا وليـه — فكـونوا له انـصار صـدق مـواليـا
هـــناك دعـــا اللـــهم وال وليـــه — وكـن للـذي عـادى عـلياً مـعاديا
فـيا رب أنـصر نـاصريه لنـصرهم — امام الهدى كالبدر يـجلو الديـاجيا

اما نص خطبة البيعة التي خطبها النبي محمد رسول الرحمةﷺ بـغدير خـم فمعروفة ومشهورة، ذكرتها كتب التاريخ[1].

(١) كتاب العيون والمحاسن للشريف المرتضى، وكتاب الغدير للشيخ الاميني، وجـملة مـن كـتب التـاريخ القـديم والحديث.

سواد العين

المسلسلة الخامسة من القصائد المرتبة في رثاء مولانا الامام الحسين بن علي أبي الشهداء عليه السلام، سماها الشاعر «سواد العين في رثاء الامام الحسين عليه السلام» وهذه المرثية هي احدى قصائده الشهيرة، يحفظها الكثير عن ظهر قلب وتتلى في كل مناسبة خصوصاً في المآتم الحسينية، وتتكون المرثية من خمسين بيتاً كلها غرر.

ما رأيت اهتمام الناس من جميع الاجناس من مسلمين وغير مسلمين كاهتمامهم بما كتبوه عن شخصية الامام الحسين بن علي عليه السلام دراسة وبحثاً وتحقيقاً وتعليقاً من نواحٍ شتى من تاريخ حياته ومنهم من جمعوا اقواله وخطبه وما قيل عنه نثراً وشعراً وما قيل في ذكرى استشهاده من الخطب والقصائد. ولم تنحصر في لغة دون اخرى وإنما كتبت بلغات كثيرة من لغات العالم. وقد جمع الاستاذ الاديب السيد جواد شبر ما قيل في الامام الحسين عليه السلام من قصائد منذ القرن الاول الهجري الى يومنا هذا وسماه (ادب الطف)، فكانت موسوعة شعرية ادبية جاءت في عشر مجلدات ولا تزال الكتب تؤلف إلى اليوم وستستمر الى المستقبل عن الامام الحسين عليه السلام؛ فالكُتاب يكتبون والمطابع تطبع عن هذه الشخصية الفذة، والدارسون والمحققون والمؤرخون يهتمون بهذا المعين العذب الذي لا ينضب، والقراء متلهفون لقراءة كل ما يكتب عن هذه الشخصية العملاقة.

ولا تحصي المجاميع ما قيل ويقال وما كتب ويكتب من مؤلفات في هذا الموضوع. هذا على رغم وجود محاولة من البعض ممن سماهم السيد ابن شهاب كلاب النار الذين ارادوا طمس الحقائق فطمسهم الله، وحاول البعض الآخر تحريف التاريخ

وتزويره لصالح اعداء آل البيت(ع) فجرفهم الزمن وحاق بهم سوء المنقلب. وبقى الحسين بن علي شامخاً بارزاً وهو الرائد الاول للاصلاح ومحاربة الفساد. بقي الى اليوم وسيبقىٰ الىٰ الابد مبجلاً محترماً. انه قبس من نور جده محمد المصطفى(ص) وشعاع من أشعة النبوة وهذه هي المرثية:

براءة بر في براء[1] المحرم — عن اللهو والسلوان من كل مسلم
فهل خامر الايمان قلب امرئٍ يُرىٰ — بتلك الليالي لاهياً ضاحك الفم
ليالٍ بها الخطب الجسيم الذي اكتسى — به افق الجرباء صبغة عندم[2]
ليالٍ بها ايدي اللئام تلاعبت — بهام بدور للمعالي وانجم
ليالٍ بها في الارض قامت وفي السما — مآتم اعلى الناس قدراً واعظم
ليال بها نتنى الخنازير او لغوا — مدى غيهم والبغي في طاهر الدم
ليال بها ذبح ابن بنت محمد — وعترته رمز الكمال المترجم
فأي جنان بين جنبي موحد — بنار الأسى والحزن لم يتضرم
وأي فؤاد دينه حب احمد — وقرباه لم يغضب ولم يتألم
على دينه فليبك من لم يكن بكى — لرزء الحسين السيد الفارس الكمي
همام رأى رايات ملة جده — منكسة والشرع غير محكم
وسنة خير المرسلين تجذمت — عراها ودين الله بالجحد قد رمي
فاغضبه من ذاك ما سرّ اسرة — هواهم قنى القينات او شرب حنتم
ويمم سكان العراق لينزعوا — شجاه وهم والله شرّ ميمم
توجه ذو الوجه الاغر مؤدياً — لواجبه لم يلوه لحي لوم
فوازره سبعون من أهل بيته — وشيعته من كل طلق مقسم

---

(١) البراء اول الشهر.

(٢) الجرباء: السماء، والعندم: شجر ذو صبغ احمر.

فهاجت جماهير الضلال واقبلت بجيش لحرب ابن البتول عرمرم
تألب جمع من فراش جهنم غواة يرون الشرك اكبر مغنم[1]
يقرون بالقرآن لكن لعله لسخرية اقرارهم او تهكم
لتعزيز طاغ جاءت ابنة بحدل به نابذ الدين الحنيفي مجرم
وخذلان هاد اشرقت في جبينه اشعة انوار الحبيب المعظم
وحين استوي في كربلاء مخيماً بتربتها اكرم به من مخيم
احاطت به تلك الاخابث مثل ما يحيط سوار من حديد بمعصم
وصدوه عن ماء الفرات ليطردوا عن الحوض حتى يقذفوا في جهنم
وساموه اعطاء الدنية عندما رأوا منه سمت الخادر المتوسم
وهيهات ان يرضى ابن حيدرة الرضا بخطة خسف او بحال مذمم
أبت نفسه الشماء الاكريهة يموت بها موت العزيز المكرم
هو الموت مر المجتنى غير انه ألذ واحلى من حياة التهضم
فأذكى شواظ الحرب بالعسل الظما وشب لظاها من شبا كل مخذم
وقارع حتى لم يدع سيف باسل بمعترك الهيجاء غير مثلم
وصبحهم بالشوس من صيدقومه نسور الفيافي من فرادى وتوأم
على ضمر تأتم في حومة الوغى بيحمومه او ذي الجناح المحوم
يبيعون في الجلّى نفائس أنفس لنصر الهدى لا نيل جاهٍ ودرهم
ولما أراد الله ايقاف روحه بمنظره الاعلى وقوف المسلم
اتاح له نيل الشهادة راقياً معارج مجد صعبة المتسنم
فديتك بدراً برجه سرج سابح هوى فانطوى سر العباء المطلسم
خضيب دماء كالعروس يزف في قباء بصبغ الارجوان مرسم

---

(١) في نسخة: الشر.

معفرة بالترب اعضاء جسمه الـ ... ـكريم وهذا سرُّ حِلّ التيمم

وما ضره ان أوطأوا حر صدره ... سنابك ورد ذي نعال وادهم

ولكنها شنعآء توجب لعنهم ... وتحسر عن وجه النفاق الملثم

هي الفتنة الصماء لم يلف بعدها ... منار من الايمان غير مهدم

بنيّر دين الله سبط رسوله ... وعترته خوص المنية ترتمي

كليث الشرى العباس والشبل قاسم ... وعميه والفتاك عون ومسلم

عرفنا بهم معنى اذا الشمس كورت ... ورمز انكدار في النجوم مكتم

بها اهتز عرش الله وارتجت السما ... باملاكها من هولها المتجشم

بها اسودت الدنيا اسئً وتهتكت ... بها حرمة البيت العتيق وزمزم

اولاك الكرام المبتغو فضل ربهم ... ورضوانه تحت العجاج المقتم

سقى الله بالطف الشريف قبورهم ... بوبل من الجود الالهي مثجم

وزادهم المولى علىّ وكرامة ... بافضل تسليم عليهم وادوم

وبعداً لقوم لم يقوموا لنصرهم ... على قدرة منهم بعزم مصمم

رأوا شيعة الرجس ابن سعد وشمر ... تجاولهم وابن الدعي الجهنمي

ولم تتحرك للحفيظة منهم ... حفائظ تطفي منهم كل مرقم

ايزوى ابن طه عن منصة جده ... ويرضى لها ترب الخلاعة عبشمي

كأن الهدى من بيت صخر تفجرت ... ينابيعه والوحي من ثم ينتمي

فيا اسرة العصيان والزيغ من بني ... امية من يستخصم الله يخصم

هدمتم ذرى اركان بيت نبيكم ... لتشييد بيت بالمظالم مظلم

تداركتم في البغي ولداً ووالداً ... وزخرفتم افك الحديث المرجم

ولم تمح حتى الان آثار زوركم ... وتصديقه ممن عن الحق قد عمي

فاصل الشقا انتم ومن يحذ حذوكم ... له يسد جلباب العذاب ويلحم

فلا تكتمن الله ما في نفوسكم ليخفى ومهما يكتم الله يعلم
ولا بدع ان حاربتم الله انها لشنشنة من بعض اخلاق أخزم
ونازعتم الجبار في جبروته ولكنه من راغم الله يرغم
ولم تحسبوا من طيشكم ان عنكم عيون قصاص الغيب ليست بنوم
ستجزون في الأُخرى نكالاً مؤبداً على ما اقترفتم من عقوق ومأثم
غدرتم بسادات البرية غدرة الـ ـيهود بيحيى والمسيح بن مريم
وانّا وان كنا من الضيم والاسى وفرط التلظي نمزج الدمع بالدم
فلسنا الألىٰ ننحو بندب سراتنا نياح الغواني خفن سوء التأيم
ولكننا غيظاً نعض اكفنا لما فاتنا من ثأرنا المتقدم
وما من بواء في بني اللؤم تشتفي به النفس من بلبابها والتذمم
ولكن اغضاء الجفون على القذى وتمهيد عذر المعتدي شر ميسم
ومن شؤم سوء الحظ كان بروزنا من الغيب بعد المشرب المتوخم
ويا ليت انّا والامانيّ عذبة شهدنا وطيس الحرب بالطف اذ حمي
لخضنا عباب الهول تشتد تحتنا خماصُ الطوى من كل طام مطهم
وقائدنا يوم الذمار ابن فاطم كاشبال غاب امها خير ضيغم
لندرك احدى الحسنيين بنصره منال الاماني اومنية مقدم
اجل قدرة المولى تبارك انفذت ارادته طبق القضاء المحتم
لتبيض يوم الحشر بالبشرا وجه وتسود اخرىٰ لارتكاب المحرم
نبي الورى بعد انتقالك كم جرى ببيتك بيت المجد والمنصب السمي
دهتهم ولما تمض خمسون حجة خطوب متى يلممن بالطفل يهرم
فكم كابد الكرار بعدك من قلىً وخُلف الى فتك الشقي ابن ملجم
وصُبت على ريحانتيك مصائب شهيد المواضي والشهيد المسمم

ضغائن ممن اعلن الدين مكرهاً ولولا العوالي لم يوحد ويسلم
اضاعوا مواثيق الوصية فيهم ولم يرقبوا الّا ولا شكر منعم
فسق غير مأمورٍ الى النار حزبهم اذا قيل يوم الفصل ما شئت فاحكم
حبيبي رسول الله انّا عصابة بمنصبك السامي نعزّ ونحتمي
لنا منك اعلى نسبة باتّباعنا لهديك في اقوى طريق واقوم
ونسبة ميلاد فم الطعن دونها على رغم مغتص بصاب وعلقم
نعظم من عظمت ملء صدورنا ونرفض رفض النعل من لم تعظم
لدى الحق خُشن لا نداجي طوائفاً لديهم دليل الوحي غير مسلم
سراعاً الى التأويل وفق مرادهم لرفع ظهور الحق بالمتوهم
هل الدين بالقرآن والسنة التي بها جئت ام احكامه بالتحكم
ولكن عن التمويه ينكشف الغطا لدى الملك الديّان يوم التندّم
وأزكى صلاة الله ما ذّر بازغٌ وما افترّ ثغر البارق المتبسم
على روحك المعنى الذي الفيض منه في مجرّد هذا الكون والمتجسم
وعترتك المستودعي سر علمك المـ ـصون عن الاغيار عرب واعجم
واصحابك المروين في نصرة الهدى صدى كل مشحوذ الغرار ولهذم
صلاةً كما احببت مشفوعة الادا بنشر سلامٍ بالعبير مختم

الثناء العاطر

القصيدة السادسة من القصائد المسلسلة، سماها «الثناء العاطر على اهل البيت الطاهر عليهم السلام».

بدأ مديحته هذه كما يبدأ في كثير من قصائده الأُخرى بالغزل، ولكن غزله هذه المرة عكس المألوف، فهو يدعو الى ترك الغانيات وذكرهن ونسيان الماضي وايام الشباب الراحل والابتعاد عن الخدور، والعودة الى الله العظيم الشأن وطلب التوبة والتماس الغفران، والى محبة سيد المرسلين الهادي الشفيع الامين ومحبة وصيه الامام علي عليه السلام، ومحبة فاطمة الزهراء عليها السلام التي فاضت روحها حزناً مما جرى عليها وهي سيدة نساء العالمين على الاطلاق بالنص الصريح، يسر النبي ما يسرها، ويسوؤه ما يسوؤها، ثم الامامين الشهيدين الحسن والحسين وهم اهل الكساء الذين طهرهم الله تطهيراً وهم حاملوا علم الرسول ولواء الحمد.

يقرر السيد ابن شهاب قول الرسول صلى الله عليه وآله: «لا تصلّوا علي الصلاة البتراء» بقوله:

من لم يصل عليهم فصلاته بتراء في اسناد اوثق ناقل

والشافعي محمد بن ادريس يقول في هذا الموضوع:

يا آل بيت رسول الله حبكم فرض من الله في القرآن انزله

يكفيكم من عظيم القدر انكم من لم يصل عليكم لا صلاة له

فان محبي آل البيت يحشرون تحت لواء الحمد الخفاق في يوم لا ينفع مال ولا بنون. ويتعجب السيد من أُولئك الذين يتلون القرآن تكراراً ومراراً ويقرأون الاحاديث النبوية الطاهرة ثم ينكرون ما تلوه ويكذبون ما قرأوه وما سمعوه وما رأوه، يجحدون فضائل آل البيت عليهم السلام بل يكذبون الاحاديث وينكرونها ويغالطون في الآيات القرآنية

ويفسرونها حسب اهوائهم كأنهم لا يعرفون العربية.

فيرى ويسمع ثم يجحد مجدهم حسداً وتكذيباً لا صدق قائل

هذه هي القصيدة «الثناء العاطر» ومجموع ابياتها ٩٢ بيتاً:

دع ذكر ايام الشباب الراحل وحديث لابسة الحلى والعاطل
وانبذ بقية ما بقلبك من هوى ليلى ومائس قدها المتمايل
وذر الخدور وما بها من خرد كيلا تصاب بسهم طرف بابلي
نهنه فؤادك ما بقيت فأنت في شغل عن البيض الكواعب شاغل
واركب نجيب التوب في المثلى الى ساحات ذي الطول المجيب السائل
والِ التململ تحت أروقة الظلا م وكن الى الرحمن أوّل آئل
واعزم سؤالك ان تكون مدى الحيا ة وبعد مغموراً بلطف شامل
واملأ ضميرك من محبة سيد الـ ـكونين هادينا الشفيع الكافل
والعلة الغائية القصوى لخلـ ـق الكائنات سميها والسافل
وبحب صهر المصطفى ووصيه واخيه حيدرة الشجاع الباسل
ذي العزم ساقي الحوض مولى المؤمنيـ ـن الحبر علام القضاء الفاصل
والدرة الزهراء فاطمة التي بعد الرسول قضت بحزن الثاكل
ذات السيادة مطلقاً بالنص لا يأباه غير مكابر متحامل
والسيدين اللابسي حلل الشها دة من فريق في الشقاوة واغل
خانوا بقتلهما الامانة والديا نة لكن الجبار ليس بغافل
اهل الكساء الخمسة الاشباح حـ ـجة ذي الجلال على المريب الداجل
هم بينات الله هم آياته الـ ـكبرى لارغام الجحود الجافل
الآخذي علم الرسول شريعة وحقيقة من فاضل عن فاضل
يدلون بالحسب الصميم الضخم والـ ـنسب الصحيح الثابت المتداول

نسب بأجـنحة المـلائكة ارتـقى شأواً اليـه الوهـم ليس بـواصـل

نسب لبـاذخ مـجده تـعنو الوجـو ه فكـم هـنالك مـن مـليك مـائل

نـاهيك مـن نسب عـلى نـافيه لعـ ـنة ربـه وعـلى الدعـي الداخـل

شـرف الى العـرش انـتهى فأمـامه تـقف الثـوابت وقـفة المـتضائل

شـرف النـبوة والعـروج ورؤيـة الـ ـباري تـبارك والكـتاب النـازل

مـن لم يـصل عـليهم فـصلاته بـتراء فـي اسـناد اوثـق نـاقل

سفن النجاة امان اهـل الارض مـن غـرقٍ مـصابيح الظـلام الحـائل

حبل اعتصام المـؤمنين فـحبذا المـ ـتمسكون وخـيبة للـناكـل

مـنهم يشـم شـذا النـبوة بـالولا دة والوراثـة والسـلوك العـادل

وهـم الأئـمة والادلة يـوم تـز دحـم الخـلائق كـالجراد العـاظل

في يوم تذهل كـل مـرضعة عـن الـ ـطفل الرضيع ووضع حمل الحـامل

وبـنيهم البـيت المـبارك والمقـ ـدس والكـثير الطـيب المـتناسل

عمد الهدى من كـل مـمتطئ سـنا م المـجد وضـاح الجـبين حـلاحل

الحـافظين السـر حـتى الآن لم يـعلم لحـاف غـيرهم او نـاعل

القـانتين الراكـعين السـاجديـ ـن بـخشية وغـزير دمـع سـائل

الذاكـرين الله بـين مـخافت بـدعائه وثـنائه او زاجـل

السـالكي السـنن القـويم النـابذي شـبهات كـل مـخالف ومـخاتل

وعـلى مـحبيهم لواء الحـمد يـخـ ـفق بـالأمان مـن العـقاب الهـائل

ورد الحـديث بـذا وليس مـحمد فـيما يـقول بـهازئ أو هـازل

تنفر عـلى الركـبان حـمل مشـاتهم طـوبى لمـحموليهم والحـامل

بشرى مؤدي حـقهم بـالشرب مـن حـوض تـتم بـه نـجاة النـاهل

اثـنى عـليهم ذوالجـلال فكـل مـا نـثني بـه تـحصيل امـر حـاصل

في هل اتى تمجيدهم وبآية الأحـ ـــزاب قطع لسان كل مجادل
من سبق تطهير الذوات ومن ذهـا ب الرجس عن ماضيهم والقابل
قضت الارادة وهي وصف الذات والتبـ ـديل فيه من المحال الباطل
بالعفو عن صوري ذنبهم فما معنى انتقاد الاحمق المتعاقل
ولئن اصاب البعض منهم محنة واذى عدو خارجي خاطل
فلهم بذلك أسوة في الانبيـ ـاء ورفعة لمقامهم في الآجل
مثل الذي استحلى أذى بيت الرسو ل كجرو سوء في المساجد بائل
ايضر اشغال الدخان لطمس نو ر الشمس بل تعشى عيون الشاعل
ولربما سود الكلاب على البدو ر تهر إن منيت بداء عاضل
واذا حمار السؤ عربد ناهقاً ايحط من قدر الجواد الصاهل
عجباً لمن يتلو الكتاب مكرراً وحديث انسان الوجود الكامل
فيرى ويسمع ثم يجحد مجدهم حسداً وتكذيباً لا صدق قائل
اغويه اغراه؟ ام في قلبه مرض سقاه نقيع سم قاتل
ينهي فيأبى النصح ملتجئاً الى مخصوص نص او سقيم دلائل
والعلم يخبث حيث تحسد عترة الـ ـهادي وخير منه جهل الجاهل
سل شانئ الاشراف هل ابقيت بيـ ـن لظى وبينك من حجاب حائل
افيرحم الجبار من يؤذي بني مختاره؟ هيهات ليس بفاعل
اتصح دعوى حب احمد مع قلى اولادنه؟ ام هل لها من قابل
هم منقذو غرقى الغواية والضلا ل الى ذرى ارخى واخصب ساحل
نزلوا باقطار البلاد نزول ما ء المزن امطر في المحل الماحل
من عالم يهدي ومن متمول يسدي وأواه منيب عامل
فلكل ارض حظها منهم فلا يخشى على الدين اغتيال الغائل

وبسفح وادي حضرموت لهم عديـ ـــــد معابد ومعاهد ومنازل
بوركت من سفح فسيح زاهر زاه بغرّ بني المهاجر آهل
سيما تريم الخير سدرة منتهى مسرى العطاش الى الغزير الوابل
بلد مقدسة العراص كثيرة الـ ــبركات والخيرات للمتناول
فلك تدور به بدور بني الرضى ونجوم اكدر والفريط[1] الحافل
زهر ولكن ان تغب أجرامها فضياؤها في الكون ليس بآفل
حرم الديار الحضرمية مطلع الأ قمار للثاوي بها والقافل
دبغت باقدام الاكابر ارضها فترابها طب السقيم الناحل
وسماؤها أمتازت بكثرة صاعد الأ نوار من عمل التقى المتراسل
تزهو مساجدها بانواع العبا دة من مؤد فرضه او نافل
لله عز وجل لا لرياء او دعوى مقام اولرجوى نائل
شمم العفاف عليهم بادٍ فلا يدرى الغني من الفقير العائل
أنف فلا الاشراف شيمتهم ولا يتزلفون لذي ثراء طائل
تلك الديار بها عقدن تمائمي وبها عرفت فرائضي ونوافلي
لاهم زدها رفعة وكرامة واغمر بنيها بالندى المتواصل
واهدا لجميع الى الصواب وتب على الـ ــمغمور في غفلاته والناهل
غث من سحاب الفضل جدب قلوبنا بمجلل لصدى البصائر صاقل
واسلك بنا نجد الكرام الاتقيا ء المخلصين شهيرهم والخامل
وامنح رضاك مقصراً يدعوك من قلب بأودية البطالة جائل
واعده للغناء جم الحظ من ارث الاصول واخذ سهم عائل
وانله ما ينوي من الاصلاح والنـ ــفع العميم لاهلها في العاجل

---

(١) اسما مقبرتين.

واجمع وسدد رأي قادتها وكن معهم لدرء المعتدي والصائل

وابعث الى متخطفي اطرافها من عاجل التشتيت اكبر خاذل

وعليك اقسمنا بجاه محمد والآل امن المستجير الواجل

أن تستجيب كما وعدت دعاءنا وبحقهم حقق رجاء الآمل

وعلى ثرى اجداثهم جد من صلا تك والسلام بمستهل هاطل

واغمر به الصحب الأُلىٰ نصروا الهدى بالمشرفي وبالاصم الذابل

ما اهتز روض بالحيا وترنمت اطياره من صافر او هادل

آل البيت عليهم السلام

ليس احب للسيد ابن شهاب من آل البيت ﷺ فهو مغرم بحبهم وولائهم والدفاع عنهم، تكبد في حبهم عداوة المعتدين وتحمل اذيتهم، فهو يجد في حبه لهم والاستماتة من اجلهم ما يشفي اواره ويروي غليله، فيكثر مدحهم والاستغاثة بهم والتضرع اليهم، وفي هذا يقول:

فيكم يعذب المديح ويحلو   وبه يسرع القريض انقياده

استهل مديحته في آل البيت بغزل لطيف متخلصاً الى مدح آل البيت ﷺ وهذه القصيدة هي المسلسلة السابعة، وفي هذه المديحة اعاد نفس المعنى والمقصد باسلوبه الظريف وعبارته الطريفة مهاجماً الذين يصلون الصلاة البتراء، تحاشياً منهم الصلاة على الآل، معاكسين لأوامر النبي محمد ﷺ مخالفين لسنته متحدين اوامره ونواهيه استعلاء. يقول السيد عنهم:

من يصلِّ ولم يصل عليكم   فهو مبد لذي الجلال عناده

معشر حبكم على الناس فرض   اوجب الله والرسول اعتماده

ثم يتوسل بائمة آل البيت ﷺ واصفاً يوم الموقف، والناجين من اتباع آل البيت ﷺ، واللواء انذاك خفاق في الوقت الذي تقول فيه جهنم: ﴿هل من مزيد﴾ فيقول:

وبكم ايها الائمة في يو   م التنادي على الكريم الوفاده

يوم تأتون واللواء عليكم   خافق ما اجلها من سياده

والمحبون خلفكم في امان   حين قول الجحيم هل من زياده

اما مبغضو آل البيت ﷺ فقد خابوا فيما يعتقدون، لانهم لا يؤمنون بشفاعة النبي

محمد ﷺ، ولأنهم هم الذين ينصبون العداء لآل البيت عليهم السلام وفيهم يقول السيد:

كل من لم يحبكم فهو في النا ... ر وان اوهنت قواه العباده

إلىٰ ان يقول:

لم يمت والعياذ بالله حتى ... نرىٰ عن ملة الرسول ارتداده

وهذه هي القصيدة برمتها:

من غرامي بقرطها والقلاده ... ان امت مغرماً فموتي شهاده
غادة حل حبها في السويدا ... ورمى سهمها الفؤاد فصاده
نحوها تنزع النفوس فتلقا ... ها لداعي مزارها منقاده
واذا عرج النسيم عليها ... هز تلك المعاطف المياده
زارني طيفها ومن بوعدٍ ... هل ترى الطيف منجزاً ميعاده
من لصب يصب صيّب دمعٍ ... مذ صبا نحوها اصابت فؤآده
ليس إلا لها وللنفر البيـ ... ـض بنظم القريض يجري جياده
يا عريباً بأي وادٍ اقاموا ... من فسيح البلاد صاروا عهاده
آل بيت الرسول اشرف آل ... في الورى انتم واشرف ساده
انتم السابقون في كل فخر ... اسس الله مجدكم واشاده
انتم للورى شموس واقما ... ر إذا ما الضلال أرخى سواده
انتم منبع العلوم بلا ريـ ... ـب وللدين قد جعلتم عماده
انتم نعمة الكريم علينا ... اذبكم قد هدى الالهُ عباده
لم يزل منكم رجال واقطا ... ب لمن اسلموا هداة وقاده
انتم العروة الوثيقة والحبـ ... ـل الذي نال ما سكوه السعاده
سفن للنجاة ان هاج طوفا ... ن الملمات او خشينا ازدياده
وبكم أَمن امة الخير اذ انـ ... ـتم نجوم الهداية الوقاده

اذهب الله عـــنكم الرجس اهـلَ الـ ـــبيت فـي مـحكم الـكتاب افـاده

وبــــــتطهير ذاتكــم شــهد القــر آن حـــقاً فـــيا لهـــا مـــن شـــهاده

لا بـــما قـــد عـملتموه مـن الخـيـ ـــر ولكـــن قـضت بـذاك الإراده

مـــن يـــصلِّ ولم يـــصلِّ عـــليكم فـــهو مـــبد لذي الجـــلال عـــناده

معشر حـبكم عـلى النـاس فـرض أوجب الله والرســـــول اعـــتماده

فاز مـن رأس مـاله مـن رضـاكـم لم يـــخف قـــط ذات يـوم كـسـاده

حـبكم يـغسل الذنـوب عـن العبـ ـــد ولا غـــرو أن يـــزيل فسـاده

وبكـــم أيـــها الأئـــمة فـــي يـــو م التـــنادي عـلى الكـريم الوفـاده

يـــوم تأتـــون واللـــواء عـــليكم خـــافق مـــا اجـــلها مـــن سياده

والمـــحبون خـــلفكم فـــي امـــان حين قول الجحيم هـل مـن زيـاده

فـــاز والله فـــي القـــيامة شـــخص لكـــــم بـــالوداد أدّى اجـــتهاده

كـل مـن لم يـحبكم فـهو فـي النا روان اوهـــــنت قـــواه العـــباده

هكـــذا جـاءنا الحـديث عـن الهـا دي فـــمن ذا الذي يـــروم انـتقاده

كـــــل قـــــال لكـــم فـــابعده اللـ ـــه وعـن حـوضكم هـنالك ذاده

خاب مـن كـان مـبغضاً احـداً مـنـ ـكم ومـن قـد اساء فـيه اعـتقاده

ضـــلَّ مـــن يـــرتجي شـفاعة طـه بـــعد ان كـــــان مـــؤذياً اولاده

بـــاء بـالمقت فـي الحـياة مـن اللـ ـــه الذي صـــير الجـــحيم مهاده

وروى القـــوم ان مـن كـان سب الـ ـــــفاطميين دأبــــه واعـــتياده

لم يـــمت والعـــياذ بـــالله حـــتى نـــرىٰ عـــن مـلة الرسـول ارتـداده

ليت شعري مـن الذي كـان تـعظيـ ـــمه للـــمصطفى الى الحشــر زاده

فـــــهم الخــــصب للـــبرية لولا هـــم لخـفنا مـن الزمـان اشـتداده

آل بـــيت الرســـول كـم ذا حـويتم مـــن عـــفافٍ وســؤددٍ وزهـــاده

انـــتم زيـــنة الوجـــود ولا زلـ — ــتم بـجيد الزمـان نـعم القـلاده
فـيكم يـعذب المـديح ويـحلو — وبـه يسـرع القـريض انـقياده
وبكـم يـلهج المـحب ويشـدو — يـا بـني المـجد لا بـغانٍ وغـاده
كـيف يـحصي فـخاركم رقـم اقـلا — م ولو كـانت البـحار مـداده
انـــتم انـــتم حـلول فـؤادي — فـاز والله مـن حـللتم فـؤاده
انـا خـدّامكـم وتـرب حـذاكـم — والاسـير الذي مـلكتم قـياده
وانـــا العـبد والرقـيق الذي لم — يكـن العـتق ذات يـوم مـراده
ارتـجي الفـضل مـنكم وجـدير — بكـم المـنّ بـالرجـا وزيـاده
فـاستقيموا لحـاجتي فـفؤادي — مـخلص حـبه لكـم ووداده
انّ لي يـابني البـتول اليكـم — فـي انـتسابي تسـلسلاً وولاده
خـلفتني الذنـوب عـنكم فـريداً — فـارحـموا عـجز عـبدكم وانـفراده
فـلكم عـند ربكـم مـا تشـاؤو — ن وجـاه لاتـختشون نـفاده
رب غـثنا بـهم فأنك العـبـ — ـاس غـثت الانـام عـام الرمـاده
وبـهم أنـعش الشـريعة واكشـف — ان طـما الجـهل شـؤمه واسـوداده
وارض عنهم وزدهـم فـيض فـضل — مـنك يـا مـن له التـفضل عـاده
وعـليهم مـع الرسـول سـلام — ليس يحصي سوى الكـريم عـداده

رشفة الصادي

كتبنا فصلا خاصاً عن هذا الكتاب (رشفة الصادي) الذي يعتبر من المراجع القيمة المهمة، وكشفنا فيه الاعيب تلك الايادي الاثيمة التي لعبت دوراً بالتعمد في حذف كلمات وتحويرها الى كلمات اخرى، واشرنا اليها في مواضيعها من خيانة المشرف على الطباعة.

هذه هي القصيدة الثامنة حسب التسلسل المأمور به:

هم الراقون في اوج الكمال	وهم اهل المعارف والمعالي
وهم سفن النجاة اذا ترامت	باهل الارض امواج الضلال
امان الارض من غرق وخسف	وحصن الملة الصعب المنال
وهم في غرة الدنيا بدور	تسامت بالجميل وبالجمال
وهم ساداتنا من غير شك	فنحن عبيدهم وهم الموالي
كفى خبر الوصية انهم والـ	ـكتاب معاً الى يوم الجدال
وان محبهم في الحشر ناج	من النيران ذات الاشتعال
بنو الحسنين للثقلين شادوا	قصور المجد والرتب العوالي
بنو الزهراء افضل كل انثى	وحيدرٍ السميدع للنزال
بنو الهادي وبضعته التي لا	تقاس لدى التفاضل بالمثال
عليهم بعد جدهم صلاة	وتسليم ورحمة ذي الجلال

الشجرة العلوية

تحافظ الاسر والسلالات في العالم على أنسابها، كما تحتفظ السلالات والاسر العلوية بانسابها ومشجراتها بدقة متناهية محافظة على اتصالها بالبضعة الطاهرة فاطمة الزهراء بنت الرسول الاعظم محمد عليهما الصلاة والسلام. لان حفظ الانساب جزء لا يتجزأ من صلب التراث وحقيقة التاريخ، وهو مما لا تمنع منه العقيدة السمحة. بالاضافة الى ما في ذلك من اسلوب تربوي، ومحافظة على السير في الجادة المستقيمة.

فالامام السيد عبدالله بن علوي الحداد من رجال القرن الحادي عشر (١٠٤٤ - ١١٣٢هـ) وأحد ائمة العلويين البارزين وشاعرهم المفلق يقول في قصيدة له:

عطفة ياجيرة العلم ... يا اهيل الجود والكرم
نحن جيران بذا الحرم ... حرم الاحسان والحسن
نحن من قوم به سكنوا ... وبه من خوفهم أمنوا
وبآيات القران عنوا ... فاتئد فينا اخا الوهن
نعرف البطحا وتعرفنا ... والصفا والبيت يألفنا
ولنا المعلى وخيف منى ... فاعلمن هذا وكن وكن
ولنا خير الانام اب ... وعلي المرتضى حسب
والى السبطين ننتسب ... نسباً ما فيه من دخن
كم امام بعده خلفوا ... منه سادات بذا عرفوا
وبهذا الوصف قد وصفوا ... من قديم الدهر والزمن
مثل زين العابدين علي ... وابنه الباقر خير ولي

والامـــام الصـــادق الحـفل　　وعـــلي ذي العـــلى اليـقن
فـــهم القـــوم الذيـــن هـدوا　　وبـــفضل الله قـــد ســـعدوا
ولغـــير الله مـــا قـــصدوا　　ومـــع القـــرآن فـــي قـــرن
اهـــل بـيت المـصطفى الطـهر　　هـــم امـــان الارض فـادكر
شـــبهوا بـــالانجم الزهـــر　　مـــثل مـــا قـد جـاء فـي السـنن
وســـفين للـــنجاة اذا　　خـــفت مـــن طـــوفان كـــل اذى
فـــانج فـــيها لا تكـــون كـــذا　　واعـــتصم بـــالله واســـتعن
رب فـــانفعنا بـــبركتهم　　واهـــدنا الحســـنى بـــحرمتهم
وامـــتنا فـــي طـــريقتهم　　ومـــعافاة مـــن الفـــتن

الى آخرها وهي مثبتة في ديوانه.

والمحافظة على انساب السلالة هي إكرام لهذه الارومـة، وتـوثيق للـروابـط الوشيجة والعلاقات الكريمة المتسلسلة، مع الابتعاد عن الغرور والاعتداد بالنفس، ان لم يكن هناك مآثر وفضائل. وفي هذا يقول السيد الحداد:

ثـــم لا تـــغتر بـــالنسب　　لا ولا تـــقنع بكـــان ابـــي
واتـــبع فـــي الهـــدى خـير نـبي　　احـــمد الهـــادي الى الســـنن

واختتم السيد عبدالله الحداد قصيدته بهذه الصلوات:

صـــلوات الله ذي الكـــرم　　تـــتغشى المـــصطفى العـلم
مـــا ســـرى ركب الى الحـــرم　　وصـــبا صبّ الى السكـــن
فـــهـــو خـــتـــم للـــنبيينا　　وامـــام للـــمـــطعـــينا
وامـــان للـــمـــجيبينا　　يـــوم نـــودوا خـــير مـــؤتمن
وعـــلى آل النـــبي الكـــرما　　وعـــلى اصـــحابه العـــلما
وعـــلى اتـــباعه الحكـــما　　وأُولي الالبـــاب والفـــطن

والامام الحداد هو حامل مشعل آل البيت ﷺ ورافع رايتهم، آثاره باقية خالدة وتآليفه كثيرة نافعة. ترك وراءه تلامذة هم خيرة العلماء العاملين. ساروا على نهجه ومشوا على منواله وحملوا اعباء الرسالة وادوها فاحسنوا التأدية. والامام الحداد ممن يعتصمون عقيدة بالامام المهدي وظهوره. اسمعه يقول:

لقد آن صبح العدل ينشق فجره ... وقد حان ليل الجور ينزاح حالكه
بطلعة ابن المصطفى علم الهدى ... حليف التقى خير الانام وناسكه
محمد المهدي خليفة ربنا ... امام الهدى بالقسط قامت ممالكه
كأني به بين المقام وركنها ... يبايعه من كل حزب مباركه
به ينعش الرحمن ملة جده ... ويحيى به دين الهدى ومناسكه

وله قصيدة اخرى يقول فيها:

نبي الهدى بحر الندى سيد الورى ... وسامي الذرى الماحي لكل ظلام
وخير وصي بعده وابن عمه ... علي الرضا الجالي لكل قتام

الى ان يقول:

وسبطي رسول الله مع زين عابد ... وباقرهم والصادق المتسامي

والسيد الحداد يؤمن ان الامام المهدي حي موجود، ويخالف من يقول انه سيولد، ولذا فانه يقول: حان حين خروجه، وذلك في قوله:

ومنا إمام حان حين خروجه ... يقوم بأمر الله خير قيام
فيملأها بالحق والعدل والهدى ... كما ملئت جوراً بظلم طغام

الدوحة العليا

هذه هي المسلسلة التاسعة في آل البيت عليهم السلام

فروع سمت بالمجد من دوحة العليا لها الصب يصبو لا لهند ولا ميا
فأكرم بها من دوحة طاب اصلها ومن سلسبيل الوحي طاب لها السقيا
زكا تربها في ربوة المجد فانتهت اليها معالي قسمي الدين والدّنيا
وطابت لطيب الأصل اغصانها التي ببهجتها تزهو كأن لبست وشيا
وارج ارجاء البلاد وضوع الـ ـعوالم من ازهارها الطيب والريا
وهل أثمرت إلّا قطوفاً جنية بها انفس الموتى بداء الهوى تحيى
سرى سرها في الكائنات وقارنت كما أخبر المختار في هديها الوحيا
اذا اشتد قيظ النائبات على الورى تغشاهم من ظلها وارف الافيا
هي العصمة الكبرى لمن حام حولها من الغمة السوداء والفتنة الدهيا
ولاغرو فاستمدادها من محمد اجل الورى قدراً واحسنهم هديا
اقام لها بيتا من المجد شامخا وورثها نشر المعارف والطيا
ومن حيدر اعني ابن فاطمة الذي اذا صال لم يغلب وان قال لم يعيا
وفاطم والريحانتين ومن جرى من النسل جري الاصل اكرم به جريا
اولئك حزب الفضل من آل هاشم بناة العلى ليسوا عدياً ولا طيا
ولا زال منهم من به يقتدىٰ وعن ضلالتهم يهدي به الخالق العميا
وعنهم حديث المجد يروىٰ وفيهم مواريث طه العلم والحلم والفتيا
عليهم مدار الحق بل ويهديهم تناط امور الشرع اثباتاً أو نفيا
عليهم سلام زائر روح من مضى. وأزكى تحيات تحييٰ بها الاحيا

المرتبة السامية

وهي خمسة ابيات، كلها تدور في ولاء آل البيت ﷺ وحبهم، وهي المسلسلة العاشرة:

حب اهـــل البـــيت قـــربه وهـــو اســـمى الحب رتـــبه
ذنب مـــن والاهـــم يـــغـ ـــســـله مـــزن المـــحبه
والذي يـــــبغضهم لا يسكـــن الأيـــمان قـــلبه
عـــــلمه والنسك رجس عســـل فـــي ضـرع كـــلبه
لعـــــن الله عـــــدوّ الآ ل ابـــــليس وحـــــزبه

ارث الرسول او السلسلة الذهبية

ان التمسك بتعاليم الرسول ﷺ واتباع طريقته والاقتداء بسنته وآل بيته هي الطريقة الصحيحة المثلى، فأئمة آل البيت هم الآخذون ارث الرسول اباً عن جد، يروون احاديث الرسول كما نطق بها النبي محمد ﷺ مسلسلة عن آبائهم واجدادهم عـن النبي، فهم قرناء القران الكريم، من تمسك بهم نجا.

وهذه هي القصيدة الحادية عشرة من المسلسلة التي اوصى بها الشاعر:

لذ بـــالنبي وبـــالأئمة مـــن بـني عـــلوي الغـــر الهـداة الحـــائر
فهم الخـــلاصة مـن سـلالة احـــمد ومـعين فـياض النـدى المـتواتـر
والآخـــذو إرث الرسـول اجـازة وتـــلقياً مـــن كـــابر عـــن كـابر
والمـــقتفون ســـبيله قـدماً عـلى قـدم الى القـدم الشـريف الطـاهر

حتى انـتهى سـر النـبي مسـلسلاً ... فـيهم الى اهـل الزمـان الحـاضر
يروون عـن آبـائهم عـن جـدهم ... عن جـبرئيل عـن العـزيز الفـاطر
وهـم بـحور العـلم فـاض اذيـها ... من ذلك البحر المـحيط الزاخـر[1]
تحيي بها موتى القـلوب ولم تـزل ... تسقي حـدائـق كـل قـلب عـامر
بـمعارف وعـوارف ولطـائف ... وعواطف مـن ذي الجـلال الغـافر
ومـواهب ومـناقب ومـراتب ... وغـرائب وعـجائب للـناظر
وبـدا هـناك مـن الحـقيقة حـقها ... فـي سـرّ سـير بـاطن عـن ظـاهر
بـمشاهد تـصفو لكـل مـجاهد ... ومـوارد عـذبت لكـل مـؤازر
ومـدارك ومـناسك ومسـالك ... للـقوم لم تسـلك لغـير الضـامر
وبـذلك امـتزج امـتزاج الراح بـالـ ... ـماء الاوائـل مـنهم بـالآخر
فـاسلك سـبيلهم وزرهـم والتـزم ... شرط التأديب فـي وقـوف الزائـر
ثـم الصـلاة عـلى النـبي وآله ... والصحب ماهب النسيم الحاجري

---

(١) الآذي: الموج.

شمس الهدى

يحث السيد دائماً في قصائده واقواله على محبة النبي محمدﷺ، ومحبة وصيه الامام عليؑ، ومحبة سيدة نساء العالمين فاطمة الزهراءؑ، وحب الامامين الشهيدين الحسن والحسين ثم الأئمة من سلالتهم الذين لا يدانيهم احد في الفضل، فهم وحدهم الذين ورثوا علم النبيﷺ وتعاليمه فلا نجاة الا بسلوك طريقتهم، اما من خالفهم من المبغضين والمعاندين لهم، فيقول السيد فيه:

ولعنته تترى على كل فاسق	يرى بغض اهل البيت ديناً وفاسقه

هذه هي القصيدة الثانية عشرة المسلسلة بموجب الوصية:

اذا كنت ذاعين الى المجد رامقه	ونفس الى اسمى المراتب تائقه
عليك بحب المصطفى من بهديه	ودعوته نجىٰ الجليل خلائقه
وايده بالمعجزات فأصبحت	براهينه للشرك بالحق ماحقه
وحب الوصي المرتضى حيدر الذي	له هجمات في المواقف خارقه
وتعظيمك الزهراء سيدة النسا	فليس لها منهن في الفضل لاحقه
وحبالشهيدين الذين اعتدت على	حياتهما غلف من الدين مارقه
وأولادهم حمال اسرارهم وحا	فظي الدين من كيد الفئات المفارقه
وهم كابر عن كابر قد توارثوا	غوامض علم المصطفى وحقائقه
أولئك أهل البيت والعترة الألىٰ	بفضلهم الآي الكريمة ناطقه
وعن جدهم قد جاء ان وجودهم	امان لئلّا تصبح الارض غارقه
وان محبيهم بيوم الجزاء في	معيتهم اذ راية الحمد خافقه
ومبغضهم حشو الجحيم وهل ترى	لهم مبغضاً الا القلوب المنافقه

وكم اورد الحفّاظ أخبار فضلهم بنقل ابانوا عزوه وطرائقه
الوف من الاعلام دانوا ودوّنوا جلائل ما امتازوا به ودقائقه
بتقبيل ايديهم نوال المنى لمن له نية التعظيم للمجد سائقه
ولكن اذا لم يرضه ابن فحبذا ودعواه حقاً خلة غير لائقه[1]
فكن مخلصاً في حبهم كي تنير في فؤادك من افق العنايات بارقه
واياك ان تصغي الى ما تأولت وما حرفت حسادهم والزنادقه
ففي الذكر لا أنساب في الحشر بينهم وجاءت احاديث الرسول مطابقه
ولكنه استثنى وخصصه بأنّ انسابه موصولة وعلائقه
وكم فسروا امثال هذا بغير ما يراد كما دانت بذاك البطارقه[2]
فلا قدس الرحمن حزباً قلوبهم واقلامهم عن مهيع الحق آبقه
طغى بهم الكبر المشوم فناطحو الـ ـجبال أليس الصخر للرأس فالقه
رأوا صادق الأنباء غير موافق هواهم فخاضوا في ضلال الازارقه
الى ضوء نار النصب يدعون جهرة وينهون عن شمس الهدى وهي شارقه
ومن انكر الاشياء لوم قبيحة مشوهة عشاق حسناء فائقه
كحمر بسيما الصافنات تظاهرت ولكنها حول المعالف ناهقه
وكم جاوروا جهال قوم فأفسدوا عقائدهم والنار للجار حارقه
ولو اقلعو عن غيهم لتبوأوا منازل مجد بالثوابت لاصقه
صلاةٌ على الهادي وعترته ومن بحبهم ارضى المهيمن خالقه
ولعنته تترى على كل فاسق يرى بغض اهل البيت ديناً وفاسقه

---

(١) في قوله: إذا لم يرضه ابن، المضاف محذوف ويقدره القارئ.

(٢) المراد بهم بطارقة النصارى إذ حرفوا معاني النصوص كما حرفها النواصب.

رياض الأنساب

في احدى المناسبات الخاصة انشأ السيد هذه الخماسية وسماها (رياض الأنساب) لكتابه نزهة الألباب، عن الشجرة والأنساب العلوية. وهذه هي القصيدة الثالثة عشرة من المسلسل بموجب امره:

نسب اذا عـدت فـرائـد عـقده ... ازرت بـخالص مـثمنات الجـوهر
نسب يـعير النـيرين ضـياءه ... ويـفوق نشـر شـذاه نـفح العـنبر
نسب له تـعنو وجـوه ربـيعة ... وتـخر سـاجدة تـبابع حـمير
نسب تـهش له قـلوب أُولي النـهى ... شـغفاً بـعذب مـعينه المـتفجر
نسب امـام المـرسلين رغـامه ... وعـموده نـور البـتول وحـيدر

الملاذ بسيد الكونين

في احدى مجالسه الدراسية وقد كانت القاعة مليئة بالحاضرين والذين جاؤوا بمعية الحجة العلامة السيد عمر المحضار احد الوجهاء وجمع من العلماء وطلبة العلم في ذلك الزمن جاش صدر السيد ابن شهاب بهذه القصيدة التي يتوسل فيها الى الله سبحانه وتعالى بجاه سيد الكائنات نبينا محمد عليه وآله افضل الصلاة وازكى التسليم متضرعاً متذللاً راجياً غفران الله الرؤوف الرحيم، فتلى هذه القصيدة بصوته الرنان امام هذا الجمع الغفير من الحاضرين. وهذه هي القصيدة الرابعة عشرة:

حـتى مـتى الرجـعى الى الغـفار ... والى مـتى التسـويف بـالأعذار
وعلام تـحجم أن تـتوب فـينمحي ... درن الذنـوب بـماء الاسـتغفار

يـاهل لنـفس السـوء عـن ايـغالها فــي مــهمه العـصيان مـن زجـار
حادت عن السنن القويم وقـصرت عــن واجــبات أوامــر الجــبار
فــي الغــي مـرسلة العـنان كأنـها مــــرتابة بــــجزاء تــلك الدار
فــتنت بــجمع الفــانيات وحـبها ولهت بــزخـرف وشــيها الغـرار
تنساب في شهواتـها مـن غـير مـا نــظر الى النــفاع والضــرار
واســتبدلت بــتلاوة القــرآن نـقـ ـر الطـار والأوتـار فـي الأسـمار
لم يثنها عـن سـوء عـادتها مشيـ ـب الرأس بل ركـنت الى الإصـرار
واذا استقامت للـفروض تكـاسلت عــما يــناط بــها مـن الأذكـار
واذا أتت عـــملا حـميداً مـرة بــالعجب تــفسده والاســتكبار
ايــن التـضرع والتـذلل والخـضو ع واين دمـع الخـاشعين الجـاري
كيف الخلاف ومـا الوسـيلة للـنجا ة سوى الحبيب المصطفى المـختار
نــور الاله نــجيه فــي عــرشه غــوث الخــليقة غـيثها المـدرار
نـعم المـلاذ بسـيد الكـون العـريـ ـض الجاه ثـم بـحضرة المـحضار
عــمر الذي بــجنابه يسـتنجد الـ ـغرقى فـينقذهم بـإذن البـاري[1]
ان يستجر بحماه مـن عـصفت بـه ريــح الخـطوب وزعـزع الخـطار
يــدركه أسـرع مـا يكـون مـمزقا سحب الكروب وعاصف الاعـصار
أوتــاه حــيران ولاذبــه اهـتدى بــضياء ذاك الكـوكب السـيار
مبدي العجائب في جهاد النفس من صــمت ومـن جـوع ومـن ايـثار
صـوم الهـواجـر دأبـه والجـد فـي ســهر الدجــى وتـبتل الأسـحار
الواســع العــلم اللــدني المـحيـ ــط بـمضمرات الاطـلس الدوار

---

(١) المقصود بعمر هنا هو عمر المحضار المنتسب الى الامام جعفر الصادقعليه‌السلام والمذكور من الاتـقياء الصـالحين، تاريخه معروف وحافل بجلائل وصالح الاعمال.

الراســخ القـدمين وهـو القـائد الـ ـــحزيين اهــل القـرب والأبـرار
وعـــليه بـــرد جـــلالة ومـــهابة يـــعنو لهــــا مـــتمرد الكــفار
وله الخـــوارق والكـــرامـات التـي فصمت عـرى الرهـبان والأحـبار
ظهرت ظهور الشـمس رابـعة النـها ر مـــنيرة فـــي شـــاسع الأقـــطار
أنـّـى تـعد وكـيف تـحصى كـثرة ايـــعد طش هـــواطـــل الامـــطار
فـله التـصرف فـي الوجـود منفذا مـــــا شـــــاءه بـــمشيئة القـــهار
أله نـــوامـــيس الطـــبيعة سـخرت ام طـــاوعته ســـوابـــق الأقـــدار
وبـــلا يـــزال العـبد اعـدل شـاهد بـــالحق يـــخرس الســن الانكـار
وبرُبّ اشـعث تـضمحل وتـنمحي شُــبه الجـــحود ووقـــفة المـحتار
والحس يشـــهد ان للـــمحضار آ يـــات يـــراهـا النـاس بـالأبصار
الوراث القـــطبية الكـــبرى عـن الـ ـــــمختار ثـــم وصـــيه الكـــرار
وعن الشهيدين اللـذين تكـفل الـ ـــباري لجـــدهما بأخـــذ الثـــار
وعـــن الائـــمة فـــالائمة والنـجو م الزهـــــر مـــن آبـــائه الأطـــهار
مـــن كـــل طـود أو خـضم زاخـر او كوكب فـي الافـق سـام سـاري
حتى انـتهت احـوالهـم وعـلومهم وجـميع مـا حـملوا مـن الأسـرار
كســـباً وارثـــاً للـــخليفة بـعدهم عـــمر الشـجاع الفـارس المـغوار
حـــمال اثـــقال الأمـــانة كـــافل بـــوظيفة التـــبشير والانـــذار
فاضت عـلى الجـم الغـفير هـباته ومـــن البـــحار مشـــارع الانـهار
وبسره المكـنون اسـرى فـي جـبـ ـين العـيدروس سـواطـع الانـوار
ورقى به الشـيخ العـليّ ذرى العـلا وبأوجـــها القـــى عـــصا التسـيار
ولنــــا بـــه آل الشـــهاب تـــعلق ورعـــــاية مـــــحمودة الآثـــار
وعـــناية الآبــــاء بـــالأبناء لا تـــنفك عـــند تـــقلب الاطـــوار

يـا رافـع الأعـلام يـا مـن جـاهه   عـند المـهيمن شـامخ المـقدار
أدرك حماك مـدينة الأجـداد من   مـرض سرى فـي الدار والديـار
فتريم أضـحت غـير مـا غـادرتها   بـتكاثر الأغـرار والاغـيار
وطريقة الأسـلاف فـيها اصـبحت   مـهجورة الايـراد والاصـدار
وتكاد تـعزب عـن ربـاها دولة الـ   ـعلم الشـريف بـصولة الديـنار
طمعت بـمنصبها الضـرائـر إذ رأت   مـا نـابها والنـور غـير النـار
والى اجـتماع سـراتـها لصـلاحها   لم يـلف مـن داع ولا أمـار
فـاضرع لربك ان يـعيد لهـا الذي   فـقدت فـتصبح مطمح الانـظار
قم يا شجاع الدين واجبر صـدعها   عـار عـليك وقـوعها فـي العـار
حـرمتها وضـمنت امـن ربـوعها   يـا كـعبة الحـجاج والزوار
فـرض حـمايتها عـليك كـماوعد   ت وانت سـلطان الحـماة الجـار
فاهزم بخيل الله خيل مـن اعـتدى   واحـم الذمـار بـمجرك الجـرار
وارفـع أذى مـتمردي جـيرانـها الـ   ـغاوين واقـطع شأفـة الاشـرار
وعليك بعد المـصطفى واخـيه والـ   ـزهراء والحسـنين صـلى البـارى
والعـترة الاطـهار أقـمار السـرى   ومـهاجري الأصـحاب والانـصار

طهور الشراب

ينتمي نسب مصلحنا الكبير الى بيت آل شهاب احدى الأسر والبيوتات العريقة المعروفة بالصلاح والعلم في جميع الاوساط العلمية والاجتماعية. نبغ الكثير فيهم ومنهم رائدنا المصلح المترجم له.

انشأ السيد هذه القصيدة باعتزاز لانتمائه الى هذه الأُسرة والى هذا البيت، بيت الفضل، وسمى هذه القصيدة (طهور الشراب من شمائل السادة آل شهاب) وهي القصيدة الخامسة عشرة، حسب الترتيب المسلسل.

الا لايعيب المجد والفضل إقلال ... وكل لئيم لا يسوّده المال
اذا امتحنت بيض الصفاح وجربت ... فالنصل لا بالغمد يتضح الحال
وهل حول بازي وان جاع يجتري ... غراب كثير الشحم يزهو ويختال
ولا مال في الدنيا لمن قل مجده ... صحيح وفي التنزيل للعكس إيطال
وان يفقدا أو يفقد المجد وحده ... فجهد جهيد أوقيان وجريال
أجل كل مال عند ذى اللؤم ضائع ... كحلي على زنجية عمها الخال
وان يجتمع مال ومجد فحبذا ... فذانك للحسناء عقد وخلخال
كما اجتمعت شتى المعالى لسادة ... حسينية للفضل روح وتمثال
فروع شهاب الدين غوث الورى الذي ... عليه من النور الإلهي سربال
الى حضرات القرب من ربه ارتقى ... فجرت له فوق المجرة أذيال
له الانس والجن استجابوا فلم تخب ... لمن أم منهم رحبة الفضل آمال
أنابت به لما استضاءت بنوره ... طوائف لا تحصى غواة وضلّال
سرى سره في المقتفين سبيله ... فنالوا الأماني عالمون وجهال

تبارك ذو العرش الذي قد احله مقاماً له جبريل جار وميكال
ويا حبذا ابناؤه الكمل الأُلى لهم خلفه سير حثيث وايغال
وكم جهبذ من صيد احفاده اقتفى الـ ـجدود الىٰ ان نال بالجد ما نوالوا
كآل علي القانت ابن محمد بناة المعالي والمجلين ان جالوا
وشمّ بني المشهور والزاهر ابنه وغرّ بني الهادي الهداة لمن مالوا
أولئك حتى الآن وراث شعبهم وهل أرثهم الا علوم واعمال
ولم لا وهم من صفوة العلوية الأُ لىٰ لهم بالسبع تعترف الآل
فعالمهم بين المحابر عاكف لعقد عويصات الوقائع حلال
منوط به تفسير ما كان غامضا وتفصيله ان كان في الأمر اجمال
وعابدهم مستغرق في سلوكه اذا ما توالت واردات وأحوال
به يرهم الله العباد ويمطر الـ ـبلاد وتزوى طارقات وأهوال
وذو المال منهم للمكارم والندى أخ ولأثقال النوائب حمال
يواسي ذوي الحاجات غير مجاهر وبالباب للأضياف حط وترحال
لديهم من الأجداد طه وحيدر وفاطم والسبطين ارث وانفال
تحلى به آباؤهم ثم عنهم تلقاه أبناء كرام وأنجال
ومن لدن المحضار أوفىٰ عناية عليهم بها سيب المواهب هطال
كمال ولا دعوىٰ ونسك ولاريا ومنّ ولا منّ ووصل وايصال
منزهة اخلاقهم عن كثافة التـ ـنطّع والاعجاب صدق اذا قالوا
يمرون ان مروا بلغو أعفة كراما فلا قيل يعاب ولاقال
وان خوطبوا من جاهل اعرضوا ولو أرادوا لردّوا لكن العقل عقال
إذا نابهم خطب فبالحلم والنهى تدك رواسي كل خطب وتنهال
على ان مولاهم حفيظ وناصر لهم فلهم بالله عزّ وإجلال

مـتى نـزلوا فـي قـرية أو مـدينة ففيها النـدى والعـلم والحـلم نـزال
هنيئا لكـم آل الشـهاب وكـيف لا يهنى الذي لم يطغه الجـاه والمـال
سـلكتم طـريق الاتـباع فـحزتموا من المجد ما لم تحصه العين والدال
ردوا مورد الاسلاف واسروا سراهم أليس لأُسد الغاب إن غـبن أشـبال
ولا تـهنوا وابـغوا المـزيد وثـابروا فليس على أبواب ذي الطول أقفال
وهـا انـا مـنكم غـير انـي مـقصر عن السعي في نجد الفضائل مكسال
وحـاشا أيـادي واسـع الجـود أنـه يـصادر فـرد فـي الفـريق ويـغتال
وازكـى صـلاة الله ثـم سـلامه على المصطفى والآل مـا لمـع الآل

رحلة العمل

واصل السيد ابن شهاب رحلاته لتحقيق النهضة الاصلاحية الى جنوب شرقي آسيا عام ١٢٩٠هـ / ١٨٧١م متنقلا بين مدنها وقراها للاتصال بوجهاء القوم وزعمائهم لتحقيق فكرة النهضة الصلاحية التي يقوم بها ويدعو اليها، وليرى الى اي مدى تسير النهضة الاصلاحية التي وضع اسسها ودعا اليها ورعاها، حاثا للهمم وموقظاً للارواح ومنورا للاذهان. وصل في رحلته هذه الى جزيرة جاوا وقد بلغ من العمر ٥١ عـاما، وكان واكثر اقامته في مركز عمله مدينة سور ابايا عاصمة جـاوا الشـرقية والمـدينة التجارية الاولى في تلك الربوع، وما ان علم به محبوه من زملائه ومقدريه حتى انهالوا عليه واتصلوا به فكان يجمعهم ويوجههم لتنفيذ مشروع النهضة الاصـلاحية عـمليا وتطبيقيا، وكان بينه وبين العلامة السيد محسن علوي السقاف صـلات وثـيقة، فـقد جمعت بينهما وحدة المبدأ والعقيدة والهدف والغاية. والسيد مـحسن السـقاف مـن المعجبين بالسيد ابن شهاب والمقدرين له حق التقدير والمعترفين بفضلة في ريادته للنهضة الاصلاحية والمقدرين لاعماله وجهاده، ودائماً يقول: ان السيد ابن شهاب هو مفخرة الزمن.

السيد محسن السقاف احد اكابر العلماء وفحول الادباء والشعراء، وله ديـوان مطبوع، وهو سياسي ضليع بعيد النظر ومن رجال النهضة الاصلاحية يحارب الظـلم والظالمين حتى تعرض للمشاكل حينا وللسجن حينا آخر، لكنه انتصر عليهم رافـع الرأس. انتخبته الأمة بالاجماع لتولي القضاء فتولاه فترة ثم اعتزله على رغم الحـاح الملحين للبقاء في هذا المنصب، وظل رافضا مفضلا عيش الحرية وعدم التقيد.

بعث اليه السيد ابن شهاب بهذه القصيدة مفتتحا بغزل لطيف ومطلعها:

عـــلى ســلمى وان نأت الخـــيام　　مـــن المـــضنى التـحية والسـلام

وما اكثر ما يردد الشاعر كلمة سلمى في هذه القصيدة، ولا نعلم ماذا يقصد بهذه الكلمة ومن هي سلمى هذه في حقيقتها، ولكن القارئ يدرك ذلك إذا تـمعن وتـتبع القصيدة بيتاً بيتا.

هذه القصيدة هي السادسة عشرة من المسلسل.

اعجب السيد محسن السقاف بهذه القصيدة واجاب عليها بقصيدة اخرى بنفس الوزن والقافية وهي مثبتة في ديوانه.

عـــلى ســلمى وإن نأت الخـــيام　　مـــن المـــضنى التـحية والسـلام
ســـلام مـــن فـــؤاد مـــنذ ولّـــىٰ　　وفـــارقها تـــولته الســـقام
على سلمى الســلام ومـن سـواهـا　　فـــإهداء الســـلام له حـــرام
مـــهاة صـــانها الرحـــمن عـــما　　بـــه العشـــاق تـعذل أو تـلام
كـــلفت بـــها وبـــي كـلفت فكـل　　بـــصاحبه مـــعنّىً مســـتهام
كـــلانا مـــغرم ولنـــا حـــديث　　غـــريب لا يـــترجـــمه الكـــلام
ولم أنس الوداع ومـــا جـــرى لي　　غـــداة الســـير إذ عـــز المـــقام
بكت خـــوف النـوى وبكـيت قـهرا　　دمـــا فـــبها وبـــي لعب الغـــرام
تـــبث اليّ شكـــواهـــا فأشكـــو　　اليـــها والدمـــوع لهـــا انســـجام
تـــناشدني أتـــرجـــع عـــن قـريب　　فـــقلت نـــعم وللـــدهر احـــتكام
وازمـــعت الرحـــيل وفـــي فـؤادي　　لوحـــــدتها لهـــيب واضـــطرام
رحـــيلا أُشـــرعت نـحوي عـوالي　　اســـنته وفُـــوّقت الســـهام
يـــهون عـــلي دون فـــراق ســـلمى　　فـــراق الروح لو هـــجم الحـــمام
الا يـــادارهـــا مـــن بـــطن واد　　بـــه نـــبت الخـــزامـــى والبشـــام
ســـقاك العـــارض الوســـمي سـحا　　وحـــيا ذلك الشـــعب الغـــمام

ترى هل تجمع الايام شملي بها أو هل لفرقتنا التئام
فاني من محبتها قتيل وكم بالحب قد قتل الكرام
اليها قبلتي ولها صلاتي وحجي والتنسك والصيام
ويعروني لذكراها اهتزاز عرفت به ووجد واصطلام
لها مهما تراءت في معاني صفات الحسن بدء واختتام
بها اتسقت كما بأبي جديد خليفة جده اتسق النظام
بنى في كاهل العلياء برجا منيعا لا ينال ولا يرام
قواعده على التقوى أقيمت وحسبك ما على التقوى يقام
فريد الدهر طود الفخر إنسا ن عين العصر قدوتنا الهمام
الى السمحا دعا حتى استجابت لدعوته الى الله الانام
أتاه الطالبون من النواحي على اعتابه لهم ازدحام
فأرشد للهدى من ليس يدري لعمرك ما الحلال وما الحرام
به افتخر الزمان على عصور بها انتشر الاكابر واستقاموا
اذا عدت أئمتهم فهذا مجدد عصرنا لهم الامام
به سيوون باسمة سرورا وحق لها وربك الابتسام[1]
به ابتهجت مدائن حضرموت تريم الخير والصفرا شبام
امام من بنى الزهراء ما ان له الا بخالقه اهتمام
ضحوك للارامل واليتامى عبوس اذ يخاطبه الطغام
يناجي ربه بحضور قلب وذل حين يعتكر الظلام
ويفنى بالحبيب عن البرايا اذا اخذوا مضاجعهم وناموا
ابا الأشبال خذ بيدي فقير تولى سر مضغته الحطام

---

(١) سيوون: اسم مدينة بحضرموت من اليمن الجنوبي.

غـــريب نـــازح فـــي أرض شـــرك	عـــلى ارجـــائها انـــطبق القـــتام
أضـــاع العـــمر فـــي لعب ولهـــو	بـــمعركة الخـــطاء له اقـــتحام
عـــن الخـــيرات تـــقعده ذنـــوب	وأوزار وزلات عـــــظام
له نـــفس عـــن العـــليا جـــموح	وليس لهـــا ليـــردعها زمـــام
بـــطلعتك اســـتجار اســـير ذنب	وتســـويف وجـــارك لا يـــضام
فـــانك مـــحسن عـــلماً ونـــعتا	وذو الاحســـان يـــلزمه القـــيام
وانت العـــروة الوثـــقى يـــقينا	فـــهل للـــعروة الوثـــقى انـــفصام
وحـــبل الله انت بـــلا نـــزاع	ولي بك ايـــها الحـــبل اعـــتصام
ودم فـــي نـــعمة وعـــليك بـــعد الـ	ــرسول صـــلاة ربك والســـلام

السيد احمد بن محمد المحضار احد العلماء الاعلام البارزين ومن كبار المجاهدين بالقلم والمال والنفس والنفيس. شجاع مغوار ومن رجال الاصلاح في عصره. تتلمذ لدئ السيد ابن شهاب وتلقى عنه ولازمه فاستفاد منه. وكان السيد المحضار معجباً بالسيد ابن شهاب اعجابا كبيرا وكان يجله كثيرا.

وبجانب كون السيد المحضار علّامة فهو رجل عمل اجتماعي وسياسي. ثم انه أيضاً اديب وشاعر، له اشعار كثيرة مفرقة، وقيل: له ديوان كبير مخطوط، لكني لم اطلع عليه. ومن ابياته المعروفة السائرة على الألسن قوله في خديجة أُم فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين عليها السلام:

في مراقيك كيف ترقى النساء يا خديج من بنتها الزهراء
من يساويك في كمال ودين انت شمس في كوننا والضياء

وله أيضاً في السيدة الزهراء البتول قوله:

بشراك سيدة النسا بشراك آل الرسول بنوك من والاك

وللسيد احمد المحضار انجال هم خيرة الرجال منهم العلّامة محمد بن احمد المحضار الذي صادق السيد ابن شهاب وكان بينهما مودة وصلة قوية،(راجع فصل زملائه) في هذا الكتاب.

في مناسبة طيبة من عام ١٢٩٤هـ انشأ السيد ابن شهاب هذه القصيدة وبعثها الى السيد احمد المحضار الذي يجله ويقدره، وافتتح القصيدة بغزل ذكر فيها سلمى، كما ذكر في كثير من قصائده هذا الاسم.

وهذه هي المسلسلة السابعة عشرة التي اختارها شاعرنا واوصى بها للنشر:

خليلي رفقا فالهوادي وكورها اضربها ادلاجها وبكورها

رويدا فهذا حي سلمى وتلكما مضاربها ذات اليمين ودورها

قفا لي ولو لوث الازار فإن لي حشاشة نفس قد تعالى زفيرها

وعوجا على ذاك المعرّس ريثما الى سمعها يبدي السلام أسيرها

فقد طالما امّلتُ ان ارمق الحمى بعين يروّي الترب منها غديرها

معاهد روّاها العهاد لعلها كعهدي بها يروي الصدي مطيرها

تروح وتغدو الغيد في عرصاتها احال الثرى فيها عبيراً عبورها

بها سحبت اذيالها ابنة مالك وحسبكما للترب فخرا مسيرها

ذراني بها اذري لعمري مدامعا يضارع هتان الغوادي غزيرها

سأقضي اذ لم اقض منها لبانة فمن شأنها يقضي بها من يزورها

ولا بدع ان ذابت بها مهجتي فما سوى مهج القوم الكرام مهورها

الا ليت شعري والاماني عذبة وهيهات هيهات الاماني وزورها

أللصبّ من سلمى على بخلها به وقوف على باب الخبا لا يضيرها

عتاب ورمز بالذي يصنع الهوى وتذكار ايام تقضّى حبورها

فحسبي من الدنيا هواها وحبها وسيّان عندي حلوها ومريرها

تأرجت الارجاء طيبا بها كما تبلج بالمحضار احمد نورها

يتيمة عقد الآل والدرة التي دراريها دارت بها وبدورها

مسيل الندى الفياض من جود احمد ومسطور آيات التجلي وطورها

وان عقدت في مجلس القرب حضرة فما بسوى المحضار يزهو حضورها

أبو المجد ترب المكرمات اخو الندى ربيب العلى رب المعالي اميرها

بنى في ذرى العليا واسس بالتقى قصوراً سمت حتى استحال قصورها

اذا اعتكر الداجي يناجي بلذة إلهاً له بعث الورى ونشورها

ويعبده حباً له لا لجنة يرغّبه جريالها وحريرها

ولا رهبة من ناره اذ مقامه جدير به يضحى سلاما سعيرها

خليفة سر المصطفى في منصة بها ازدان منها تاجها وسريرها

كريم من القوم الجواري صلاتها بلا منة والراسيات قدورها

هو القطب ان دارت رحى الفخر مطلقا فيا بأبي من ذا سواه يديرها

واسس في السفح المبارك مسجدا به طاف ولدان الجنان وحورها

بقاع له مثل البقيع تشرفت باحمد تلك الساحتين ظهورها

مشاهد تغشاها الوفود تبركا فياحبذا زوّارها ومزورها

فبورك من سفح وبورك مسجد يلوذ به اعرابها وحضورها

فمن لي بان اسعى الى عرصاته ليبشر نفسي بالصلاح بشيرها

وأستمطر الهطال من بركاته فتغمرني حتى المعاد خيورها

ابا حامد لا زلت بالحمد راقياً ذرى ربوة في العزّ عزّ نظيرها

فديتك اني مستجير بطلعة مباركة من نور احمد نورها

ودونك سراً لم اطق بعد كتمه وهل يكتم الاسرار الا خبيرها

لقد لمعت للقلب والقلب مجدب لوامع لما يأن منها فتورها

أبنْ لي أبرقُ العامريةِ خلّب ومكر فغرّ النفس منها غرورها

ام الحالة الاخرى وان تك هذه فيا فوز نفسي اذ تناهى سرورها

وكنت اذا ما زرت ليلى تبرقعت وقد رابني منها الغداة سفورها

على انني ادرى بنفسي ونقصها وغير خفي عجزها وقصورها

واصعب ما تنقاد للمجد والعلى واقرب شيء عن غناها نفورها

سقام وامراض عليها تراكمت مراهمها احسانكم وذرورها

وليس لها بعد الرسول سواكم اليكم ومنكم وردها وصدورها

ومسك ختام القول ازكى تحية على جدنا الهادي ذكيّ عبيرها

البشرى

الصلات الوثيقة بين السيد ابن شهاب ومفتي الشافعية بالديار الحجازية السيد احمد زيني دحلان صلات صداقة، بدأت بالمراسلات وتوطدت عند اللقاء به في زيارة السيد ابن شهاب للحجاز. اجتمع به كثيرا خلال اقامته بالحرمين الشريفين، وكان السيد دحلان يحافظ ويحرص كل الحرص علىٰ مجالس السيد ابن شهاب، فهو متأثر بـه، وكان لآراء وافكار السيد ابن شهاب مكانة سامية لدى السيد دحلان، فحبّب إليه البقاء في مكة المكرمة او بالمدينة المنورة باعتبارها مركزا من مراكز الاسلام. ولكن السيد ابن شهاب له نظرة اخرى، فشكر السيد دحلان معتذرا.

بعد تأديته فريضة الحج والعمرة وتشرفه بـزيارة الرسـول سـيد الكـائنات محمدﷺ، اطال مكثه في الديار الحجازية عدة اشهر اخرى. ثم اتخذ طريقه متوجهاً الى الاستانة عاصمة دولة الخلافة، فوصلها عام ١٣٠٣هـ وفي عاصمة الخلافة جاشت نفسه بهذه القصيدة وبعث بها الى صديقه السيد احمد زيني دحلان في اواخـر تـلك السنة، والسيد دحلان من الرجال المرموقين ومن الشخصيات الاسلامية البارزة.

في اوائل عام ١٣٠٤هـ اعاد السيد ابن شهاب الكرة لزيارة الرسول محمدﷺ بالمدنية المنورة، ومن غرائب الصدف ان ما ذكره السيد ابن شهاب في قـصيدته قـد تحقق، وتوفي السيد دحلان بالمدينة المنورة في ٤ من شهر صفر عام ١٣٠٤هـ رحمه الله رحمة الابرار.

وهذه هي القصيدة المختارة بموجب اختيار السيد ابن شهاب واوصى بها للنشر وهي الثامنة عشرة حسب المسلسل:

دعتك لك البشرى الى عـرشها أسـما　　　لترقى على ما فيك معراجـها الأسـمى

وتشهد منها فاخلع النعل خاضعا   بطور تجليها سنا الذات والأسما
وتقطف من غرس التمني لرفعها   حجاب التجني يانع الجلوة العظمى
هنالك مغزى العاشقين ومنتهى   أماني أهل الحب والشيمة الشما
وثمة تحظى بالملاحظة التي   تنال بها أقصى مرامك والمرمى
ومهما بدت فاسجد اليها ولا تذر   بسرك معنى من سواها ولا رسما
إذا أشرقت شمس الجمال فهل ترى   بعينيك بدرا بادي النور أو نجما
ويا حبذا ان روقت من رحيقها   كؤوسا وفضت عن أباريقها الختما
فطف واسع وانو الاعتكاف بحانها   ولا تخش عارا إن ثملت ولا إثما
ففي سلبها الادراك ايجابه فيا   لسالبة جزئية عكسها تماً
وتلك التي توحي بجبريل جامها   الى الروح آي الغيب في ذلك الإغما
وتسري بها الاسرار في سر من دنا   من الدن او من عرف مختومها شما
وما الفضل الا فضلة من عصيرها   ومن اجل هذا جانس الكرم الكرما
وما الشرفالساميسوىفي ارتشافها   وفي ذوقها المعنى الذي ينطق البكما
وهل غير ساقيها بأقداح راحها   عن الغي يهدي العمي أو يسمع الصما
نعم انه الفرد ابن دحلان أحمد   امام الورى طرا وأوسعهم علما
ثريا امان الدين من كل ملحد   ونبراسه الماحي بأنواره الظلما
ومن كان للاسلام شيخا وللهدى   أبا ولسيار العلا أمه أما
أغربني الزهراء اكليل تاجهم   وأوفرهم في إرث آبائه قسما
وأصبح في علياء شيب بن هاشم   يتيمة ذاك العقد والدرة العصما
تبوأ من بطحاء مكة منزلا   فأشرق فيها للورىٰ بدره تما
به أصبحت ام القرى تحسد القرى   وتحبو الضيوف المستفيدين بالنعما
به غرة العلم الشريف تهللت   سرورا وثغر الفضل اضحى به ألمى

خـبير بأسـرار الكـتاب وسنة الـ ـرسول وباستنباطه منهما الحكما
وعى بين الايات مشروح صدره وآتـاه فـي القـرآن مُـنزله فـهما
ومـا زال يـبري من براهـين آيـه سهام هدى يرمي فيصمي بها الخصما
وأصبح كشاف الحقائق خازن الـ ـمعالم تـبيان الهدى منفقا مما
بـدعوته أحيى شريعة جـدّه الى أن نـفى عـنها التأيـم واليتما
والقـح بـالسر الذي فـي ضميره قرائح كانت عن تـلقي الهدى عقما
فأنـهلها صـفو اليـقين وعـلّها وزحزح عـنها الشك والظن والوهما
مجلى سباق المجد أخطب من رقى ذرى مـنبر العلياء اشرف من أمّا
فأخـلاقه كـالروض تـزهو وعـلمه يـجل مـقاما ان يشـبه بـالدأما[1]
بخفض الجناح استوجب الرفع ناصبا موازين وصف العدل واستعمل الجزما
الى أن رقى في القرب متن المنصة الـ ـمشار اليـها بـالأصابع والموما
له بـلطيف الروح فـي كـل حـضرة حـضور وإن كـنا نشـاهده جسما
كـرامـاته كـالمعجزات وانـها لمنها وشبه الأصـل لا يـقتضي ظـلما
ومن يستجر في سوحه مخلصا فلا يخاف مـن الأيـام ظـلما ولا هـضما
له فـي جمال الحق شغل ورغـبة عن الخوض في أوصاف زينب أو سلمى
يـقوم اذا ارخـى الدجـى ذيـله الى مـناجاة مـن فـي حـبه حـرم النـوما
وحـينئذ يـفنى السـوى فـي شـهوده لدى حـضرة الذات المقدسة الاسما
فـيدرك مـن سـر العلوم غـرائبا بها يهتدي من كـان فـي هـذه أعمى
تـضج اذا مـاقام للـوعظ بـالبكا قلوب وكانت قبل كـالصخرة الصما
وكـان اشـد النـاس بـالناس رأفـة وأنـفذهم فـي ظـالمي قـومهم سـهما

---

(١) الدأماء: البحر.

اليك ابـــن زيـني مـدحة مـن مـقصر   تخوض وتطوي نحوك اليم واليـهما[1]
تـــنوب إذا حـيتك عـن ذي بـضاعة   من الشعر مـزجـاة وتـنشدك الرحـما
غـــنامى امـــانيها القـــبول ونـــفحة   لمنشئها بالفتح في الوجـهة العـظمى[2]
فـــان له فـــي السـير بـعض عـوائـق   تـــؤخره عـــن جـــد اجـداده قـدما
وقـد نـاله بـعض الاذى مـن عـصابة   ذوي حسد فـي قـومها تكـره النـعما
ومـــا لصـــلاح الكـــل الاك كـــافل   ولا ريب ان المسـتجير بكـم يـحمى
وبـــالصلوات الطـــيبات عـــلى الذي   الى قاب قوسين ارتقى نـختم النـظما

(١) اليهماء: الفلاة.

(٢) غنامى الشيء: قصاراه، وهي غاية جهده ومبلغ طاقته.

مم الاسى؟

فوجئت الاوساط العلمية بنبأ مؤلم هو وفاة العلامة الحجة رجل التربية والتعليم وأحد اركان النهضة وعلم من اعلام العلويين البارزين السيد علي بن حسين الحداد.

ارتجت البلاد واعلنت الحداد وكانت وفاته في الخامس عشر من شهر ذي الحجة عام ١٣٠٩هـ اثر مرض طفيف الم به لم يمهله اياما.

خسرت الامة وفقدت البلاد مصلحا كبيرا وعالما نحريرا وشخصية فذة كبيرة.

لم يمت السيد علي الحداد، لانه ترك تراثا عظيما وأثرا حسنا وسمعة طيبة وذكرا جميلا وفضلا عميما انتفع الناس بعده مما تركه من علم ومآثر وتراث. رثاه الشعراء وأبّنه الخطباء والادباء وفي مقدمة الجميع السيد ابن شهاب الذي رثاه بهذه المرثية المؤثرة من ديار الهجرة.

هذه هي القصيدة التاسعة عشرة من المسلسل المختار:

مم الأسى وتوجع الاكباد	وعلام حل الحزن كل بلاد
وبم اسوداد الافق حتى اظلمت	ارجاؤه في مقلة المرتاد
فاسأل عن النبأ العظيم وما جرى	في الارض من سبع الزمان العادي
اتراك تجهل لا ولكن دهشة	مما عرا استهوتك بالمرصاد
هو نكبة الاسلام بالمرفوع في	يده لواء الفتح والامداد
المستوي في عرش منصب جده	قطب الورى المشهور بالحداد
سر السلالة من نجار محمد	وخلاصة الابدال والاوتاد
فرع زكا من دوحة علوية	سقيت بماء الوحي والاسعاد
جاء البريد ولا نعمّا صارخا	بمفتت الاصلاب والاعضاد

خطب بـه ذهب الـندى وتـضعضعت عـــمد الهـدى والبـر والارشـاد
حكـم الاله وليس يسأل قـد جـرى بـــافول نـــير ديـــنه الوقـــاد
مـحيي الديـاجي اذ يـناجي ربـه بـــــتلاوة القـــــرآن والاوراد
حـف المـلائك والمـلوك بـنعشه وطـــوائـــف العـلماء والعـباد
وارتــــه وانـقلبت تـعض اكـفها وتـــصب صـيّب دمـعها المـنقاد
عـــجبا لذاك الطــود كـيف تـقله نـحو الضـريح نـواحـل الاعـواد
ام كيف هـذا البـحر فـي جـرز القـلو ب يـفيض ثـم يـغيض فـي الألحـاد
قــل للـمكارم فـلتشق جـيوبها ولتــلبس العـلياء ثـوب حـداد
اسـد خـلو الغـاب عـنه غـدا بـه الـ ـــهم المـبرح مـلء كـل فـؤاد
وغـدت ازمـة يـعملات العـلم والـ ـــتحقيق مـلقاة عـلى الاكـتاد
كـم مـن فـيوضات له مـنحت بـها اهــل الطــريق بـاقرب اسـتمداد
مـقري الضـيوف كأنـهم شـركاؤه فـــي طـارف مـن مـاله وتـلاد
وله بأفــــئدة المـــلوك مـــهابة تـــثنيهم عـــن ســوء الاســتبداد
بـالحق يـصدع لا يـخاف وماله فـي قـول غـير الصـدق مـن مـيراد
ما انفك فـي جـلب المـصالح سـاعياً ولدرء مـا يـخشى مـن الافسـاد
كـــنّا بــــه فـــي جـــنة ووقـــاية مـــن طـــاميات الزيــغ والإلحــاد
حـــتى دعـــاه الى الكـــرامة واللقا مـــن ربــه الرحـــمن خـــير مـنادي
فـــاجابه وقـــلى الديـــار وأهـــلها وجـــثى بـــحضرة مكـــرم الوفّـــاد
بـــعلاه أقســـم مـــا لنـيران الاسـى بـــفراقـــه والحـــزن مـــن اخـــماد
لكـــن لنـــا بـــمصاب احـــمد أســوة ووصـــــيه وبــــنيه والاحــــفاد
ولنــا مـــن التســـليم خـــير سرادق مـــتمكن الاطـــناب والاوتـــاد

ولنـــا بـــعبد القـــادر الشـــهم الذي خـــلف الفـــقيد نكـــاية الاضـــداد[1]
حـــبر تـــرشح للـــرقيّ الى عـــلا أســـلافه بكـــمال الاســـتعداد
ســـمة وشـــنشنة وارث عـــنهم والشـــبل يـــعرف مســـرح الآســـاد
وبـــرهطه اعـــني بـــني الحـــداد سا دات العـــباد شـــموس ذاك الوادي
الطـــيبين الطـــاهرين الراكـــعين الســـاجدين القـــادة الامـــجاد
الســـالكين بـــهديهم قـــدماً عـــلى قـــدم الى قـــدم الحـــبيب الهـــادي
الوارثـــين عـــن الرســـول عـــلومه وعـــن الخـــليفة ســـيد الزهـــاد
وعـــن الشـــهيد بكـــربلاء ونـــجله الأوّاه ذي الثـــفنات والســـجاد
وعـــن الاكـــابر فـــالاكـــابر والكـــرا م عـــن الكـــرام وكـــمّل الاجـــداد
يروون مـــا لم يـــرو غـــيرهم مـــن الســـ ـــرّ المـــصون بـــصحة الاســـناد
النـــاظرين الى العـــباد بـــرأفـــة نـــظر الحكـــيم مـــصالح الاولاد
دُمث الشـــمائل طـــيب نشـــر حـــديثهم يســـرى النســـيم بـــه ويـــحدو الحـــادي
لا بـــيت أســـبق للـــمكارم والنـــدى مـــن بـــيتهم فـــي حـــاضرٍ او بـــادي
يـــهتز طـــفلهم اشـــتياقا للـــعلا والمـــجد طـــبعا ســـاعة المـــيلاد
تأبـــىٰ نـــفوسهم الابـــية ان تـــرى حـــوامـــة فـــي ســـاحة الاوغـــاد
بـــالله عـــزهم وطـــه المـــصطفى ومـــقام جـــدّهم الفســـيح النـــادي
لا يـــركنون الى ذوي مـــلك ولا يـــتضرعون لظـــالمي الاجـــناد
زاد الاله عـــلوّ كـــعبهم ولا بـــرحـــوا قـــذىً فـــي اعـــين الحســـاد
صـــبراً بـــني الحـــدّاد ان فـــقيدكم جـــار الاله وجـــار طـــه الهـــادي
فـــعلى ضـــريح ضـــم اعـــظمه مـــن الـــ ـــرضوان رائـــح صـــوبه والغـــادي

---

(١) هو السيد عبد القادر بن احمد الحداد. كان موصوفا بالشجاعة والثبات والاناة والعقل والجود والاستقامة. ويكفي ان نقول: انه من مؤسسي رباط العلم بتريم، بل اسمعهم صوتا واشدهم جدا وجهدا في ذلك. اهـ مصححه.

ولئن مضى عنكم فقد ابقى جميـ ـــل الذكر في الاغوار والانجاد
والموت سنة من تفرد بالبقا في الخلق وهو الصَّادق الميعاد
كل ابن انثى لا محالة صائر قنصاً لمخلب ذلك الصيَّاد
فلنرفع الأيدي ونضرع للذي آلاؤه جلت عن التعداد
ان يكتب الاجر الجزيل ويجعل الـ ـــصبر الجميل لكم اجل الزاد
واليكم مسنون تعزية اتت من ذي حشىً حشيت من الانكاد
وتحية من نازح عنكم له فيكم صحيح محبة ووداد
وعلى الحبيب الهاشميّ وآله أزكى السلام على مدى الآباد

يا غارة الله سلي سيف نقمته

يصف السيد ابن شهاب أولئك البغاة والطغاة الذين يحاربون الله ورسوله ظلما وطغيانا اشد من طغيان نمرود وظلم فرعون. ويتوسل بنبي الرحمة محمدﷺ وبالامام عليعليه السلام وبفاطمة الزهراء والامامين الحسن والحسينعليهما السلام ثم بالصالحين والاولياء من ذريتهم،ان يسلط الله عليهم سوط عذابه. ثم يشرح الوقائع والحقائق والاوضاع المؤلمة المزرية المنصبة على العلويين من هتك الاعراض ونهب الأموال وتشريدهم، وليس لهم ذنب سوى انهم يتبعون الحق ويحاربون الباطل ويحبون النبي ويوالون آل بيته، فاتباع الحق ومحبة الرسول وموالاة آل بيته في نظر وعرف هؤلاء الطواغيت البغاة جريمة لا تغتفر.

بعث السيد ابن شهاب هذه القصيدة الى العلّامة السيد علي الحبشي. وهو عالم من علماء زمانه له مؤلفات كثيرة في عدة فنون، منها السيرة النبوية تقرأ في كل مناسبة وفي ولائم الافراح وحفلات عقد النكاح، وبالاخص في طيلة شهر ربيع الاول من كل سنة. وهو خطيب مفوه له ديوان مطبوع باندونيسيا عام ١٣٣٩هـ سمعته طبقت آفاق المهاجر الشرقية وجنوب الجزيرة من اليمن السعيد، تولى التدريس في الاقسام العالية بربن العلم بحضرموت! كان كريما سمحاً سخيا بذولا، ينفق بسخاء للاعمال الخيرية من جيبه الخاص. بيته مأوى الوافدين من كل قطر. تخرج على يده فطاحل العلماء وكبار الزعماء. ظل السيد ابن شهاب محافظا على المودة والاتصال به من مهجره شعرا ونثرا، وبعث هذه القصيدة اليه عام ١٢٩٣هـ وهي القصيدة العشرون من الترتيب لهذا المسلسل:

للدمع فوق خدودي اي تخديد　　　مذ بدّد الدهر شملي ايّ تبديد

وهـذه سـنة الدهـر الخـؤون بـمن الى ذرىٰ الفـضل يـغدو خـابط البيد
يـا ايّـها المـوت هـلّا زرت مـنتصراً فـما البـقاء عـلى ضـيم وتـنكيد
مـن فـرقة حـاربوا مـولاهم وبـنوا فـي أرضـنا بـغي فـرعون ونـمرود
عـائت بـنو اللـؤم فـي أبـناء فـاطمة اهـل الفـضائل والعـزّ المـحاميد
مـمن تـديّر فـي سـفح النـعير وفـي اكناف خـيلة او فـي سـفح عَـيديد[1]
يا عـين جـودي بـهتان الدمـوع دمـاً لما جرى في ذراري المصطفى جودي
من هتك عرض ونهب للـتراث وتـخـ ـويف النسـاء واسـر السـادة الصـيد
وروعـوا صـبية الهـادي وافـئدة الـ ـبيض الرعـابيب بـالبيض الرعـاديد
وطردوهم على رغم الانـوف مـن الـ ـفنَّاء ظـلما وبـغياً أيّ تـطريد
وكـم أسـالوا دمـوع الخـائفين بـها عـلى الخـدود بـتبكيت وتـهديد
وكم سوى اهل بيت المـصطفى قـهروا بـنهب مـالٍ وتـخويف وتشـريد
لم يـرقبوا فـيهم الَّا ولا ذمـماً كأنـهم لم يكـونوا أهـل تـوحيد
سـحقاً لهـم لا اطـال الله مـدّتهم وأعـدم الله مـنم كـلّ مـوجود
يـا غـارة الله سـلي سـيف نـقمته عـلى طغاة الطـواغيت المـناكيد
الله اكـبر صبّ الله سـوط عـذا بـه عـلى والد مـنهم ومـولود
لا غـادرت سـطوة القـهار مـن احـد مـن فـرقة البـغي الّا يـابس العـود
يـا سـيد الرسـل عـطفا انـنا فـئةٌ من اهل بـيتك بـيت المجد والجـود
قد مسنا الضـر حـتى لا اصـطبار لنـا مـن كـل خبِّ خـبيث الفـعل مـبعود
وليس الاك بـعد الله نـقصده لكشف تلك الخـطوب الهـوّل السـود
بك التـوسّل ان ضـاق الخـناق الى مـجيب دعـوة مـضطرٍ ومـجهود
وبـالامام أمـير المـؤمنين وبـالـ ـزهراء فـاطم ست النسـوة الخـود

---

(١) ثلاثة أودية تمر أثناء مدينة تريم وفي جانبها.

وبـالحسين وزيـن العـابدين وبـالـ ـمهاجر القطب مرسيها على الجـودي
وبـالمقدّم مـع اشـباله والى ـسقافنا غـوث مـلهوف ومـطرود
وشيخنا المنتضى حامي الحمىٰ عمر الـ ـمحضار يحضر عن قـرب اذا نـودي
وبـالإمام الهـمام العـيدروس وبـالـ ـشيخ العـليّ أرجّـي نـيل مـقصودي
وبـالامام شـهاب الديـن والعـلم الـ ـحدّاد فـي كـل هـول غـير مـحدود
وشيخنا العيدروس ابن الشـجاع امـا م العصر من يخصم العادي اذا عـودي
سيف الاله على البـاغي ويـالك مـن سـيف عـلى مـبغضينا غـير مـغمود
وبـالاخ المـرتقي أوج الكـمال ومـن في غـير أهـل المـعالي غـير مـعدود
إرثـا وكسـباً مشـى فـيها عـلى قـدم في سير اهـل الطـريق الحـق مـعهود
ليث النـزال ومسـلاق المـقال عـلي بـن الجـمال شـفائي ان ذوى عـودي
يـا أيـها السـادة المـلقون سـمعهم الى اسـتغاثات مـلهوف ومكـمود
قوموا بـنا وارفـعوا عـنا الاذى فـلقد لذنـا بـحبل الى الرحـمن مـمدود
وارعوا الذمـام فـقد اضـحت بـلادكم كـناظر مـن قـذى الاغـيار مـرمود
ثم الصلاة عـلى الهـادي الشـفيع بـيو م العرض يـوم عـظيم الهـول مـوعود

الصدمة العنيفة

فوجئ السيد ابن شهاب بصدمتين عنيفتين في حياته اثرت في نفسه تأثيراً عميقاً، الاولى عند وفاة والده وهو في حداثة سنه، والصدمة الثانية النبأ الجلل المفاجئ بوفاة زوجته المصونة الشريفة سيدة بنت علي بن عبدالله بن شهاب وهو في سفرته الى الخارج، وكان آنذاك بالقاهرة عام ١٣٠٣هـ.

هذه الفاجعة كانت عنيفة عليه وقد آلمته كثيراً واثرت في مجرى حياته، وهدت من قواه، فتراخت اعصابه وشعر انه فقد بفقدها كل شيء في حياته حتى نفسه، واسودت الدنيا وانهارت عزماته. ولكن ثقته العظيمة بالله جعلته يرضى بحكمه ويستسلم لقضائه، ففوض امره الى الله. وهو اعلم بمصالح عباده، وهو الرؤوف الرحيم بهم.

فاجأه النبأ المؤلم وهو بعيد عن اهله وذويه، وظل على اثر هذه الفاجعة اياماً وليالي منعزلاً في منزله يعاني الآلام النفسية من تلك الصدمة. فافتقده زملاؤه واصدقاؤه من العلماء والادباء الذين اعتادوا الاجتماع به في اكثر الامسيات. عجبوا لغيابه واخذوا يتساءلون فيما بينهم عنه، فتوافدوا الى منزله يستفسرون عنه وعما الم به فخرج يستقبلهم برباطة جأش مرحبا بهم كعادته المألوفة، غير انهم رأوا في ملامحه شيئا ما يستدعي الشك والارتياب، ويدل على حدوث امر طارئ، فاستفهموه، فانبأهم بالنبأ المؤلم، فتأثروا وشاركوه في الم المصاب وفي احزانه وعزوه في فقيدته، وتحولت الجلسة الى مجلس عزاء. سرعان ما انتشر الخبر فتوافد الجميع من معارفه ومقدريه الى منزله لتقديم التعازي والمشاركة في الم المصاب حتى ضاق المكان بالوافدين على رغم سعته. ثم أقيم سرادق امام البيت لاستقبال المعزين وقراءة الفواتح والآيات

القرآنية من الذكر الحكيم حسب الاصول المتبعة والقواعد المرعية في مصر. واستمرت اياما، وكان لتوافد المعزين والمشاركين في المصاب الجلل بقراءة الفواتح على روح الفقيدة ما خفف شيئا في نفسه من لوعة الالم، فجاشت شاعريته بهذه المرثية التي بلغت تسعين بيتا هي قطعة من روحه إذ إن كل مصاب لديه هين الا هذا المصاب.

هذه هي القصيدة الحادية والعشرون من المسلسل الذي أوصىٰ به:

اسـيٌ وافـىٰ بـحادثه البـريد — وحـزن دائـم وجـويٌ يـزيد
مـصاب هـد مـن جـلدي وصبري — بكـارث خـطبه الركـن المشـيد
عـلى انـي ربـيط الجـأش ثبت — وان حشـدت مـن الدهـر الجنود
ولكـن اللـيالي فـاجأتني — بـموجعة يـذوب لهـا الحـديد
كأن ضـئيلة لسـعت فـؤادي — فـحم بسـمها الجسـد الجـليد
فكـل مـصيبة جـلل سـواهـا — لدي وكـل ذي خـطر زهـيد
لقـد قـطفت يـد الايـام غـضا — مـحل غـراسـه قـلبي العـميد
احـال الدهـر رونـقه واذوى — نـضارة عـوده الزمـن العـتيد
وأنشـبت المـنية فـيه ظـفراً — فكـاد الحـي مـن جـزع يـميد
وجـدن عـليه بـالدمع البـواكـي — وكـان بـنفسه كـرماً يـجود
وسـامته الكـواعب أن يـفدّى — بـهن لو الفـداء هـنا يـفيد
واصـبح وهـو فـي حشـم عـديد — وامسـى وهـو مـفترب وحـيد
تـرحـل قـاصداً نـزلاً قـريباً — رجـوع النـازلين بـه بـعيد
وام رحـاب مـن تـلقى مـناها — اذا نـزلت بسـاحته الوفـود
مـضى واخـتار بـعد جـوارنـا أن — يـجاوره الرؤوف بـه الودود
فـيا لله مـن قـمـر بـقبر — تـعظمه لسـاكـنه اللـحود
وكـم يـا ليت شـعري مـن عـفاف — تـضمن ذلك الجـدث الجـديد

وطيب شمائل وجميل ذكر ... عليه خرآئد الغنًّا شهود
وعرض طاهر وخلال حمد ... لها الميزان والشعرى عقود
غرائز هاشميات وخلق ... جميل زانه الخلق الحميد
يرشحه لها نسب منيف ... لمحتده ذرىٰ العليا سجود
نمته عروق مجد اخلصته الـ ... ـعمومة والخؤولة والجدود
لقد أودى فأودع نار وجد ... لها ما بين أضلاعي وقود
فقدت بفقده الدنيا جميعاً ... بروحي ذلك الالف الفقيد
اقام لعشرتي عشرين عاماً ... وكل اولئك الأيام عيد
به ابتهجت سميات المغاني ... وتاه بعزّه القصر المشيد
يصرّف كيف شاء نفيس مالي ... ونفسي والعبيد له عبيد
وكل فعاله أعمال برّ ... وكل خصاله كرم وجود
فما نقم الحفيّ عليه أمراً ... يعاب به ولافاه الحسود
وليس وان سما قدراً وشأناً ... بذى صلف ولا الشكس الكنود
ولم يرفع على الجيران صوتاً ... وان جاروا ويصفح ان يكيدوا
ولم يغتب سواه ولا اشتكى من ... نميمته القريب ولا البعيد
وليس بسيئ ظنّاً اذا ما ... أساء الظن بالناس الحقود
ولم ينطق ولو مزحاً بعورا ... عدو المرء ما لا يستعيد
نفور عن سفاسف كل امر ... وعن ما لا يليق به شرود
تسربل بالنزاهة واكتسى بالنـ ... ـباهة والحياء له عقيد
دعته الغيد سيدهن طوعا ... ومن ذا بعد غيبته يسود
وأجمعت العقائل انه في ... سمات المجد ليس له نديد
لهنّ بحسن سيرته اقتداء ... يزين ورأيه الرأي السديد

صـــفات جــاء مــطبوعا عــليها له ولهـــا بـــه اقـــترن الوجـــود
وارث خـــــلفته له أصـــول كـــرام مـــن بـــني الزهـــراء صـــيد
ولو مـــنها فـــرضنا جـــحد شـــيء لألقـــم دونـــه الحـــجر الجـــحود
نـــفيس قـــد تكـــون مـــن نـــفيس وحـــيد فـــي مـــحامده فـــريد
بـــلا ثـــمن حـــظيت بـــه لحـــظي بـــخٍ لود ام فـــي الدنـــيا ســعود
ايـــحسن بـــعده فـــي رأي عـــيني مـــن الدنـــيا طـــريف او تـــليد
وهـــل اســـلو بـــلى اســلو سـلوي الى يـــوم يـــقوم بـــه الهـــجود
وهـــل بـــتداول الأيـــام حـــزني يـــقل لفـــقده لابـــل يـــزيد
وهـــل يـــبلى مـــعاذ الله ود له بـــالقلب مـــمتزج اكـــيد
فـــلا عـــيشي يـــطيب ولا شـــرابي يـــروق ولا كـــرى جـــفني يـــعود
وتأبـــى شـــيمتي ان يـــزدهيني عـــقود فـــي الخـــراعب او بـــنود
وكـــيف يـــلذ بـــالعلات وصـــل نـــعم مـــنهن لذّ لي الصـــدود
ســـيبدو لي خـــيال مـــنه مـــهما تـــراءت غـــرة للـــعين خـــود
بـــحرمة وده اقســـمت انـــي احب اليـــــه لوســـاغ الورود
ومـــالي فـــي الحـــياة هـــوىً ولكـــن قـــضى بـــبقاي ذو العـــرش المجيد
أأبـــقى والمـــغاني عـــنه صـــفر وآونـــة الحـــياة البـــيض ســـود
وتـــحزنني الولائـــد ان اراهـــا وقـــد صـــبغت بـــادمعها الخـــدود
اســـى يـــبكين لا لحـــذار ذل فـــان أُبـــاته العـــدد العـــديد
وقـــين الســـوء طـــالعهن الّا بـــغيية شـــخصه ابـــداً ســـعود
ولولا ان هـــذا الرّزء حكـــم مـــن الفـــعال فـــينا مـــا يـــريد
لقـــارعت المـــنون قـــراع حـــرّ تـــهاب شـــبا قـــواضـــبه الاســـود
وخـــضت لدرئـــه غـــمرات حـــرب يشـــيب لهـــولها الطـــفل الوليـــد

ولكـــن ليس هــذا الخــطب مــما تــــقهقره الجــيوش ولا الجــنود
فــخفّض يــا فــؤاد عــليك واصــبر فـــما المـــوتور قـــبلك مســتفيد
ومــا جــزع عـــلى مــيْت بــمغن ولا ضـــرب الحســام ولا النــقود
وســلم ان فــي التســليم اجــراً وفــي عــدم الرضــا ورد الوعــيد
جــرى قــلم القــضاء فكــل مــاض مـــن الدنـــيا اليـــها لا يــعود
وليس لذي مـــقام او حـــطام يـــتاح بـــهذه الدار الخـــلود
لريب الدهــر فــي كــل ابــن انــثى ســهام لا تـــطيش ولا تــحيد
ومــن مــن صــرفه يــنجو ومــن ذا عـــلى ظـــهر البســيطة لا يــبيد
وبــالامم التــي ســلفت وصــارت مـــن المـــنسي يــعتبر البــليد
فكــم غــدر الزمــان بــذات قــرب ومـــبعدة كـــما بــعدت ثــمود
وكــم نــقضت مــن الدنــيا عــليهم مـــواثــيق وكــم نكــثت عــهود
وكــم ذي زهــو افــترست سباع الـ ـــفناء وخــانه الأمــل المــديد
ولكـــن الورى فــي غــفلة عــن مـــصارعهم كأنـــهم رقـــود
ســفاه بــابن آدم حــين يــلهو ويـــلعب والحـــمام له عـــقيد
تـــناخ بســوحه نــجب المــنايا وشـــيمته القســـاوة والجــمود
وليس بــما يــؤول اليــه يــدري امـــقبول فـــينجو أم طـــريد
لعـــمرك انـــه لقـــرين خســـر ومـــحفوظ الكــتاب بــذا شــهيد
ولم يـــفلح ســوى عــبد له فــي ربـــى الايـــمان بـنيان وطــيد
وصــدق واتــقى المــولى وأعــطى ولم تـــتعد مـــنه له الحـــدود
ولو لا ســبق رحـــمته تــعالى لحـــل عــذابــه بــهم الشــديد
عـــلى جــدث بــه مــمن فــقدنا لطـــيف الروح والجســم الوئــيد
تـــحيات مـــعطرة الحــواشي يـــضوع بــنشر عــبهرها الوجــود

وصيب رحمة وسجال غيث من الرضوان جاد به الحميد
وشيعت الملائك منه روحاً الى الافق المبين لها صعود
واسكنه المهيمن في جنان دعائم دورها الدر النضيد
يطوف رياضها في عبقري مجللة لهيكلها البرود
تسامره هنالك ام هندٍ وفاطمة المطهرة الخرود
وكل شريفة تنمى الى من هم في مركز الفخر العمود
الى آل الرسول عليه أزكى صلاة الله ما حن الرعود

برق الرضا

السيد فضل بن علوي بن محمد بن سهل احد زعماء العرب وقادتها السياسيين المحنكين، وخطيب مفوه في جنوب الجزيرة العربية واحد رجالها الافذاذ المكافحين لتدعيم حركة النهضة الاصلاحية. العامل المصلح للصالح العام والمدافع عن حقوق الشعب لتحقيق وحدة الصف الاسلامي تحت راية دولة الخلافة. لا يؤمن بالقوميات ولا الوطنيات ولا الاتجاهات الاوروبية او الليبرالية الفرنسية او غيرها، واتجاهه اسلامي محض، وهو من اصدق اصدقاء السيد ابن شهاب.

للسيد فضل أثر كبير في خدمة الامة. تولى امارة سلطنة ظفار بجنوب الجزيرة العربية باستحقاق وجدارة عن اب وجد ولكنه آثر تركها، لان اصلاح الامة في نظره اهم من التربع على كرسي الامارة او تبوؤ عرش السلطنة.

قدرته دولة الخلافة ومنحته لقب الباشوية وقلدته بعد ذلك بالوشاح السلطاني والنياشين اعترافا بفضله وتقديراً لكفاحه وجهوده في سبيل المصلحة الاسلامية العامة. وما كانت النياشين ولا الأوشحة ولا الالقاب الضخمة كل امله، فهو يخدم لله وللمسلمين.

استقر في اواخر ايام شيخوخته في تركيا، وله عقب اولاد واحفاد واسباط اتخذ البعض منهم مدينة اللاذقية بسوريا موطنا لهم ولا يزالون بها الى الآن، زرتهم كثيراً باللاذقية واجتمت بهم، وهم المعروفون باسرة آل فضل في سوريا وتركيا.

في كل مناسبة لابد ان يذكر السيد ابن شهاب في خطبه او قصائده مادحا او راثيا و متوسلا بما لآل البيت النبوي الطاهر من فضل، من النبي محمدﷺ والامام علي والزهراء الفاطمة والحسنين ثم الائمة عليهم السلام علي زين العابدين والحبر

الذي انار طرق الهدى محمد الباقر والعلم الشامخ وبحر الندى جعفر الصادق ثم الائمة من بعده كابر عن كابر. فهم كنوز علم الرسول الاعظم المصون ووارثو تراثه العظيم، وهم قرناء القرآن الى يوم الورود على الحوض.

وطـهرهم عـن كـل رجس ووصـمة ... فـلم يـلدوا الا تـقيا مـطهرا
عـليهم سـلام الله قـوم اقـامهم ... لاسـمائه الحسـنى دليـلا ومـظهرا

انشأ هذه القصيدة تقديراً للسيد المكافح فضل بن سهل عام ١٣١٢هـ وبعثها اليه وهي الثانية والعشرون من ترتيب السيد ابن شهاب.

عـليّ لهـا ان تـنبذ المـقلة الكـرى ... وتـذريَ دمـعا كـاليواقـيت احـمرا
وان ليس يسـلوها الفـؤاد ولو مـدى ... فـواق ويـبقى والهـاً مـتحيرا
وان لا تـصيخ الأُذن سـمعا لعـاذل ... يـزخـرف تـزويرا مـن القـول مـنكرا
وان ليس الا فـي نـعوت جـمالها ... يـنوس لسـاني بـالبديع مـحبرا
وان ليس تجري في ضـميري مـطامع ... مـن الوصـل تأبـاها الفـتوة مـصدرا
نـعم غـرضي والشـاهد الله وقـفة ... انـازعها فـيها الحـديث وأنـظرا
ويـا حـبذا ان روقت كأس قـرقف ... يـعود بـه غـرس الأمـاني مـثمرا
ومن لي بآمـالي ودونـي مـن النوى ... ومـن نكـبات الدهـر قـاصمة العـرى
لحا الله سوء الحظ مـن صـاحب أمـا ... لها لحظة عـني بـمن جـار واجـترىٰ
كأن خـلال المـجد مـهما تـجمعت ... لدى المرء مغناطيس كـل حـبو كـرى
اذ رمت أمـرا مـنصبي فـوق نـيله ... أبى الدهـر الا أن يـرى غـير مـا أرى
ويا طالما كانت صها المـجد مـفرشي ... لنـيل العـلا والمـجد يـعدو الى الورا
ولو غض عني الطرف في حب فـاطم ... لأبـرأتـه عـن كـل حـق تأخـرا
اذا فـزت مـن ذاك المـحيا بـنظرة ... عـلمت يـقينا ان بـرق الرضـا شـرى
مـحجبة يـصبو بـها كـل مـاجد ... اذا مـازناد الحب فـي قـلبه ورى

شموع اذا ما الريح مرّ بحيها تضوعت الدنيا عبيرا وعنبرا
وما شم أذكى من شذاها سوى ثرىً بنعل ابي سهل الامير تعطرا
هو الفضل رب الفضل قطب دوائر الـ ـولاية ركن الملة الشامخ الذرى
اغر المحيا في أسارير وجهه سرى السر من نور الرسول واسفرا
ومعلي منار الدين بالدعوة التي بها عاد ليل المدلهمات مقمرا
له طأطأت اعناقهم كمّل الورى ولم يرمنهم من ابى وتكبرا
بطلعته يهمي الغمام وينجلي الـ ـقتام ويلفىٰ الخصب انى تديرا
اذ رفع الكف الكريمة داعيا ترى وابل الجود الالهي ممطرا
هو القانت السجاد في حندس الدجا هو الملك السامي اذا الليل ادبرا
مقيم قناة الملحدين بعزمه مقالا وفعلا للكعوب مكسرا
له همة علياء لو رام لاقتنىٰ بها الأرض ملكا والبرية عسكرا
وبالحكمة القطعية الصدق لو يشا لساس امور الخافقين ودبرا
يشير ببادي رأيه ثم لم تكد فراسته تخطي القضاء المقدرا
يريك مصير الأمر قبل وقوعه ولم يأت إلّا مثل ما كان خبرا
اذا زرته شاهدت من نور وجهه وهيبته بدر الدجا والغضنفرا
شآ في العلا حتى اذا لم يجد له نظيرا بنى برجاً هناك ومنبرا
بمن ذا لعمري او بمن ذا اقيسه هدى وندى اين الثريا من الثرى
له العزمات المجفلات خصومه جفول الظباء العفر إن شمن قسورا
مفيض العطايا من ندى راحة اذا بها مس عودا يابساً عاد أخضرا
ومهما جثى الراجي بأرجاء جوده رأى الكف بحرا والأنامل انهرا
إذا أمه حر لخطب فانني ضمين له في ان يؤوب مظفرا
شمائله مثل النسيم لطافة يفوح لنا من عرفها المسك اذفرا

واخــلاقه كــالروض بــاكــره الحــيا ... وكـــلّله درّ النـــدى ثــم أزهــرا
ســـريّ عـــظيم الشـان مـختار فـتية ... لهم مـن بـني الهـادي الخـيار مكـررا
يـــتيمة عـــقد ودّت الزهــر انــها ... بــه انــتظمت درا نــفيسا وجــوهرا
تــفرع مـــن بـــيت عـــنت لمــقامه ... ورفــعته الأمــلاك جــونا واحــمرا
هــو البـيت مـرفوع القـواعـد بـالذي ... الى القاب او ادنى من الحجر قد سرى
وبــالأنزع الكــرار والجأش ثـابت ... اذا فـــار تـــنور الردى وتســعرا
وبــالدرة العــصماء ســيدة النســا ... مـــقدسة الذات الزكـــية عــنصرا
وبــالسيدين الســابقي حـلبة التـقى ... وصف الوغـى ريـحانتي سـيد الورى
عـــليهم ســلام الله قـــوم أقــامهم ... لأســمائه الحســنى دليــلا ومـظهرا
وطــهرهم عـن كـل رجس ووصـمة ... فـــلم يـــلدوا الاتـــقيا مــطهرا
كـــذي الثـفنات الحـبر والبـاقر الذي ... ابان الهـدى والصـادق البـحر جـعفرا
وأولادهـــم مـــن كـــابر بـــعد كـابر ... وفــرع عـلى منهاج أجـداده جـرى
ولا ســيما أعــلامهم وهـــداتــهم ... بــني عـلوي مـوقدي النـار للـقرى
فـهم وارثـو عـلم الرسـول وسـره الـ ... ـمصون عـن الاغـيار كـي لا تـغيرا
وهـــم وكـــتاب الله فـــي قـــرن الى ... ورودهـــما حـــوضا لأحــمد كـوثرا
لهـــم نســـبة بـــالاتباع لجـــدهم ... ســلوكا وإرشــاداً ووِرداً ومــصدرا
ونســـبة مـــيلاد قـــويم عـــمادها ... مســـلمة لا ريب فـــيها ولا امــترا
مــلوك عــلى كـل المـلوك أعـزة ... مــلائك أن جـن الدجــا وتــعكرا
ونـــخبة تـلك العـصبة العـلوية الـ ... ـــعلية قـدرا والعـظيمة مـفخرا
هو السابق الذكـر الامـام الذي انـتمى ... الى المجتبى مـولى الدويـلة يـبحرا[1]

---

(١) يبحر اسم بلد يسمى الدويلة اي العتيقة فرقا بينها وبين يبحر الجديدة التي بناها ابن مولى الدويلة عبد الرحمن، وهما باسفل حضرموت. والمراد بمولى الدويلة الامام محمد بن علي بن علوي ابن الفقيه المقدم.

هو الفضل من والاه امسى مبجلا حظيا ومن عاداه أمسى متبرا
الى الفضل فليهرع ضرورة كونه لسائر انواع الفضائل مصدرا[1]
ولا غرو أن شدت اليه الوفود من عميق فجاج الارض كي تحمد السرى
فيا أيها المولى الذي لم يزل من الـ ـبرية مخدوم الجناب موقرا
اليكم من النائي الذي عضه النوى بناجذ طول الاغتراب وكشرا
خريدة آداب تجر ذيولها على ابن ابي سلمى وحارث يشكرا[2]
وتبسط كف الاعتذار اليكم لناظم غالي درها حيث قصرا
تمتّ بصدق القول اذ لم تكن بها مدائح الغرا اختلاقا ولا افترا

(١) قوله: ضرورة كونه، عبارة يستعملها بعض المتكلمين ومعناها التعليل بالضرورة، اي لضرورة كونه.

(٢) اولهما زهير بن ابي سلمى، وثانيهما الحارث بن حلزة اليشكري.

حمى العلويين او
اسرة بيت ابن يحيىٰ

السادة الاشراف من اسرة آل ابن يحيىٰ من البيوتات العلوية المشهورة بالتقوى، والمعروفة بالصلاح والاصلاح. هذه الاسرة تنتمي نسبا الى الامام جعفر الصادق عليه السلام وهي من بيت علم ونجابة وجود. نبغ منها العلماء والصلحاء ورجال الاعمال والادباء والشعراء والاطباء، وهم منتشرون في المهاجر الشرقية. وفي كثير من البلدان العربية يعرفون بآل عقيل، وقد اندمجوا بالشعب اندماجا، وتولوا مراكز عالية حساسة مهمة في الدولة، منهم الوزراء والحكام والاطباء والمحامون والشعراء والادباء.

من هذا البيت نبغ العلّامة السيد محمد بن عقيل السياسي المحنك والمصلح الكبير صاحب المؤلفات العديدة. تلقى عن شيخه السيد ابن شهاب وهو من النوابغ الممتازين في زمانه، يجله السيد ويدافع عنه وهو احد اركان النهضة الاصلاحية. اصدر عدة صحف في المهجر الشرقي، منها (الاصلاح) التي تصدر من سنغافورا ومجلة (الامام) من ماليزيا عام ١٣٢٤هـ اسس الجمعيات الاصلاحية وشيد المعاهد العلمية ومن هذه الاسرة الشاعر الاديب السيد عبدالله بن احمد بن يحيىٰ الذي مثل دولة اليمن في المحافل والمؤتمرات الدولية، وحضر مؤتمر آسيا وافريقيا في مدينة باندونغ باندونيسيا. له تقرير شعري في مجلد ضخم، وله دواوين كثيرة جلها مطبوع. ومنهم أيضاً الشاعر الاديب السيد هاشم بن علي بن يحيىٰ وهو رجل من رجال التربية والتعليم. اسس كثيراً من المدارس والمعاهد العلمية، ويقيم حالياً في مدينة (فاسوروان) بجاوا الشرقية في اندونيسيا. له ديوان مخطوط.

يقول السيد ابن شهاب عن هذه الاسرة:

اذا مـــا رمــاك الدهــر بــالقهر فــانتجع حــمى العــلويين الكــرام بــني يــحيى
ففي دورهــم يــغنى الفــقير ويــجبر الــ ـكسير وهل من مات الابــهم يــحيى
اولي العـــزمات الشـــم والهــمة التــي بها سبقوا فــي نــجدي الديــن والدنــيا
بـــايديهم الأعـــلام للـــبر والتـــقى واصلاح ذات البين والعـلم والفـتيا[1]

بدت البشرى

من اسر السادة العلويين، اسرة الســادة آل الكـاف، وهــي احــدى البـيوتات المعروفة بالوجاهة وحب الاعمال الخيرية. نبغ منهم الكثير من الشعراء والادباء فـي اليمن الجنوبي وفي المهاجر الشرقية، واليهم يشير السيد ابن شهاب بهذه الابيات.

وهي الرابعة والعشرون من المسلسل المرتب المختار:

بني الكـاف[2] مـن غـلياء آل مـحمد عـليكم مـن البـاري تـحياته تـترى
بـــني الكـــاف ان الله كـاف وبـاسمه دعيتم ومن سراسـمه بـدت البشـرى
كـــفيتم وواســـيتم أنـــاسي مســـهم أذى الدهر فاستوجبتم الأجر والشكرا
وقـــمتم بـــانشاء المـــدارس حسـبة بـخ فـلكم اضـعاف مـا يـؤجر القـرّا
فما أحسن الاحسان مـن أي مـصدر ويزداد حسنا ان يكن من بـني الزهـرا
هم العروة الوثـقى وهـم قـادة التـقى وهم سادة الدنيا وهم سـادة الاخـرى

---

(١) هذه هي الثالثة والعشرون من المسلسل المرتب.

(٢) والمراد منهم هنا بنو السيد المحسن الشهير شيخ بن عبدالرحمن الكاف وبنو اخيه عبدالله، وهم الذين يشار اليهم الآن في تريم بالوجاهة والثروة والصدقة والبر كما ذكره الناظم رحمه الله تعالى.

التقصير و الحمل الثقيل

اختتم السيد ابن شهاب هذه المجموعة من قصائده التي اختارها ورتبها واوصى بها للنشر بهذه الابيات وهي الخامسة والعشرون من المسلسل. قالها معترفا بالتقصير ومقرا بان الحمل ثقيل، ولكن ايمانه بالله عظيم، وجهاده وكفاحه في سبيل الله، وحبه للنبي الاعظم محمدﷺ وآل بيته الطاهرين الكرامﷺ كل ذلك الشفيع المشفع له.

يظنون في خيراً واني لمخطئ — مقرّ بان الظهر بالوزر مثقل
ولي امل ان يجعل الله خير ما — يظنون حقاً والخطايا تبدّل
ومن دينه حب النبي وآله — بيوم التنادي كيفما كان يقبل
ولو عبدالله امرؤٌ وهو مبغض — لهم حبطت اعماله والتبتل
وقد جاء نصا ان هذا وان يلذ — ويصفن بركن البيت فالنار يدخل

وبهذا نأتي الى ختام هذا الفصل من مختارات السيد ابن شهاب المرتبة حسب امره ووصيته، كما بدأنا بالحمد والشكر لله الواحد الاحد الفرد الصمد.

رحم الله السيد ابن شهاب وغفر له، واسبغ عليه المولىٰ شآبيب رحمته الواسعة، واسكنه فسيح جنات النعيم.

النهضة الادبية

من المعلوم الثابت ان السيد ابن شهاب هو باعث النهضة الادبية فـي جـنوب الجزيرة العربية وفي المهجر الشرقي، وهو الذي نفخ في شعر الحضارم روحا جديدة وألبس القريض حلة زاهية طريفة، فهو بحق واستحقاق مجدد الأدب العربي فى جنوب الجزيرة والمهجر الشرقي. انه قائد الحركة المباركة الذي يرجع اليـه الفـضل الأكـبر والقدح المعلى في انعاش الادب العربي وترغيب الناشئة فيه. انه شاعر اليمن الاعظم بعد الجاهلية بالطبع، وهو دعامة هذه الحركة الادبية الفتية وغارس بذورها الطيبة التي بدأنا نستثمر نتائجها ومحصولاتها، وهو الشخص الوحـيد الذي تأثـر بشـعره الادب العربي في جنوب الجزيرة وكرع من حياض ادبه. فكان لادبه وشعره العربي الاسلوب السلس العبائر، البديع الانسجام، اكبر أثر في تغذية وتكوين الادب الحضرمي الحالي واعداده بكل مؤن القوة والمنعة.

انتعش الادب العربي في حضرموت والمهجر الشرقي في عهد السيد ابن شهاب انتعاشا باهرا، تدرّج في النمو الى تغيير تلك الآراء الآسنة التي كان يتسم بها بها الادب، ونزع تلك الكمائم المرخاة على عيون اولئك البعض حتى اعمتهم عن فوائـد الادب الجمة وأثره البليغ في تهذيب النفس وتلطيف الحس وصقل الذوق.

ولقد كان ذلك الانتعاش سببا اساسيا في ظهور أُدباء وشعراء وعباقرة هم اليوم او اكثرهم في طليعة القافلة التي تحمل علم الشعر خفاقا، وهم الذين وضعوا اول حجرة في بناء زاوية الشعر العربي السليم من اللحون والزحافات والعلل بعد استاذهم العظيم السيد ابن شهاب.

وقد كان السيد ابن شهاب قد تطلع ببصره الثاقب الى نتائج هذه الحركات الادبية ونهضة الشعر الفنية واستشف من ورائها مستقبلا للشعر بوادي الاحقاف يطرب كل من

يهمه شأن الادب ولا تغيب عن باله فوائده وثماره.

الشعر العربي الحضرمي مدين لابن شهاب اذ هو أثر من آثاره (اثر غيره بـالغ كأثره) ونبع من معينه الفياض وجدول من كوثره العذب، فابن شـهاب يـعتبر بـحق وجدارة واستحقاق مدرسة الشعر العربي الحضرمي. وفضل تلك المدرسة لا يـحتاج الى تنويه واشارة، فان آثارها شاهدة عليه. واولئك الشعراء الذين ظهروا في زمن ابن شهاب انما استقوا من حياضه وكرعوا من معينه، فـهو الذي نـفخ فـيهم روح الادب فلابسوها ولابستهم.

ضمت مدرسة ابن شهاب ادباء عظاماً لا يزال اكثرهم حيا يرزق ولو ان بعضهم الآن ـ الآن فقط ـ قد هجر الشعر ورياضة الفكر في فيافيه.

وثقل عليهم قرضه ـ اي شعر المناسبات طبعا ـ ففقدنا بصمتهم نغمات كـانت انشودة وادي الاحقاف في عصر ما، وكانت رسالة الشعر الكلاسيكي الناضج[1].

القصائد والأبيات المحذوفة:

هناك قصائد غير مثبتة في ديوان السيد ابن شهاب، اما أن تكون حذفت عـن قصد وتعمد، او لم يتسن لجامع الديوان العثور على الابيات والقصائد المفقودة، وهذا امر معروف لخلو الديوان من تلك القصائد.

يرىٰ السيد صالح الحامد احد كبار الشعراء البارزين ان عدم اثبات الكثير من قصائد السيد ابن شهاب في ديوانه المطبوع هو كونه شعرا فنيا من النوع الوجـدانـي والغزلي، فرغب السيد ابن شهاب عن نشره فحذفه من ديوانه رغبة عنه فلم يره رائجا في سوق هذا المجتمع المولع بشعر المناسبات، ولم يتشبع المجتمع بعد بالروح الفنية للشعر ولم يتذوق ميزة الشعر الصادر عن رشح العاطفة ووحي الضمير.

---

(١) مجلة النهضة الحضرمية ـ سنغافورا عام ١٩٣٢.

وهذا رأي شاعرنا السيد صالح الحامد، ولكني لا اوافق رأيه لعدة اسباب منها:

اولاً ـ ان الديوان طبع بعد وفاة المرحوم السيد ابن شهاب، فكيف يمكن له حذف شيء مما لا يرغبه، لان المجتمع لم يتشبع بروح الفن ولم يتذوق رشح العاطفة ووحي الضمير.

ثانياً ـ نجد جل قصائده في الديوان تفتتح بالغزليات شان القصائد الكلاسيكية، وكان تغزل السيد ابن شهاب من النوع العاطفي الوجداني الممتاز ووحي الضمير الرقيق.

ثالثاً ـ لم يوص السيد ابن شهاب فيما يتعلق بقصائده بشيء سوى القصائد المثبتة في القسم الاول من الديوان بموجب امر السيد ابن شهاب في وصيته قبل وفاته، واما ما سوى القسم الاول فلم يذكر السيد ابن شهاب عنه شيئاً، واما القسم الثاني من الديوان فهي القصائد التي استطاع السيد محمد بن عقيل العثور عليها وجمعها في وقته تمهيداً لطبع الديوان.

رابعاً ـ يعلم ان هناك قصائد لم تثبت في الديوان كما ان ابياتاً كثيرة حذفت من القصائد الموجودة في الديوان، ربما لرأي ارتآه القائمون على طبع الديوان في ذلك الوقت نظرا لظروف ذلك الزمن غير المناسب لنشرها.

وعلى رغم تقديري للقائمين بجمع قصائد السيد ابن شهاب المبعثرة وما بذلوه من جهود لطبع الديوان عام ١٩٢٤م فأني ارى ان عدم نشر اية قصيدة ولو كانت تافهة او حذف ابيات من القصيدة مخالف لامانة النشر، بغض النظر عن الوقت والزمن والظروف، او التعلل بالتوقعات من كلمة (ربما وربما) اليس من الممكن ان الابيات المحذوفة قد تكون هي بيت القصيد والتي تدل على مبدأ وشخصية القائل.

السلسلة الذهبية

ذكرت الباحثة الدكتورة سيدة شمس الكاشف استاذة التاريخ الاسلامي في جامعة عين شمس بالقاهرة في كتابها (مصادر التاريخ الاسلامي ومناهج البحث فيه) بالقاهرة، في صفحة ٢٠ من بحثها عن احاديث السلسلة الذهبية ما يلي:

ولما كان المجتمع الاسلامي يستند في اساسه الى الدين، فقد استند الى القرآن والسنة. اما القرآن فان نصه معين محدود. واما السنة والاحاديث فقد استطاع ذوو الاغراض المختلفة ان يدخلوا فيها ما يحلولهم لخدمة اغراضهم.

والواقع ان ائمة الحديث متفقون على ان احاديث كثيرة وضعتها جهات مختلفة. ويشير ابن حزم صاحب الفصل في الملل والاهواء والنحل، الى وضع احاديث في الرسول ﷺ. ومنذ الفتنة الاولى في الاسلام زمن عثمان بن عفان اخذ وضع الحديث يزداد وينمو حتى استفحل الامر فيما بعد. فنرى الامويين يروجون الاحاديث في فضائل عثمان وفضائل الأمويين. وقد وضع العباسيون احاديث تؤيد حكمهم وتثبت حقهم في الخلافة. وينسب الى المهلب بن ابي صفرة بطل محاربة الخوارج زمن الامويين احاديث ضد الخوارج، وكذلك وضع انصار المرجئة الاحاديث في تعضيد المرجئة كما وضع بعض الصوفية الأحاديث في تأييد الصوفية. وهكذا نرى ان كل فرقة وضعت الأحاديث نصرة لرأيها وتعضيدا لمسلكها، اما الشيعة فأنهم يسمون الاحاديث (الاخبار) ولا تنتقل الاحاديث عندهم بالاسناد وانما تروي عن ائمة الشيعة وحدهم.

ان ما ذكرته الدكتورة سيدة شمس الكاشف حول اعتماد اتباع آل البيت على الاحاديث النبوية المروية عن الائمة عليهم السلام هو عين ما يقوله السيد ابن شهاب بأن ائمة آل البيت هم حاملي علم الرسول الاعظم سيدنا محمد ﷺ، وان الاقتداء لا يكون الا بهم وعلى طريقتهم. وفي ذلك يقول السيد ابن شهاب عن ائمة آل البيت في موضوع الاحاديث المروية بطريقتهم:

الآخـذى عـلم الرسـول شـريعة　　وحـقيقة مـن فـاضل عـن فـاضل

تبعا لما جاء عن الرسولﷺ في احاديثه الشريفة بأنهم قرناء القرآن، ويفصل السيد ذلك في قصيدة له عن الاحاديث النبوية المروية بطريق ائمة آل البيتعليهم السلام بالطريقة المعروفة بالسلسلة الذهبية، فيما يلي:

لذ بـالنبي وبـالائمة مـن بـني　　عـلوي الغـر الهـداة الحـائر

فـهم الخـلاصة مـن سـلالة احـمد　　ومـعين فـياض النـدى المـتواتـر

والآخـذوا ارث الرسـول اجـازة　　وتـلقيا مـن كـابر عـن كـابر

والمـقتفون سـبيله قـدما عـلى　　قـدم الى القـدم الشـريف الطـاهر

حـتى انـتهى سـر النبي مسـلسلا　　فـيهم الى اهـل الزمـان الحـاضر

يـروون عـن آبـائهم عـن جـدهم　　عـن جـبرئيل عـن العـزيز الفـاطر

وهـم بـحور العـلم فـاض اذيـها　　مـن ذلك البـحر المـحيط الزاخـر

تـحييٰ بـها مـوتى القـلوب ولم تـزل　　تسـقى حـدائق كـل قـلب عـامر

بـمعارف وعـوارف ولطـائف　　وعـواطـف مـن ذي الجـلال الغـافر

الى آخر القصيدة. وفي هذا الموضوع أيضاً يقول السيد في قصيدة اخرى ما يلي:

واولادهـم حـمال اسـرارهـم وحـا　　فظي الدين من كيد الفـئات المـفارقه

وهـم كـابر عـن كـابر قـد تـوارثـوا　　غـوامـض عـلم المـصطفى وحـقائقه

اولئك اهـل البـيت والعـترة الألىٰ　　بـفضلهم الآي الكـريمة نـاطقه

وشاعر آخر يقول عن السلسلة الذهبية ما يلي:

روتـها هـداة قـولهم وحـديثهم　　روى جدنا عن جبرئيل عـن البـاري

ما اكثر اقوال وقصائد السيد ابن شهاب في هذا الموضوع والتركيز على الا يكون الأخذ الا عن طريق آل البيت العترة الطاهرةعليهم السلام.

سبق اهل البيت عليهم السلام الى تدوين العلم، واهتم اتباعهم والموالون لهم بحفظ تراثهم وبالانتهال من عذب غديرهم المعين الذي لا ينضب، ووجدوا السند قويا والمرعى خصبا. تتصل سلسلة احاديثهم بصاحب الرسالة وهي الترياق المجرب.

كان الامام الصادق عليه السلام عندما يحدث بحديث نبوي يقول: حدثني ابي محمد الباقر عن ابيه زين العابدين عن ابيه الحسين عن ابيه علي بن ابي طالب عن النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وكان الامام الصادق اذا ارسل حديثه فهو اتصال بهذه السلسلة[1] لانه كان يقول: حديثي حديث ابي، وحديث ابي حديث جدي، وحديث جدي حديث ابيه، وحديث ابيه حديث امير المؤمنين عليه السلام وحديث امير المؤمنين حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فائمة اهل البيت حلقة متماسكة ومدرسة مستقلة تتصل برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأوضح السبل واقرب الطرق. ويقول السيد ابن شهاب عنهم:

هم بينات الله هم أياته الـ ـكبرى لارغام الجحود الجافل

وفيهم يقول أيضاً:

حبل اعتصام المؤمنين فحبذا المـ ـتمسكون وخيبة للناكل
وهم الائمة والأدلة يوم تز دحم الخلائق كالجراد العاظل

وله قصيدة أخرى في نفس الموضوع نقتطف منها ما يلي:

وعنهم حديث المجد يروىٰ وفيهم مواريث طه العلم والحكم والفتيا
عليهم مدار الحق بل وبهديهم تناط أمور الشرع اثباتا او نفيا

واذا اردنا الاسترسال في اقوال وتقارير السيد ابن شهاب عن السلسلة الذهبية فاننا سوف لا نصل الى نهاية، لان اقواله متواصلة في مؤلفاته وقصائده وتقريراته ومحاضراته، ونكتفي بهذا وفيه الكفاية لاعطاء الصورة الحقيقية الواضحة أن

---

(١) الامام الصادق والمذاهب الاربعة للاستاذ اسد حيدر الجزء الثاني: ص ٥٦١.

الاحاديث التي يرويها آل البيت‰ احـاديث السـلسلة الذهـبية هـي الاحـاديث الصحيحة حتميا، لان النبي محمدﷺ كانْ في تربيته للامام علي وفـاطمة الزهـراء يلقنهما ما يجب ان يعلما به، فيحدثهم احاديثه، وكانا يسمعان من النبي كل ما يقوله ويحفظانه بعبارته واسلوبه ومعناه كما نطق به النبي محمدﷺ كلمة كـلمة وجـملة جملة، وقام الامام علي بدوره في تربيته لابنيه الحسـن والحسـين بـنفس الطـريقة والاسلوب اللذين تلقاهما من الرسولﷺ. يلقنهما تلقينا ما نطق النبي به مـحافظاً على النص متحاشيا التصحيف و التحريف، ولقن الامام الحسين‰ ابنه عـلياً زيـن العابدين بنفس الطريقة والقاعدة والاسلوب، ولقن الامام علي زيـن العـابدين ابـنه محمداً الباقر كما لقن الامام محمد الباقر ابنه جعفراً الصادق، بنفس الطريقة والقاعدة والاسلوب وهكذا دو اليك. وهذه اسرة واحـدة ربـاهم النـبيﷺ تـربية صـالحة وترعرعوا ونشأوا في احضان النبوة وعاشوا في بيت الوحي الطاهر، مـن الآبـاء الى الابناء الى الاحفاد وما نزل من سلالة الائمة من آل البيت‰ الذين حـافظوا عـلى نصوص الاحاديث محافظة تامة بلفظها وعباراتها وأسلوبها ومعناها كما نطق النبي بها ولا يتساهلون فيها كالاعتماد على المعنى دون اللفظ او بالعكس، وبذلك لا يقبل الشك فيها مطلقا، تلك هي احاديث السلسلة الذهبية.

ظل آل البيت حتى في احلك العصور عليهم محافظين علىٰ الاحاديث المروية عن آبائهم معتنين بها كل العناية، وهي الاحاديث الصحيحة.

رشفة الصادي

لابد لنا هنا من وقفة ولو قصيرة فيما يتعلق بهذا الكتاب الجليل (رشفة الصادي من بحر فضائل بني النبي الهادي) للسيد ابن شهاب، فلقد كثر الحديث إما اعجابا به و تقديرا له او نقدا واستهجانا له، كما اخذ البعض على ما جاء في مضامين الكتاب من كلمات نابية غير مستساغة ومعاكسة للعقيدة الصحيحة والمبدأ القويم والعرف المألوف، وعليه يجب علينا دراسة الوضع وتقصي حقائق الامور حتى نصل الى النتيجة الحقيقية.

وقبل ان ندخل في الموضوع ونسهب فيما جاء في الكتاب من كلمات اثارت بعض اللغط والشكوك على رغم قيمته العلمية ومستواه الرفيع والذي اصبح مرجعا مهما من المراجع العلمية المعتمدة نود ان نلفت النظر الى امور:

اولاً: ألّف السيد ابن شهاب كتابه هذا وهو في دور النضوج من عمره وفي مرحلة ريعان شبابه الممتلئ حماساً وغيرة.

ثانياً: طبع الكتاب عام ١٣٠٢هـ في القاهرة بعد فترة من الزمن من تأليفه.

ثالثاً: لم يشرف المؤلف على طبع كتابه وتصحيحه حين الطباعة مطلقاً.

رابعاً: لم يكن لدىٰ المؤلف نسخة أُخرى سوى المرسلة الىٰ المطبعة.

خامساً: بُعد المسافة وصعوبة المواصلات بين القاهرة وبين مقر السيد ابن شهاب في مهجره.

سادساً: الثقة التامة بالمطبعة.

سابعاً: لم يكن المشرف على طبع الكتاب امينا، فقد حذف كلمات وادخل كلمات اخرى حتى جاء المعنى معاكساً للواقع.

ثامناً: وجود نسخ اخرى بأيدي البعض مما ابان وجود التزوير و المغالطات عن

تعمد.

هذه النقاط التي ذكرناها تنبه اليها الكثيرون منهم السيد هاشم بن شيخان السقاف احد تلامذة مدرسة ابن شهاب، كما لفتت نظر القراء فانتبهوا لتلك الهنات من كلمات أُضيفت واخرى حذفت حتى تخلخل المعنى وتغير ترابط العبارات فصارت غير مستساغة. وقد كتب السيد هاشم بقلم يده عند كل هنة من تلك الهنات بقوله: تأمل ما ادخلته يد التصحيف على عبارات العلّامة السيد ابن شهاب.

وفيما يتعلق بالكتاب ومحتوياته فعلى رغم ما أدخلته ايدي التصحيف والتحريف من كلمات او حذف كلمات اخرى وهي بالطبع قليلة، فالكتاب يعد من محاسن مؤلفات المؤلف بحثا وتمحيصا وتحقيقا.

اما من جهة الطباعة فتعتبر في ذلك الوقت من الطباعة الجيدة المتقنة، ولكن بتقدم الطباعة تعتبر الآن من الطباعات القديمة غير المستوفية لشروط الطباعة والاخراج.

قلنا: ان مؤلف كتاب رشفة الصادي حين تأليفه كان في ريعان شبابه وقد بلغ من سمو الدراية وبعد النظر ودقة البحث ما جعله حجة وبرهانا مستحقاً لتبوئه المكانة المرموقة في المجتمع على ما بلغ مستواه العلمي وسعة اطلاعه وعمق تفكيره.

كان السيد في جميع مراحل حياته معتداً بنفسه ولم يجد حرجا ان ينبه الجميع اذا بدا منه ما يخالف المألوف، فكيف اذا كانت الأخطاء من غيره للاساءة له؟ فلا غرابة إن اعلن براءته صراحة مما أدخل في كتابه.

إذا فرضنا ان الهنات كانت من عنده، فإنه لا يتحاشى ان يقول الحق ولو على نفسه، لثقته بشخصيته واعتداده باستقلال فكرته ورأيه الواقعي الحر، حيث قوله المعروف. قال حقا وأبطل باطلا فأُصلح وصوب على نفسه مما قاله في شبابه من جملة نابية او عبارة شاذة او ما روى عنه انه قالها وكانت مخالفة لمبدأه وعقيدته، أو كانت

تافهة قد تمس من طرف خفي عقيدته التي يستميت من أجلها، فانه لا يتحاشى من قول الحق وتصحيح الخطأ وليس في اعتراف الانسان بخطئه ما يؤاخذ عليه أو يـثير الشك فيه كما يرىٰ البعض ممن يجعلون الحبة قبة ولذا نرى كثيراً ما يكرر السيد ابن شهاب دحضا لتلك الاقاويل بانه يشهد الله ونبيه وملائكته والناس اجمعين علىٰ براءته من كل قول يخالف عقيدته او مبدأه مما صدر منه أو روي عنه. يقول في ذلك:

اني أُشهد الله ونبيه وملائكته والملأ اجمعين أني بريء واتبرأ من كل قول صدر مني او روي عني او بدر مني سابقاً لا يوافق عقيدتي او مبدئي او موقفي.

هذه براءة السيد ابن شهاب وليس بعد هذا مجال للشك والريب فيه، لانفضاح تلك المفتريات من الاقاويل التي تقولوها عليه، كاضافة كلمة من المصحح في كتابه رشفة الصادي وحذف كلمة، حيث جاء المعنى معاكسا. ومـثالاً لهـذه التـصحيفات والتحريفات نذكر ما فعل المشرف المصحح على طباعة الكتاب حيث تجرأ فـحذف كلمة (الخوارج) ووضع محلها كلمة (الشيعة)، وابدل كلمة (النواصب) بكلمة (الشيعة) فانقلب المعنى رأساً على عقب، لتنصب اللعنات على الشيعة.

ان المنطق السليم والاسلوب القويم يثبت بعد هذا الدليل الواضح اثباتاً قطعيا ان كل ما جاء في الكتاب من تحريف او تصحيف من حذف كلمة او وضع كلمة اخرى مكانها، كان عن قصد وتعمد وسابق اصرار من المشرف والمصحح، وهذا العمل هـو الخيانة بعينها، وإن كانت تلك الكلمات لا تتجاوز عدد اصابع اليد. فهي شاذة، وكل شاذ لا حكم عليه. ولو فرضنا ان تلك الكلمات من قول المؤلف او صادرة منه، فهو قد تبرأ منها.

المطالع لكتاب (رشفة الصادي) يرى جلياً واضحاً وملموساً ان تلك الكلمات مدسوسة ومدخلة بدون شك ولا ريب، لمخالفتها صياغة اسلوب المؤلف وعـقيدته المعروفة عنه. وتدل دلالة واضحة علىٰ استحالة صدور تلك الكلمات النابية والمخالفة

لعقيدته منه.

ان الاخطاء قد تقع من تصحيف او تحريف عند طبع الكتاب او استنساخه او عند تنضيد حروفة في المطبعة، فيبرر البعض ان ذلك حدث لسهو او خطأ من الناسخ او منضد الحروف، بحجة رداءة الخط او قدم عهد الكتاب بحيث يعسر على الناسخ او مرصف الحروف قراءتها، فيشتبه عليه كلمة او عبارة فيقع في الخطأ غير المتعمد، وتسمى تلك الاخطاء اخطاء مطبعية، وكثيراً ما يحدث مثل ذلك ثم يتلافى هذا السهو او الخطأ غير المتعمد بوضع جدول لقائمة تلك الاخطاء في اواخر صفحات الكتاب، ليتسنىٔ للقارئ تصحيح تلك الاخطاء الموجودة في الكتاب، وهذا لا يمكن مقارنته بمن يتجرأ بتعمد وسابق اصرار لتختل صيغة العبارة ويأتي المعنى معاكساً للواقع وضد ما وضعه وكتبه المؤلف.

ما هو دور المشرف والمصحح على الطباعة؟ يجب على المشرف والمصحح على الطباعة ان يكون امينا، وعليه تقع المسؤولية الاولى في حفظ الامانة التي اؤتمن عليها، ولا يتجرأ لسبب من الاسباب او لدافع من الدوافع او بايعاز من جهة معينة لهدف معين مقصود، فإن ذلك العمل هو عين الخيانة وعمل اجرامي، والعامل به هو انسان فاقد الشعور لا ضمير له ولا يشعر بأدنى مسؤولية لان الجريمة متأصلة فيه.

وجوب المحافظة على التراث خدمة للعلم والتاريخ

ان المحافظة على التراث والمحافظة عليه وتقديره هو خدمة للعلم والتاريخ، ولا يقوم بهذا العمل الا رجال العلم الذين يخدمون العلم بأمانة تامة، فيتحرون بدقة في مراجعة الكتب المطبوعة او المخطوطة ليتوصلوا الى النصوص الاصلية الموجودة في المكتبات العالمية او المكتبات الخاصة لدى الافراد، لمراجعتها وتحقيقها ومقارنتها حتى يتمكن المحقق من الوصول الى حقيقة اصل الكتاب كما كتبه المؤلف بدون زيادة

ولا نقصان او خلل خالياً من التصحيف والتحريف والتلبيس.

التصحيف والتحريف في كتب التراث الاسلامي

ما اكثر التصحيف والتحريف في كتب التراث الاسلامي، وقد يمر على القارئ فيعتقد صحته اذا لم يمعن النظر امعانا بدقة. ومثالاً بسيطاً على هذه التصحيفات والتحريفات نذكر ما نجده في شرح ابن ابي الحديد لكتاب نهج البلاغة المطبوع في مصر والذي تكرر طبعه وتكرر نفس الخطأ فيه، فنرى ما جرى في السطر الخامس من الصفحة الثانية من طبع دار الكتب العربية بالقاهرة، كما جاء نفس الخطأ والتصحيف والتحريف في طبعات بيروت، فتحرف المبنى والمعنى، كما يلي:

«وصلى الله على رسوله محمد الذي المكني عنه شعاع من شمسه وغصن من غرسه وقوة من قوة نفسه ومنسوب اليه نسبة الغد الى يومه، واليوم الى امسه، فهما الاسابق ولاحق، وقائد وسائق، وساكت وناطق، ومحل ومصل، سبقا البارق، وانارا سدفة الفاسق صلى الله عليهما ما استجلب خبير، وتناوح حراء وثبير».

يجد القارئ المتمعن في سياق هذه العبارة جملا مخلخلة لا يستطيع الذوق السليم هضمها، وقد تعمدت وضع خط تحت كل كلمة من تلك الكلمات للدلالة على الكلمات المحرفة، واللافت للنظر انه عندما تصرف المحرف في النص، فاته تحريف ضمير المثنى، فاختل المعنى وتزعزع المبنى، والفت نظر القارئ واسترعي انتباهاه الى حذف اسم (علي) واستبداله بكلمة (الذي)، وفي بعض النسخ الاخرى بواو العطف فصار (والذي). ومهما يكن فكلمة (الذي) أو (والذي) تدل دلالة واضحة على اختلال العبارة وعدم انسجامها، إذ من يفهم هذه العبارة: (محمد الذي المكنى عنه شعاع من شمسه)؟ واضح ان العبارة مخلخلة فاسدة وغير سليمة، وكل قارئ فاهم يشعر بفساد الاسلوب وعدم وضوح معناه. والغريب المحير ان المصححين والمشرفين على

الطباعة الثانية التي بعدها لم يلفت انتباههم هذه الاخطاء الفاحشة الشاذة.

لنر الآن الوضع الحقيقي والعبارة الصحيحة لتلك الكلمات المصحفة والمستبدلة بكلمات اخرى.

الكلمة الصحيحة في الاصل (علي) استبدلت بكلمة (الذي) في بعض النسخ، وكلمة (والذي) في نسخ اخرى. وكلمة (سابق) بكلمة (الاسابق)، واستبدلت كلمة (استخبر) بكلمة (استجلب).

وهناك كلمات جاءت بضمير المثنى غاب عن المصحف تصحيفها، وهي: (سبقا - انارا - عليهما -).

وعليه يكون سياق العبارة الصحيحة هو: «شعاع من شمسه، وغصن من غرسه، وقوة من قوة نفسه... فهما سابق ولاحق، وقائد وسائق، وساكت وناطق، ومجل ومصل».

وبهذا نصل الى سياق العبارة الصحيحة كما يلي:

«وصلى الله على رسوله محمد وعلي المكني عنه شعاع من شمسه، وغصن من غرسه وقوة من قوة نفسه، ومنسوب اليه، نسبة الغد الى يومه، واليوم الى امسه، فهما سابق ولاحق، وقائد وسائق، وساكت وناطق، ومجل ومصل سبقا لمحة البارق، وانارا سدفة الفاسق، صلى الله عليهما ما استخبر خبير وتناوح حراء وثبير».

هذه هي الجملة الصحيحة والعبارة ذات المعنى المفهوم، وعلى هذا الاساس والمنطق السليم لا يمكن ان يقال: ذلك سهو، لتبرير اعمال المصحح. وكيف يستمر السهو الى اليوم؟ الم يكن ذلك عن تعمد وسابق اصرار؟

بعد هذا، نأتي الى صلب الموضوع الذي نحن بصدده، مما ارتكبه المصحح والمشرف على الطباعة حين طبع كتاب رشفة الصادي من بحر فضائل بني النبي الهادي، مما صار من حذف كلمات او اضافة كلمات اخرى من عندياته التي تخالف

النص الاصلي، ففي الصفحة (٤٤) اضاف المصحح اسم (معاوية) وكلمة (هما) حيث انقلب المعنى وصارت العبارة كما يلي:

«عن علي بن ابي طالب ومعاوية رضي الله عنهما»

بينما السيد ابن شهاب يقول في قصيدة له مشهورة معروفة قبل تأليفه كتاب رشفة الصادي بعدة سنوات، نقتطف منها هذه الابيات التي هي بيت القصيد:

ركبتم بتبرير المسيء مطية الـ ـضلال ولفقتم احاديث بهتانا
رويدكم استجيبوا من الله انكم جعلتم رؤوس البغي للدين اركانا
اذا ما ذكرنا المصطفى او وصيه وفاطم والسبطين اعلىٰ الورى شانا

الى ان يقول:

ذكرتم لنا الباغي معاوي وابنه وصخرا وعمرا والدعي ومروانا
وهم شر صحب للنبي وبعده غدوا لكلاب النار في الدين اخوانا
قرود كما قال الرسول وانما رقصتم لهم لما استوى القرد سلطانا
اما حاربوا الجبار لما تحزبوا لحرب اخي المختار بغيا وطغيانا
ولما مضىٰ ازدادوا عتواً وأطفأوا مصابيح بيت الدين مبدين اضغانا

الى آخر القصيدة وهي طويلة.

انظر الى قول السيد ابن شهاب ثم التفت الى ما احدثته اليد الاثيمة من تحريف.

وفي السطر السادس من الصفحة (١١٠) حذف المصحح كلمة (الخوارج) ووضع مكانها كلمة (الشيعة) حتى صار المعنى معاكسا بذلك التغيير المتعمد وانقلب المبنىٰ والمعنىٰ. ان اقل الناس دراية يدرك ويفهم ذلك ويعتبر المحرف خائنا مجرما في حق السيد بن شهاب.

والسيد بن شهاب هو الذي يصرح جهاراً في خطبه بالدعاء علىٰ الخوارج، ومنها خطبته الرمضانية الشهيرة المعروفة التي تعاد تلاوتها وقراءتها الى اليوم في شهر

رمضان، اذ يقول في اواخر أواخرها:

«اللهم اصلح سائر ولاة المسلمين واستأصل شأفة المشركين ودمر بهم الخوارج والملحدين واقمع بهم شوكة البغاة المعاندين».

الى آخر الخطبة حيث يجد القارئ نصها كاملاً من خطبه في فصل آخر من هذا الكتاب.

وفي صفحة (١٣٩) من السطر (١٦) حذف المصحح اسم الامام محمد الباقر عليه السلام حتى اختلت سلسلة النسب. ولكنه تدارك في آخر الصفحة.

ان الامانة تفرض على الناسخ والناقل والمصحح والمشرف وضع كل كلمة في موضعها، فهم مسؤولون يتحملون امانة النقل، والا فانهم خانوا امانة النقل وامانة العلم.

ما كان المشرف على الطباعة عندما حرف جملا في عبارات كتاب رشفة الصادي يحسب ان السيد ابن شهاب لا يزال حيا يرزق على قيد الحياة وان للسيد مؤلفات اخرى، وكان الجاني مطمئنا ان امره وفعله لن ينكشف ولن يعرف احد من فعله شيئاً، وربما كان يعلم ان التزوير والتحريف مهما طال الزمن لابد ان ينتهي الى فضيحته، وسبب اقدام هذا على فعله هذا هو الذي يتسمى باسم المصحح فقدانه الضمير وعدم شعوره بالمسؤولية وقد غلبت عليه نفسه الامارة بالسوء فاتبع هواه.

ومن اكبر ادلة التزوير اضافته اسم (معاوية)، وهو ما يتناقض تمام التناقض مع عقيدة السيد ابن شهاب المتجلية في اقواله وقصائده والتي لا تحتاج الى ايضاح، وكما هو الثابت في مؤلفاته وما جاء في القسم الأول من ديوانه المطبوع بموجب وصيته وامره في حياته، ومما يدل على هذا المعنى قول السيد في قصيدة له:

كأن الهدى من بيت صخرٍ تفجرت ينابيعه والوحي من ثم ينتمي
فيا اسرة العصيان والزيغ من بني أمية من يستخصم الله يخصم
هدمتم ذرى اركان بيت نبيكم لتشييد بيت بالمظالم مظلم

تـداركـتم فـي البغي ولدا ووالدا ... وزخـرفتم افك الحـديث المـرجم
ولم تـمح حـتى الآن آثـار زوركـم ... وتصديقه ممن عـن الحـق قـد عـمي
فأصل الشقاء انتم ومن يحذُ حـذوكم ... له يسـد جـلباب العـذاب ويـلحم
فـلا تكـتمن الله مـا فـي نـفوسكم ... ليـخفى ومـهما يكـتم الله يـعلم
ولا بـدع ان حـاربتم الله انـها ... لشـنشنة مـن بـعض اخـلاق اخـزم
ونـازعتم الجـبار فـي جـبروته ... ولكـنه مـن راغـم الله يـرغم
ولم تـحسبوا مـن طـيشكم ان عـنكم ... عـيون قـصاص الغـيب ليست بـنوّم
غـدرتم بسـادات البـرية غـدرة الـ ... ـيهود بـيحيىٰ والمسـيح بـن مـريم
ستجزون فـي الاخـرى نكـالا مؤبدا ... على مـا اقـترفتم مـن عـقوق ومأثـم
ضـغائن مـمن اعـلن الديـن مكـرها ... ولولا العـوالي لم يـوحد ويسـلم
اضـاعوا مـواثـيق الوصـية فـيهم ... ولم يـرقبوا إلاً ولا شكـر مـنعم
فسق غـير مأ مـور الى النـار حـزبهم ... اذا قيل يوم الفصل ما شـئت فـاحكم
حـبيبي رسـول الله انّـا عـصابة ... بـمنصبك السـامي نـعز ونـحتمي
فـهاجت جـماهير الضـلال واقـبلت ... بـجيش لحـرب ابـن البـتول عـرمرع
تألب جـمع مـن فـراش جـهنم ... غـواة يـرون الشـرك اكـبر مـغنم
يـقرون بـالقرآن لكـن لعـله ... لسـخرية اقـرارهـم او تـهكم

ثم اسمع ما يقوله السيد بن شهاب في قصيدته اللامية:

أفـيرحـم الجـبار مـن يـؤذي بـني ... مـختاره هـيهات ليس بـفاعل

ثم الى موقفه من النواصب الذين يعادون آل البيت عليهم السلام وهم اهل الهدى والحق، فأصل الهدى عندهم، ومستقره في دورهم، واما عند غيرهم فشيء مستعار.

عـن ابـيهم اتـى الهـدى ثـم عـنهم ... يـتلقىٰ ويـودع الاسـفارا

فـهو فـي دورهـم وفـيهم عـريق ولدى غـيرهم يـرى مسـتعارا
ما مـن الشـام جـاء او ارض طـوس او سـمرقند او اتـي مـن بـخارى
ديـننا حب اهـل بـيت رسـول اللـه حـبا يكـفر الاوزارا

وليس بعد هذا دليل على خيانة المشرف على طبع الكتاب وتزويره، والسيد ابن شهاب في غنىً عن الدفاع عنه، فهو المعروف في جميع مواقفه بـحسن عـقيدته واستماتته في حب آل البيتﷺ، ومتى احتاج ضوء الشمس الى برهان؟ فمؤلفاته ثم ديوانه هي الدليل القاطع والحجة البالغة.

وبهذه المناسبة اود لفت نظر القارئ مرة اخرى الى ما جاء في خـتام الفـصل الاول من ديوانه، حيث شهد الناس كما شهد تلميذه الوفي السيد محمد بن عقيل الذي اشرف على طباعة الديوان، بقوله: «الى هنا تم القسم الاول مرتبا حسب امر الناظم».

تلك هي قصائد الناظم التي اوصى بها حسب امره وهو لا يزال على قيد الحياة، اما القصائد الاخرىٰ في القسم الثاني من الديوان فهي القصائد التي جـمعها تـلامذته ومحبوه مما استطاعوا الحصول عليها انذاك، فجمعوها لطبعها، وهي ليست كل ما قاله من قصائد.

اذن ان ما ارتاب منه البعض من مآخذ في كتاب رشفة الصادي لا تنقص شيئا من قيمة الكتاب ولا من قدر المؤلف ومكانته، والقارئ المرتاب معذور اذا شك، لان تلك المآخذ قد تجعله في حيرة، الا الذين سبق لهم متابعة تاريخ ادوار حياة المؤلف.

ذكرنا في فصل آخر من هذا الكتاب مراحل حياة السيد ابـن شـهاب ولكـل مرحلة من مراحل حياته صفتها الخاصة ودورها الخاص، لكنها كلها مرتبطة بـعضها ببعض ارتباطا وثيقا. فما صدر وبدر منه وهو في مقتبل عمره وريعان شبابه من مراحل حياته من قول او ما جاء في بعض مؤلفاته بالطبع يحتاج بلا ريب الى صقل وتهذيب وتوضيح كما يقول المؤلف نفسه، وقد كفانا ما يجب توضيحه وفي ذلك ما يرفع قدره.

اما في مرحلة نضوجه ومرحلة قوة استقراره فقد بلغ من الثبات والرسوخ التام

والايمان القوي ما تشهد له به مواقفه، فلا مجال بعد ذلك لمستريب.

لو فرضنا ان الظروف سخت للمؤلف في حياته لاعادة طبع كتبه تحت اشرافه مباشرة او اشراف احد تلامذته لجاء الطبع صحيحاً منقحاً خاليا من كل ما يشوبه شك او ريب.

ولا بأس ان نذكر هنا نتفا من احدى قصائده الغديرية المعنونة بعنوان النبأ اليقين، احقاقا للحق واثباتا للواقع ودفعاً لاسترابة المستريب، وهي من القصائد التي اوصى بنشرها والمحافظة عليها:

ولما قضى المختار نحبا تنفست ... نفوس كثير رغبة في انتقامها
اقامت مليا ثم قامت ببغيها ... طوائف تلقى بعد شر اثامها
اليس بخم عزمة الله امضيت ... الى الناس انذارا بمنع اختصامها
بها قام خير المرسلين مبلغا ... عن الله امرا جازما بالتزامها
الست بكم اولىٰ ومن كنت صادع ... بمن هو مولانا وحبل اعتصامها
هو العروة الوثقى التي كل من بها ... تمسك لا يعروه خوف انفصامها
اما حبه الايمان نصا وبغضه ... جلي امارات النفاق وشامها[1]
اما حبه حب النبي محمد ... بلى وهما والله ازكى انامها
صغار معالي المرتضى تملأ الفضا ... فقس اي حد جامع لضخامها[2]

هذه مقتطفات من القصيدة المذكورة بعنوان النبأ اليقين التي يبلغ عدد ابياتها مئة وأحد عشر بيتا كعدد اسم الممدوح وهو الامام علي بن ابي طالب عليه السلام بالاحرف الابجدية، وقد اثبتنا القصيدة برمتها في (السيد بن شهاب وآل البيت عليهم السلام).

---

(١) شامها: علاماتها.

(٢) ومثل هذا يقول شاعر آل البيت عليهم السلام محمد كاظم الازري:

هذه من علاه احدى المعالي ... وعلى هذه فقس ما سواها

قالها في الفيته الازرية في مدح النبي محمد وآل بيته.

الفاضل والمفضول

يقول السيد بن شهاب بوجوب تفضيل الفاضل العادل وتقديمه على غيره حتما جازما على جميع المستويات مهما كان الامر، فلا يمكن الافراط او التفريط في ذلك، ومن تذرع بتقديم المفضول على الفاضل فهو غير محق. كما انه يرى عدم امكانية الانصياع لحكم ظالم او جائر او باغ او مستبد. وليست الطاعة لحكم ظالم او باغ حفظاً للنفس بعذر مبرر، فالسكوت على ظلم ظالم هو الاعتراف بالظلم والحكم الجائر الذي يجر الى تعاظم الفساد في البلاد فيفقد الامن ويختل الاستقرار وتزول الطمأنينة ويعم الفساد. فالعلماء مسؤولون امام الله لسكوتهم، الا اذا كانوا من علماء السوء وتجار الاديان.

حداني لذكر هذا مناسبة قدوم احد الاخوان الكرام من اللذين اكن لهم كل تقدير، جاءني مرتابا شاكا حيرانا، عندما قرأ في كتاب رشفة الصادي حيث وجد في طياته مآخذ حسب قوله، وما كان يحسب ان يصدر ذلك من السيد ابن شهاب، فارتاب وشك في امر السيد، اذ لم يدر بخلده ان في الكتاب كلمات مدسوسة دخيلة ادخلتها ايدي المدلسين الخونة، مثل ما يقع في الكتب الاخرى مما يفسده اولو الاغراض السيئة الذين ينشدون من وراء ذلك هدفا معينا.

شرحت للزميل الشاك حقيقة الامر شرحا وافيا واوضحت قضية الاوضاع مفصلا وبينت له كل ما يمكن له الاقتناع به، والاطمئنان اليه، حتى اذا رأيت اقتناعه، استطردت في استدلالي مشيراً الى اعتماد كثير من العلماء الاعلام على كتاب رشفة الصادي في تدريسهم ومؤلفاتهم، حيث جعلوا هذا الكتاب مصدرا من المصادر المعول عليها في ابحاثهم، ومن بين اولئك العلماء الاعلام العلامة الحجة الجليل السيد شرف الدين الموسوي في كتابه الشهير (المراجعات)، وكان السيد شرف الدين يلقب السيد

ابن شهاب بالامام. ويكفي هذا الكتاب قيمة علمية أنه صار مصدرا من المصادر ومرجعا من المراجع العلمية للبحث الذي يعتمد عليه العلماء والباحثون.

يحسن بنا ان نثبت هنا ما كتبه السيد ابن شهاب في مقدمة كتابه رشفة الصادي في الصفحة الثانية ننقله حرفيا بنصه.

بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد، فان من المعلوم لدى كل بر وفاجر ما اوجبه الله تعالى من مودة اهل البيت الطاهر والشرف الباهر، وكيف لا وقد نزل بذلك القرآن المبين، وتواترت به الاخبار عن الصادق الامين، وعلى ذلك درج اعلام الصحابة والتابعين، وائمة السلف المهتدين؟ بيد انه شاع في هذه الازمنة عدم الاحتفال بتلك البضعة الكريمة، وتجاهر من لا خلاق له بغمط مالهم من المفاخر الجسيمة، حتى بلغني من علماء السوء في هذا الزمان انه يقول: كل ما ورد في فضل اهل البيت من آية او حديث او اثر فهو في حق خواصهم لا غير. وتالله ما حمله على ذلك الا حسد اضمره في سريرته، وبغض ناشئ عن خبث طويته، ولا ريب في انه تفوه بذلك سفيه واي سفيه، وكل اناء ينضح بما فيه.

اذا اجتمع الناس في واحد وخالفهم في الرضى واحد
فقد قام اجماعهم دونه على عقله انه فاسد

فحينئذ بادرت الى جمع ما سهل علي جمعه مما جاء في فضل ابناء المختار، وسارعت الى رقم ما تيسر نقله مما ورد في حقهم من الآيات والاحاديث والآثار، مقتصرا في النقل على ما شمل جميع افراد اهل ذلك البيت الطاهر، صارفا عنان القلم عن تحرير ما ورد لخواصهم من المناقب والمفاخر، البتة ارغاماً لذلك البعيد المحروم وطردا لخناسه المرجوم، وتحريضا لنفسي ولاخواني من المسلمين، على اغتنام الاعتصام بذلك الحبل المتين، اذهم شجرة النبوة الطاهرة، ودوحتها الزكية الفاخرة، شجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء.

فـــئة لم تــلد ســواهــا المــعالي والمـــــــعالي قــــليلة الاولاد

فهم مصابيح الظلام، وورونق الليالي والايام، ولقد كان الزمان ضاحكا بوجودهم وانتشارهم، مشرقا بسواطع انوارهم، فاقصد ذلك الارج، وحدث عـن فـضائلهم ولا حرج.

اذا ذكــر الرواي احــاديث فـضلهم يقول الورى هـذا الحـديث المـصدق

ولعمري ان ما رقمته بالنسبة الى علو مفخرهم وعظيم مظهرهم كقطرة من البحر او كلحظة من الدهر.

جــلوا قــدوراً ان يـحدد فـضلهم واثــيل مــجدهم بــحصر الحـاصر
انــــى لمـــادحهم احـــاطته بـــما يــحوون مـــن كـــرم ومـجد شـاهر
يــا مــن يـروم احـــاطة بكـمالهم ايــحاط بـــالبحر المـحيط الزاخــر
فــهم الألىٰ جـلت مـناقبهم وقــد ورثــوا السـيادة كـابرا عـــن كـابر
فـــالله يــرضيهم ويــرضى عــنهم وعـــليهم ازكـــى الســلام العــاطر

﴿اولئك حزب الله الا ان حزب الله هم المفلحون﴾ واولياؤه الذيـن لا خـوف عليهم ولا هم يحزنون ﴿يسبحون الليل والنهار لا يفترون﴾، ﴿اولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون﴾.

اولئك النــاس ان عـدوا وان ذكـروا ومــن ســواهـم فـلغو غـير مـعدود

ضوعفت لهم الحسنات، وغفرت لهم السيئات، وظهرت بركاتهم في الخافقين ظهور الشمس في رائعة النهار، وحازوا ببنوة النبوة كل مرتبة عالية. يراهم الله نـجوما للهداية ورجوما للغواية.

هـــم الراقــون فـــي اوج الكـمال وهـــم اهــل المـعارف والمـعالي
وهـــم ســفن للــنجاة اذا تــرامت بـــاهل الارض امـــواج الضـلال
امـــان الارض مـــن غـرق وخـسف وحــصن المـلة الصـعب المــنال

وهـــم فـي غـرة الدنـيا بـدور | تسـامت بـالجميل وبـالجمال
وهـم سـاداتـنا مـن غـير شك | فـنحن عـبيدهم وهـم المـوالي
كـفى خـبر الوصـية انـهم والـ | ـكـتاب مـعا الى يـوم الجـدال
وان مـحبهم فـي الحشـر نـاج | مـن النـيران ذات الاشـتعال
بـنو الحسـنين للـثقلين شـادوا | قـصور المـجد والرتب العـوالي
بـنو الزهـراء افـضل كـل انـثى | وحـيدرة السـميدع[1] فـي النـزال
بـنو الهـادي وبـضعته التـي لا | تـقاس لدى التـفاضل بـالمثال
عـليهم بـعد جـدهم صـلاة | وتسـليم ورحـمة ذي الجـلال

ثم اني اوردت هاهنا جملة من الاحاديث والآثار محذوفة الاسانيد، ليسهل سردها على المستفيد، متأسياً في ذلك بمن سلف من ائمة السلف والخلف، مع اني لم اذكر ما لا يستحسن ايراده، مما وضع او ضعف جدا اسناده.

وان احسـن قـول انت قـائله | قـول يـقال اذا مـا قـلته صـدقا

وكلها منقولة من كتب ائمة الشرع، وليس لي في ذلك الا السبك والجمع، وسميت هذه المجموعة (رشفة الصادي من بحر فضائل بني النبي الهادي). الخ.

يجد القارئ في كل كلمة من عبارات هذه المقدمة ما ينم عن مدى قوة ايمانه وصلابة عقيدته وثبات مبدأه، ومما يلفت النظر هنا انه نشأ في بين امة لا خلاق لهم في الخير من علماء السوء يجاهرون علنا بعداوة العترة النبوية عليهم السلام. واكتفى المؤلف بالتلميح وتحاشى ذكر اسمائهم، والكل يعلم من يقصده السيد ابن شهاب.

ان بغض آل البيت عليهم السلام وكراهية العترة النبوية حقد دفين ومرض متأصل في قلوب المنافقين منذ ايام البعثة النبوية، واستمر هذا الحقد الى اليوم وسيستمر الى يوم الدين. انه مرض وآفة ابتليت بها الاوساط الاسلامية في جميع ازمانها وتذكرت قول

(١) السميدع: السيد الكريم الشريف الشجاع.

العلامة الشيخ محمد جواد مغنية: «ان لكل شيء في هذا العالم حداً الا بغض آل البيت عليهم السلام».

وبعد، فهذه كلمة مقتضبة سردتها لاماطة اللثام وازالة ما علق بالاذهان عن حقيقة كتاب رشفة الصادي وما قيل عنه، حتى يفهم الجميع الحقيقة ولا يحدث لهم ما حدث لزميلي الذي جاءني شاكيا شاكا مرتابا.

على الذين يريدون اعادة طبع كتب السيد بن شهاب التحري الدقيق وشدة التأكد لازالة كل ما يثير الشك والريب، ولا نود ان تتكرر الاخطاء نفسها ويستمر التحريف بدون تصويب وتصحيح، وعلى كل فان الكتب التي صدرت حديثا في هذا الموضوع كافية للدلالة واعطاء القارئ والمطالع والباحث الحقائق الناصعة الثابتة، حيث يغنيه عن مراجعة الكتب الاخرى السابقة في الموضوع.

والخلاصة ان امر التحريف والتزوير والتصحيف والاختلاف قضية معروفة من قديم الزمن وغير مستغربة ممن يتعمدون الكذب ويتلذذون به، اذ في قلوبهم مرض وحقد من الفرد او من السلطان، حتى يحسب الناس ان الزور حق فيؤمنون به ولا يتورعون عن الكذب حتى على النبي محمد صلى الله عليه وآله وعلى الله الحي القيوم، ما دام في الكذب شفاء الغليل، وما اكثر الوضاعين الذين كذبوا زورا وبهتانا على النبي محمد صلى الله عليه وآله، ومن يتجرأ على النبي فإنه يهون عليه الكذب على غيره خصوصاً اذا كان في الكذب مصلحة. خلقوا اساطير كاذبة وجعلوها جزءاً من التاريخ، وما قضية ابن سبأ ببعيدة.

ان فقدان الشعور بمسؤولية الامانة تجر المرء الى ارتكاب الآثام والجرائم.

البغض والكراهية والحقد امراض مزمنة من الامراض الروحية المستعصي علاجها، وكفانا علماء النفس درس وبحث وتحليل هذه الامراض دراسة علمية في مؤلفاتهم سوى ما كانوا ينشرونه في الصحف والمجلات مما يستجد من الابحاث في

كل مناسبة.

ان البغض والكراهية للنبي الاعظم سيدنا محمدﷺ لم يكن حديثا ولكنه عرف ونشأ منذ عصر هاشم جد النبي الاعلىٰ ولم ينحصر في زمن دون آخر، مع العلم ان مرض الحقد والبغض والكراهية معروف من اول تاريخ البشر.

وقد تخف زوبعة الحقد علىٰ النبي محمد وآل بيته واتباعه حينا بمحاولة اخفائه والتظاهر بالتسامح، ولكن مع اتخاذ سبل اخرى للتعبير عنه من قبيل العبارات السامة التي كفروا بها وزعموا ابويه انهما ماتا مشركين، واتهامه انه كان يهجر، وانه سحر ابطالا لعصمته، وانه ربي وترعرع في حضن كافر مشرك، يعنون بذلك عمه أبا طالب، وحاكوا حول تاريخ حياته الترهات والاقاويل الملفقة ونسجوا الاساطير وان الشيطان كان يلعب به. وما قضية الغرانيق ببعيدة حاولوا بكل الوسائل السخرية منه والحط من مكانته وتشويه تاريخه نكاية بالاسلام. ومنعوا الناس من تعظيم واجلال رسول الله. خطب خطيبهم في محفل قائلاً: ان محمدا قد مات ومن مات فات فانه لا ينفع ولا يضر، ثم اشار الى عصاه وقال: ان عصاى هذه انفع من محمد فاني استعين بها واتوكأ عليها كموسى ليهش بها غنمه، فان تعظيم النبي او احياء ذكره من البدع المستهجنة بل هو الى الشرك اقرب او هو الشرك بعينه.

وتعاظمت كراهيتهم للنبي فكرهوا اهل بيته بل كرهوا اتباع النبي وآل بيته وانصب جام حقدهم عليهم جميعا.

امام هذا الحقد الدفين علىٰ النبي وكراهيتهم له ومن معه من اتباعه، وامام هذه الحملات الدنيئة والتطاول على مقام خير البشر النبي الاعظم محمدﷺ تصدىٰ السيد ابن شهاب وهو في عنفوان شبابه يتفجر غيرة وحمية وحماسة وتولى أمر الدفاع عن النبي وآل بيته ضد تلك الفئة الحاقدة التي تحارب الحق بالباطل والتي تحسب انها قادرة على مناورة الحق ومنازلته. لم يسكت السيد ابن شهاب لان السكوت قد يوهم

الناس ان تلك الفئة الباغية محقة في دعواها، وتصدى السيد ابن شهاب بحملة واسعة من على المنابر في النوادي العلمية وفي الجوامع الكبيرة والمساجد وفي قاعات المحاضرات للرد على تلك الفئة الضالة المضلة فحطمها تحطيما وفضحها وكشف عوراتها لا لترعوي عن غيها فان تلك الفئة ابعد الناس عن الهداية فهي والمرتمسة في غوايتها. وجاشت صدره بهذه القصيدة التي صور فيها بكل وضوح عقيدته ومبدأه.

في البرايا وخلقهم اطوارا   حكمة تترك العقول حيارى
فحليما منهم ترى وسفيهاً   وجبانا وباسلا مغوارا
ومصيبا ومخطئا وقويا   وضعيفا ومستجيرا وجارا
ودعاهم ليعبدوه فمازا   لوا منيبا وفاجرا كفّارا
سنة الله في العباد اختلاف   بينهم يملأ الصدور نفارا
ولهذا تحزبوا وادعى العـ   ـاقل والاحمق الصواب ومارى
ومن المضحك الغريب اقتحام البـ   ـغل بين الفوارس المضمارا
قال لي بعض مدعي العلم ممن   اضرم الحمق بين جنبيه نارا
هل ترفضت قلت لم ادرما الرفـ   ـض[1] لديكم حقيقة واعتبارا
فرفيع مقام قومي وسام   ان يجاروا السفيه والمهذارا
غير ان الضرورة اقتضت الايـ   ـضاح فالصمت يوهم الاقرارا
فاستمع ما اقوله ثم قل ما   شئت بعد اعتذارا أو انكارا
ان لي من تمسكي بكتاب الله   ما اتقي به الاخطارا
ولما صح من حديث ابي القا   سم انقاد راضياً مختاراً

---

(١) ولع اخابث النواصب واعداء آل البيت عليهم السلام باطلاق كلمة رافضي اخترعوها على كل موال للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وآل بيته عليهم السلام ومحب لهم، وتبعهم السفهاء والجهلة من مدعي العلم.

لا اعــاني التأويــل فــيها اتــباعا … للــهوى او تــعصبا او ضــرارا[١]

مـذهبي مـذهب الوصـي ابـي السبـ … ـطين فـالحق دائـر حـيث دارا[٢]

اعـــلم الصـحب للـمدينة بــاب … كــم بــه الله ارغــم الكــفار[٣]

وتــمسكت بـــالشهيدين انــي … ســائر فـي عـقيدتي حـيث سـارا[٤]

اشــرف العــالمين امــا وجــدا … اطــيب النــاس عــنصرا ونــجارا

والمــثنى ابــن الحســين عــلي … مــن بــه كــل مــقتد لن يـضارا[٥]

وعــلى البــاقر اعــتمادي وزيــد … في سـبيلي فـلست اخشـى العـثارا[٦]

حــصنوا العـلم اذ بـنو عـبد شـمس … خـبط عشـواء يـخبطون سكـارى[٧]

غــيروا بــدلوا طـغوا وتـعامى … حـاملوا العـلم خـيفة واضـطرارا[٨]

---

(١) صرح اكابر العلويين مثل العلامة السيد عبدالله الحداد من رجال القرن الحادي عشر الهجري وكذا اكابر العلويين في العصر الحاضر يقولون: ان طريقتهم هي الاعتصام بالثقلين.

(٢) ليس بعد هذا التصريح الجلي مجال للتوضيح، فهو الذي يقول: ان مذهبه وعقيدته هو مذهب الامام علي ابن ابي طالب عليه السلام يوالي من والاه ويعادي من عاداه مقتفيا اثر الامام.

(٣) اشارة لقول النبي المعصوم الاعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وآله : «انا مدينة العلم وعلي بابها».

(٤) الشهيدان هما الامامان الحسن والحسين عليهما السلام شهيد المواضي والشهيد المسموم.

(٥) الامامان هنا هما الحسن بن الحسن السبط عليهما السلام توفي عام ٩٧هـ. والامام علي بن الحسين السبط زين العابدين عليهما السلام توفي عام ٩٤هـ مسموما. سمه الوليد بن عبدالملك الاموي وهو الذي يقول متحديا المولى جل شانه بعد ان مزق القرآن الكريم وهو يخاطبه:

اتــوعد كـل جـبار عـنيد … فـها انـا ذاك جـبار عـنيد

اذا ما جئت ربك يوم حشر … فقل يا رب مـزقني الوليـد

(٦) الامام محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط عليهم السلام توفي عام ١١٤هـ واخوه زيد بن علي زين العابدين عليهما السلام قتل يوم عاشورا اول سنة ١٢٢هـ.

(٧) يقصد بحصون الحلم الامام علي عليه السلام ومن بعده الائمة الذين ادوا الرسالة وبلغوا الامانة لم يتملقوا لحاكم او مستبد بل جاهدوا لإحلال العدل والامن والاستقرار ضد الطغاة العابثين المستبدين.

(٨) عاث الحكام المستبدون الطغاة في الارض فسادا فحاربوا الاسلام واستعبدوا الشعوب وغيروا معالم الحكم الاسلامي وابطلوا الشورى وحل محله الحكم الفردي الاستبدادي وازيلت الخلافة وصارت ملكا عضوضاً =

الف شــــهر تــمتعوا ثــم حــقت	نــــقمة الله فـــاستحقوا الدمـــارا[١]
وبـــاقوال جــعفر حــيث صــحت	عـــنه نـــقضي ونـــتبع الآثــارا[٢]
ولمـــوسى ابــن جــعفر والعــريضي	ومــــن خــلفا نــرى الخــلف عــارا[٣]
هــــؤلاء الاعـــلام اشــرف بــيت	فــي الورى بــيتهم واعــلىٰ مــنارا[٤]
ايــــها الفــمر هــل ســؤالك ايــا	ي لجـــهل ام خـــفة واغـــترارا
انـــنا ايـــها المـــغفل نـــقفو	هـــؤلاء الائـــمة الاطـــهارا

= بالتوارث والتناسل وجعلوا كل شيء ملكا لهم يتصرفون فيه كما تشاء اهواؤهم واستولوا على اموال الشعب غصبا ونهبوا ممتلكات الدولة وكانوا اخبث من الاقطاعيين المستعمرين، حتى جاء الى سدة الحكم عمر بن عبدالعزيز فاعاد اموال الشعب الى ذويها ومستحقيها واعاد (فدك) الى آل البيت وحقوق الخمس لمن يستحقون.

(١) يشير بهذا الى الحديث الذي رواه الحاكم في المستدرك أنه قام رجل من النواصب الى الامام الحسن بن علي عليه السلام يسبه بقوله: يا مسود وجوه المسلمين ... فأجابه الامام الحسن عليه السلام قائلاً: لا تؤنبني رحمك الله فان رسول الله صلى الله عليه وآله قد رأى بني امية يخطبون على منبره رجلا فساءه ذلك، فنزلت سورة ﴿انا انزلناه في ليلة القدر * وما ادراك ما ليلة القدر * ليلة القدر خير من الف شهر ﴾ تملكها بنو امية... الخ. وقد صححه الذهبي نفسه على رغم نصبه والحاكم بقوله: قال رسول الله صلى الله عليه وآله اني رأيت في منامي كأن بني الحكم بن العاص ينزون على منبري كما تنزو القردة. قال: فما رؤي النبي صلى الله عليه وآله مستجمعاً ضاحكاً حتى توفي.

(٢) هو الامام جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين عليهم السلام سادس الائمة من اهل البيت ولد عام ٨٣هـ وتوفي عام ١٤٨هـ.

(٣) الامام موسى الكاظم بن جعفر الصادق عليه السلام ولد عام ١٢٨هـ وتوفي عام ١٨٣هـ في عهد الرشيد في السجن مسموما.والعريضي هو ابن الامام جعفر الصادق وسمي بالعريضي نسبة الى العرض وهو موضع سكنه بالقرب من المدينة المنورة وكان ممن نصر اخاه محمد بن جعفر بن محمد الباقر حين اجتمع عليه اهل الحجاز وبايعوه وكان ذلك في زمن المأمون، وطال عمره حتى لحق الاحفاد بالأجداد توفي عام ٢١٠هـ وعن ابن عنبة قال: انه عاش الى ان ادرك الامام الهادي.

(٤) لانهم من اهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وكفاهم بذلك فضلا مع مالهم من جليل الفضائل والمناقب التي لا يحصيها قلم كاتب ولا حساب حاسب وحسبك انه يوجد فيهم الى اليوم من لم ينقطع العلم والصلاح في سلسلة نسبه الى رسول الله صلى الله عليه وآله وهذه منقبة قل ان توجد لاحد على وجه الارض والى مثل ذلك اشار الامام عبدالرحمن بن مصطفى العيدروس بقوله:

عالم صالح ابي ثم جدي ... هكذا هكذا الى المختار

ولنـــا الشـــافعي خـــير امـــام ان وجــدنا فـي النقل عنهم غبارا
ان يـــطوفوا نــطف ونســـتلم الركـ ـــن ونـــرمي كـما رمــوها الجمارا
اعــلم النـــاس بــالكتاب وبــالسـ ـــنة حــيث الهــدىٰ هـناك استنارا
بــالذي صـح عـنهم الاخـذ احـرى فــاقرأ الكـــتب وافــحص الاخــبارا
ان تــقل مــا بــه يــدينون رفـض فـــهو ديــني عــقيدة وائــتمارا
او تــقل اخــطأوا المـحجة فـاذهب خـــاسئاً لا تـــعود الاحـــمارا
أعــلى الحــق تــجتري ام عــليهم كيف تسري سري النسـور الحبارى
عــن ابــيهم اتـى الهـدى ثـم عـنهم يــتلقى ويـــودع الاســـفارا
فــهو فــي دورهــم وفــيهم عـريق ولدى غـــيرهم يـــرى مســتعارا
ما مـن الشـام جـاء او ارض طـوس او ســمرقند او أتــى مــن بـخارى
ديــننا حب اهــل بـيت رسـول اللّـ ـــــه حــــبا يكـــفر الاوزارا
مــا تــريدون بـعد انــا شـرحـنا مــا الصــدور انــطوت عـليه مرارا
هـــل تســـوموننا انـتقاص عــلي فـــنغيظ المـــهيمن القـــهارا
او عـــلى ابـنيه نـجتري وسـخيف مــن يـعيب الشـموس والاقـمارا
ام تــريدون ان نـحب ابـن هـند وعـــن النــص مـثلكم نـتوارى
لم تــجد مـؤمنا كـما اخـبر اللـ ـــه مـحبا مــن حـارب الجـبارا
وحــديث النــبي اقـوى عـرى الإ يــمان فـي الله بـغضنا الاشـرارا
فـــهو بـــاغ ولا كـرامــة للــبا غـي ومـن النـار الشرار استطارا
حـارب المـرتضى وسـمم سـبط الـ ـمصطفى بئس مـا ارتـضاه قـرارا
يــقتل الصــالحين صـبرا كـحجر يــاكـل الفــيء يـلعن الكـرارا
وتـــمادى يــعيث فـيهم فســادا وعـــلوا فــي الارض واســتكبارا
خــاض لج الضـلال عشـرين عـاما ثـــم ولى يـــزيده الخـــمارا

وتـــقولون بـــاجتهاد مـــثاب　　يـــا لهـــذا مـــعرة وشـــنارا
لو يكـــون الذي زعـــمتم صـــوابـــا　　لأرعـــوى بـــعد قـــتله عـــمارا
هـــل تـــرى عـــالم الخـــفيات يـــرضى　　مـــا صـــنعتم ويـــقبل الاعـــذارا
ومـــن المـــخجل احـــتجاج انـــاس　　بـــاحاديث تشـــبه الاســـمارا
ســـاقهم نـــصبهم اليـــها افـــتراهـــا　　ورواهـــا مـــن يـــعبد الديـــنارا
ولهـــم كـــم مـــقلد رام ربـــحا　　لم يـــزده التـــقليد الاخســـارا
ايـــن ربـــح الذي يـــرى القـــارمسكا　　يـــقتني او يـــرى النـــحاس نـــضارا
ربـــنا افـــتح بـــين الجـــميع بـــحق　　وارفـــع الخـــلف بـــيننا والشـــجارا
واهـــدنا أقـــوم الســـبيل ولا تـــحمـــ　　ـــل عـــلينا اصـــرا ولا اصـــرارا
وارفـــع الضـــنك عـــن عـــبادك والبأ　　ســـاء وارحـــم وارخـــص الاســـعارا
وصـــلاة عـــلى نـــبيك طـــه　　اعـــظم الرســـل رتـــبة وفـــخارا
وعـــلى العـــترة الكـــرام امـــان　　الارض مـــن ان تـــميد او تـــنهارا
وعلى الصحب من لنصر رسول اللّـ　　ـــه ســـاموا النـــفيس والاعـــمارا
وعـــلى التـــابعين مـــا غـــرد القمـــ　　ـــري او نـــاوح الحـــمام الهـــزارا

من خُطب السيد ابن شهاب

في وداع شهر رمضان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله المنفرد بجلاله وكبريائه، المتوحد بعظمته واعتلائه المفيض على عبيده برّه وعطاءه المسبل على ذنوبهم كنف ستره واغضائه. سبحانه وتعالى عما يقول الجاحدون من اعدائه نوَّع لعبيده القربات، وعرَّفهم مواسم الطاعات واستجلبهم بذلك الى حبه وولائه من علينا ببعثة نبيه الامين وأنزل عليه الفرقان المبين وجعله نوراً يهتدي به من أرتبك في مهامه جهله وعمائه وخصنا معشر الامة المحمديّة بشهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن وأتاح لنا فيه من مواهبه ما تكل الافهام عن ادراكه واحصائه نحمده سبحانه وتعالى ان وفقنا لصيامه وقيامه ونشكره ان يبلغنا بكرمه الى ليلة تمامه ونسأله ان يكتبنا في ديوان الفائزين فيه بمغفرتهِ ورضائه واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة يحشرنا بها في زمرة السابقين من أوليائه وأشهد ان سيدنا محمداً عبده ورسوله المؤتمن على أنبيائه صلّى الله وسلّم عليه وعلى آله وصحبه الذين جاهدوا بين يديه وعلى التابعين لهم باحسان الى يوم لقائه. أيها الحاضرون رحمكم الله هذه آخر ليالي الشهر الفضيل ولعله لايدركها منكم في القابل إلاقليل فاكثروا فيها من البكاء والعويل وابسطوا اكف الابتهال الى الملك الجليل فما كان اجملها بالانابة والرجوع وما كان أحقها بسكب العبرات والدموع وما أجدر هذه الساعة الشريفة بالحضور والخشوع فهلموآ الى موارد الفضل والاحسان وسارعوا

الى مواقف الندم والاذعان وبادروا للتوديع بالاسف والاشجان وأقيموا مأتم البكاء والاحزان وقولوا: السلام عليك يا شهر رمضان السلام عليك يا شهر العبادةِ والصيام، السلام عليك يا شهر التلاوة والقيام السلام عليك يا سيد الشهور السلام عليك يا شهر الفرح والسرور السلام عليك يا شهر التضرع والهجود السلام عليك يا شهر الركوع والسجود سلام مودع لا يدري أيعود إلى القابل أم لا يعود السلام عليك من شهر تقال فيه العثرات السلام عليك من شهر تسكب فيه العبرات وتنال فيه الخيرات والبركات فيا شهر الانوار والفضائل لعلك تعود في العام القابل وقد طرقتنا طارقات المنون ونحن بالتراب متوسدون قد تمزقت منا الاوصال وقد منا على ما قدمنا من الاعمال فكـن شفيعنا الى ذي العزة والجلال. روي عن ابن المنكدر رضي الله تعالى عنه انه قال: قال رسول الله ﷺ: إذا كان آخر ليلة من رمضان بكت السموات والارض والملائكة مصيبة لامتي: قيل: يا رسول الله وأي مصيبة على أمتك؟ قال: شهر فيه النفقة صدقة والسكوت تسبيح والنوم عبادة والدعاء مستجاب والذنب مغفور ولا يكتب على مذنب ذنب. فأي مصيبة أعظم من هذه؟ اخواني قد أزمع هذا الشهر على الارتحال وشمَّر ذيل النُّقلة والانحلال وقد عمرتم فيه مساجدكم بالصلوات والقيام واجهدتم فيه جوارحكم بالعبادة والصيام فليت شعري من الذي صام فيه عن الحرام كما امسك عن الشراب والطعام؟ ومن الذي حفظ صيامه عن الآفات وفطم نفسه عن تناول الشهوات؟ فلعمري أين دلائل الاجابة والقبول و أين أمارات البلوغ والوصول أين آثار الخشية والاجتهاد أين اصفرار الالوان ونحول الاجساد أين زفراتكم المتصاعدة وأين عبراتكم المتزايدة؟ فوا عجباً ما لهذه العيون لا تدمع ويا أسفا ما لهذه القلوب لاتخشع او ثوقاً منكم بحسن المآب والمنقلب أم استخفافاً بورود ذات اللَّهب؟! فالمحروم والله من كان في أيام شهره غافلاً والبعيد من كان عن التوبة في هذه متكآسلاً فيا حملة الذنوب والاوزار هذه ساعة التوبة والاستغفار فليت شعري هل فيكم من عكف في هذه

الليلة على بابه وتصاعدت زفراته خوفاً من غضبه وعقابه ويا أيها المفرطون شمروا في الطاعة فإنكم مثابون ويا أيها الباكون تضرعوا الى آلله فإنكم مجابون وتوبوا الى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ويا من هتك في هذا الشهر المحارم وتهاون فيها بعظيم الجرائم أمستيقظ أنت أم نائم؟ ان تتدارك نفسك بالتوبة والاستغفار والنزوع عن ارتكاب الاوزار والا فاعدد نفسك من المكبكبين في دار البوار فلعلك إذا رجعت بصدق التوبة ووقفت بتذللك في هذه الساعة بين يديه أجابك بما أجاب به الخائفين أقبل ولا تخف إنك من الآمنين ويا من قطع بالغفلة أوقاته وأيامه وأفنى فيها شهوره واعوامه وقدم عليه هذا الشهر الكريم فصامه ما لي أرى آثار المعصية بادية عليك فاين صيامك الذي قدمته بين يديك أين خلوتك تحت أروقة الظلام أين تململك والناس نيام؟

إلى متى أنت على غرة　　وتدعي أنك مقبول
كم مظهر أعمال أهل التقى　　وهو بسيف الجهل مقتول
فارجع إلى آلله وكن موقناً　　إنك مطلوب ومسؤول

ظفر والله المخلصون وحمد سراهم المدلجون وندم على تفريطهم وخسر هنالك المبطلون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ويا من أعرض في هذا الشهر عن ابواب الرحمة والكرم وتشاغل عن مواسم المنة والنعم بادر الى التعلق بأذيالها فقد عزمت على سيرها وارتحالها لج أبواب التوبة في هذه الليلة قبل انتقالها فإنه لم يبق من ليالي شهرك غير ليلتك هذه فلعلك تدخل بها في جوار الله وعباده ويا من غرق في بحار الزلات والذنوب وبارز بمعصيته علام الغيوب ما الذي أخرك عن التوبة في شهر البركة وما الذي ألهاك عن الفرار من مفاوز الهلكة؟ داو في هذه الليلة جراح الاقتراف بمراهم الذل والاعتراف لقد آن لك ان تتادب تأدب العبيد وتقف معترفا بين يدي العزيز الحميد ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ويا من

أنفق أنفاسه في البطالات هذه ليلة استداركك لما فات مالدنياك محروسة من كل جانب ودينك مبذور للمختلس والغاصب أظننت أن الله سبحانه وتعالى لايراك أم حسبت أنه لايعلم سرك ونجواك؟ كلا والله انه لسميع بصير ﴿الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾ اين حسرتك أيُّها العاجز المتخلف واين عبرتك ايها الحزين المتخوف وأين حيرتك أيُّها القلق المتلهف؟ ما تنفعك القوارع والعظات اذا لم تكن منك انابة والتفاتُ ماذا يعنيك النُّصح والتذكير اذا الم يثمر الجد والتشمير؟

إن المواعظ لا تغني أسير هوىً مقفل القلب في حيد عن السنن

فرحم الله عبدا أيقظ قلبه من سنة لهوه وغفلته وقاده بزمام خوفه وخشيته ورحم نفسه بالتوبة قبل فراق شهره هذا ورحلته فلعمرى لقد زمت لبينه ركائبه وشدت لرحيله نجائبه وكأن ذهبت أنواره وانقطعت بهجته وعفت آثاره وبعد قريبه وشط مزاره

يا غافلاً فيما مضى قد مر شهرك وانقضى
بادر بجدّك طالبا سوق التفضل والرضا

نبهنا الله وإياكم من سنه الغفلة وألهمنا وإيَّاكم بطاعته في أيَّام المهلةِ وتاب علينا وعليكم وعلى جميع المسلمين في هذه الليلة. هذا ورحاب كرم المولى سبحانه واسعة وعواطفه على من أم سوح افضاله متتابعة فنرجو أنّه تعالى قد أثبتنا في ديوان المنظور إليهم بعين العناية في هذا الشهر ونظمنا في سلك المحفوظين فيه بالعتق والعطاء الوافر وفتح لنا فيه أبواب الاجابة والقبول وأدخلنا في حيز أهل الانابة والوصول وضاعف لنا فيه أجور الحسنات وأقالنا فيه جميع العثرات إنه الجواد الكريم.

ايا صاحب الذَّنب لاتقنطن فان الاله رؤوف رؤوف
ولاترحلن بلاعدةٍ فان الطريق مخوف مخوف

قال رسول الله ﷺ: بكاء العيون وخشية القلوب من علامات رحمة الله فاذا

رأيتموها فاغتنموا الدُّعآء. إلهي زلت بنا عن مهيع نجاتنا الاقدام وغرقنا في لجج المعاصي والآثام وها نحن ببابك واقفون وبركابك عاكفون ومن عقابك خائفون ولثوابك مؤملون لا مالك لنا غيرك فنرجوه ولا رب لنا سواك فندعوه وقد تعرَّضنا لعفوك وثوابك وأنيخت قلائص إبتهالنا بفنآء رحابك فانظر اللّٰهم بعين رحمتك إلىٰ هذا الجمع السَّعيد وتقبل منا ما عملناه في شهر الزلفى والمزيد وبلِّغنا في طاعتك من خيرات الدنيا والآخرة ما نريد اللّٰهم اعمر بالتَّوبة خراب قلوبنا وطهر بعفوك سرائرنا عن دنس عيوبنا وهب لنا في هذه اللَّيلة من مواهبك الجسام مايكون ذريعتنا الى حلول دار السَّلام اللّٰهم لا تفضحنا في عرصات القيامة واعذنا من موجبات الخزي والندامة وأدخلنا بفضلك دار الكرامة أللّٰهم اجمع قلوبنا على الخشية بين يديك واهدنا إلى أقرب الطريق إليك فإنك تقضي ولا يقضى عليك أللّٰهم انَّك تعلم ما نزل بنا من قساوة القلوب لما تراكم عليها من درن الاوزار والذنوب فامطرها اللّٰهم بهواطل جودك وإحسانك واغدقها بشآبيب مغفرتك ورضوانك واحيها بوابل محبتك وعرفانك اللهم اجعلنا من عتقائك في هذا الشَّهر الكريم وأزلفنا بجوارك في جنات النَّعيم واجرنا برحمتك من عذاب الجحيم اللّٰهم لا تهلكنا بذنوبنا ولا توبقنا بكشف عيوبنا ولا تعرض عنَّا بوجهك الكريم وعد علينا بكرمك العميم اللهم من كان منا فاسد القصد فتفضل باصلاحه ومن كان صالح القصد فوفقه لانجاحه اللّٰهم تفضل علينا بالاستجابة لما سألناه وحققنا يا مولانا بما منك رجوناه وافعل كذلك بوالدينا واولادنا وقراباتنا وأحبابنا والمسلمين أجمعين اللّٰهم وانظر بعين رعايتك الى هذه العصابة المصطفوية حتى تقيم بهم أود هذه الأمة المحمدية وتنعش بهم علوم الشَّريعة النبوية اللّٰهم اصلح الراعي والرَّعيَّة ووفقهم جميعا لسلوك المحجَّة السَّويَّة اللهم اصلح سائر ولاة المسلمين واستأصل بهم شأفة المشركين ودمر بهم الخوارج الملحدين واقمع بهم شوكة البغاة المعاندين، اللّٰهم اصلح هذه البلدة وسائر البلاد الاسلامية واجعلها ابد

الآبدين آمنةً رخيَّة، اللّهم اجعل جمعنا هذا جمعا مرحوماً وتفرُّقنا من بعده تفرُّقاً معصوما اللّهم اسقنا الغيث والرَّحمة ولا تجعلنا من القانطين برحمتك يا أرحم الرحمين وصل بجلالك على اشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ﴿سبحان ربك رب العزة عما يصفون * وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين﴾.

تمت بحمد الله

من رسائل السيد ابن شهاب

اخترنا هذه الرسالة من بين مكاتباته ورسائله الكثيرة نموذجاً بسيطاً لما في هذه الرسالة من موضوع مهم، وهذه الرسالة موجهة للعلامة الجليل السيد احمد بن حسن العطاس، وذلك اثر بلبلة من الاقاويل من ألسنة المنافقين المتملقين الذين يريدون اثارة فتن عمياء والذين لا يحلو لهم الا اشعال الشحناء والتقول زورا وكذبا على العلامة السيد محمد بن عقيل وانه اصدر كتابا سماه النصائح الكافية، واتهموه بان الكتاب مليء بالزندقة والكفر والخروج من طريق السلف، فابن عقيل مارق وملحد.

وعندما بلغ السيد ابن شهاب هذا الخبر، بادر وكتب للسيد احمد بن حسن العطاس هذه الرسالة، والسيد ابن شهاب ممن يقدرون السيد احمد بن حسن العطاس لجلالة قدره وعلو محتده وسمو مكانته في المجتمع، فكانت رسالته هذه كرسائله الاخرىٰ باسلوبه المعروف وعباراته الرقيقة المليئة بالتواضع والوقار لتوضيح ما ارتاب فيه المرتابون احقاقا للحق وازهاقاً للباطل المبطن وقطعا لدابر النمامين الذين يعيثون في الارض فسادا.

العلامة السيد احمد بن حسن العطاس ممن يقدرون السيد ابن شهاب حق قدره ويجلون العلامة السيد محمد بن عقيل ويعجبون به إذ تجمعهم جميعا وحدة المبدأ والعقيدة والمشرب والهدف والغاية والاستماتة والولاء لآل البيت النبوي الطاهر ﷺ.

اتضح للسيد احمد بن حسن العطاس بعد استلامه رسالة السيد ابن شهاب بهتان النمامين وكذب الخراصين وفتن المغرضين وبانت له الحقائق، فاطلع على كتاب النصائح الكافية فوجد فيه الضالة المنشودة، فاعجبه حسن الادلاء ودقة البحث وعمق التحقيق الذي يدل على رجاحة المؤلف وتبحره في العلم وسعة اطلاعه فشكر للسيد

محمد بن عقيل جهوده الكبيرة ومساعيه الخيرة لانارة الطريق وقدره تقديرا ورجاه في مواصلة السعي والمثابرة في العمل لقطع السنة الخراصين اعداء آل البيت النبوي الطاهر الكريم ولجم افواه المفسدين، ثم قلد السيد احمد بن حسن اخاه السيد محمد بن عقيل وافر تشكراته وعظيم تقديره.

وهكذا خاب الخراصون المغرضون.

نص الرسالة:

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم يا من بيده ازمة نجائب التوفيق الى السعي في ادراك الحقائق والهادي لمن اختصه من عباده المخلصين الى سلوك اقوم الطريق، نحمدك الكثير على نعمة الاسلام، وكفا بها من نعمة، ونشكرك بما لا مزيد عليه ان جعلتنا ممن شرفتهم بقولك ﴿كنتم خير امة﴾ ونتضرع اليك ان تصلي وتسلم على نبيك وحبيبك الذي اوضح سواء السبيل، وابان المدلول باقوى دليل، سيدنا محمد بن عبدالله الصادق الامين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، واصحابه المهتدين الراشدين، والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين، ونبتهل اليك ان تعلي منار الاسلام والدين، وترفع العلوم النبوية بين المسلمين، باطالة ايام مولانا وسيدنا الحجة البالغة في هذا، والاسوة الحسنة لاهل الاسلام، والايمان والاحسان، الزكي الانفاس المولى احمد بن حسن العطاس امطر الله صيب نواله، واسبل عليه كرمه وافضاله، وعم بنفعه العباد والبلاد، وهدى بمعارفه الحاضر والباد، يهدي اليكم المحب المشتاق اسير البعاد والفراق، تحيات تعرب عن الود الخالص، وتفصح عن الولاء الصادق، ثم اني اعتذر الى تلك الحضرة السامية، والعذر مقبول لدى الكرام، عن عدم تأديتي ما يجب علي من خدمته بالمكاتبات والاستفسار عن حاله الشريف ومقامه المنيف، وما ذلك إلّا اني عودت نفسي علىٰ الانكماش وعدم الكتابة إلى

الاخوان والاصحاب، الا ما قضت به الضرورة والجأت اليه حالة شديدة، ويشهد الله تعالى ان لجناب سيدي المشار اليه في الفؤاد وداً صادقاً وتعلقاً روحياً وارتباطاً قلبياً، وارجو من الله ان نكون من المتحابين في الله. واني مع مداومة خضوعي لمقامه والتماسي لصالح دعواته وتعرضي لفيض نفحاته، لا ارى بأسا في البحث معه في امر بلغني عنه، لعلمي انه لا يستنكف من المباحثة ولا يأنف من المراجعة شأن الكامل من الرجال، على اني لا اعتقد فيما بلغني صدق الرواة ولا ابرئهم من الزيادة والتحريف، وذلك الامر هو انكاركم كما قالوا على اخينا السيد محمد بن عقيل حفظه الله في جمعه الرسالة التي رد فيها على صاحب المنار الذي افتى باستحباب تسويد معاوية واستحسان الترضي عنه وتعظيمه والمنع من سبه ولعنه حتى قال: (لا ابالي ان اقول: لو اطلع مطلع على الغيب وعلم ان معاوية مات كافرا، لم يجز لعنه وسبه) الى غير ذلك من الانتصار لمعاوية، ودعوى انه امام حق وخليفة صدق. وقد رأيت هذه الرسالة الفريدة وفحصتها، فرأيت جامعها حصر الحكم فيها على كتاب الله وحديث رسوله، ورفض ما سواها مما يخالفهما. ومن جعل كتاب الله وحديث رسوله حكما فلا ينكر عليه. ﴿ انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا ﴾.

يا سيدي، نقل المرجفون، انكم تنهون عن نشر الرسالة، بل وعن النظر فيها جملة واحدة، وقد استغربت ذلك غاية الاستغراب.

اولاً ـ انكم لم تقفوا على هذه الرسالة ولم تنظروا ما تضمنتها من الصواب او الخطأ، وحكم الانسان على ما لم يقف عليه ولم يدرك حقيقته تسرع لا يليق بامثالكم من ذوي العقل والحكمة والفضل.

ثانياً ـ ان ادلة الرسالة المذكورة كلها من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية واقوال المفسرين فيها. افيجمل ان يقال في تلك الادلة ما قاله مشركو قريش ؟ ﴿ وقالوا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه ﴾. اما البحث في معاني الآيات والاحاديث فلا بأس

به، ولكن بعد النظر والتحقيق.

ثالثاً ـ ان كلمة من كلماتكم، اذا تكلمتم بها ولو عرضا يتخذها الناس، ولا سيما اهل حضرموت حجة ودليلاً يعتمدونها، لما لكم من العلم والفضل والمقام السامي وانتم تعلمون ان اهل الاغراض والاغواء والاهواء يجعلون الحبة قبة ويفسرون ما شاؤوا من كلامكم، ولذا ينبغي التثبت في القول الا عند الثقات من الخاصة. ولهذا ادخلني الريب في صدور ما بلغني عنكم ولعل فيه زيادات والحاقات في معاوية، فاني انزه مقامكم واجل قدركم عن وجود مثقال ذرة في فؤادكم. كيف وقد قال الله تعالى: ﴿ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ﴾؟ واما الامر بالسكوت عنه كما سكت اكثر السابقين فليس بمستصوب، لان للسابقين اعذاراً قد زالت وانمحت آثارها وذهبت. وغاية الشخص اليوم اذا لم يتضح له الحق ان يسكت ولا يجوز له قطعا ان يأمر من عرف الحق وجاء به بالسكوت. ولماذا نسكت عن مخزيات معاوية؟ ألصحبته كما يقول انصاره؟ وقد علم الكل انها أسوأ صحبة، والصحبة لا تعصم عن الكفر ولا من النفاق فضلا عن الفسق، وان زعم من زعم وقال به من قال تحكما في دين الله. وقد عرف الكل عبد الله بن ابي وثعلبة والوليد بن عقبة وامثالهم عدوهم من اصحاب النبي ﷺ ولكن الله سماهم منافقين وفسقة في كتابه العزيز وقد قال ﷺ: «ان من اصحابي من لا اراه ولا يراني ابدا» وقال ايضا: «يؤمر باقوام ذات الشمال، فاقول: اصحابي فيقال: انك لا تدري ما احدثوا بعدك، فاقول: سحقا سحقا» واي صحابي اكثر احداثا من معاوية؟ ام نسكت عنه لاجل الاحاديث التي يذكرها انصاره في فضله؟ كيف وقد اتفق الحفاظ انه لم يصح في فضله حديث واحد الا قول النبي ﷺ فيه «لا اشبع الله بطنه»؟ ام نسكت لكتابته للنبي محمد ﷺ؟ ونحن نعلم انه قد ارتد قبله اثنان ممن كتبوا للنبي ﷺ ولم تعصمهما الكتابة، ولا بدع ان عزهما معاوية بموبقاته، اخترق صريح كتاب الله ونبذ صحيح احاديث رسوله ﷺ لشطحة من شطحات ابي

الحسن الاشعري وهفوة صدرت من الغزالي او للمخاريق التي لفقها ابن حجر الهيثمي واغرى بها الاخوان والاولاد ونقله المقالات المكذوبة على اهل البيت. ان التحملات والتاويلات التي شوهوا بها وجوه معاني الآيات والاحاديث لجديرة بالرفض وعدم القبول وكتاب الله واحاديث رسوله هو الحجة وبه يحكم الدين، دين محمد لا دين الاشعري واصحابه الا ما وافقوا فيه الحق. لماذا نسكت عن معاوية او ننهى عن ذكر مخزياته وفضائحه؟ والنبي محمدﷺ يأمر بهتك الفاجر والفاسد ليحذره الناس. ولماذا نعظمه ونسوده ونبينا يقول: «اذا مدح الفاسد والفاسق غضب الرب»؟ لماذا نعدله وقد فسقه كلام الله تعالى وحديث رسولهﷺ.

ان الدين والعقل والمروأة والحمية والغيرة كلها تحكم برفضه وبيان حاله وتحذير الناس منه وبغضه في الله والنهي عن تعظيمه وتسويده والترضي عنه. ان كان للسابقين عذر في ترك ذلك فلا عذر لنا اليوم. اليس معاوية هو الداعي الى النار كما في البخاري؟ اليس هو الباغي على امام الحق وهو القاتل بسبب بغيه مئات الالوف من المسلمين؟ اليس هو الذي سن لعن الامام علي‌ؑ على سبعين الف منبر اكثر من ستين سنة؟ اليس هو الذي قتل الحسن بن علي‌ؑ بالسم؟ اليس هو الذي قتل حجر بن عدي واصحابه بمرج عذراء؟ حيث لم يلعنوا علياً ولم يتبرّأوا منه وقد اخبر النبي انه سيقتل بمرج عذراء سبعة نفر، مثلهم كمثل اصحاب الاخدود، وانه يغضب لقتلهم جبار السماء. اليس هو الذى اصطفى البيضاء والصفراء من فيء المسلمين واستولى على بيت المال وصرف اكثره في غير حقه؟ اليس هو الذي استلحق زيادا في الاسلام علنا واعاد بذلك حكم الجاهلية؟ اليس هو الذي نقض العهود والمواثيق التي اعطاها للحسن بن علي‌ؑ؟ اليس هو الذي غش الامة وعهد بها الى ابنه السكير الخمير وهو يعلم فسقه وفجوره؟ اليس هو الذي ارسل بُسر بن ارطأة الى المدينة ليقتل الانصار والمهاجرين؟ اليس هو الذي سبىٰ المسلمات الهمدانيات وباعهن في السوق؟ اليس هو الذي اوصى

ابنه يزيد ان يرمي اهل المدينة بمسلم بن عقبة، فعمل بوصيته وارسله الى المدينة واستباحها وقتل اهلها وفعلت الفواحش فيها حتى ولدت الف امرأة من غير زوج وافتضت اكثر من ثلاثمائة بكر؟ اليس هو الذي قلب الدين ظهرا لبطن وجعل الخلافة ملكا عضوضاً وكان اول طاغية في الاسلام؟ اليس معاوية هو الباذل لسمرة بن جندب اربعمائة على ان يخطب في اهل الشام أن قوله تعالى: ﴿ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا﴾ نزل في علي بن ابي طالب ففعل؟ اليس هو الذي قتل بالسم مالكاً الاشتر وعبدالرحمن بن خالد بن الوليد؟ اليس هو الذي فرق الامة والقاها في بحر لجي من الشبهات والظلمات؟ اليس هو الذي اشار على عثمان ان يقتل علياً وطلحة والزبير؟ اما لعن النبي السائق والقائد وهما معاوية وابوه؟ اما امر النبي بقتله كما في صحيح مسلم (اذا بويع لخليفتين، فاقتلوا الثاني)؟ اليس هو الذي جمع غوغاء الشام وغرهم وخبط بهم الاسلام خبطة بقى غمار ضلالها الى اليوم؟ اليس هو رئيس القاسطين، وقد قال الله تعالى: ﴿واما القاسطون فكانوا لجهنم حطبا﴾؟ اليس هو حزب الشيطان بنص الحديث؟ اليس هو الذي كان يقتل الناس اذا لم يتبرّأوا من علي؟ اليس هو الذي ولىٰ عمال السوء على المسلمين ليسوموهم سوء العذاب، كبسر والمغيرة ومروان وعمر وشرحبيل وسمرة وزياد وابنه وامثالهم والزمهم لعن علي وأهل بيته على المنابر حتى في المدينة على منبر النبي، ففعلوا واتخذوه سنة؟ اليس هو الذي كتب اليه علي كرم الله وجهه بقوله: «انك دخلت في الاسلام كرها وخرجت منه طوعا»؟ اليس هو الذي كتب اليه قيس بن عبادة: اننا انصار الدين، الذي خرجت منه وعدت الى اعدائه؟ اليس هو الذي شرد بني هاشم وآذىٰ من احبهم وشايعهم؟ اليست كلها بدعة وأولياء المسلمين اكثر من ان تحصى؟ اليس هو اول من عهد الى ابنه بالخلافة في الاسلام وجعلها قيصرية؟ اليس هو اول الملوك من اتخذ المقاصير في المساجد؟ اليس هو أول من قتل مسلما صبرا؟ اليس هو اول من قيدت النجائب بين يديه؟ اليس

هو اول من ابطل حكم الحدود الشرعية ؟ الى غير ذلك من البدع التي يلزمه الاثم بها الى يوم القيامة.

والله لو نعلم ان الله ورسوله رضي في السكوت عنه لسكتنا. نعلم ان القعود عن الحق ذل ظاهر وعجز قبيح وعقوق للاجداد الطاهرين وسيئة نغضب بها محمدا وعلياً يوم التلاق.

هذا وانا اعرف واعتقد انكم عارفون كل ما ذكرته من موبقات هذا الطاغية وما لم اذكره. ولا تخالون ان اسلافنا العلويين اعرضوا عن ذكر معاوية ومثالبه، ان قلنا: نعم اعرضوا عن ذلك حيث لم يدر البحث بينهم وبين احد من انصار معاوية في هذه المادة لاحقاق الحق وابطال الباطل، كما سكتوا عن جدال اهل الاهواء والبدع الاخرى كالمرجئة والمعطلة والخوارج واشباههم، ولو نوقشوا في هذه المادة فلا ريب انهم قائلون بما قال اجدادهم واسلافهم الطاهرون علي والحسن والحسين وزين العابدين والمثنى والباقر والصادق والكاظم وزيد والنفس الزكية وهلم جرا، اننا لا نجد من ساداتنا من ينافح ويكافح عن معاوية ويبدل سيئاته حسنات وينهى عن ذكر مخازيه ومثالبه ولا يوجد من يحبه ويتولاه بل قلوبهم نافرة عنه مبغضة له، اللهم الا افراد شاذة كصاحب المشرع ولا عبرة بالشاذولا بقوله في مقابلة الجمهور، بل في مقابلة الادلة القرآنية والحديثية وكلام كبار اسلافهم، الامام علي بن ابي طالب ومن بعده، يقول الحبيب علي بن حسن العطاس:

فويل ابن هند من عداوة معتد ينازعه في حقه ويطالب

يعلم الله اني ذكرت رجالاً كثيرا من اجلائهم وهداتهم في معاوية ولا اجد منهم من يثني عليه. اقول: ان الحق الذي لا يجوز العدول عنه هو التمسك بالكتاب والسنة والاذعان له والرجوع الى ما فيهما محتم على كل ذي ايمان.

لعله بلغكم اقوال المغرضين الذين يتقولون على السيد محمد بن عقيل، ان في

ادلة رسالته ومقدماتها وقضاياها شيئا من اقوال الشيعة او نقلا عن كتبهم او طعنا او تنقيصا لمقدار اكابر الصحابة. ثقوا انها افتراء ومغالطات النواصب للحق الصريح، فان جميع ادلة رسالة السيد محمد بن عقيل منقولة عن اهل السنة ومن كتبهم وقد اثبت جامعها ما لاكابر الصحابة رضي الله عنهم من الفضل، ومعاوية واعوانه راغموا الحق وهم يعرفونه عنادا واستكبارا.

واني والله ارجو كما اعلمه في شمائلكم من الانصاف وتوخي الحق اذا وقفتم على تلك الرسالة ان تؤيدوا مبادئها وتسبروا بتحقيقاتها ولا عليكم ان سكتم عنها حتى تقفوا عليها، ثم لكم حريتكم في القول وفاقا او خلافا، وعلينا ان شئتم نشر كلما تبدونه عنها رداً او تأييدا اذ الحق ضالة الكل.

ان رسالتي هذه الموجهة اليكم لاخلاصي لكم واطمئنان نفسي بكم لما اعهده فيكم من صدق القصد وحسن النية وعدم المداهنة والتجافي عن الاغراض وحب الجاه الزائل والمال المائل ولما اعرفه منكم من حرية القول ورفض التقليد المحض المقيد للانسان. فالجاهل في درجة الصبي مع كفيله والمرأة في يد وليها. اما بحثكم عن الادلة الاولية من الكتاب والسنة والرجوع اليها واعتنائكم الخصوصي بكتب الحديث والتفسير التي هجرها الاكثر اليوم، واعتبروها كالمنسوخة، ويسرني ميلكم الى كتب الحافظ الشوكاني وامثاله من اهل الحديث. ويؤسفني ما بلغني ـ ان صح ذلك ـ من قيام البعض مع معاوية والانتصار له. اما جهلا منهم او عداوة وشماتا لآل البيت النبوي الكريم وهم لا يعلمون انهم يغضبون الرسول الاعظم محمداً ﷺ ويسيئون لآل البيت عليهم السلام فهم عدوهم الاكبر جاهلية واسلاماً ولعل ما بلغني عنهم على سبيل التقية وهو ما لا اظنه، ولكن لم يبق اليوم من يخاف ويتقى منه، وربما في كلمة التقية دفع المشاغل ورفع المنازعة وهو رفع تافه وضرره كبير عام، ولا سيما وانتم ممن يتخذ كلامه حجة ودليلاً، فينبغي الافصاح بالحق والتصريح بصحيح المعتقد، لئلا يجد

الحمقى واولوا النصب سبيلا الى تأييد الباطل بالزيادات، وانتم اعلم بكل ما ذكرته، ولا يستخفنكم الذين لا يوقنون، واسأل الله تعالى ان يوفقنا جميعا الى كل ما هو له رضاً وطاعة، ويعصمنا من كل ما هو سخط ومعصية في جميع الحركات والسكنات والافعال والاقوال، وان يجمعنا واياكم اولا في الاوطان في اهنأ عيش مريء، ثم في دار كرامته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، انه قريب مجيب.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

ابو بكر بن عبدالرحمن بن شهاب

من الجدود الاعلون لاسرة بيت آل العطاس هو العلّامة حجة زمانه والشاعر الاديب السيد احمد بن حسن العطاس المولود في عام ١١٢١هـ والمتوفى عام ١١٧٢ اي عمره (٥١) عاما، وهو واسع الاطلاع والمحقق والحجة في التاريخ الاسلامي وما جرى بعد وفاة الرسول الاعظم المصطفى محمد ﷺ والحوادث التي لازمت ولابست تولية الامام علي بن ابن طالب كرم الله وجهه وما تجرأ مولى بني امية الفضل عباس ابو الفرج الرياشي الاندلسي في قوله من ابيات له:

لعمرك ان في ديني لشغلاً … لنفسي عن ذنوب بني اميه
على ربهم حسابهم اليه … تناهي علم ذلك لا اليه
وليس بضائري ما قد اتوه … اذا ما الله اصلح ما لديه

فرد عليه العلامة السيد علي بن حسن العطاس بهذه القصيدة:

الا قل للرياشي قد بدا ما … لديك اليوم فاسمع ما لديه
تقول بني امية كنت فيهم … على الحالين في حكم السويه

الى ان يقول:

ولو قتلوا اباك لكنت قاض … بأخذ الثار في تلك القضيه

ولكـــن الألىٰ قـــتلوا ســواكــم   بـــنو الزهـــرا بـدور الهـاشميه

ثم قال السيد علي بن حسن العطاس مستطردا في هذه القصيدة :

فــما لك لا تــبوح بــبغض قــوم   رضــوا بــالعار فــي حب الدنــيه

ولو كـــنا حــضورا حــين ضــلوا   ضــربنا رؤوســـهم بــالمشرفيه

ويكـــفينا عـــلي ذو المـــعالي   هـــو الهــادي الى حكــم الســويه

وللعلامة السيد علي بن حسن العطاس عدة مؤلفات تعد حجة في التاريخ منها :

١ ـ القرطاس في ٤ مجلدات الذي يعتبر المرجع الاول لتاريخ بيت آل العطاس والاسر العلوية.

٢ ـ المقصد في زيارة المشهد.

والسيد العلامة احمد بن حسن العطاس هو احد المعاصرين للسيد بن شهاب الذي بعث اليه بهذه الرسالة، وهو من احفاد العلامة السيد علي بن حسن العطاس، المعروفين بالعلم والكرامة والصدارة، ولهم اعمال في التربية والتعليم وتشييد المدارس ودور العلم في جنوب الجزيرة وفي المهاجر الشرقية ولا تزال آثارهم باقية خالدة.

كشف النقاب عن وجه الصَّواب لازالة ريب المرتاب، إفتاء علامة الزمان ونادرة الاوان مولانا الاوَّاب الحبيب أبي بكر بن عبد الرحمٰن بن محمد بن شهاب الدين العلوي الحسيني ﷺ.

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد رسول الله محمد بن

عبد الله وعلى آله وصحبه ومن اتبعه ووالاه. اما بعد فقد وصل اليّ سؤال من احد المحبين وفقه الله للخير ودفع عنه الضير وهذه صورة السؤال بحروفه.

ما قولكم في ان الحقير قد وقف على الرسالة المسماة بالنصائح الكافية للفاضل الحبيب محمد بن عقيل وحيث انكم المؤيدون لها والداعون اليها واني بعد النظر والتأمل رأيت انها كالفتوى على السؤال الذي صدرت به الرسالة وهو ان بعض العلماء قال: ان من يلعن معاوية اقل خطراً ممن يترضى عنه فهل هو مصيب في ذلك أم مخطئ وحيث ان بعض العلماء اجاب بانه مخطئ بلا شبهة قام السيد محمد بن عقيل وانتصر للمفتي الأوّل وكانت الرسالة المذكورة هي في الحقيقة كالجواب عن هذا السؤال وانا لا اريد ان اتكلم بما اطال به صاحب الرسالة مما لا تعلق له بهذا السؤال أصلاً. ولكني اريد ان اعرض على شريف مسامعكم اشياء لا تزال تتوارد على الخاطر لا سيما وقد سمعت في يومي هذا تقول من جعل كتاب الله حكماً فلا يضره من ناوأه أو نحو ذلك. ومن الاشتباه (هكذا) انه من الثابت ان اللعن ينقسم إلى اقسام ومن يطلق عليه اللعن كذلك. واسباب اللعن متفاوتة. فمنها جلية ومنها خفية والناس في معرفة هذه الاسباب ايضا متفاوتون ومعاوية الذي وقع السؤال عن لعنه او الترضي عنه قد فات ومات. ونحن لا نعرف شيئاً من اخبار الماضين الا بما نقل الينا وليس الخبر كالعيان وليس هو ممن نص الله ولا المعصوم الصادق ﷺ على لعنه وغاية ما كتب صاحب هذه الرسالة ان يكون قد حاول دخول معاوية في عمومات ولا يخفى ان ما يستدل عليه بالعمومات ان يكون مظنونا او خطأ محضاً لا سيما وقد خصص العمومات بنقل المؤرخين وغالبها كالاسرائيليات لاشتمالها على الغث والسمين او يكون قد حاول مسألة اجتهادية يجوز أن تخفى على بعض الناس بل على اكثرهم وما كان كذلك كيف يكون الخطر في تركه اكثر مما لا خطر فيه البتة وهو الترضي؟ لان الترضي طلب الرضوان من الله تعالى والمشتبه امره ومجهول الحال على اكثر الناس والمختلف في حاله لا سيما ثبوت

إسلامه كيف يكون المترضي عنه في خطر اكثر من خطر من يلعنه؟ او ليس قد ثبت عن الصادق المعصوم ﷺ استغفاره للمنافقين وهو وان نهاه الله تعالى عن الاستغفار لهم فمن البديهي انه لم يكن المانع له ﷺ مجرد الذنوب فهذا لم يقله مسلم بل هو انما كان المنع للنفاق وما ابطنوه من الكفر ومن المقرر ان المذنب والفاسق تحت مشيئة الله تعالى ومما يشفع فيه الشفعاء وقد قال ﷺ: شفاعتي لاهل الكبائر من أمتي وقد اجمع المسلمون على الاذعان بان صلاة الجنازة مسألة مشروعة على ما سوى الكافر من كل بر وفاجر، ومن الادعية المأثورة فيها ان يقال: اللهم اغفر له وارحمه واكرم نزله وارضه وارض عنه إلى غير ذلك من الادعية الواردة المأثورة. ومعلوم اني لا اعرف وجه الخطر في الترضي عن الفاسق المعلوم المتفق على فسقه فما بالك فيمن اختلف في فسقه او اختلف في سبه وجوازه مع وجود الالفاظ الذي ذكرناها في صلاة الجنازة. وفوق ذلك كله ان صاحب الرسالة المذكورة معترف باسلام معاوية ولم يثبت ردته ولا كفره ولا مروقه، فأذا ثبت سيدي باتفاق منا ومن صاحب الرسالة اسلام معاوية ولم يثبت إلاّ الاختلاف في فسقه فما الذي يوجب الخطر في الترضي عنه؟ بل لو سلمنا كما زعمتم بفسقه اما كان الأولى والاحرى بالصواب جواز الاستغفار الذي الترضي فرد من بعض افراده ان لم يقل صاحب الرسالة بندب ذلك كما قال به غيره من المسلمين وكما امرنا الله به فلا اقل من ان يقول لا خطر، لان الله تعالى قد امرنا به في غير ما آيه وكما قدمنا في صلاة الجنازة والشفاعة والدعاء وغير ذلك واما ما استدل به من لعن بعض المعاصرين فهو بعد حمله على لعن دون لعن فلعل لهم في ذلك مصلحة أو تأويلاً لان ذلك انما كان زمن حياته واما بعد الموت فانا نرى ان الداعي باللعنة اي بالطرد مناقض الداعي الشافع والمستغفر اللذين هما مقام محمد ﷺ يوم القيامة وان كل مسلم لا يسعه إلا التأمين على دعائه ﷺ يا ترى ان يدعو النبي ﷺ لأناس ونقوم على نقيضه فندعو عليهم ولا اظن عاقلا مجوزا لذلك مع انا لم نر نقلاً صحيحاً ولان صاحب

الرسالة لم يثبت عن سيدنا علي انه أمر بلعن معاوية بعد موته بل الثابت عنه كرم الله وجهه خلاف ذلك وايضا المسلم الفاسق المعين لم يصح في لعنه بعد موته شيء عن النبي ﷺ. نعم ورد لعن غير المعين وهو يجوز ان يتناول الاحياء والاموات فكذا الاستغفار والترضي عن الفاسق المعين قد ثبت بالنص فيما صح من دين الاسلام واللعن انما جاء في غير المعنيين فيا ترى ايهما مقدم على الآخر؟ وفرق بين هذا وذاك ونحن إذا نظرنا من يجوز لعن الفاسق المعين لم نر التنصيص عن أحد ممن يعتد به على معين بعد موته ولو سلمنا انه قال به احد فلا اكثر من ان يكون قوله اجتهاديا يجوز ان يخالفه مجتهد غيره ولما ذكرناه وما لم نذكره وقع الاختلاف في تجويز ذلك بين العلماء فيا سيدي حفظك الله تعالى اذا كان حال معاوية كما ذكرنا وقد مات منذ زمان وهو محسوب في اموات المسلمين الشامل لهم دعاء المؤمنين فكيف الترضي عنه والاستغفار له يكون اكثر خطرا من لعنه مع أمر الشارع لنا بالاستغفار للمؤمنين؟ بينوا لنا جوابا شافيا عن هذه الشبهات لان النفس فيها ما فيها والخوض في هذا العويص مشكل وانتم سراته والشبهة واقعة والحالة ما ذكرنا فالجواب مطلوب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وايضا تخصيص عموم الآيات بالتواريخ المخترعات هل قال به احد من مجتهدي الامة؟ بينوا لنا لان الذي في مراكز اذهاننا ان تخصيص عمومات الآيات لا يكون إلَّا بالسنة الصحيحة الثابتة او بالاجماع ولا شك انكم أدرىٰ من الحقير فلذا طلب البيان ليظهر الحق فقط انتهى.

فبعد ان تصفحت ذلك السؤال احببت ان اجيب عليه بما يذهب عن السائل الريب ويرفع عنه وعن كثير من امثاله حجاب الشبهة ويوضح له وجه الصواب على انه لو تأمل الرسالة المذكورة حق تأملها لم يشكل عليه ما اشكل ولظهر له الجواب جليا ولكن اسعافا ومجاراة له وحرصاً علىٰ ايضاح الحق له وارشاده اليه. اقول مجيبا عن ما يلزم له الجواب من مجمل السؤال:

الجملة الاولى

قوله: ان معاوية الذي وقع السؤال عن لعنه او الترضي عنه قد فات زمانه ونحن لا نعرف شيئا من اخبار الماضين إلا ما نقل الينا وليس الخبر كالعيان، انتهى. واقول: صدق السائل انا لا نعرف شيئا من اخبار الماضين إلا بالنقل فاننا لا نعلم معجزات النبي ﷺ ولا شمائله ولا احكام شريعته إلا بالنقل، وكذلك لا نعرف فضائل الخلفاء الاربعة واكابر الصحابة من المهاجرين والانصار الا بالنقل، ولا نعرف كفر أبي لهب وأبي جهل وعتبة وامثالهم الا بالنقل، ولا نعرف نفاق عبدالله ابن ابي وثعلبة وامثالها الا بالنقل، ولا نعرف بغي معاوية واعوانه ومخادعتهم لله ورسوله وارتكابهم عظائم الموبقات إلا بالنقل، فالنقل هو المرجع في الكل فليس لنا ذريعة لادراك الحقائق غيره، ويتحتم علينا قبول ما صح منه والاذعان به والاعتماد عليه فليكن هذا من السائل حفظه الله على بال.

الجملة الثانية

قوله: وليس هو ممن نص الله ولا المعصوم الصّادق على لعنه. انتهى. واقول ان اراد السائل بالنص هنا التصريح بلعن معاوية باسمه في القرآن فذاك صحيح، فان الله تعالى لم يلعن احدا مصرحا باسمه في القرآن الا ابليس. وان اراد النص المعتبر في الدلالة عند الاصوليين وهو كون الاستدلال بمنطوق القرآن ومنطوق الحديث فهو موجود في لعن معاوية وامثاله، فان الله جل جلاله نص على لعن الكاذبين على ربهم والظالمين والمفسدين في الارض والقاطعين ارحامهم والمؤذين لله ورسوله والمعتدين والذين لا يتناهون عن المنكر ومن قتل مؤمنا متعمداً ومن نقض الميثاق والداعين إلى النار إلى غير ذلك. وقد نص رسوله عليه وآله الصلاة والسلام على لعن من احدث

حدثا او آوى محدثا ولعن من سب اصحابه ومن ضار بمسلم أو مكر به وعلى لعن الراشي والمرتشي وعلى لعن من ولي من امور المسلمين شيئاً فامر عليهم احداً محاباة وعلى لعن من لعن عمارا وعلى لعن من اخاف اهل المدينة ظلماً. وقد ثبت ذلك بالتواتر والنقل الصحيح تلبس معاوية واتصافه بجميع هذه الاوصاف المذكورة التي نص الله ورسوله على لعن من اتصف بشيء منها فكيف ومعاوية متصف وملابس لجميعها؟ والتواتر والنقل الصحيح اعظم شاهد على ذلك. وبهذا يتضح ان قول السائل: ليس معاوية ممن نص الله ولا المعصوم الصادق على لعنه خطأ ظاهر، ومن الجهل الفاضح ان نتطلب الدليل في الحكم على الاشخاص بالنص على اسمائهم ولا نعتبر بعموم الدلالة. ياترى هل نص الشارع على وجوب الصلاة والزكاة وتحريم الرباء والسرقة على فلان بن فلان اي السائل ام كان ذلك بعموم الآيات والاحاديث لا يشتبه ذلك على ذي تمييز، كيف وقد اتفق الاصوليون انه لو ورد حكم على شخص معين كان عاما في غيره فليرجع السائل ان جهله إلى مظانه من كتب الاصول.

الجملة الثالثة

قوله: وغاية ما كتب صاحب الرسالة ان يكون قد حاول دخول معاوية في العمومات. انتهى. واظنه يريد عمومات من لعنهم الله ورسوله. واقول: اما دخول معاوية في عموم تلك الآيات والاحاديث فلا يحتاج إلى محاولة ولا مزاولة ومن الذي ينازع في ان معاوية كان كاذبا وظالما ومفسداً في الارض وقاطعاً للرحم ومؤذيا لله ورسوله باذيته أهل نبيه وانصاره وقاتلاً للنفوس المؤمنة بغير الحق وداعيا إلى النار كما في حديث عمار ومحدثا للاحداث السيئة وسابا لاكابر أصحاب رسول الله واكابر اهل بيته وراشياً ومحابياً بالامارة لابنه السكير الخمّير واعوانه الذين هم من شاكلته ومخيفاً لاهل المدينة إلى غير ذلك من موجبات اللعن ومسبباته. ولكن انصار معاوية واذنابهم

واتباعهم هم الذين يحاولون خروجه عن عمومات هذه الآيات والاحاديث بـما لا يجديه ولا يجديهم نفعاً ولا ينهض لهم بحجة، فترى بعضهم يدعي اجتهاده وصلاح نيته وبعضهم ينكر بعض ما ثبت من الموبقات وبعضهم يتصامم ويتغافل عنها و يأمر الناس بالسكوت عنه وبعضهم يزعم ان الصحبة عاصمة له ومكفرة عن ذنوبه إلى غير ذلك من التهويسات الباطلة والتاويلات الفاسدة. وانّى يتم لهم شيء من ذلك والتواتر يدحض أقوالهم والنقل الصحيح يسخن اعينهم والقلوب المؤمنة تنفر من تمحلاتهم ونور الحق يطمس ظلمات وساوسهم والله من ورائهم محيط؟

الجملة الرابعة

قول السائل: ولا يخفىٰ ان ما يستدل عليه بالعمومات ان يكون مظنوناً أو خطأً محضاً لا سيما وقد خصص العمومات بـنقل المـؤرخـين وغـايتها كـالاسرائـيلات لاشتمالها على الغث والسمين. انتهى كلامه. واقول: قال الاصوليون: ان دلالة العام على افراده ظنية اي لاحتمال اخراج بعض الافراد عن الحكم بخصوص آخر كقوله تعالى: ﴿وما ملكت ايمانكم﴾ فما في قوله: «ما ملكت» لفظ عام يشمل كل امة مملوكة ولو كانت اختا او اما لكنه مخصوص بقوله تعالى: ﴿حرمت عليكم امهاتكم واخواتكم﴾ الآيـة. فيبقى الحكم ثابتاً في الباقي الذي لم يذكر في الآية المخصصة واذ اجاز اخراج شيء من افراد العام بدليل آخر يخصصه فدلالته بلا شك ظنية ولكنه ظن اقامه الشارع مقام اليقين في لزوم امتثاله وتحتم العمل بمقتضاه وهكذا غالب ادلة الفقه فان اكثرها ظنية واجبة الاتباع، فدليل وجوب قراءة الفاتحة في الصلاة والتشهد ظني ودليل ربع العشر في زكاة النقد وشاة عن خمس من الابل ظني كذلك وهلم جرا، واحاديث الآحاد كلها ظنية المتن كاحاديث البخاري ومسلم وغيرهما من كتب الحديث، اللهم إلا احاديث قليلة جاءت متواترة وقد ميزها الحفاظ وبينوها كحديث «من كنت مولاه فعلي مولاه»

وحديث «تقتل عماراً الفئة الباغية» فتلك قطعية الورود. وحيث علمت ذلك تعلم لزوم العمل بعموم الآيات والاحاديث الدالة على جواز لعن معاوية بل ندبه واستحبابه تأسيا بكتاب الله وبرسوله وبملائكته ولعل السائل اصلحه الله نظر في بعض الكتب ان دلالة العام ظنية فتخيله ضعفاً في الدلالة فلهذا تجاوز الحد وخالف الكل بقوله: او خطأً محضاً. لا بل قوله: خطأ محضا هو الخطأ المحض والله أعلم. اما قول السائل: وقد خصص يعني صاحب الرسالة العمومات بنقل المؤرخين الخ. فعجيب، لان ما نقله صاحب الرسالة عن أهل الحديث وعن المؤرخين انما هو تعيين لافراد العام واثبات وتاييد لكون معاوية واعوانه من الداخلين في ذلك العموم، فكيف يدعي السائل أنه تخصيص؟ وكأنه لا يعرف معنى التخصيص. ولهذا نقول له: ان التخصيص هو اثبات حكم لفرد من افراد العام مخالف لحكم العام اما باستثناء في لفظ العام او شرط فيه او بدليل مخصوص خارجي منفصل كما قدمنا ذكره في الآية السابقة، فيخرج ذلك الفرد بذلك المخصص عن حكم العام وما نقله صاحب الرسالة عن المحدثين والمؤرخين ليس من التخصيص في شيء بل هو اثبات وتعيين لبعض افراد العام. ولو فرض وجود مخصص يخرج معاوية وامثاله من تلك العمومات لقلنا به، كما لو فرضنا وجود حديث بلفظ لعن الله المفسدين في الارض إلا معاوية لاخرجناه من عموم المفسدين، وكما لو جاء ان معاوية قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر لقلنا به. ولكن انّى ذلك؟ بل جاء في الاحاديث الصحيحة وبالتواتر ما يثبت انه من اكابر من يستحق ما دلت عليه تلك الآيات والاحاديث والاذعان لما جاءت به متحتم فليتق الله امرئ اراد بعلمه وعمله وجه الله تعالى.

الجملة الخامسة

قول السائل: او يكون قد حاول مسألة اجتهادية، إلى قوله: مع وجود الالفاظ

التي ذكرناها في صلاة الجنازة. ونقول: هذا كلام مضطرب مختل التركيب والترتيب غير انا نجاري السائل حرصاً على افادته ونقول له: اما ما تتخيلهُ وتظنهُ ان معاوية ربما كان مجتهداً طالب حق كما ادعاه له كثير من انصاره، فقد بسط صاحب الرسالة الجواب عنه بما فيه مقنع للمنصف ودحض لحجة المكابر والمتعسف. ويكفي في رد ذلك ان الاجتهاد لا يسوغ مع وجود النص وقد نص النبي عليه وآله الصلاة والسلام على بغي معاوية وخطائه في حديث عمار وغيره، وقد علمه معاوية وسمعه فكيف يسوغ له الاجتهاد بعده؟ ولكنه مراغم معاند محاد لله ورسوله تقول ذلك جهاراً رضي بذلك انصاره أم سخطوا. واما كون الخطر في الترضي عنه تعظيماً له اكثر من الخطر في لعنه فلا شك فيه ولا ريب لانا نقول: انه لا خطر في لعنه اصلاً لثبوت ارتكابه الكبائر التي لعن الله ورسوله فاعليها ولنا في رسول الله اسوةٌ حسنة فيكون لعنه مندوباً للتأسي بكتاب الله ورسوله وملائكته ولو لم يكن التأسي مطلوباً في خصوص هذه المسألة لما ورد مكرراً لعنة الله والملائكة والناس اجمعين. كيف وقد قال الله تعالى ﴿اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون﴾ وهذا امر باللعن في صيغة الخبر، واما زعم من زعم أن ترك اللعن من الورع فله رأيه في عمل نفسه وليس له أن ينهىٰ الناس عن أمر شرعه الله ورسوله لعباده لراي رآه، وهذا الترك اقرب إلى التنطع والتعصب منه إلى الورع، وعلى قياس هذا الورع يكون الامتناع عن كل سنة اختلف فيها ورعاً ويسري في كل حكم وفضيلة احتمل بطلان دليلها. اللهم أن هذا تعطيل للدين وليس من الورع المحمود في شيء. واما التفريق بين المعين وغيره وبين الحي والميت كما زعمه بعض العلماء فقول مرجوح بل تحكم صرف لا دليل عليه، وقد بسط الجواب عنه صاحب الرسالة بما يبين فساده فليرجع إليه ثمة. واما الخطر في الترضي عنه وتعظيمه وتسويده فعظيم لما يعلمه الكل ان الترضي هو شعار الاصفياء والصالحين من العباد كما ورد في القرآن الكريم مكرراً وصار من بعد شعاراً لهم ملازماً لتعظيمهم فلا يكون لغيرهم من الفسقة وذوي الكبائر

لملازمته العرفية للتعظيم وتعظيمهم مغضب للرب وسخط له كما في الحديث. وقد ذكر صاحب الرسالة من ذلك ما فيه مقتنع للمنصف وكما قالوا في الصلاة على غير الانبياء استقلالاً بالمنع لانها صارت شعاراً للانبياء، فكذلك الترضي هنا فهو شعار للاكابر وذوي الفضل وليس المنع سببا عن نفس طلب الرضا عن الفاسق والظالم فقط، بل لملازمته للتعظيم الممنوع أمّا الدعاء للفاسق بالرحمة والمغفرة وللكافر والمنافق بالهداية فلا منع فيه حيث خلا عن اقترانه بمحبة وموالاة. اما ان كان مقترنا بهما فممنوع أيضا لقوله تعالى: ﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ﴾ومن هذا القبيل ما ذكره السائل بما ورد في الصلاة على الميت غير ان السائل زاد فيه وارضه وارض عنه ولم اقف على هذه الزيادة في رواية صحيحة على انه لو فرضت حياة النبي عليه وآله الصلاة والسلام عند موت معاوية فالظن الغالب انه لا يصلي عليه لان علامات النفاق كلها موجودة فيه مع انه عليه وآله الصلاة والسلام امتنع عن الصلاة على رجل من أصحابه بسبب كونه مديونا دينارين لم يؤدهما وامتنع من الصلاة على احد المجاهدين معه لما اخذ من فيء المسلمين خرزاً لا يساوي درهمين، فما بالك بمعاوية الذي تعلقت بذمته الآلاف المؤلفة والقناطير المقنطرة من اموال المسلمين التي جمعها واغتصبها ظلما وعدواناً؟ وقد امتنع النبي عليه وآله الصلاة والسلام أيضا عن الاستغفار لمحلم بن جثامة القاتل رجلاً في المعركة، اسلم حين اقبل عليه محلم بالسيف فظن انه انما نطق بالشهادتين جزعاً من السيف، ولما طلب من النبيﷺ ان يستغفر له أبى بل قال: اللهم لا تغفر لمحلم ثلاثا. أتراه يستغفر لمعاوية الذي بغى على وصيه وسمَّ سبطه وريحانته وبدّل سنته وقتل الالوف من خيار امته بغير الحق. ثم لو كان الدعاء مشروعاً على الاطلاق كيف كان لكل مسلم لجاز ان يقال: اللهم صل وسلم وبارك على معاوية وعمرو ويزيد والحجل وابن ملجم وابن زياد والوليد وامثالهم، إذ الصلاة من الرحمة لكنها لما كانت مقرونة بالتعظيم امتنعت على هؤلاء الفسقة. وكذلك الترضي عن مثل

هؤلاء لما فيه من التعظيم. والحاصل ان تعظيم معاوية وتسويده وحبه هو الممنوع وكل ما اقترن به شيء من هذه فممنوع كذلك ومن هنا يعرف وجه الخطر بـالترضي عـنه وعدمه في لعنه والله أعلم.

الجملة السادسة

قول السائل: وفوق ذلك كله ان صاحب الرسالة المذكورة معترف باسلام معاوية ولم يثبت ردته ولا كفره ولا مروقه ولم يبق الا الاختلاف في فسقه. في كلام كثير اكثره تكرار إلى آخر السؤال. ونقول له: اننا وصاحب الرسالة وكثير غيرنا قائلون بان معاوية عاش منذ يوم الفتح إلى ان هلك وهو مظهر للاسلام، واما الباطن فلا اطلاع لاحد عليه الا بالوحي فنكل امره إلى الله. غير انا وجدنا في صحيح الحديث ما يستدل به عـلى النفاق من العلامات، وهي الكذب في الحديث والخيانة في الامانة والخلف في الوعد والغدر في العهد والفجور في الخصومة وبغض علي بن ابي طالب ومعاداتـه وبـغض الانصار. وقد اثبت التواتر والنقل الصحيح وجود كل هذه الاوصاف في معاوية. ومن اراد العثور على شيء من ذلك فلينظر في تلك الرسالة. ثم مع ذلك لا نعامل معاوية الا معاملة الفسقة وذوي الكبائر من المسلمين والله سبحانه وتعالى متولي سريرته.

واما ما ذكره من الاختلاف في فسقه فواقع لكن حجة القـائلين بـعدم فسـقه داحضة، فان الكل قد اجمعوا على ان الفاسق من ارتكب كبيرة او أصر على صغيرة، ومعاوية قد ارتكب كبائر كثيرة وبوائق عظيمة وأصر عليها. وقد عدد مـنها صـاحب الرسالة ما اذا علمه المنصف لم يتردد في فسق ذلك الطـاغية وفـجوره ومـحادته لله ولرسوله. فليس بمجهول الحال ولا المشتبه أمره كما توهم السائل. والتمحل والتعسف والتأويل الفاسد لا ينفي عنه الفسق ولا يثبت له عدالة ولا براءة مما اقترف من الفواقر. والاحتجاج بذلك نفخ في رماد ﴿ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فن يجادل

الله عنهم يوم القيامة﴾ اما الاستغفار له ممن لم يثبت عنده نفاقه فجائز ان لم يـقترن بمحبة ومودة كما قدّمنا ذلك. واما قول السائل: يا ترى ان النبي أن يدعو النبي ﷺ[1] لاناس ونقوم على نقيضه فندعو عليهم؟ لا اظن عاقلاً يجوز ذلك. فـنقول: صـدقت ولكنك نفسك واقع في هذه الحفرة فان الله تعالى ونبيه عـليه وآله الصلاة والسلام قـد لعـنا الظالمين والكاذبين على ربهم والمفسدين في الارض وغيرهم وانت تنهى عن لعنهم وتجادل عنهم وقد دعا عليه وعلى آله الصلاة والسلام على من عادى عليّاً أو ابغضه أو خـذله بقوله، كما في الصحيح: اللهم عاد من عاداه وابغض من ابغضه واخذل من خذله. وانت تدعو لذلك المعادي لعلي والمبغض له والخاذل بالرحمة وتستدر له المغفرة. اما المؤمن الصادق الايمان فهو الذي يجعل هواه تبعاً لما جاء به نبيه ﷺ فيلعن من لعنه ويدعو لمن دعا له ويستغفر لمن استغفر له وبذلك تتحقق له المتابعة لنبيه عليه وآله الصلاة والسلام وتخالط قلبه بشاشة الايمان والتوفيق بيد الله. واما ما اشار اليـه السـائل فـيما نـقله صاحب الرسالة لم ينقل عن المؤرخين هل يحتج له ام لا؟ فنقول: ان صاحب الرسالة لم ينقل عن المؤرخين للاحتجاج به إلا ما صح أو تواتر واما غير ذلك فنقله إياه تـقوية وبيانا للواقع ولم يعارض بذلك صحيحاً ولا رد به نصاً ولا خصص به عاما كما زعم السائل. على ان الامام الشافعي رحمه الله يقول في الرسالة: أهل المغازي أقوى فـي بعض الامور من نقل واحد عن واحد. واكثر ما ينقله ثقات المؤرخين هو الواقع المتواتر والله أعلم. واما قول السائل: من المقرر ان المذنب والفاسق تحت مشيئة الله ومما يشفع فيه الشفعاء، وقد قال ﷺ «شفاعتي لاهل الكبائر من امتي». قلنا: نعم كل تحت مشيئة الله تعالى ولكن لا يجوز لنا ان نحيل كل فاقرة يفعلها فاجر على مشيئة الله ويلزم عليه لو فرض جوازه ان لا نعظم احداً من أهل الفضل والدين بعينه ولا نترضى عنه لأنه أيضا تحت المشيئة وربما يكون من الاشقياء المخلدين في النار. ان هذا هو التعطيل بعينه.

---

(١) هكذا وردت العبارة في الاصل.

بل الواجب علينا أن نعامل كلا بما جاء به الكتاب والسنة كما كلفنا الله تعالىٰ من مدح أو قدح أو ترض أو لعن أو حب أو بغض، وليس لنا الاحتجاج بالقدر ولا الاحالة على المشيئة. وأمّا قوله ﷺ «شفاعتي لاهل الكبائر من امتي» فمن هذا القبيل وليست هذه القضية كلية حتى نعلم ان معاوية ممن يشفع له النبي عليه وآله الصلاة والسلام بل القضية مهملة والمهملة لا يستدل ولا يحتج بها. على ان من كان خصمه الله تعالى ونبيه عليه وآله الصلاة والسلام يوم القيامة وعلي والحسن والحسين وخيار الصحابة بل والامة كلها التي بدل دينها واكل أموالها وقتل خيارها كيف ترجى له شفاعة النبي ﷺ؟ ان هذا من ابعد البعيد مع ان الله جل شأنه لا يغفر للمذنب تبعاته حتى يحله منها صاحب التبعة فكيف يغفر للمصرّ الذي لم يتب ومن ذا الذي يرجو ان تحل جميع الامة معاوية المصرّ على فواقره من تبعتها؟ ولئن سامحه انصاره الذين ختم الله على قلوبهم بمحبته فلا طمع في ان يحله الباقون. ﴿فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فإن الجحيم هي المأوىٰ﴾.

هذا ما حضرني في الجواب على هذا السؤال وارجو من ذلك السائل المحب أن يعفيني في المستقبل عن مثل هذه الاسئلة التي هي اوضح من ان يسأل عنها على اني في شغل عن تكرار الكلام في شأن ذلك الطاغية. وان في رسالة السيد محمد بن عقيل ما يغني الطالب المنصف، ويرغم انف المتعصب والمتعسف وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم.

الشهاب الثاقب على السباب الكاذب
من املاء السيد ابي بكر بن عبدالرحمن
بن شهاب الدين العلوي الحسيني

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الأمين وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى اصحابه المنتخبين وعلى التابعين لهم باحسان الى يوم الدين.

أما بعد فقد وقفت على رسالة صغيرة الحجم الّفها جناب الملا فقير الله اصلحنا الله واياه سماها:

«مفسق معاوية من الفرقة الغاوية»

فطالعتها من بدئها الى منتهاها وادركت معاني منطوقها وفحواها وتبينت ما اشتملت عليه من عجب وعجاب وانحراف عن جادة الصواب. اوغل مولفها في سبيل المدافعة عن بغي معاوية بن ابي سفيان وافرط حتى كفر وفسق بسببه كثيراً من أئمة اهل الاسلام والايمان وصرح في ديباجتها ان باعث تحريرها والسبب الحامل على تسطيرها هو وقوع البحث بيني وبينه في شان معاوية وعدالته او فسقه وبيان كذبه وصدقه وزعم انه ناظرني فاسكتني وبهتني واعجزني وذكرني في ضمن الرسالة شيئا من عبارات المراجعة التي وقعت والتي يزعم وقوعها في كتيبة مولانا السيد عبدالحق الاعظمي. واقول الآن: اما نفس رسالته فساقطة بذاتها لاحقة بأخواتها اذ كلها تاويلات وتمحلات واكاذيب ملفقات لا تستحق وضعاً في بساط البحث والمراجعة ولا تنتج الا فارغ المنازعة. يحتج فيها بكتاب الله وحديث رسوله مقلوبا ثم يدعي انه الغالب حالة

كونه مغلوباً. والرد على مثلها من باب تحصيل الحاصل واضاعة لنفيس الاوقات من غير طائل ولو اتىٰ في جوهر دعواه بشيء من الحق الصّريح او سلك فيها مسلك الاحتجاج الصحيح لتبعته في ذلك ورجعت اليه وكفى بالله شهيدا عليّ وعليه. ومن حيث اني لا غرض لي الآن في البحث معه في شيء من مواضيع رسالته فلندعه وشانه ونتركه وما اختاره من الاعتقاد في معاوية واحواله لعلمي انه لتعصبه وامثاله كثير لا يرجع الى السواء ولا يستطيع الخروج عن طاعة سلطان الهوى. ومن الذي يقدر ان ينقذ كل غارق او يسكت كل ناعق؟ وقد قلت في هذا المعنى شعرا:

كشفت بقال الله قال رسوله ... ضلال ابن هند والذى فيه من عاب
واثبت ما نيطت به من بوائق ... وبغي بما لم يبق ريباً لمرتاب
فسرت قلوب المتقين ورحبت ... فحول ذوي التحقيق اجمل ترحاب
وانكر اقوام يخالون انهم ... رجال وان العلم لعبة لعّاب
ومن هم وما هم لو عجمت قناتهم ... سوى كل سباب سفيه وصخاب
سأضرب عنهم لا لعجز وانما ... ارى الكف عن صيد الثعالب اولىٰ بي
الم تر ان الليث يحمي عرينه ... ويفرق من انيابه كل ذي ناب
ويعرض ان نقت ضفادع غابه ... ولو ملأت اصواتها افق الغاب

نعم سأنبه على امرين واقعين في تلك الرسالة اذكرهما لما في السّكوت عنهما من الأمر المحذور الموقع في ورطات الأمور حبا في اظهار الحق ونصيحة في الدين له ولباقي اخواننا المسلمين.

الأمر الأول ما شحنت به الرسالة من أيمان مؤلفها المكررة ببراءة معاوية واجتهاده وصلاح نيته واشباه ذلك، مما لا يطلع على حقيقته الا الله تعالى. وكل ذلك تألٍ على علام الغيوب جلّ جلاله، وافتيات عليه نسأل الله العافية والسلامة، ثم تكفير مؤلفها تارة وتفسيقه اخرىٰ كل من سب طاغيته معاوية او لعنه او فسقه، مع علمه ان

كان عالماً كما يزعم بوقوع جميع ذلك في معاوية وبلوغه الينا تواتراً واحادا من كثير من اكابر الصحابة وائمة اهل البيت وافاضل المسلمين، واذا صدر هذا من مدعي العلم مثل المؤلف لم يكن المحذور فيه مقصوراً على المؤلف فقط، بل ربما اقتدى به في ذلك من يعتقد علميته فيقع في هاوية الزلل ويتعرض لمقت الله عزَّ وجلَّ. امَّا ما خصني به في رسالته من نسبة الافتراء اليّ والبهتان والضّلال وفساد الغرض والفسق والجهل بالعربية وبالأصول والدعاء عليَّ بأن يطهر الله مني بلدة حيدر آباد بالنفي عنها وغير ذلك من السباب والشتائم فاني وان كنت احد منه لسانا وابلغ منه بيانا واثبت منه جنانا واكثر منه انصاراً واعوانا واقوى منه ان شاء الله ايمانا لا اقابله بمثل مقاله ولا انثل كنانتي لنضاله، فان قلمي يأبى ان يكتب كما كتب ويترفع عن الخروج من حدود الأدب فلا اؤاخذه بشيء من ذلك بل اصفح عنه تكرما وطلباً لمرضاة الله تعالى ﴿وان تعفوا اقرب للتقوى﴾ واما ما استطال به لسان تلميذه في تقريض رسالته بأبياته التي يحسب انها شعر من السب والهجو فموكول امره الى الله تعالى وهو الحكم العدل وكل اناء ينضح بما فيه.

الأمر الثاني اللازم بيانه هو حكايته في تلك الرسالة ما جرى بيني وبينه من المباحثة بخلاف الواقع فانه غيّر وبدّل وعرّض وطوّل وزاد ونقص ودندن ورقص ولا اظنه في ذلك متعمداً للكذب لكونه من الذين يعلمون معنى قوله عزّوجل: ﴿انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون﴾ لكنه ربما ساء حفظه في بعض المواضع وغلب عليه النسيان في بعضها، ولكيلا يبقى الأمر تحت ستار الابهام على قراء رسالته ان كان لها قراء سَأُبيّن هنا ما خالف الواقع والحقيقة التي صدرت مني ومنه، وكفى بالعدول الحاضرين شهوداً على صحة قولي فيما اذكره هنا وهم والحمد لله احياء يرزقون. منهم السّيد الفاضل عبد الحق الاعظمي البغدادي المدرس الآن بمدرسة على كر والشيخ الفاضل صالح بن علي اليافعي والمكرم الجمعدار صلاح بن احمد الاحمدي وغيرهم

على ان شهادة الله وحده في الآخرة مغنية وكافية عن كل شهادة وكفى بالله حسيبا.
ادعى فقير الله سامحه الله اني سألته عن دليل مسألة عموم تعديل الصحابة وذلك واقع، ولكنه زعم اني قلت له أيضاً: وان الاجماع ليس بدليل بل هو من القال والقيل وان الامام احمد منكر للاجماع. انتهى. واقول الآن: هذا محض كذب لم اقله في تلك الجلسة ولا اعتقده بل اقول بحجية الاجماع اذا استكمل الشروط ومؤلفاتي الكلامية والاصولية والفقهيّة شاهدة بذلك ومصرحة به على انه لا الاجماع من الامة بل ولا من اهل السنة على عموم وعدالة الصحابة كما طنطن به ودندن كيف. وكتب الاصول وغيرها طافحة بذكر الخلاف في ذكر ذلك؟ واذا وجد خلاف فلا اجماع. ثم ذكر انه رد على هذا القول بكلام طويل ذكره في رسالته نسبني فيه الى الافتراء القبيح والبهتان الصريح والضلال المبين وسلوك مسلك الجهنميين. سامحه الله وعفا عنه. ثم قال بعده: فسكت السيد الحضرمي وبهت وما اعترض عليه شيئا ولا ذكر فيه عيباً. واقول: هذا كله غير واقع فإني لم انكر حجية الاجماع كما قدمت ذلك ولم يرد علي هو في تلك الجلسة بما اطال به في رسالته ولم اسكت ولم ابهت من رده ويشهد لي وعليه بعد شهادة الحاضرين العرف بل العقل فانهما ان لم يحيلا يستبعدان صدور ذلك الجواب الطويل منه في تلك الجلسة القصيرة، والحال انه لا يقتدر على المحاورة بالعربية فضلاً عن ترتيبها وتنميقها كما زعم وأنّىٰ يتيسر له في تلك الجلسة سرد عبارات الكتب التي نقل عنها في رده وحفظها كما يزعم؟ وانما جمع ذلك كله ثم رتبه في بيته بعد ان رجع الى بلده ثم حرره في رسالته وابرزه زعما منه انه وقع في تلك الجلسة.

هكذا هكذا والا فلا. ثم ذكر فقير الله ارشده الله انه استدل على عموم العدالة بقوله عزّوجلّ ﴿والسّابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه﴾ وهذا واقع لكنه لم يذكر في رسالته جوابي عن هذا الاستدلال وكتمه، وهو قولي: ان معاوية وامثاله ليسوا من المهاجرين ولا من الانصار

ولا من الّذين اتبعوهم بإحسان، بل من الذين بغوا على المهاجرين والانصار وقاتلوهم وقتلوهم ظلماً وعدواناً، فلا دليل في الآية على دخول معاوية واشباهه. وما ادري اتناسى فقير الله جوابي هذا حين حرر رسالته ام نسيه؟ فان الانسان مظنة النسيان. واما قوله بعد ذلك: وبينت وجه الاستدلال بها الى آخر ما اطال به وطنطن فغير واقع واني له بحفظ تلك الاقاويل وترتيبها وسردها كما ذكر في الرسالة؟ ولو ذكرها في تلك الجلسة لوجد مني جوابا شافيا عنها لا تعصب فيه ولا حماقه. بل الواقع بشهادة الله وشهادة من حضر انه عدل بعد جوابي عليه بما مرّ من الاستدلال بهذه الآية الى الاستدلال بقوله تعالى: ﴿للفقراء المهاجرين﴾ الآية. واراد ان يقراها فلم يفتح عليه منها الا قوله تعالى: ﴿اولئك هم الصّادقون﴾ فطلب مصحفا يستخرج منه الآية فلم يجد فسأل تلميذاً له كان معه اذ ذاك عن الآية فلم يفده شيئاً فاستدل بعدها بقوله تعالى: ﴿محمد رسول الله والذين معه اشداء على الكفار رحماء بينهم﴾ الآية. أما قوله بعد إيراد الآية: ووجه الاستدلال بهذه الآية، الى آخر الكلام الطويل الذي جزم فيه بكفر من انكر عدالة معاوية وخبط فيه خبط العشواء فلم يصدر منه في تلك الجلسة بل رتبه بعد ووضعه في رسالته كعادته، على انه لا يقيم له دليلاً ولا يغنيه فتيلا. ثم قال هداه الله وتاب عليه: قال السيد الحضرمي: المراد من الذين معه الذين بعد الصحابة. واقول: هذه فرية عليَّ عظيمة فليستغفر الله منها والواقع اني انما قلت: المراد بالذين معه هم اهل صلح الحديبية، لأن الآية نزلت عقيبه كما ذكر ذلك اكثر اهل التفسير والحديث. والمراد بالكفار في الآية المشركون الذين منهم اذ ذاك معاوية وابوه. وما ادري بماذا اتطلب لفقير الله العذر في تبديل جوابي هذا بجواب من عندياته سامحه الله وعفا عنه. وبناء على تلك الخزية الفاضحة اطال الكلام والهذر حتى قال: والعجب كل العجب من الذي يدرس علوم العربية ومع هذا هو من العرب ويفسر الآية القرآنيّة بهذه الهفوة التي تضحك كل صبي وصبيّة. هذا ما قاله فقير الله نترك الحكم فيه لاهل العلم والعقل والذوق السليم. وما اصدق ما قيل شعرا:

سكـــــتت بــغابغـــة الــــزمان واصـــــبح الوطـــــواط نـــاطـق
وتســـابقـــت عـــــرج الحـــمير واخـــــــرت فـــيه الســــوابـــق

ثم قال غفر الله له ونور بصيرته: فعجز السد وانقطع وسكت، ثم قمنا وانـتشر الجميع وافترق وذهب كل منا الى مذهبه وانطلق واقول: هذه فرية اخرى لعلها صدرت منه عن غفلة او غيبوبة عقل سببها الغيظ والغضب، والواقع انه هو الذي تلعثم لسـانه واعتذر بأنه لا يقدر على المحاورة بالعربية وأنه سيكتب في هذا الموضوع ما يؤيد قوله (فبادر) الى شراء كتاب تطهير الجنان عن ثلب معاوية ابن ابي سفيان لابن حجر المكي ليستعين به في مطالبه فاشتراه من الكتبيه وخرج مغتبطا به ونقل كثيرا من مواده فـي رسالته. ثم كان المجلس الثاني فكان الواقع قريباً مما ذكره في الرسالة الا انه لم يذكر فيها ردّي عليه دعوى اجتهاد معاوية بأن الاجتهاد لا يصح في مقابلة المنصوص وانه لم ينزل وحي من الله على احد من القائلين به اطلعه الله به على حسن نـية مـعاوية وصلاح قصده حتى يثبت به اجتهاده، بل القرائن القوية دالة على سوء قصده وفساد نيته. اما الكلام الذي ذكر انه احتج عليٌّ به على عادته فاكثره غير واقع.

هذا ما وقع بيننا وبين الاخ فقير الله اثبتناه بالصدق والامانة وهـو يـعلم ذلك ويعرفه. ثم اني لا ادعي اني عالم اعرف ما لا يعرفه غيري، وما اعتقد الا اني طالب علم اصرّح بما اعلمه من الحق واقبله من غيري. وبحمد الله تعالى وفضله لا اعدل عن قوله تعالى وقول رسوله عليه الصّلاة والسلام الى قول فلان وفلان ولا اتعصب لامام ولا مذهب ولا اتشبث بالتاويلات البعيدة الفاسدة، واستعيذ بالله ما عشت من، اتّباع الهوى واستغفر الله تعالى من كل خطيئة او زلة قلم او لسان وصلى الله على سيدنا محمدٍ وآله وصحبه وسلَّم والحمدُ لله رب العالمين.

كتبه العبد العاجز ابو بكر بن عبد الرحمٰن بن
شهاب الدين العلوي الحسيني غفر الله له
آمين اللهم آمين.

رحلاته

يميل السيد بن شهاب الى الرحلات في سبيل اهدافه لتحقيق مشروعه «النهضة الاصلاحية» شأنه في ذلك، شأن المكافحين المصلحين من دعاة المسلمين الاوائل الذين آثروا العمل للمصالح العامة، رغم ان الرحلات والتنقلات في تلك الازمنة ليست من الامور السهلة، فالمسالك وعرة ومضنية حتى وصف السفر بأنه قطعة من العذاب، فالراحة في الاسفار مستحيلة، وكانت الرحلات قديما وبالاخص الرحلات البحرية شاقة متعبة ومملة وتستغرق شهورا حتى يصل الانسان المسافر الى هدفه. وبتطور المراكب الشراعية الى بواخر تسير بقوة البخار تحسنت الاوضاع، ولكن هدير الآلات واصواتها المزعجة لا تستطيع مكافحة الامواج في البحار والمحيطات، وتضايق تلك الاصوات المسافرين ويتعرضون بسببها للصداع والملل والغثيان خصوصا اذا تعرضت الباخرة لهياج الامواج وتلاعبت بها بتقاذفها ذات اليمين وذات الشمال، فيتساقط الركاب صرعى. وقد تدوم بهم الحالة اياما وليالي لا يستسيغون طعاما ولا يحلوا لهم شراب ولا يهنأون بنوم، كل يذكر الله ويسأله النجاة والسلامة. فان سكن الموج وهدأ البحر وتنفس المسافرون الصعداء وبدأ الانتعاش يساورهم شكروا الله الذي نجاهم وسنمهم وانقذهم من موت او بلاء محقق. وقد تتكرر تلك الحالة مرات عديدة، حتى يصلوا الى المرفأ الذي يقصدونه.

كانت البواخر تقطع المسافة من سنغافورا الى السويس في ٢٤ يوما وتعتبر في وقتها غاية ما وصلت اليها العقلية البشرية من تقدم، اذ اصبحت اقل من شهر بعد ان كانت شهورا على المراكب الشراعية. وبخلاف اليوم الذي اصبح السفر متعة وراحة ومن الامور التي تسعد المسافر ويتطلبها، فهو يقضي رحلاته سعيدا متنقلا كما يريد وهو مرتاح البال والضمير.

ففي تلك الازمنة لم تكن هناك طائرات نفاثة سريعة مريحة تقطع المسافات البعيدة في ساعات قلائل في الوقت الذي تقطع البواخر شهورا. وتحمل الطائرات النفاثة اليوم مئات من الركاب، يرتاح المسافر على مقاعد وثيرة وتقدم اليه وجبات الطعام الشهية وهو في اعالي الجو والفضاء بين السحب لا يشعر بتعب او ملل، وقد يأخذه نوم عميق. وكأن الوقت قد قصر فينسى المسافر الم الفراق والبعاد، واصبح المثل اليوم يقول «السفر متعة وراحة».

طاف السيد ابن شهاب في معظم البلدان الاسلامية قبل الحرب العالمية الاولى وبعدها متجشما المتاعب، ولم تكن رحلاته استجمامية او سياحية او وسيلة للترفيه، ولكن كانت لهدف معيّن شريف ولغاية سامية للصالح العام الذي يؤمن به ويكافح من اجله، قائماً برسالة النهضة الاصلاحية، شأن اجداده السابقين الذين جاهدوا وهاجروا في سبيل الدعوة الاسلامية لخدمة المجتمع البشري بنشر الدين الاسلامي الصحيح بين امم وشعوب غير اسلامية ولم تصل الدعوة اليهم لبث التعاليم الاسلامية الحقة الخالية من الشوائب والترّهات. ثم ايقاظ الغافلين وتنوير اذهانهم حتى يتبين لهم حقيقة الاسلام واضحا ناصعا جليا. وكان عليه في كل رحلاته الاتصال المباشر بالشعوب والمسؤولين لبعث فكرة النهضة الاصلاحية وتفهيمهم بالغاية والهدف والمقصد، فهو يولي مزيد اهتمامه الخاص بهم، ثم لمزيد التعرف على احوال الشعوب والامم عن كثب والوقوف على حقيقة اوضاعهم، فكان عليه الاتصال المباشر بالمفكرين والزعماء والعلماء والادباء والمسؤولين في الدولة ورجال الصحافة والشعب.

يواصل السيد بن شهاب رحلاته على متن البواخر وقد يضطر الى ركوب المراكب الشراعية للتنقل من جزيرة الى اخرى، اما في البر فعلى العربات وعلى ظهور الدواب.

ادى فريضة الحج والعمرة أول مرة عام ١٢٨٦هـ وهو آنذاك في الرابعة والعشرين

من عمره، وتشرف بزيارة الرسول الاعظم سيدنا محمدﷺ ومراقد آل البيت النبوي الكريم عليهم سلام الله. واقام بالحجاز وقتا تسنى له فيه الاجتماع بعديد من علمائها ووجهائها وبالقادمين للحج من الشخصيات الاسلامية البارزة، من افغانستان والصين وتركيا وايران والهند وبلدان افريقيا وبلدان آسيا الوسطى وبلدان جنوب آسيا والبلدان العربية من غربها الى شرقها. وما اجتمع باحد منهم الا اعجبوا به لسعة علمه وآرائه النيرة فتوثقت صلاتهم به وتوطدت العلاقات بينهم وبينه حتى آخر حياته.

بعد ١٥ عاماً حج مرة ثانية وذلك عام ١٣٠٢هـ وقد بلغ من العمر اربعين سنة. وفي هذه المرة استقبلته الشخصيات والعلماء استقبالاً حافلاً، فقد عرفوه من قبل وكان الآن اوسع نفوذا وابعد تأثيراً. ثم توافدت الجموع اليه يهنئونه بسلامة الوصول والقدوم من شخصيات اسلامية وافدة وكذلك المواطنون الحجازيون في المبنى الذي استأجره لسكناه طيلة اقامته بالحجاز. فكانت المجالس تعقد في اكثر الايام واصبح بيته ملتقى العلماء والمفكرين والساسة والادباء من كل قطر. ومعظم الشخصيات الحجازية الذين اجتمعوا به في حجه السابق وعرفوه وتأثروا به هم في حجه هذا يلازمونه طيلة اقامته بينهم. الجميع معجب بآرائه وسداد فكره وبعد نظره وسعة علمه، وبلغ ذلك مسمع شريف مكة وكان يحرص علىٰ الاجتماع به، وما ان اجتمع شريف مكة به حتى اكبره فقدره تقديرا واكرمه اكراما وأنزله عنده ضيفاً. وقد أقام شريف مكة للسيد ابن شهاب على شرفه مأدبة كبرى في قصر الامارة بمكة المكرمة تقديرا واعترافا لما له من فضل. وقد حضر المأدبة جمهور من العلماء والوجهاء من ضيوف الرحمٰن القادمين من جميع اصقاع العالم، وكان السيد يتصدر المأدبة المقامة على شرفه والقىٰ كلمة ضافية اخذت بمجامع القلوب لسعة اطلاعه وقدرته على التعبير بلسان فصيح سليم وباسلوب ادبي سلس فكان موضع اعجاب الجميع وتقديرهم له.

ثم تعددت المجالس الخصوصية والعمومية بين شريف مكة والسيد ابن شهاب،

وشريف مكة هذا هو عبد الله باشا بن عون امير الحجاز والوالي من قبل دولة الخلافة.

في احدى هذه الجلسات اسهب السيد بن شهاب فى كلامه لشريف مكة عن الاوضاع المتردية في جنوب الجزيرة العربية وما يعانيه العلويون واتباعهم من ضغوط وما يلاقونه من انواع التنكيل والظلم والطغيان والاضطهاد بصفة عشوائية وشرح له الاوضاع شرحاً وافياً، ثم سبكها في قالب قصيدة ثم سلمها لشريف مكة، ومطلعها:

حيّا الحيا حياً به حلّت سعا ... ومنازلا خطرت بهن واربعا

والقصيدة طويلة يجدها القارئ كاملة في ملحق، مختارات من قصائده وكان بيت القصيد منها هذه الابيات يخاطب فيها شريف مكة:

واليك من وادي ابن راشد انتهى ... وفد الأُلىٰ شرفوا وطابوا منبعا
آل الحسين بني ابيك عرتهم ... فتن واضحى شملهم متصدّعا
بثوا اليك شكية فيما جرى ... ممن اذاقهم العذاب الأوجعا
من فرقة اخزى واهون ان يسا ... ق الى جنابك ذكرهم او يرفعا
ورثوا فعال بني امية في قبا ... ئحهم وقتلهم الشيوخ الركّعا

الى آخر القصيدة التي صوّر فيها مرارة الحالة والاوضاع السيئة التي يعيشها ويلاقيها رجال العلم والصلحاء من بني علوي من الظلم والطغيان.

في موضع آخر من هذا الكتاب افردت فصلا لما يلاقيه العلويون من تعذيب وتنكيل وقتل وتشريد، وهجر البلد كثير منهم الى بلدان اخرى طلبا للسلامة لاجئين، مع ذكر اسمائهم من القتلى منهم والمعذبين.

تأثر شريف مكة بالواقع المؤلم كما تأثر الحاضرون على ما حدث لابناء عمومته في جنوب الجزيرة العربية.

انتشر هذا الخبر وصار حديث المجالس العامة وبلغ اسماع النواصب فاهتموا بالامر، إذ كيف يسيء السيد ابن شهاب الى سمعة ابناء جنوب الجزيرة واستاؤوا من

اعماله واعتبروها فتنة. فاجتمعوا فيما بينهم وتشاوروا ثم قرروا مجابهة اعمال السيد ابن شهاب والايقاع به والانتقام منه، فرفعوا عريضة لشريف مكة وشوا فيها بالسيد ابن شهاب زاعمين أن تلك القصائد التي يدعيها السيد انها له والتي قدمها لشريف مكة كلها منحولة وان تلك القصائد لشعراء آخرين، عزاها السيد لنفسه، فهو لم يكن شاعرا ولا اديبا، سوى انه يحسن الكلام ولديه لسان وتعبير وسجيته الكذب على الناس بانتحال قصائد الغير، فهو بعمله هذا يعد سارقا والسارق والكاذب مجرم يجب محاكمته، ونحن ادرىٰ الناس به وبأفعاله. واشاعوا الخبر في طول البلاد وعرضها للحط من قدر السيد اولاً وحتى يرتاب الناس منه ثانيا ويعرفوا عنه الكذب.

اراد شريف مكة تحرّي الحقيقة في هذه الاشاعة ليعرف الصادق من الكاذب. وصادف الوقت يوم اجتماع السيد ابن شهاب بشريف مكة في احدى الجلسات في قصر الامارة بمكة وبحضور جمع من العلماء والوجهاء، فانتهز الشريف تلك الفرصة السانحة امام الحاضرين ليمتحن السيد ويختبره بأسلوب لبق، فقال الشريف موجها خطابه للسيد بهذا البيت من الشعر وطلب منه التذييل عليه.

قد صفى الوقت لابناء الزنا ولمن يحسن ضربا وغنا

ادرك السيد ابن شهاب في الحال الهدف الذي يقصده الشريف، وان هناك وشاية من اناس رفعوها للشريف ضده، فقال السيد وهو هادئ البال مبتسما: ارجو ان يكتب من يسمع تذييلي على البيت المذكور ما سأقوله، واخذ بعض الحاضرين القلم والقرطاس ليكتبوا ما سيقوله السيد من تذييل على البيت المذكور، فقال مرتجلا:

وبنو الدهر كما قد مال ما لوا الى من كان منهم ذا غنى
قل ان يوجد منهم منصف انا قد جبت القرى والمدنا
وبلوت الناس طرا فاذا اكثر الناس ارقاء الدنا
جانبوا الصدق الذي من قاله بان ابريزا اذا ما امتحنا

عـزفت انـفسهم عـن كـل مـن ... كـان مـن اهـل المـثاني والثـنا
وغـدوا لم يـرفعوا راسـا بـمن ... لهـم الآداب كـانت ديـدنا
مـن بـني المـجد الذي سـيماهمو ... فـي وسـيم الوجـه يـغني الفـطنا
بـئس حـال الدهـر لابـل اهـله ... اهـل حـقد وسـباب وعـنا
رشـقوني بسـهام الكـرب الـ ... ـسود حـتى خـفت ان افـتتنا
قـصدوا حـتفي لولا انـني ... فـي حـمى مـن للـمعادي سـجنا
قـمر البـطحاء مـولانا ابـي ... شـرف مـروي المـواضي والقـنا

طرب الشريف بالتذييل المرتجل واعجبته بداهة السيد وسرعة ادراكه وبهت الحاضرون من نباهة السيد ولطافة تذييله للبيت المذكور، وادرك الجميع وعـرفوا ان الواشين الذين تقوّلوا على السيد انما كان حسداً منهم له فاتضح الامر وبانت الحقائق.

حدثت هذه الحادثة في مجلس شريف مكة في ديوانه وبحضور كثير من وجهاء القوم من الحجازيين ومن القادمين من الخارج، حيث تعقد امثال هذه الجلسات في مناسبات معينة.

ان امثال هذه الوشايات والفتن من الاعمال الخسيسة تتكرر دائما من اهل الفتن ومحبي الفساد ومن عملاء الاستعمار الذين يعملون خفية من وراء الستار.

لقد كان السيد ابن اشهاب دائماً يقظا فطنا لا يمر عليه شـيء مـنها بـل كـان لمعارضيه بالمرصاد فلا يترك لهم المجال ابدا، وفي امثال هذه المواقف ينتهز الفرص لتحطيم كيدهم ويصدع بالقول فيفضح امرهم ونواياهم ومؤامراتهم. كانت كلماته قوية تصرع الباغي ببغيه والفاسق بفسقه حتى لا تتاح له الفرص مرة اخرى للعودة لامثال تلك الاعمال.

هذه القضية يمكن ان يقال عنها بالنسبة للسيد انها من القضايا العادية المألوفة التي تعترضهُ دائما في حياته. وهناك قضايا اخرى كبيرة وكثيرة يواجهها السيد برباطة

جأش ورحابة صدر وبروح فيّاضة بالثبات حتى ولو كانت من أهل السلطة ومن بيدهم مقاليد الامور في الحكم واصحاب النفوذ في الدولة. فالسيد هو الرجل المعروف بالوضوح وقول الحق، وهي صفات التي امتاز بها وعرفت عنه.

بعد اداء فريضة الحج والعمرة وزيارة المراقد المقدسة في مكة المكرمة توجه الى المدينة المنورة للتشرف بزيارة الرسول الاعظم خير البشر سيدنا محمد ﷺ ومراقد آل البيت عليهم السلام.

عندما وصل السيد الى المقصورة المشرفة حيث مثوى الرسول الاعظم والنبي الاكرم ﷺ اعترته هزة في نفسه وروحه سالت بها من مآقيه الدموع، فالقى قصيدته الغراء وانشدها بصوته الجهوري بعد اداء السلام وتلاه بالادعية المأثورة من آل البيت عليهم السلام تجاه الضريح الشريف، وكان المكان في الروضة المشرفة غاصاً بالزوار وبجمع غفير من الحجاج الزائرين، ومطلع القصيدة:

لذى سلم والبان لولاك لم اهوا ولا ازددت من سلع وجيرانه شجوى

ويجد القارئ هذه القصيدة كاملة في فصل (آل البيت) من هذا الكتاب. ومن المدينة المنورة بعد ان اقام فيها ردحا من الزمن، توجه الى الاستانة عاصمة الدولة الاسلامية ومقر سلطة الخلافة انذاك، وكان ذلك في عام ١٣٠٣هـ. واستقبله العلماء والوجهاء ورجال الدولة هناك استقبالاً حافلاً ولقي منهم كل ترحيب وتقدير واجلال، واستضافته الدولة، وكان له مع زعماء المسلمين الاتراك لقاءات ومحادثات ومساجلات، كما عقدت له مجالس علمية متعددة القى فيها محاضرات في امور المسلمين بصفة عامة، وكان له في كل محل موضع التقدير والاكبار والاعجاب واحترام العلماء وتقدير الزعماء والادباء والوجهاء، ويتسابق القوم لحضور مجالسه للاستماع لاقواله والاستفادة من خبراته، بل ويترقب الجميع مواعيد مجالسه بلهف كبير للانتفاع من احاديثه العلمية وتوجيهاته السديدة في مشروعه النهضة الاصلاحية.

وطلبت منه الدولة البقاء والاقامة في تركيا بل الحّث عليه كما التمس بعض زعماء تركيا ذلك وعرضت دولة الخلافة عليه مركزا ساميا في الدولة ليتقلده، ولكنه اعتذر من قبول اي عرض تقدمه له الدولة او منصب في الحكم، لانه يكره التقيد خصوصا بالوظائف الحكومية، ليتسنى له تأدية رسالته بمواصلة اعماله لخدمة المصالح العامة.

تقديرا لاعماله وخدماته وقيامه بالنهضة الاصلاحية لتوحيد كلمة المسلمين ونظراً لكفاحه لتحقيق الهدف السامي الاسلامي وجهاده المتواصل ومكانته العلمية العالية قررت الدولة تقليده اعلى الرتب الشرفية ومنحه اسمى النياشين، وقلده السلطان عبدالحميد الخليفة في حفلة استقبال مهيب في قصر الخلافة باستنبول نيشان الدولة الرفيعة وسيفا ذهبيا مرصعا بالجواهر الكريمة على الاصول الرسمية المتبعة في بهو قصر يلدز، والقى الخليفة عبد الحميد كلمة ضافية اشاد فيها باعمال السيد ابن شهاب وكفاحه وجهاده في سبيل المصلحة الاسلامية العامة مؤملا ان يكثر من العالم الاسلامي امثال السيد ابن شهاب. وختم الخليفة كلمته بالتقدير والشكر والاعتراف بما يبذله السيد ابن شهاب من اعمال موفقة وقيامه بالنهضة الاصلاحية. وكان الحفل بحضور الصدر الاعظم ونظار شؤون الدولة (الوزراء). ورد السيد بن شهاب بكلمة اسهب فيها عن الاوضاع وحالة المسلمين وكيفية مواجهة الغزو الاوروبي، وكانت كلماته مليئة بالحكم.

كان الهدف الاول من رحلات السيد ابن شهاب الواسعة هو دراسة وتقصي احوال المسلمين واوضاعهم الاجتماعية ومستواهم الثقافي ثم الاتصال المباشر بالزعماء المصلحين ورجال السياسة والمسؤولين والتفاهم معهم في سبيل تحقيق النهضة الاصلاحية والدعوة لمشروعه هذا وتطبيقها حسب الظروف المؤاتية وفي نطاق الامكانيات لدى كل قوم حتى يتسنى التطبيق على مراحل.

جاب السيد بن شهاب في رحلاته الشرق الاقصى وبلدان آسيا على الاجمال

فزار بلدان الملايو وحل في سنغافورا ثم في الهند الشرقية (اندونيسيا) حالياً وقضى بها اربع سنوات، اسس فيها المعاهد العلمية بالاساليب والطرق الحديثة واوعز الى الشباب المثقف ممن حوله باصدار الصحف، حيث صدر اول جريدة باللغة العربية باسم الاقبال تولىٰ ادارتها شاب متحمس ناهض هو محمد بن سالم بارجاء، وزمرة من الشباب الآخرين، واتخذ السيد بن شهاب من مدينة سورابايا مقرا لنشاطه ومنطلقا لاعماله، بعيدا عن عاصمة دولة الاستعمار الهولندي (باتافيا) جاكرتا حالياً، لغرس مبادئه وبث فكرته لتحقيق النهضة الاصلاحية من عام ١٢٨٨ الى عام ١٢٩٢هـ، ومع ذلك لم يسلم السيد بن شهاب من ضغوط الاستعمار الهولندي ومضايقاته له.

زاول السيد بن شهاب التجارة، وكان من رجال الاقتصاد الناجحين وعلى رغم نجاحه فانه لم يستسغ الحياة المادية الصرفة، لانها تلهيه عن تأدية رسالته الاساسية. وابى الارتباط بالامور المادية التي تبعده عن عمله وتلهيه عن هدفه لتحقيق النهضة الاصلاحية، ولذلك قرر نهائياً ترك التجارة بدون رجعة، وبذلك يتسنى له مواصلة تأدية رسالته الاصلاحية ويتفرغ لها، بحيث لا تشغله مشاغل المادة، فالمادة في نظر السيد ابن شهاب وسيلة ولا يمكن ان تكون غاية، وليست المادة هي كل شيء في الحياة. المال وسيلة للخير اذا احسن التصرف به، وهو ايضا من دوافع الشر اذا اسيء التصرف فيه.

ففي خلال اقامته في الهند الشرقية اربعة اعوام وضع الشيء الكثير من التصاميم الاصلاحية الواسعة المبنية على الدراسات والمخططات السديدة على نهج برنامج النهضة الاصلاحية، فكانت النتيجة كما ذكرنا تشييد المعاهد العلمية وفتح المدارس واصدر الصحف وبناء جيل واع متحمس يشعر بالمسؤولية في مجتمعه، فأسست المطابع ونشرت الكتب لتغذية العقول بالآراء النيرة والافكار الاصلاحية.

رعى السيد بن شهاب هذا النبت والغرس حتى اثمر واينع، وتجمعت الاموال

وسرت هذه الفكرة الى جميع بلدان الهند الشرقية من مدنها الى قراها، وشيد اول جمعية اسلامية في باتافيا (جاكرتا حالياً) عام ١٩٠٠ باسم جمعية (خير) ثم بعد عام شيد اول مدرسة على النظام المعمول في تركيا والقاهرة ارسلت اول بعثة علمية من الطلبة لمواصلة دراساتهم في الجمامعات التركية، وسميت هذه المدرسة باسم (مدرسة جمعية خير) ثم توالىٰ تشييد المدارس الاسلامية والمعاهد العلمية، وفي مدينة سورابايا اسست اول مدرسة على النظام الحديث باسم المدرسة الخيرية بهمة المغفور له السيد محمد احمد المحضار وزمرة من الشباب المثقف في ذلك العهد وبذلك تسابق الاخوان لتشييد المعاهد العلمية في جميع بلدان الهند الشرقية، واسس السيد محمد بن عقيل احد تلامذة السيد ابن شهاب اول مطبعة حديثة في مدينة سورابايا عام ١٩١٣ قبل الحرب العالمية الاولىٰ سميت المطبعة باسم (المساعي الخيرة).

وكان السيد عبدالله بن علوي العطاس من كبار المعاضدين لهذا المشروع في طبع الكتب المدرسية للمدارس الاسلامية باللغة العربية والاندونيسية وكتب اخرى حسب الظروف والمتطلبات، ثم اعدت لاصدار اول جريدة اسلامية يومية ونجح المشروع وتم اصدارها وقد اسندت رئاسة تحريرها الى الاستاذ عمر سعيد جوكروامينوتو وهو من له علاقة مباشرة بالسيد ابن شهاب.

برز الاستاذ عمر سعيد جوكروامينوتو في المجتمع الاسلامي وتلألأ اسمه وشق طريقه مناضلاً مكافحاً ومجاهداً لتحقيق استقلال اندونيسيا والتخلص من براثن الاستعمار الهولندي وتولى زعامة حزب شركت اسلام باندونيسيا ورفع راية الجهاد ومقاومة الاستعمار الهولندي والكفاح للحصول على الحرية والاستقلال التام لاندونيسيا.

ان الكاتب والمؤرخ والمتفرغ لاستقصاء وقائع تاريخ جنوب شرقي آسيا والمتجرد عن العواطف ليكتب التاريخ من اجل التاريخ وحده لا يمكن له الا ان يصل

الى نقطة واحدة اساسية، هي ان كل حركة اصلاحية او نهضة قومية او كفاح من اجل استقلال، كلها عائدة الى النهضة الاصلاحية التي دعا اليها السيد ابن شهاب وبذر بذورها في اواخر القرن التاسع عشر الميلادي.

صدرت صحيفة (الامام) بهمة وتحت رعاية السيد محمد بن عقيل ثم صدرت مجلة الهادي في ماليزيا تحت رعاية السيد الهادي كما تولى هو رئاسة تحريرها، والسيد الهادي احد زملاء السيد ابن شهاب المخلصين ثم توالىٰ بعد ذلك صدور الصحف وتأسيس الجمعيات وتشييد المدارس والمعاهد العلمية ونشر الكتب في جل المدن الكبيرة ثم القرى البعيدة.

رحلات السيد ابن شهاب رحلات عمل وكفاح مستمر وتنظيم، ودعوة الى النهضة الاصلاحية العامة ومقاومة للرعونات ونسف للاباطيل المنتشرة، باذلاً في سبيل ذلك جهده وكل طاقاته للمصالح العامة لوجه الله سعيا لمرضاته جل شانه. لم يفتر عزمه عن العمل ساعة طيلة حياته، حتى وافته المنية.

قطع في تنقلاته المسافات الشاسعة، وركب الاهوال الشاقة وتعرض لمقاومات عديدة فلم تثن من عزمه شيئا، وجاب البلاد من اقصى جنوب شرقي آسيا حتى عاصمة دولة الخلافة باستنبول ومن الكنانة مصر الى الهند حتى الشرق الاقصى.

عندما يبلغ مسامع القوم نبأ قدوم السيد بن شهاب، يهرع القوم من الادباء والشعراء لاستقباله والاجتماع معه للمزيد من الاستفادة في فنون الادب، وقد يلازمه بعض الطلبة ليغترفوا العلم من منهله العذب، ويستزيدوا من معارفه. اما العلماء وزعماء الامة والقادة ومن بيدهم مقاليد امور الدولة ورجالها فانهم جميعا يرحبون به ترحيبا حاراً.

اما صلاته كما قلنا فقد كانت واسعة، ففي عاصمة الخلافة كانت صلته بالسلطان عبد الحميد صلة وثيقة مباشرة، وبالصدر الاعظم ثم بنظارة الخارجية وبكثير من رجال

الصحافة والعلماء. وفي مصر كانت صلته الأولىٰ بعلماء الازهر الشريف وبالخديوي توفيق وطبعا بالادباء ورجال الصحافة. اما صلته بالخديوي توفيق باشا فكانت صلة زمالة واخاء، ولذا نجد ذكر الخديوي توفيق في كثير من قصائده الارتقيات. وكانت صلاته بالعلماء صلات توسمت بالابحاث العلمية واستمرت هذه الصلات بالمراسلات والمكاتبات كما أن صلاته بالزعماء الوطنيين الاحرار كانت صلات تفاهم لتوحيد الصف الاسلامي وتدعيم الوحدة الاسلامية في دولة الخلافة.

وفي الملايو كان السلطان ابو بكر بن ابراهيم سلطان مملكة جوهور يعتبر السيد بن شهاب مستشاره الخاص الامين، وكان السلطان يستشيره في كثير من اعماله ويستنير بآرائه مصغيا لاقواله وينفذ توجيهاته، وخطت مملكة جوهور في عهده خطوات كبيرة اصلاحية خصوصا في التربية والتعليم وازدهرت البلاد وانتعش الاقتصاد وتضاعف عدد المعاهد العلمية وتم ارسال بعثة علمية للدراسة في جامعات القاهرة واوروبا من ابناء المسلمين في مملكة جوهور للتوسع في العلوم والمعارف، وعادت البعثات العلمية فكان افرادها خير دعامة للبلاد والدولة.

اما في زنجبار فكان سلطانها برغش بن سعيد منصتا لنصائح وتوجيهات السيد بن شهاب، وفي عهده استتب الامن والسلام في البلاد واطمأن الشعب اطمئنانا بعد ان ذاق مرارة الفوضى، وعم الرخاء، غير ان الخلف عبث بالامر مستهترا، فاضطرب الامن وساد القلق والخوف بين الامة، ولو اقتفى الخلف طريقة سلفه وسار على النهج الذي سار عليه لما حدثت تلك الحوادث المأساوية والكوارث التي لم تكن في حسبانهم. لقد نصح السيد بن شهاب وحذر من عواقب الاعمال الاستهتارية غير المسؤولة لأنها تثير الحفائظ وتنذر بزوال الملك، والشاعر الاندلسي الحكيم يقول:

اعطيت ملكا فلم احسن سياسته   كذاك من لم يسوس الملك يخلعه

فقد تحقق ما حذر منه السيد ابن شهاب قبل ستين عاماً وذلك في عام ١٩٦٣

حيث قضي على سلطنة زنجبار فكانت الكارثة والمجزرة الرهيبة في هذه الجزيرة الصغيرة التي لا يتعدى عدد سكانها بضعة ملايين نسمة حيث بلغ عدد القتلى اكثر من ستة عشر قتيلاً غير الجرحى الذين بلغوا اضعاف ذلك واعتقل الالوف وسيقوا الى ساحة الاعدام، وتولاها اناس من سفلة الاشرار، وهرب من هرب ممن يستطيع الهروب من طغيان الظلم الالحادي الفضيح من الذين سيطروا على البلاد وصاروا يحاربون الاديان السماوية، وسلم بعض العلماء بهروبهم الى الدول المجاورة والى جزر القمر، وهرب السلطان واسرته الى مسقط بمساعدة بريطانيا.

من الذين سلمهم الله من المجازر البشرية الجماعية السيد العلّامة ابن سميط كان قاضي قضاة زنجبار وكان من الذين يحذرون رجال السلطة من تلك الاعمال التعسفية التي لابد ان تجر الى تلك المآسي. لجأ السيد ابن سميط الى جزر القمر وعين بنفس المنصب فيها، ولكنه لم يدم طويلا بعد لجوئه اذا وافته المنون فيها، ومن اللاجئين الشاعر الاديب السيد هادي بن احمد الهدار الذي تحول فيما بعد الى ابو ظبي بالامارات العربية المتحدة هو واسرته ولكن المنية عاجلته وتوفي ودفن بها.

من اصدق اصدقاء السيد ابن شهاب واقرب الزملاء اليه هو امير ظفار بجنوب الجزيرة العربية السيد فضل باشا بن علوي بن سهل اذ يجمع بينهما وحدة الهدف والمبدأ والغاية، وبينهما مجالس كثيرة. وقد ترك السيد فضل باشا امارة ظفار ورحل الى تركيا واستقر بها وبعد انهيار دولة الخلافة اختار بعض اولاد السيد فضل من مدينة اللاذقية السورية مقرا لهم ولاسرتهم، وهذه الاسرة معروفة في سوريا باسرة الشريف آل فضل، وهي اسرة كريمة معروفة في سوريا. ولم يكن بالامكان حصر او احصاء من عرفهم السيد وعرفوه في حياته. ينحصر حديثه معهم دائماً حول النهضة واصلاح الامة والبحث لحلول المشاكل الاجتماعية المنصبة على المسلمين والتي لا تحل الا بتوعية الشعب توعية علمية وتعليم الجيل الصاعد الذي يعيش بين تلك الامة الغافلة وتحت

سلطة تلك السلطنات المتفاوتة التي ارهقها الضعف في جميع مستوياتها، ما عدا دولة الخلافة وهي ايضا تعاني مشاكل كثيرة عويصة داخلية معقدة ومشاكل خارجية مستعصية. اما السلطنات بشتى اوضاعها ومستوياتها فكلها معرضة لنفوذ خطر الاستعمار الزاحف واعاصيره الهوجاء لمحو الاسلام من الوجود، ولا يمكن تفادي هذه المشاكل وحلها الا بتثقيف الجيل الصاعد تثقيفا علميا وتوعيته توعية يشعر معها بالمسؤولية الملقاة على عاتقه.

ان الدول الغربية همها السيطرة على خيرات العالم باستعمار بلدانها، واستعباد شعوبها وفي مقدمة اهداف الاستعمار الغربي استئصال عروق دولة الخلافة لانها تحمل الشعار الاسلامي، فوجود دولة الخلافة مرتكزة في هذا العالم تعتبره دول الاستعمار حجر عثرة بل العدو اللدود لها، ولابد من استئصاله اذ في بقائه ووجوده تكمن قوة المسلمين وبهذه الدولة يعتز المسلمون، وبمحو هذا الرمز من الوجود تنفرط وحدة المسلمين فيتشتتون الى كتل شتى وجماعات متمزقة والى اقوام متفرقة، يعتز كل قوم بقوميته. ونجح الاستعمار في ازالة دولة الخلافة من الوجود وتألبت جموعه على الكيان الاسلامي فتمزق شمل المسلمين، وبذلك تحولت تركيا في عام ١٩٢٤ بعد زوال دولة الخلافة الى جمهورية علمانية، وتقاسمت دول الحلفاء البلدان الاسلامية وجعلتها مستعمرة لها اضافة الى مستعمراتها، ثم اثارت بين القوم شعور القومية والعنصرية الضيقة، وهي الامور التي يحاربها السيد ابن شهاب.

وباختصار كانت رحلات السيد ابن شهاب جاهدة من اجل الدعوة الى النهضة الاصلاحية، وبحكم كفاحه المتواصل باخلاص كان شخصية عالمية مرموقة ذات اهمية قصوى وكل من اجتمع به اكن له كل اجلال واكبار.

لماذا اختار السيد ابن شهاب حيدر آباد؟

في اواسط القرن التاسع عشر الميلادي استشرى الضعف والهزال وعم الوهن في جميع مرافق السلطنات الاسلامية بما في ذلك الهند، بسبب جنوح السلاطين والحكام الى الترف والرفاهية والاسراف والاستهتار بالقيم وبـاموال الدولة لا شـباع نـهماتهم ورغباتهم، فآل وضعهم وسلطانهم وملكهم الى الانهيار والتضعضع، واصبح الحكـام المسؤولون لا يهتمون بامور الدولة والمجتمع ولا الشعب ولا بـمصالح الوطـن كـما تفرضهُ المسؤولية كما يجب وينبغي، فلقد فقد الحكام الشعور بالمسؤولية بوصفهم ولاة للأمور، وكان اقصى ما يفكرون فيه هو مصالحهم الخاصة وان تعيش اسرهم وعائلاتهم في بحبوحة الترف والدعة، ولا هم لهم غير انفسهم، بينما الشعب في جهل وفقر مدقع يكتنفه الامراض. وكل هذه الامور والاوضاع سهلت للمستعمر توسيع نفوذه المستمر للهيمنة على الاقتصاديات ثم فرض النفوذ السياسي في جميع المسـتويات بسـهولة وبدون عوائق. فتساقطت البلدان الاسلامية كالاوراق الجافة الواحدة تلو الاخرى في احضان الدول الاوروبية الغازية، وكانت البرتغال واسبانيا وهولندا وفرنسا وبـلجيكا وبريطانيا تتنافس للحصول على اكبر أرض ممكنة للاستيلاء والسيطرة عليها.

بسطت بريطانيا نفوذها علىٰ شبه القارة الهندية والجزر التابعة لها وصارت لها سيطرة تامة في عام ١٨٥٧ وجردت السلطنات الاسلامية من كل نفوذها وسيطرتها بكل سهولة، وتم لبريطانيا فرض سيطرتها في جميع المجالات وبالاخص في الشؤون السياسية الخارجية والاقتصادية والمالية ولم يبق للسلطنات الاسلامية الا المظاهر. ثم حددت بريطانيا نوع الاسلحة التي يمكن للسلطنات الاسلامية امـتلاكـها، وهـي لا تتعدى الاسلحة العتيقة التي مضى عليها الزمن وهي غير صالحة لسـوى الشـعارات ومظاهر الحفلات. اما العلاقات الخارجية فمحظورة كليا على تلك السلطنات مع اية

دولة كانت الا باذن المستعمر لهذه السلطنات وهو المسؤول الوحيد عليها. وهكذا لم يبق لهذه السلطنات الا الشكليات المجردة من كل معنى لحقيقة الدولة، بل حتى الامور البسيطة ليست لتلك السطنات قدرة ولا نفوذ ولا طاقة مطلقا، ما عدا البعض منها اعطي له حق الاشراف على الامن الداخلي ولكن تحت هيمنة المستعمر.

اصيب المسلمون بصدمة قوية وذهول عظيم وفقدوا وعيهم ولم يعرفوا ماذا يصنعون، ليس لهم قدرة ابدا لمقاومة تلك الهجمة الاستعمارية الغازية، وما بيدهم من الامر شيء فاستسلموا كما استسلم الحكام وسلّموا امورهم للغزاة المستعمرين، بمعاهدة صورية املاها المستعمر كما يشاء وكما يريد حسب مصالح المستعمر القوي على المغزو الضعيف الهزيل.

استمر الاستعمار وبقيت هذه السلطنات على شكلها فاقدة القوى والنفوذ والارادة، سوى ما يقدمه الغازي المستعمر من توافه الامور الداخلية التي لا تتجاوز الامور الثانوية التافهة جدا، كالمشاركة في مسيرة الاحتفالات او رفع الشعارات لتاييد دولة المستعمر الذي بيده السلطة العليا تشريعيا وتنفيذيا.

ماذا يعني وجود سلطان متربع على اريكة عرشه وهو فاقد القوى والنفوذ من كل شيء الا العيش في قصره بين خدمه وحشمه وجواريه وحرسه، وقد حددت اقامته.

نعم مع هذا كله لا يخلو من وجود بعض المقاومات التي تجر الى مناوشات صغيرة متفرقة غير منظمة ولا منسقة من الشعب، التي كانت تدل على ان هناك شعوراً حماسياً ووعياً بين افراد الشعب، ولضعف هذه المقاومة كانت قوة الاستعمار تجتاح هذه الحركات بقوة هائلة وبعنف هائل لسحق ذلك الشعور المتاجج في قلوب الشعب، حتى لا يفكروا يوما بالقيام بامثال تلك المقاومات، وبهذه السياسة وامثالها استطاعت بريطانيا الامساك بزمام الامور فاستقرت هيمنة بريطانيا وسيطرتها ونفوذها على كافة

ارجاء الهند فاستأثرت بخيراتها.

من دهاء بريطانيا ومكرها المعروف انها لا تريد محو هذه السلطنات وجعلها اسلامية، ولكنها ابقت هذه السلطنات رمزاً للديمقراطية البريطانية واجلالها لتلك الشعوب. وحافظت بريطانيا على هذه السلطنات على حالتها المتضعضعة باسم الحماية واحترام حقوق الشعب، وبجانب هذا كانت بريطانيا تبث روح العداوة والبغضاء والشحناء بين السلاطين بعضهم لبعض وبين شعوبهم واذكاء روح العصبية والقومية بين شعوب الهند من جهة، وبين المسلمين والهندوكيين من جهة اخرى، وتورط المسلمون في الخلافات الفرعية الدينية والمسائل الثانوية الفارغة ووقعوا في هاوية المتاهات والنزاعات سنين طويلة بل واستمرت الى اليوم بعد زوال بريطانيا وحصلت الهند على الاستقلال ولكن بعد التقسيم الى باكستان والهند وسريلانكا، واخيرا الى بنغلاديش وربما تظهر دويلات وحكومات جديدة في المستقبل القريب، اذ ان هذه الخلافات والنزاعات ستستمر الى الابد بسبب دهاء سياسة بريطانيا ولن تهدأ ابدا هذه الخلافات، اذ لا نهاية لها وستستمر وتبقى مشتعلة وقد ذهب ضحيتها عشرات الالوف من المسلمين قديما وحديثا.

في عهد الاستعمار البريطاني كانت بريطانيا تشعل بعمد هذه الخلافات المذهبية بين المسلمين وتبث السموم، فتتفاقم الفرقة والعداء وتنتشر الفوضىٰ في البلاد بين العباد، وهنا ينجح مخطط السياسة البريطانية، فيخشى السلطان على نفسه وعلى ضياع عرشه ولا يجد لنفسه مأمناً سوى الالتجاء والتودد الى الحاكم المقيم البريطاني طالبا الحماية والامن، ويجد الحاكم البريطاني مجالا فسيحا لفرض حمايته حفاظا على مكانة السلطان وبقاء عرشه، لئلا يتعرض في المستقبل لمشاكل اخرى تزعزع عرشه ومكانته.

كانت سلطنة حيدر آباد الاسلامية من تلك السلطنات المحمية غير انها تتمتع

بنوع من النفوذ المحدود وفي الصلاحيات الداخلية، وتمتاز سلطنة حيدر آباد عن غيرها من السلطنات بدهاء سلطانها الذي استطاع ان يحافظ على كيان دولته بنوع من الصبغة الدولية لصلته الوثيقة بدولة الخلافة في استنبول ولارتباطه ارتباطا عائليا باسرة سلاطين تركيا. وعلى رغم ان بريطانيا تنظر الى هذه الامور بعين السخط وعدم الرضا عن هذه الارتباطات الاسرية، فانها بقيت تراقب بحذر شديد شخصية السلطان خصوصا وان لحيدرآباد موقعاً مهماً في القارة الهندية.

سكان حيدرآباد جلهم من غير المسلمين، لان بريطانيا فتحت باب الهجرة لغير المسلمين للاستيطان بها، كما فعلت بفلسطين حيث اتاحت لليهود الاستيطان بها وكما فتحت باب الهجرة للصينيين للاستيطان في سنغافورا وهي جزء لا يتجزأ من الوطن الملايوي، واصبحت اليوم دولة صينية محضة مستقلة على رغم المسلمين، حيث اجتثت وسلمت قطعة من وطنهم للصينيين.

على رغم ان بريطانيا بسياستها ارادت اشعال روح العنصرية بين الاهالي فقد ظل الكل يعيشون متمتعين بالحرية ورغد العيش في امن واستقرار وهيمنت على الجميع العدالة تحت ظل هذه الحكومة.

لسلطنة حيدرآباد قوة برية محدودة مزودة باسلحة لا باس بها ولكن دون المستوىٰ اللازم لدولة مستقلة ذات سيادة، وكثير من فرق هذه القوات هم من ابناء جنوب الجزيرة من الحضارم بوجه خاص. ولوقوع حيدرآباد في وسط شبه القارة الهندية لم يكن لها قوة بحرية. اما القوات الجوية فلا يمكن لها امتلاكها، لانها بموجب المعاهدة مع بريطانيا واقعة تحت الحماية البريطانية.

كانت حيدر آباد قبل غزو الانجليز ووقوعها تحت حماية التاج البريطاني دولة مستقلة ذات سيادة تامة واسعة النفوذ تتمتع كما تتمتع سائر الدول والحكومات المستقلة بجميع مالها وما عليها من حقوق وواجبات دولية وعلاقات وحصانة

دبلوماسية وسياسية، ان غزو بريطانيا للهند واحتلالها وسيطرتها عليها جردت باسلوب خفي جميع السلطنات الهندية من كل صلاحيتها وحقوقها ثم فرضت عليها بموجب اتفاقية مجحفة، إملاء القوى الطاغي على الهزيل الضعيف، وتختلف الاتفاقيات المفروضة على السلاطين باختلاف الاوضاع والظروف المتعلقة بمصالح بريطانيا الاستعمارية، فتمنح البعض شيئا لا تمنحه الآخر، فيتمتع بعض السلاطين بحكم ذاتي محدود المعالم بينما لا يتمتع غيره بهذه الميزة. ما عدا سلطنة حيدر آباد التي كانت تتمتع بنفوذ حكم ذاتي داخلي قائم بذاته له كيانه الخاص تحت الحماية البريطانية المتمثل في الوالي البريطاني العام الحاكم المقيم في الهند. وليس لحيدر آباد كما قلنا الحق في العلاقات او الاتصالات الخارجية. وبذلك انقطت صلات حيدر آباد مع الخارج الا بطريق الوالي البريطاني، ومع كل ذلك فان صلات سلطان حيدر آباد بالخلافة التركية ظلت مستمرة ولكن بصفة سرية، وباعتبار ان لسلطان حيدر آباد ارتباطاً عائلياً باسر سلاطين تركيا، وهذه الاتصالات تسير بشكل سري ولا تمر عبر البروتوكولات الرسمية وبدون علم الوالي البريطاني المقيم، انقطعت كل علاقات حيدر آباد بالدول الاخرى سياسياً واقتصادياً، اذ ان كل هذه الامور في قبضة بريطانيا، فهي وحدها التي لها الحق في ادارة السياسة والعلاقات الخارجية والدفاع ضد الاعتداءات الخارجية.

وضع حيدر آباد التعليمي والتربوي

المدارس والمعاهد العلمية والتربوية موجودة في بعض مناطق سلطنة حيدر آباد، وفيها ايضا جامعتان: الاولى (الجامعة العثمانية) اسسها النواب عثمان علي خان، فنسبت الجامعة اليه، تخليدا واحياء لذكره، تضم هذه الجامعة كليات الهندسة والعلوم والطب والطب البيطري وطب الاسنان والاقتصاد والحقوق والفلسفة وغيرها.

والجامعة الثانية هي (الجامعة النظامية الاسلامية) اسسها عثمان سلطان

حيدر آباد وهي جامعة اسلامية محضة شبيهة بالجامعة الازهرية في مصر والحوزة العلمية في النجف الاشرف وقم والجامعات الدينية في تونس والمغرب العربي. وتقوم الجامعة النظامية بتدريس الدراسات العليا لابناء المسلمين عموما بمن فيهم من الوافدين من الخارج.

وفي حيدرآباد مؤسسة علمية للبحوث والدراسات باسم (دائرة المعارف العثمانية) تضم هذه المؤسسة مكتبة كبيرة فيها من الكتب المطبوعة والمخطوطة الشيء الكثير ولا تقل هذه المكتبة عن المكتبات العالمية في لندن وباريس والفاتيكان والكونغرس الامريكي في واشنطن، اما المخطوطات ففيها النادر منها وقد جمعت اصلاً ونقلاً وتصويراً من بلدان العالم، فحوت ما لا تحويه المكتبات في البلدان العربية. وتقوم هذه المؤسسة باحياء كتب التراث الاسلامي من المخطوطات بعد مراجعتها ودراستها وتحقيقها تحقيقا علميا دقيقا، يقوم بها علماء متخصصون، وكذلك اعادة طبع الكتب القيمة النادرة. وقد طبعت هذه المؤسسة العديد من الكتب النفيسة القيمة وقد يصل الكتاب الواحد الى عدة مجلدات صخمة، ككتب التاريخ والتفسير ودواوين الشعراء الاقدمين الى غير ذلك. وقد زرت هذه المؤسسة واطلعت على سير اعمالها في زيارتي للهند عام ١٩٨٢، واجتمعت برجالها المسؤولين فيها، وكان لي مع العلامة المحقق السيد عبدالله المدحج عدة لقاءات وجلسات اطلعني فيها على سير الاعمال وكيف تحقق الكتب وتدرس لتكون صالحة للطباعة، وقد بهرتني تلك الخدمات العلمية وما تبذله هذه المؤسسة من جهود الباحثين والمحققين العاملين فيها، وحقا انها تعجب.

بعد الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥) وانتصار بريطانيا مع حلفائها، ثم خروجها من الهند عام ١٩٤٧[١] تأسست على اثره دولة الجمهورية الهندية ودولة

---

(١) تصدعت شبه القارة الهندية الى عدة قطاعات، جمهورية الهند وجمهورية سري لانكا ودولة باكستان واقليم كشمير الكبير المتنازع عليه بين الهند وباكستان، واصبح الشعب الكشميري ضحية التنازع الباكستاني الهندي =

باكستان وجمهورية سري لانكا (سيلان).

ما لبثت سلطنة حيدرآباد الواقعة في القسم الهندي ان استولت عليها الهند بقوة السلاح بعد نشوب معركة غير متوازنة ثم احتلال الهند لهذه السلطنة حيث ادمجت رسمياً في الجمهورية الهندية واعتقل السلطان وجميع اسرته وكل المسؤولين في السلطنة وصودرت الاموال والممتلكات وازيلت كل الشعارات التي لها علاقة بسلطنة حيدر آباد البائدة، وهكذا انتهى تاريخ سلطنة حيدر آباد الطويل الذي عاش فترة طويلة من الزمن واصبح في مضامين سجلات التاريخ، لا غير.

اختيار السيد ابن شهاب حيدرآباد مركزاً لحركته

يتساءل الكثير ممن عرف السيد ابن شهاب بهذا السؤال: لماذا اختار السيد ابن شهاب الهند وبالخصوص مدينة حيدرآباد مكاناً لهجرته ومقراً لمركز حركته «النهضة

= فلا الشعب الكشمري نال حريته ولا تمتع باستقلال وطنه، والاجدر ان يسمى الشعب الكشميري بالشعب المنهوب، فقضاياه معلقة ولم تحل مشاكله الى اليوم وربما لن تحل وتبقى تلك المشاكل المصطنعة الى ان يقر الله الخير لهذا الشعب المستضعف. وتعرضت دولة باكستان الاسلامية لعواصف هوجاء من الاضطرابات نتيجة لاختلاف زعمائها في السياسة بين غربية راسمالية وشرقية شيوعية باسم الاشتراكية جرت البلاد الى حالة عدم الاستقرار بعد وفاة مؤسس باكستان القائد الاعظم محمد علي جناح عام ١٩٤٨ واستمرت الفوضى والاضطرابات السياسية باغتيال رئيس وزراء باكستان لياقت علي خان عام ١٩٥١ وازدادت الاحوال سوءاً تلتها انقلابات وسيطرة القوات المسلحة على الحكم فكان المزيد من عدم الاستقرار حتى ادىٰ ذلك الى انفصال الجزء الشرقي كليا فاعلن استقلاله دولة ذات سيادة مستقلة باسم جمهورية (بنغلاديش) بمساعدة الجمهورية الهندية وتدعيم من دول الكتلة الشيوعية بالاسلحة والمادة، اما الهند فقد وجهت قواتها المسلحة الى بنغلاديش لحمايتها وتدعيم استقلالها بعد انفصالها من باكستان، حدث بسبب ذلك مناوشات واشتباكات مسلحة بين الجيش الهندي القادم وفلول من الجيش الباكستاني القديم وكان البنغاليون مع الهند ضد القوات الباكستانية. انتهت المناوشات باستسلام القوات الباكستانية للجيش الهندي ثم اغتيل زعيم الانفصال البنغالي مجيب الرحمن. ولكن باكستان الغربية لم تسلم من الاضطرابات والثورات المتعاقبة كما تعاقب الحكام على السلطة والحكم من القوات المسلحة بحكم استبدادي وجعلوا من شعار الاسلام ترسا يتذرعون به.

الاصلاحية» ولم يختر اماكن اخرى ربما تكون اكثر ملاءمة بموجب نظرهم من هذا العالم الواسع الكبير؟ لماذا لم يختر مصراً او العراق او سوريا او افغانستان او غيرها وهي كثيرة وملائمة لمركز جهاده ومستوى المهمة التي يقوم بها؟ هذا السؤال وامثاله كثيراً ما يتردد على السنة السائلين والمستفهمين كما يدور بخلد المستغربين.

لم يتعرض السيد ابن شهاب ـ حسب اطلاعنا ـ الى ذكر شيء من اسباب ودوافع اختياره حيدر آباد مقرا لدار هجرته ومركزا لاعماله، والمعروف ان الاسباب والدوافع التي جعلته يختار مدينة حيدرآباد مركزا لاعماله تفضيله لهذه المدينة بالخصوص دون غيرها من المدن العالمية الذي يعود الى عدة عوامل استراتيجية اساسية لتحقيق برنامجه (النهضة الاصلاحية) ليكون في قلب القارة الهندية وعلى الوسط الحساس وبالقرب من المناطق الشمالية من البلدان العربية وايران وافغانستان والى الجنوب من المناطق الواسعة من بلدان الملايو والفلبين والسيام (تايلاند) وبورما واندونيسيا ثم بالقرب من بلدان افريقيا الشرقية.

في عهد الاحتلال البريطاني للهند كانت حيدر آباد البلد الوحيد الذي يتمتع باستقلال داخلي تحت الحماية البريطانية، كما ذكرنا قبلا. وللسيد ابن شهاب وجهة نظر في هذه السلطنة الاسلامية، واذا كانت حيدر آباد واقعة تحت مخالب الحماية البريطانية، فانها كانت لا تزال تتمتع بحكم ذاتي داخلي، ومن هذا المنطلق تراءىٰ له ان هذه السلطنة يمكن لها ان تكون نواة لدولة اسلامية في المستقبل اذا احسن تصريفها وتنسيق اداراتها لتكون دولة اسلامية قوية لها مكانتها واعتبارها بين دول العالم بجانب دولة الخلافة التي تتعرض لغزو دول الغرب، وكل هذه الامور متوقفة علىٰ شيء واحد اذا اريد تطوير هذه السلطنة لتكون دولة ذات سيادة بمعنى الكلمة، فلا بد من تحسين ادارتها وقيادتها وتثقيف شعبها تثقيفا عالياً وازالة الجهل وآثاره من الشعب ازالة تامة ليحافظ على كيانه، ووجوب بذل الجهد الاقصى بقيادة رشيدة وتوجيهات قيادية

حكيمة مع المحافظة التامة على القيم الاخلاقية ثم التدعيم التام لهذه السلطة لتكون الممثلة للقوة الاسلامية، جنباً إلى جنب مع دولة الخلافة، حتى اذا تعرضت احداهـا لمشكلة من المشاكل التي تعترضها تكون الاخرى عنصرا قويا مـن عـناصر القـوىٰ الاسلامية، ولاجل ذلك يجب المحافظة على كيان سلطنة حيدرآباد وتقويته ودعمه ليكون الحصن الحصين للمسلمين، فان لم يبذل الجهد ويستغل المسلمون هذه الفرصة فلا ريب ان هذه القوىٰ الاسلامية المتبقية بما فيها من ضعف ووهن ستتعرض للزوال والتلاشي والفناء خصوصاً ان تلك القوى الاسلامية محاطة بالاعداء من كل جـانب ابتداء من الهندوكيين في الداخل وانتهاء بقوى الاحتلال والاستعمار البريطاني، وكل هذه القوى مجتمعة او متفرقة تسعى جاهدة وبتشابك الاهداف لمحو وازالة كل المثل الاسلامية من الوجود حتى لا يكون للاسلام اثر.

من هذا المنطلق وعلى هذا الاساس السياسي، كان للسيد ابن شهاب نـظرية بعيدة وفكرة وجوب الابقاء على سلطنة حيدر آباد والمحافظة عليها وتطويرها تطويرا كما تحتمه متطلبات الزمن الحاضر لتستطيع ان تخطو خطوات ثابتة متتابعة ومتناسقة نحو التقدم صناعياً واقتصاديا لتكون عونا ودعامة للمسلمين.

لو فرضنا ان السيد ابن شهاب اختار مكانا آخر غير حيدرآباد في اية بقعة من بقاع هذا العالم الواسع، لجاء نفس السؤال والاستفهام السابق، لماذا اختار هذا المكان؟ ولماذا لم يختر غيره من البلدان الكبيرة ليكون مركز انطلاق في كفاحه لتحقيق النهضة الاصلاحية التي ينطلق من اجلها؟

لم يختر السيد ابن شهاب حيدر آباد صدفة او بصفة ارتـجالية او بـترغيب او دعوة من احد، لكنه اختارها نتيجة لدارسة دقـيقة وبـعد تـقصي حـقيقة الاوضـاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وسبر غور البلاد واحوال المـواطـنين فـيها ثـم التنسيق مع كل ما يرتبط بدعوته (النهضة الاصلاحية). وبعد التحري الدقيق في سلسلة

رحلاته الطويلة وتجاربه الكثيرة رأىٰ ووجد من حيدرآباد اصلح مكان مناسب لمركز انطلاقته في دعوته (النهضة الاصلاحية).

سألني الاستاذ علوي بن عبد الله العطاس وهو من الاخوة الذين يهمهم أمر حركة النهضة الاصلاحية، سألني مستفهما عمن يصرف هذه النفقات الباهضة لحركة السيد ابن شهاب ومن هم الذين يمولونه بالمال؟ فان تنقلاته ورحلاته الطويلة مستمرة وهذه الحركات كلها تتطلب ميزانية كبيرة من المال، وليس من السهل أن يقوم أحد بهذه النفقات سوى حكومات او هيئات عالمية تمولها دولة.

فهل له ميزانية خاصة تدر له بما يكفيه للعمل والقيام بهذه المهمة؟ فاجبته باختصار: لا ذا ولا ذاك كما تحسب، فلا دولة ولا هيئة تصرف عليه، فان صرفت عليه دولة او هيئة، فقد قيدته وتقيد بها فكان بوقا لها وهو يحارب ذلك ويحارب التبعية والانقيادية لصالح دولة او هيئة، فقد عرضت عليه دولة الخلافة مراكز سامية فرفضها جملة وتفصيلا، هو حر يحب الحرية ويكافح من اجل الحرية ولاجل الحرية فحسب ولذلك فهو يحارب التقليد والمقلدين والتبعية واذناب التابعين والذين لا يستخدمون عقولهم التي توجهم الله بها. إنه يصرف من ماله الخاص ومن ممتلكاته الخاصة، انه صاحب همة عالية قعساء وصاحب مبدأ لايحيد عنه وعقيدة يستميت في الدفاع من أجلها وله هدف يكافح لتحقيقه، انه يشعر بالمسؤولية، شأنه في ذلك شان المكافحين المصلحين من السابقين واللاحقين الذين يؤدون الرسالة ويخدمون الامة ويقومون بواجبهم لا يرجون تقديرا ولا جزاءً من احد من البشر. ولماذا نجح الدعاة السابقون؟ قلت للسائل وسالته مستفهما. فاجابني فورا: لقد اقتنعت. ثم استطردت قائلاً: لا يمكن ان نبني نظرياتنا على الاوضاع الحالية او ان نجعل المادة منتهى آمالنا وغاية مطلبنا، وان الدول ترصد ميزانية خاصة للدعاية لاغراضها السياسية، وكذلك تفعل بعض الهيئات تنفق بسخاء للدعاية ولهدف معين. فالذي يعمل لمصلحة دولة او هيئة انما هو

آلة صماء تسخره الدولة كما تريد ويعمل هو بدافع المادة، بينما الآخر يعمل ويكافح ويستميت من اجل عقيدته ومبدأه وهدفه السامي وهو وجه الله تعالى وطلب مرضاته.

سبب اختيار حيدرآباد

في تجوال ورحلات السيد ابن شهاب كلما وصل بلدا مكث فيه فترة من الزمن لدراسة الاوضاع وتقصي احوال القوم فكريا واجتماعيا وكانت نتيجة دراسته الطويلة وتقصيه الدقيق انه وجد حيدرآباد البلد الذي يمكن المكوث فيه، طبعا في ذلك الوقت، للامور التالية:

اولاً: ان حيدرآباد سلطنة اسلامية وان كانت واقعة تحت الحماية البريطانية، فهي تتمتع بسلطة داخلية او ما يطلق عليه الاستقلال الداخلي. يحكمها سلطان مسلم مثقف تثقيفا عاليا وواسع الاطلاع وان الروح الاسلامية لدى حكام البلد قوية وفي مستوى عالٍ.

ثانياً: ان الامن والاستقرار مستتب في البلد ويتمتع المواطنون جميعا بما لا تتمتع به الشعوب الاخرىٰ في باقي البلدان.

ثالثاً: ان الروح الاسلامية لدى المواطنين المسلمين تدل على وعيهم.

رابعاً: مجال العمل الاسلامي في حيدرآباد اوسع للامور السابقة ذكرها.

خامساً: انتشار المعاهد الاسلامية ووجود الجامعات فيها، التي لها مكانتها المرموقة ومستواها العالي، في الوقت الذي لا يوجد في مستواها جامعات أُخرىٰ في كثير من البلدان الآسيوية والافريقية في ذلك الوقت.

سادساً: محافظة السلطنة على التراث والكيان والآثار الاسلامية محافظة تامة.

سابعاً: تجاوب المواطنين المسلمين والحكام مع دعوة السيد ابن شهاب.

هذه هي الاسباب والدوافع التي دفعت السيد بن شهاب لاختيار حيدرآباد

دون غيرها من البلدان مقرا ومركزا لانطلاق دعوته (النهضة الاصلاحية)، ومن هـذه الحيثيات استوطن حيدر آباد وآثر الحياة فيها مفضلا إياها علىٰ المدن الهندية الاخرى مثل بومباي ومدراس ودلهي، او غيرها من المدن، غير ان حيدر آباد سلطنة اسلامية والروح الاسلامية متوقدة في افرادها المواطنين.

وصل السيد بن شهاب الى حيدر آباد عام ١٣٠٢هـ الموافـق للـعام المـيلادي ١٨٨٤ وكان عمره آنذاك (٤٠) عاما، اي انه قد وصل الى مرحلة النضوج، فاستقر فيها بقوة عزمه وصلابة ايمانه ليبدأ من هذا المهجر الجديد بناء صرح النهضة الاصلاحية العامة، ومن هذا البلد بدأ الشعاع ينير افق العالم في المهجر الشرقي وجنوب الجزيرة. ولم يشعر في مهجره بالغربة، على رغم اختلاف العادات والمآكل واللغة الدارجة، ولم يطل وقته حتى اتقن اللغة الأُردية والهندية اتقانا تخاطبا وكتابة وكانه احد ابناء الهند. فاستطاع الاندماج معهم اندماجا تاماً وكانوا يجلونه اجلالا فعظموه واكرموه لان في شخصيته رمز الجهاد الصادق والاخلاص، وروابط المبدأ والهدف هي التـي جـمعت بينهم.

قدموا له القصور العظيمة، فشكرهم على ذلك التقدير، ورفض سكن القـصور وقد وضعوا بين يديه كل الصلاحيات، فردها شاكرا ومقدرا لتلك العواطـف النـبيلة، وعندما علم السلطان قيمة السيد ابن شهاب واخلاصه في اعماله وكفاحه مما رفع اليه من تقارير من وزرائه ومستشاريه عن هذا السيد، قرر ان يتخذ السيد مُعيناً لهُ في إدارة السلطنة، واسند إليه منصب رئاسة الوزراء لسطلنة حيدرآباد ووضع بين يديه مقاليد الحكم، ورغبة السلطان لقبول هذا العرض، ولكن السيد رفض هذا العرض السلطاني شاكرا له حسن ثقته به وقال: ما كان هدفي تبوؤ مركز من مراكز الدولة وان عظم،جئت مكافحا ضد الاستعمار بكل صورة وجميع او ضاعه واشكاله، لا مستسلما لحمايته.

اكبر السلطان موقفه الصلد ومبدأه، ورای فيه الشخصية الفـذة العـظيمة التـي

يتجلى فيها الاخلاص ومثال التقوى، وازداد ثقة به فاجلّه وعظّمه.

عرض السلطان على السيد ابن شهاب ان يكون فردا من الاسرة السلطانية برتبة امير وعرض عليه الزواج باحدى الاميرات في القصر السلطاني، وقيل هي بنت السلطان نفسه، ليكون في المستقبل وليا للعهد السلطاني، فرفض السيد رفضا باتا باسلوب حكيم ملؤه التقدير. فانه لو اراد الاقتران بامرأة واتخاذها زوجة له لاختار من بنات الشعب وهي المفضلة لديه، لا الاميرات ولا من بنات الذوات، بل لم يدر بخلده امثال تلك السفاسف.

آثر الحياة الشعبية البسيطة فاستاجر بيتا في حي من الاحياء الشعبية الآهلة، واصبح هذا البيت البسيط مقصدا للجميع، وازدهر الحي الذي اختاره لسكناه فاصبح منطقة ذات اهمية قصوى يتوارد الناس اليه يوميا حتى ضاق المكان بهم.

بدأ عمله اثر وصوله واستقراره في البيت الذي اختاره بايجار شهري، بالذهاب الى المناطق غير الاسلامية، مناطق الهندوكيين، ومناطق المنبوذين (الباريا) PARIA حسب تعاليم الديانة الهندوكية، وطبقة الباريا هم المحرومون من جميع الحقوق البشرية. اختلط السيد بهم وتحدث معهم بلسانهم، وجعل بينه وبينهم روابط ودية ورغبهم لتحسين اوضاعهم الاجتماعية والخروج من هذا الوضع الحقير الى وضع افضل في الحياة كما يتمتع سائر البشر في الحياة الاجتماعية، وتطوير اوضاعهم كما يدعو اليه الاسلام، وبشرهم بهذا الدين الذي يرفع قدر البشر الى مستوى مرموق، وبدأ السيد يعلمهم ويهديهم الى النهج القويم، فاستقبلوا دعوته في بدء الامر بالريب والحذر والقلق وساورهم الخوف من انتقام رجال الدين البراهما (BRAHMA) وطبقة الجنود الساتريا (SATRIA). وما زال القوم في تريثهم من الخوف والخشية، الا ان نفرا منهم لبى وقبل دعوة السيد فاسلم ونطق بالشهادتين، واذا بالآخرين يرون اخاهم الذي اسلم حديثا يدخل المكان المعد للصلاة في صف واحد مع غيره جنبا الى جنب

بدون تفرقة، ولم يكونوا من قبل يعيشون بمثل تلك الحرية والمساواة. هذه الحادثة اعتبرها طبقة الباريا بمثابة انقلاب عظيم في مجرى حياتهم اليومية والاجتماعية، وبعد فترة قصيرة من الوقت ومع تطور اوضاع من اسلم من جماعتهم اقبل منهم عدد لا باس به لاعتناق الاسلام بعد ان تبين لهم حق عدالة الاسلام، واصبحوا بعد ذلك يتمتعون بكامل حريتهم ومساواة حقوقهم مع الغير، كما اسلم عدد من الهندوكيين من طبقة البراهما والساتريا بعد ان تبين لهم عدالة الاسلام، اسلموا طائعين عن وعي وادراك وفهم.

للسيد ابن شهاب اساليب كثيرة في بث دعوته، فانه يركز اهتمامه بالشباب وقضاياه، وينتهز في أي فرصة تتاح له جمع الشباب، وكانوا يميلون اليه، لانهم وجدوه متجاوباً ومثالاً طيباً وقدوة حسنة، فركنوا اليه يترددون عليه لاستماع توجيهاته القيمة، في محاربته الجهل، وبث روح الاعتزاز بنفس الانسان الذي خلقه الله وكرّمه.

درّس كثيراً من الشباب، بمختلف طبقاتهم الاجتماعية والطبقية، فكوّن من هذه المجموعة من الشباب (كوادر) واعية متنورة حتى صاروا خير نواة يعتمد عليهم لتعزيز حركته (النهضة الاصلاحية). وبعد مرحلة التثقيف المطلوب اختار ثلاثين منهم ممن بلغ الوعي والنضوج بعد تلقينهم وتدريبهم واعطائهم الدروس حتى يمكن الاعتماد عليهم، فارسلهم الىٰ الاقاليم البعيدة والارياف التي تكاد تكون منقطعة عن المناطق الهندوكية، للاتصال بالشعب مباشرة من جميع طبقاته لدعوتهم وهديهم الى الاسلام بأسلوب حكيم لين مع عدم المس بمشاعرهم الحساسة، حتى يعوا ويفهموا ويدركوا حقائق الامور بدون اكراه. فاهتدى من اهتدى منهم الى الاسلام كما اهتدى غيرهم من المتدينين بالاديان الاخرى.

اما بالنسبة للمجتمع الاسلامي فكان البرنامج الذي وضعه السيد ابن شهاب قد ركز على تثقيف وتعليم الجيل الصاعد، وتكوين المسلم الواعي الذي يشعر

بالمسؤولية وصالح المجتمع العام.

يتوافد طلاب العلم من الشباب الى بيت السيد ابن شهاب لتلقي المزيد من المعلومات والاستفادة مما يلقيه عليهم من دروس وتوجيهات هادفة، فكان منزل السيد ابن شهاب كمعهد علمي يكتض بالسامعين. ولما ضاق بهم المكان، كان السيد يلقي توجيهاته في المعاهد العلمية اسبوعيا، اما بيته فيكتض بالوافدين من جميع المستويات والطبقات من وجهاء القوم وكبار رجال المجتمع والعلماء ورجال الدين، وفي بيته كثيراً ما يتطرقون الى احاديث سياسية واوضاع المسلمين في العالم واحوالهم الاجتماعية غير المرضية، ذلك أن اوضاع المسلمين مرتبط بعضها ببعض.

وعلى كل لم يكن السيد وحده في الميدان، فله من تلامذته واتباعه من يسدون الفراغ كالسيد محمد بن عقيل وغيره من الذين ملأوا المناطق في ذلك الوقت مجاهدين ومكافحين لتحويل سير الامور وتنوير العقول وتغيير الاوضاع للوصول الى مستوى افضل، وهو الهدف الاسمى.

نعم، يوجد في عصر السيد ابن شهاب دعاة، ولكن القليل جدا منهم من يحسن التأدية بالاسلوب المقبول الناجح، هذا وهناك كثير من الدعاة من وعّاظ السلاطين، همهم المال وجمعه.

لقد تطورت حيدرآباد بوجود السيد ابن شهاب واعوانه المكافحين في جميع مرافق الحياة الاجتماعية وفي نظام السلطنة، حتى تكونت لسلطنة حيدرآباد شخصية مرموقة ذات قيمة في مستوى الحكومات، واصبحت دولة لها قيمتها ومكانتها، وطالبت حيدرآباد بالمزيد من الحرية والاستقلال وتطوير قواتها المسلحة الدفاعية الى مستوى يمكنها من امتلاك احدث الاسلحة الدفاعية، وبعد كفاح طويل تمكنت حيدر آباد من تحسين اوضاعها التسليحية وان لم تصل الى المستوى المطلوب، ولكن التطوير حصل على رغم المشاكل والمعاكسات خصوصا من جهة بريطانيا.

كانت معالم حيدرآباد خصوصاً المباني كلها تتسم بالشعارات الاسلامية، بادية فى كل شيء في البلد، وتطور سير التعليم في جميع المستويات من الابتدائية حتى الصفوف العليا في الجامعات المركزة على الدروس الاسلامية وبروح اسلامية بعيدة عن العصبية التقليدية، وشيدت المباني الحديثة علىٰ غرار الطراز الاندلسي والايراني، وانتظم سير الحكم واستتب الامن وشعر الشعب بالرفاهية والاستقرار وبما يبهر القادم عندما يشاهد معالم البلد واوضاعه الاجتماعية وحياة المواطنين المرفّهة. وفتحت سلطنة حيدرآباد باباً لمن يريد الالتحاق من المسلمين بالقوات المسلحة الدفاعية بدون نظر الى القوميات ولا تمسك بالعنصريات، وما دام الملتحق مسلماً فله الحق التام بالالتحاق بالقوات المسلحة. واقبل الشباب المسلم المتحمس من كل مكان خصوصاً من ابناء جنوب الجزيرة العربية، تلبية لهذا النداء.

في مجال التربية والتعليم، ضوعفت الجهود لترقية مستوى التعليم في جميع المراحل بادخال التحسينات وتوسعة المعارف، وفتحت مدارس جديدة في كل حي من احياء البلد، وشيدت المعاهد العالية في كل ولاية من ولايات حيدر آباد، ودعمت الجامعات بمدرسين جلبوا من كثير من البلدان، وتطورت الاوضاع التعليمية والاجتماعية والاقتصادية، وازدادت الصلات وثوقا بدولة الخلافة وشعر المسلمون بالاعتزاز.

ومن هذا المرتكز دعا السيد ابن شهاب جميع المسلمين في شبه القارة الهندية وجميع بلدان جنوب آسيا شعوبها وحكّامها ووجهاءها وزعماءها ومن بيدهم مقاليد الامور للاتحاد والتآزر ونبذ الرعونات والخلافات المذهبية المصطنعة التي استحوذت على عقول رجال الدين اصحاب العقول الجامدة المتعصبة الذين انشغلوا بالامور التافهة التي لا نهاية لها، وتركوا الامور المهمة، ففتحوا المجال لاعداء الاسلام.

ان اهتمام السيد بالمسلمين بصفة عامة، جعلته يسعى السعي الحثيث للم شعث

المسلمين وتوحيد صفوفهم، وتعدى حدود المنطقة التي اتخذها مركزاً لاعماله الى جميع مناطق المهاجر الشرقية التي هي في حاجة ماسة الى من يوقض شعورهم واحساساتهم. يقول في قصيدة له يخاطب المسؤولين المسلمين:

ومتى تخاذلنا واهمل بعضنا ... بعضا خلعنا خلعة الايمان

واصابنا الفشل الذي يقفوه ذل ... واضطهاد ليس بالحسبان

ان افتراق المسلمين اذاقهم ... ضيم الهضيمة[1] بعد عظم الشان

ثم يوجه خطابه الى المسلمين يسألهم لماذا هذه الفرقة ؟

فعلام فرقتنا التي القت بنا ... في هوة الاهمال والخذلان

ولم التنافر والتباغض بيننا ... والحقد وهي مدارك النقصان

هذه الخطوات التي اتخذها السيد اثارت انتباه الوالي العام البريطاني فبدأ يتخذ خطوات جديدة للحد من نشاطات السيد في حيدرآباد، ولكن لم تخف هذه الامور على السيد، فاتخذ الحيطة وغادر حيدرآباد الى بلدان جنوب آسيا ليرتب الامور ويمهد الاوضاع في تركيز اسس النهضة الاصلاحية بشكل اوسع واقوىٰ. ثم عاد السيد الى حيدرآباد وهو اكثر صلابة واشد شوكة من ذي قبل. فواصل كفاحه بشكل اكثر تنظيما فكانت نهضته اقوى من اي وقت سابق، فقد ازدهرت في كل بلد ومنطقة، وتكتل القوم ضد الاستعمار، يقاومونه بشتىٰ الطرق، واستمرت هذه المقاومة واثمرت وافلحت، حتى انهيار دولة الخلافة.

واذا بالحركات الاصلاحية تفور وتشتعل في كل بقعة من بقاع المهاجر الشرقية من ماليزيا وسنغافورا والهند الشرقية، وفي اواخر القرن التاسع عشر ارسلت اول بعثة علمية للالتحاق بالجامعات التركية في استنبول ثم تتابع بعد ذلك سفر البعثات العلمية الى تركيا ومن افرادها من واصل دراسته العليا في بلجيكا او فرنسا.

---

(١) الهضيمة: الظلم.

في عام ١٨٩٨ اجتمع ثلة من الشباب المتنور بجاكرتا منهم السادة محمد الفاخر المشهور وعيدروس بن احمد بن شهاب وعبد القادر بن حسين بن شهاب وجماعة آخرون وتباحثوا لتطبيق وتنفيذ الدعوة للنهضة الاصلاحية وتبلور الاجتماع بتأسيس اول جمعية نظامية على الاسلوب الحديث كالحزب الوطني بمصر بقيادة المرحوم مصطفى كامل او الاتحاد والترقي في تركيا.

وسميت هذه الحركة في جاكرتا باسم (جمعية خير) ووضعت كل الاستعدادات لتحقيق هذا القرار وتم وضع القانون الاساسي، وهكذا تاسست الجمعية وبرزت للحياة قوية صلدة، وها هي باقية الىٰ يومنا هذا تؤدي رسالتها التعليمية والتثقيفية. وبعد اربع سنوات من الجهد المتواصل تم تشييد اول مدرسة وارساء اول معهد للعلوم علىٰ الطريقة النظامية المتبعة في بلدان دول العالم باسم مدرسة جمعية خير، لان هذه المدرسة تابعة للجمعية المذكورة وذلك في عام ١٩٠٠، وتم تاسيس المدارس في الضواحي والارياف والمدن المجاورة بجاوا الشرقية ثم توسعت الىٰ انحاء جاوا الأخرىٰ فتم تشييد جمعية ومدرسة باسم (الجمعية الخيرية) و(المدرسة الخيرية). وهكذا توالىٰ تاسيس وتشييد المعاهد العلمية ودور العلم في كل بلد وكل قرية في المهجر الشرقي، وفيما يلي نذكر ما انبتته تلك البذور التي بذرها السيد وبالاخص في المهاجر الشرقية حيث انبتت وازدهرت واينعت في كل منطقة من تلك المناطق الواسعة، ونذكر هنا مثالاً بسيطاً لهذه اليقظة والازدهار المتواصل من عام ١٨٩٨ الىٰ عام ١٩٢٠ أي خلال ٢٢ عاما فقط. اما بعد عام ١٩٢٠ فقد انتشرت الصحف والاحزاب السياسية والجمعيات الخيرية والمعاهد العلمية في كل بقعة وهي تتسابق وتتنافس في الاعمال الخيرية والتربوية ومحاربة الاستعمار، ولمن اراد المزيد في هذا الموضوع الىٰ الوقت الحاضر عليه ان يراجع مؤلفاتنا في هذا الموضوع.

١٨٩٨ نشوء اول فكرة لانشاء اول جمعية اسلامية.

١٩٠٠ ارساءبناء مدرسة جمعية خير.

١٩٠٥ اعتراف حكومة الهند الهولندية بحركة جمعية خير.

١٩٠٦ اول صحيفة اسلامية صدرت في سنغافورا.

١٩٠٦ ثم صدرت مجلة (ميدان فربايي) من جاوا.

١٩٠٨ تاسيس مدرسة الاقبال في سنغافورا.

١٩٠٨ جمعية الاخلاق الفاضلة (بودي اوتومو بجاكرتا).

١٩٠٩ الجمعية الادبية فاداغ سومترا.

١٩١٠ دار المتعلمين.

١٩١٠ جمعية الشباب الجاويين.

١٩١١ مدرسة حياة القلوب ماجالينكا جاوا الغربية.

١٩١١ الشركة التجارية الاسلامية صولو.

١٩١١ جمعية شركت اسلام.

١٩١٢ مدرسة الجنيد، سنغافورا.

١٩١٣ جمعية ثمرات الاخوان.

١٩١٤ مدرسة السقاف، سنغافورا.

١٩١٤ صدور اول صحيفة يومية للوفد الاندونيسي (اوتوسان انديا).

١٩١٤ الحزب الديمقراطي للهند الشرقية.

١٩١٤ جمعية الارشاد.

١٩١٥ المدرسة الدينية فاداغ.

١٩١٥ المجلس العلمي.

١٩١٦ مؤسسة الحفاظ علىٰ التراث فاداغ.

١٩١٦ منظمة اتحاد الموظفين.

١٩١٦ المدرسة الاسلامية بيناغ ماليزيا.

١٩١٦ مجلة الاسلام صولو.

١٩١٦ جمعية اعانة المتعلمين جاوا الغربية.

١٩١٦ صدور جريدة (نيراجا) اليومية (NERACA)

١٩١٧ جمعية اتحاد العلماء جاوا الغربية.

١٩١٧ منظمة اتحاد عمال معامل السكر.

١٩١٧ مدرسة الهادي مالاكا ماليزيا.

١٩١٧ مدرسة المشهور فيناغ ماليزيا.

١٩١٨ اللجنة الخيرية الوطنية الجاوية باندوغ.

١٩١٨ جمعية الحسنى.

١٩١٨ حزب النبي محمّد ﷺ.

١٩١٨ صحيفة خلاصة الاخبار، جاكرتا.

١٩١٨ جمعية انقاذ المستضعفين.

١٩١٩ اتحاد عمال الهند الشرقية.

١٩٢٠ صحيفة نور الاسلام فكالوغن جاوا الوسطى.

١٩٢٠ اتحاد معلمي المدارس الاسلامية.

١٩٢٠ اتحاد الطلبة المسلمين.

١٩٢٠ جريدة الاقبال سورابايا.

١٩٢٠ جريدة القسطاس سورابايا.

بعد غياب السيد ابن شهاب عام ١٩٢٢ وتواريه عن اعين الناس حاولت سلطنة حيدرآباد ان تحافظ على الاوضاع وعلى مكانتها كما هي، باذلة كل جهدها في سبيل

ذلك، ولكن السلطات البريطانية بعد القضاء على دولة الخلافة الحاملة شعار الاسلام، اتجهت إلى ازالة كل سلطة أو حكم يتسم بروح الاسلام ومقاومة كل حركة اسلامية لئلا تعود الى الوجود فكرة الخلافة الاسلامية بعد زوالها عام ١٩٢٢. واستمرت في محاربة الاسلام بخطوات متتابعة مستمرة حتى نشوب الحرب العالمية الثانية، وبحكم كون شبه القارة الهندية مستعمرة لبريطانيا التي انضمت إلى الحلفاء ضد دول المحور، جندت بريطانيا مئات الالوف من الهنود بجميع اديانهم وارسلتهم الى ميدان القتال. وبعد انتهاء الحرب بانتصار الحلفاء على اليابان في الشرق ١٤ / ٨ / ١٩٤٥ سنحت الفرصة لتمزيق شمل شعوب شبه القارة الهندية باحياء النعرات الدينية والعنصرية لتمزيق هذه القارة التي تضم ملياراً من البشر، بينما الهندوكيون والاشتراكيون واصلوا سيرهم لمواكبة النهضة الاستقلالية. وكان غاندي وجواهر لال نهرو من زعماء حزب المؤتمر ومن رواد المطالبين بالاستقلال بينما كان القائد الاعظم محمد علي جناح يسعى لتكوين دولة اسلامية للمسلمين في شبه القارة الهندية. وفي عام ١٩٤٧ أي بعد عامين من انتهاء الحرب العالمية الثانية وبعد مفاوضات تم تجزئة شبه القارة الهندية الى الجمهورية الهندية وجمهورية باكستان الاسلامية وجمهورية سيلان (سري لانكا)، ومنطقة كبيرة واسعة تركت للتنازع بين المسلمين والهندوكيين بتعمد وهي اقليم كشمير، إذ ان كلاً من الدولتين تدعي احقيتها في هذا الاقليم الغني، وتتنافس الدولتان للسيطرة على هذا الاقليم مما جر الى مشاكل ونزاع ومناوشات مسلحة. وقد استولت الجمهورية الهندية على جزء منها واستولت باكستان على الجزء الآخر واصبح الشعب الكشميري هو الضحية إذ جزّئ وطنه وهو محكوم من الدولتين.

اشتدت عداوة الهندوكيين ضد المسلمين بعد قيام دولة باكستان وقد جرّت الى مناوشات ثم اصطدامات مسلحة محلية محدودة على الحدود بين البلدين حتى جاءت قضية البنغال وقامت الهند بتأييد البنغاليين للانفصال التام عن باكستان

خصوصا وان موقع البنغال في الشرق يفصله الف كيلو متر عن باكستان الغربية وبينهما جمهورية الهند، وارسلت حكومة الهند جيشا بكامل الاسلحة والعتاد لتدعيم البنغاليين للانفصال من باكستان وانتهت المصادمات بتأسيس جمهورية بنغلاديش، فظهرت جمهورية جديدة في القارة الهندية.

هكذا تم تجزئة شبه القارة الهندية الىٰ جمهوريات متفرقة وربما ياتي يوم تتجزأ فيه جمهورية الهند الحالية الىٰ جمهوريات اخرىٰ، فالبوادر تدل علىٰ ان التمزق حاصل، فحوادث السيخ والضحايا الكثيرة المتسلسلة لا يمكن اعتبارها هينة، فالمصالح مختلفة والعقائد الدينية متضادة ثم ان أيدي الاستعمار فعالة لتمزيق كل القوىٰ الموجودة في آسيا التي لا تماشي مصالح الاستعمار. وظلت الجمهورية الهندية بشتىٰ اساليبها المبطنة وغير المبطنة تحاول ازالة كل ماله علاقة بالاسلام لئلا يكون للمسلمين تلك الشخصية وكيانها الفذ في المجتمع الهندي ومحو كل المقومات الاسلامية في الجمهورية الهندية، فعندما سنحت الفرصة لجمهورية الهند بغزو حيدر آباد لم تترك هذه الفرصة تمر سدىٰ، فاجتاحت حيدر آباد علىٰ حين غرّة بقواتها الهائلة، وبعد أن رتبت سياستها الخارجية، لئلا تثير العواطف العالمية، وبتأييد ورضا من دول الاستعمار وقضي علىٰ آخر معقل اسلامي في آسيا.

الاسلام محارب من كل الجهات وبكل الوسائل من جميع الفئات والاديان والعقائد والمصالح، سياسيا واجتماعيا واقتصاديا. ولكن متىٰ يعي المسلمون هذا الخطر المحدق بهم؟ والمؤسف ان من المسلمين عملاء للاستعمار، بوعي أو غير وعي وهم يعملون لمصالحهم الخاصة وان كانت في ضرر المسلمين اجمع.

النهضة الاصلاحية

نجح السيد ابن شهاب رائد النهضة الفكرية في المهجر الشرقي نجاحا باهرا، فهو باعث الفكر الحر للنهضة الاصلاحية بين تلك الشعوب في اواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين الميلادي، في عصر الانحطاط الفكري والاقتصادي والاجتماعي بين المسلمين بسبب سيطرة الاستعمار وهيمنة النفوذ الاوروبي.

ادرك السيد ابن شهاب خطورة الواقع الأليم علىٰ المسلمين الذي وصل الىٰ اسوأ حال في كل المستويات، ففكر ثم فكر ووضع أُسسا قوية متينة مبنية علىٰ التجارب التاريخية، وباشر عمله علىٰ الاسس الفكرية المدروسة التجارب السياسية فأرسىٰ كل ذلك علىٰ قواعد قوية فبدأ من القواعد الشعبية، أي انه بدأ التغيير الاساسي من الشعب.

لم يعدم العالم الاسلامي آنذاك من مصلحين ورواد فكر سليم، يكافحون بكل قواهم لتغيير الاوضاع المتأزمة، كانوا يعملون حسب طاقاتهم ومقدورهم امام تلك المواقف الخطرة، وتصدوا لمكافحة الجهل والأُمية بين الامة واتخذوا مختلف الوسائل لتحقيق اهدافهم.

انطلاقا من هذا الاساس، اساس التغيير الجذري، تمكن السيد ابن شهاب من البدء في مرحلته الاولىٰ لنهضته الاصلاحية لايجاد تغيير شامل كامل في الافكار ثم في الاوضاع باعداد جيل من الشباب المثقف المتنور الشاعر بالمسؤولية لبلورة الوعي والمفاهيم والافكار في حياة الامة الاجتماعية.

من المعلوم ان الطرق شاقة والسبل وعرة للوصول الىٰ الهدف، فالمسافة بعيدة، ولكن بوجود الجيل المثقف اصحاب الروح الوثابة والنفوس الواعية، كل هذه العراقيل تصبح سهلة وهينة، بجانب وجود مخططات مدروسة لمواجهة كل تلك المشاكل التي لابد من مواجهتها.

فالسيد ابن شهاب بحق زعيم النهضة الاصلاحية ورائدها وقائدها فهو واضع الاسس الثابتة بجهده ومؤازرة زمرة ممن كانوا معه طيلة هذا الكفاح المرير، حتىٰ استطاعوا انقاذ الامة من الجهل والذل والتبعية والجمود والمسكنة التي سيطرت علىٰ العقول والافكار بسبب الرواسب من القنوط والتحجر الفكري المتوارث فيها.

ان الوضع العام في جنوب الجزيرة العربية والمهاجر الشرقية عبارة عن وجود مجموعة كتل شتىٰ من البشر يعيشون في اطار تفكير ضيق المعالم من العقيدة، يحسبون ان ما هم عليه هو من صميم تعاليم الدين الحنيف، والكيِّس منهم من تهمه المادة فسعىٰ في طلبها وجمعها ليكون متمولا غنيا، وجل هؤلاء ممن يعيشون في المهجر وتوفق البعض كما فشل آخرون.

اما المتنورون والمثقفون وهم القلة القليلة فيعيشون في معزل إذ هم لا يطيقون الحياة في ذلك المجتمع الذي لا يلائمهم، ففضلوا الانعزال والسكوت حتىٰ إذا جاء صوت الدعوة الاصلاحية والفجر الجديد للصحوة الفكرية التي يدعو اليها السيد ابن شهاب، وجدوا فيها متنفسا ومكانا يقفون عليه، فلبّوا الدعوة وانخرطوا في سلكه وكانوا من خيرة رجال النهضة الاصلاحية.

كان السيد، وكما ذكرنا، في المرحلة الاولىٰ من هذه الحركة الاصلاحية يركز علىٰ محاربة الجهل وتحرير الافكار والعقول من الاوهام والتبعية العمياء التي عشعشت في عقول ونفوس جل الشعوب المستعمرة آنذاك، فوضع الامور في موضعها الحقيقي الصحيح كما تقتضيه حتميات التطوير السليم.

اما الخطوة الاخرىٰ من المرحلة الثانية من هذا البرنامج فقد ركز فيها علىٰ الاقتصاد والصناعة الحرة التي لا تخضع لرأي حاكم أو مصلحة هيئة، أو نفوذ سلطان أو هيمنة مستبد يخشاه الناس رهبة وخيفة، ان التركيز في هذا الحال علىٰ الاقتصاد والصناعة باعتبارها مرتبطة ارتباط وثيقا بالمجتمع والمصالح الشعبية العامة فلا يمكن

اعتبارها مستقلة في ذاتها.

فالحركة الاصلاحية هذه تهدف الىٰ ايجاد صحوة فكرية عامة، ولا يتم ذلك إلّا بتثقيف العقول وصقلها وتقويم سير الافكار واستبدال المفاهيم العامة بما هو اسلم، خصوصا في النواحي التربوية المبنية علىٰ الاسس الحكيمة والمبادئ السليمة، وبذلك يمكن انقاذ الامة من المهانة والتأخر والفقر والجهل.

اما الاوضاع العامة لسلاطين المسلمين وحالة الحكام في ذلك الوقت فعلىٰ العموم تعتبر غير مرضية، مهما تفاوتت اوضاعها ومستواها، فهذه السلطنات كلها بوجه عام هزيلة ضعيفة، كيانها مزعزع، مجتمعها مترهل، عاجزة عن العمل الجدي فضلا عن مجابهة الغزاة الغربيين الذين اجتاحوا العالم شرقا وغربا عسكريا واقتصاديا، ولضعف السلطنات الاسلامية وقعت لقمة سائغة للاحتلال الاستعماري وصارت مستعمرة أو صارت تحت حماية القوي الغازي. والسلاطين والحكام بقوا في لهوهم سادرين. والشعب هزيل ضعيف. مستوىٰ التعليم منحط ما عدا الامور الفقهية والمسائل الخلافية الفرعية المختلف فيها، وذهب آخرون الىٰ التصوف والابتعاد من امور الدنيا، وتركوا الاقتصاد فاستولىٰ عليه الغير.

هناك البعض من الفقهاء الذين يدعون انهم ورثة الانبياء من وعاظ السلاطين، الذين وضعهم السلطان ليكونوا حراسا لا متيازاته ودعاة لانحرافاته وغطاء لسياساته، فيما يبررون فيه للظالم ظلمه وفيما يتحركون به من اثارة للمشاعر الدينية الشعبية البدائية لمصلحته وفيما يواجهون من خلاله القوىٰ الاسلامية الثائرة التي تعمل علىٰ ان تتحدىٰ السلطان في ظلمه وفي انحرافه.

وقد استطاع هؤلاء ان يعمقوا في ذهنية الامة التخلف، ويدفعوا بالمجرمين الىٰ مستوىٰ القداسات، وان يثيروا الفتن المذهبية داخل الحياة الاسلامية حتىٰ تعمقت الحواجز بين المسلمين بحيث حالت بينهم وبين اللقاء في مواطن الاتفاق، وذلك من

خلال التأكيد علىٰ المفردات الصغيرة والآفاق الضيقة التي تحبس كل مسلم في دائرته الخاصة كما لو كانت ديناً مستقلا ينفصل عن الدين الذي يلتزمه الآخر. ولا تزال المسألة تتحرك في نطاق الاثارة الدينية التي تتحول الىٰ كتلة من المشاعر العدائية فيما تنطلق به من الوسائل المثيرة علىٰ صعيد الواقع السياسي في الساحة الاسلامية، بما يحرك الكثير من العصبيات التي تحرك الكثير من الحروب الداخلية المدمرة بين المسلمين وزرع الاحقاد فيما بينهم علىٰ مدىٰ المستقبل الذي يتغذىٰ من مفردات الاحقاد الكامنة في حركة التاريخ في الماضي.

ولذلك فلابد من العمل من اجل تحديد مواقعها، ومحاصرة خطواتها، والتخفيف من تأثيرها المعنوي علىٰ المجتمع الاسلامي بتعرية ملامحها الحقيقية، واظهارها بمظهرها الصحيح، ثم اختيار العناصر التي تتميز بالتقوىٰ والكفاءة والصلابة في ممارستها العملية، وتربية الدُعاة علىٰ الارتفاع إلىٰ مستوىٰ المسؤولية فيما هي حاجة الاسلام في جميع المواقع والاوضاع[1].

فوعاظ السلاطين هم الحاشية والبطانة يستغلهم السلطان والحاكم لمنافعه الخاصة الذاتية، فتأييدهم تقوية لمركز الحاكم، فالسلطان يتاجر بهم ولا يتورع وعاظ السلاطين في تبرير مفاسد الحكام باصدار الفتاوىٰ بوجوب طاعة اولي الامر واتباع اوامرهم، ثم يشغلون الشعب بتوافه الامور في مسائل فقهية خلافية.

ان هذه الثلة من البطانة الفاسدة والمتاجرين بالدين هم اول المناوئين والمقاومين لكل حركة اصلاحية، خشية منهم علىٰ مراكزهم ومكانتهم لئلا تتزعزع وينفضح امرهم امام الملأ، وحفاظا علىٰ مراكزهم ومكانتهم، فبذلوا جهدا كبيرا ضد كل حركة جديدة بكل ما اوتوا من قوة ومكر وحيلة، لئلا يعي الشعب وينقاد الىٰ هذه الحركة الجديدة. فتكونت كتلتان: كتلة الاصلاح في جهة وكتلة المقاومة المضادة

---

(١) الصحوه الاسلامية بقلم العلامة السيد حسين فضل الله مجلة المنطلق عدد ٥٨ لشهر صفر ١٩١٠ ـ لبنان.

للاصلاح في جهة أُخرىٰ وتجابهت الكتلتان ونشب بينهما صراع مرير، مما وعرقل مسيرة دعوة النهضة الاصلاحية. والمعلوم ان الاصلاح لا يكون إلّا في مواطن الفساد، والمفسدون هم المناوئون للصلاح والاصلاح.

استطاع السيد ابن شهاب ومن معه من رواد النهضة تحطيم المناوئين تحطيما شل نفوذ الحاكم الجائر والسلطان الباغي وانفضح ادعياء العلم ووعاظ السلاطين والمتاجرون بالدين والمفتون بتحليل الحرام وتحريم الحلال.

انهارت قوى البغي والعدوان امام الزحف الخاطف لحركة النهضة الاصلاحية واستطاع الشعب بعد ان نال كل حريته ان يقول للظالم: ظلمت، فاتق الله، ويقول لادعياء العلم والمتاجرين بالدين امامهم جهارا: انكم المتلاعبون والمتاجرون بالدين فويل لكم، ويقول الشعب للمحسن: احسنت، وللمسيء: أسأت، امام امر واقع لا مهرب منه. وعلم البطانة الخطر المحدق بهم الذي لا مفر منه، وحاول المتاجرون بالدين التزلف الىٰ رجال حركة النهضة، فلم يجدوا لهم موضع قدم فالشعب الواعي حال دون اتصالهم برجال النهضة.

انهم رأوا تلك الكراسي التي تربعوا عليها قد زالت من ايديهم وان نفوذهم قد تلاشى، فالجو قاتم امامهم والعاصفة الهوجاء اجتاحت مكانتهم ولا يدرون ماذا يعملون. فقدوا كل شيء حتىٰ مستقبلهم.

ان نجحت الدعوة الاصلاحية في مكان فان امكنة اخرىٰ لا تزال في اوضاعها التقليدية خاضعة للتقاليد المتخلفة والعبودية بفعل العقول المتحجرة ممن يقال عنهم (قادة).

ان سوء الحالة المسيطرة علىٰ المجتمع بحكم تلك الاوضاع واختلاف موازين المعيشة سبب الضعف العام في العقول والتفكير، وتبلور الىٰ جمود وخمول وتحجر. ولا تزال دويلات السلاطين مبعثرة والشعب يعيش في خوف ورهبة. المتنورون عاجزون

لأنهم فقدوا طاقتهم الفكرية واصبحوا كالعضو الاشل، والشعب تاه واصبح لاهياً مضللاً قد تراكمت عليه المشاكل فاشغلته عن اموره المهمة الرئيسة فحاد عن السبيل القويم.

تلك الحالة غير مرضية لرواد الاصلاح، والمسلمون في ذلك الوقت يعانون من سلسلة من المآسي كأنهم بين فكي ذئب، حكام طغاة يدعون الاسلام وهم ابعد الناس عن الاسلام بل بافعالهم يحاربون الاسلام. إذاً يجب مواصلة الكفاح لسحق تلك الاوضاع المتردية بالدعوة الاصلاحية باستمرار وبدون توقف لان المرحلة طويلة والمشاكل كثيرة والمقاومون يعارضون كل اصلاح.

بدأ العمل للدعوة الاصلاحية من الجذور، إذ لا يصلح المجتمع ما لم يصلح الفرد ولا صلاح للاسرة إلّا بصلاح الفرد وبصلاح الاسرة يصلح المجتمع، وهكذا يتدرج الاصلاح الىٰ معالم الدولة، فلا يمكن اصلاح مجتمع وافراده فسدة، ولا اصلاح دولة إذا كان مجتمعها فاسداً مهلهلاً، فاصلاح المجتمع بدون اصلاح الفرد مجهود ضائع.

التربية الفكرية:

يعتبر اسلوب التربية الفكرية من الاسس المهمة لاثارة مشاعر الوعي لدىٰ الشعب وتربيته تربية صالحة لصقل العقول وتهذيب الافكار وتحريرها من العبودية، حتىٰ تتوسع المدارك للتعرف علىٰ نهضة الحضارات العالمية منطقيا بدون تعصب بصورة متسلسلة من بدء التاريخ الىٰ يومنا هذا، بشكل يشمل كل المناحي من علوم واقتصاد وادب وفلسفة وقانون واجتماع وصناعة وشعر وغيرها لاستلهام محاسنها ودرء مفاسدها.

لا شك ان الحوادث العالمية التي يحدثنا التاريخ عنها تعطي بكثرتها الباحث مقاليد التصدي من خلال المجال الواسع لانتقاء المثال الطيب ليحتذىٰ به ولتطبيقه في هذا العصر.

كما ان التيارات الفكرية التي عصفت بالعالم اتخذها بعض الحكام مرتكزا لتثبيت عرشه بالقوة وكبت الافكار والآراء الحرة وبتر رؤوس مخالفيه.

والفترة الزمنية التي عاشها السيد ابن شهاب ووضع فيها اسس تربيته الفكرية كانت كلها فترة كفاح ونضال مليئة بالمآسي تارة وبالمفاجآت السارة تارة اخرىٰ شان كل كفاح ونضال، هبوط وارتفاع، ولا ريب ان الصحوة الفكرية فى تلك الفترة كان لها خطورتها ومفعولها الايجابي الأمر الذي ضمن لها النجاح والازدهار باكتمال فصولها، ونمت الحياة الفكرية في روح الشعب عقلياً وثقافياً.

ان الحضارات الغربية كما يفهمها ذوو العقول الراجحة، بما في تلك الحضارة من المفاسد التي يجب درؤها صيانة للمثل الاخلاقية العليا، لا يمكن الاعتقاد انها بجملتها فاسدة يجب محاربتها وطمس معالمها لانها اتت من الكفار وديار المشركين، بناء علىٰ منطق من يقول: ان كل ما جاء من الكافر والمشرك فهو فاسد ومحرم اتباعه وانتهاج نهجه، ولا ريب ان هذا القول فاسد لانه منطق معكوس من اساسه لا يقول به إلّا صاحب عقل مأفون أو فكر مفلس.

لا جرم ان في كل عصر من عصور التاريخ يوجد متملقون لولاة الأمور وبطانة فاسدة للولاة والسلاطين يمالئونهم علىٰ ما يشتهون، وأمثال هؤلاء موجودون الىٰ الآن في زمننا هذا.

كان لهذه الدعوة الاصلاحية صدى عظيم رددته الاجواء في المهجر الشرقي وتعاظمت حركة النهضة الاصلاحية متجاوبة لاحقاق العدالة الاجتماعية وتطبيق مفهوم الحرية التي تكفل كرامة الانسان. وانتشرت دور العلم والتعليم واقبل الشعب بكل طبقاته لانتهال العلم من معينه الصحيح، وتثقف الجيل الصاعد من الشباب تثقيفا علميا اخرجته من رواسب مفاهيم وعقليات الماضي التي يحميها ويدعمها النفوذ الخارجي والاستعماري.

هل الاصلاح لا يتم الا بالثورة المسلحة؟

لم يفكر السيد ابن شهاب يوما او يخطر ببالە استحسان اللجوء الى الثورة المسلحة واتخاذ العنف والقوة لتحقيق اهداف النهضة الاصلاحية مهما استعصت الامور بسبب المعارضين والمقاومين، فانه لا يؤمن ان الاصلاح يجب ان يكون بالقوة والعنف او الاعتماد على الثورة والارهاب، ولكنه يؤمن ببث الوعي ونشر العلم بين الشعب ودعم كل ما يجب دعمه واصلاح ما يمكن اصلاحه. كان يحب أن تبدأ حركة النهضة الاصلاحية من الجذور بفتح المدارس لتثقيف الشعب وبث روح اليقظة والشعور بالمسؤولية حتى يتمكن كل واحد ان يشق طريقه في الحياة ضمن النهضة الاصلاحية الشاملة لكل الجوانب الحيوية من اقتصاد وتصنيع لتتكون قوة مانعة.

ان الاصلاح بالثورة معناه السعي للوصول الى الهدف بالقوة والعنف والاكراه أو باراقة الدماء، ومهما قيل عن الثورة وتبريرها، فانها قد تجر الى تدمير ما عمّر ونهب ممتلكات وتشريد عوائل، والانقلاب هو وضع العكس مكان المعكوس. ولا يتم ذلك الا بالقوة والعنف، والوقائع شاهدة وكثيرة. فالسيد ابن شهاب كان يتخذ اسلوب التطوير (EVOLUSION) المبني على التطوير الطبيعي تثقيفا وتوعية، والتطوير يتطلب المرونة والحكمة. ومن هذا منطلق وعلىٰ هذا الاساس يعاكس سلوك سياسة العنف والثورات (REVOLUSION) التي تجر الى الفوضى والى مزيد من الضحايا البشرية، فالبناء صعب والتخريب سهل.

الاحزاب السياسية

ظهرت الاحزاب السياسية في الدول الاوروبية الديمقراطية للحفاظ على حرية

الفرد، وبوجود الحرية الفردية المتمثلة في الاحزاب في الدول الديمقراطية ينعدم الاستبداد والحكم الفردي او الحزب الواحد. وليس للشعب إلا الانصياع للاوامر والحكم الاستبدادي الشبيه بحكم الاستعمار، الشعب مكره على طغيان رجل من قومه وبني جنسه. كما يكذب ذلك المستبد ان الشعب كله لا يريد سواه فنال من اصوات شعبه بمعدل ٩٩ بالمئة بينما شعبه المكبوت لا يعلم من سير الانتخاب شيئا ولم يسمع الا بالبيان الذي قيل عنه نتيجة الانتخاب، وحقيقة الامر ان الشعب يضمر للحاكم كل الكراهية ولكنه مغلوب على امره. دعايات ملفقة مزورة لا يصدقها حتى الجاهل، فالسيد لا يرى من تأسيس الاحزاب لتدعيم دعوته بطرقها واساليبها ما يناسب او يماشي سبل دعوته، فله في ذلك رأيه الخاص، ويرى ان التطوير على خطوات اجدى وانفع واكفل للنجاح المطلوب، فدعوته كانت دعوة سلمية تثقيفية تربوية مبنية على الوعي ولا يمكن ان تدخل عليها صفة الاكراه، لان الاكراه يثير الضغائن والاحقاد ويتسبب في قيام حركة معاكسة، والاكراه لن يغير العقائد، ولكن الفهم والوعي والادراك هو الذي يغير معالم الافكار والعقائد عند المدرك والواعي فيرى الحق حقا والباطل باطلا ويستطيع التفريق بين الحسن والقبح، ثم ان الجهل لا يحارب بقوة السلاح وانما بتشييد معاهد العلم لتنوير الاذهان وتغذية الارواح بالوعي وتحرير النفوس من التبعية العمياء لكيون الفرد عالما فاهما، ومتى تثقف القوم تطور المجتمع تلقائيا بذاته وسارت احوال المجتمع من حسن الى احسن، فلا جهل ولا فقر ولا مرض.

ولذا فان السيد يحذر دائما من الانسياق وراء العواطف التي كثيراً ما تجر الى مشاكل، وتضر ولا تنفع. وكان يحث على تحكيم العقل والأناة والصبر في جميع الاعمال، لانه الكفيل بالنجاح. فالحق هو الحق ولا يشترط ان يكون مع الاكثرية او مع الاقلية.

يقول السيد ابن شهاب: ما ابتلي المسلمون بشيء كما ابتلوا بـالجهل والامـية فالجهل يجر الى قصر النظر وضيق البصيرة والى اتباع الهوى والانـفعالات بـدوافـع العاطفة ففقدوا القدرة على سيطرة النفس بسبب الجهل، فحادوا عن الصراط.

فتلك هي الامراض التى جـرَّت المسـلمين للانـزلاق الى مـهاوي الانـحلال والتشتت في شتى المتاهات.

وليس الجهل فقط عند من لا يقرأ ولا يكـتب، ولكـن الجـهل يكـون أيـضاً بالاوضاع وحقائق الامور، فكم من قارئ وهو متعصب لفكرة شاذة، وكم من قـارئ يكفِّر من يقول ان الارض كروية وان الوصول الى الفضاء كـذب صـريح. وآخـرون بعكسهم تماما يرون الاسلام في صورة المسلمين. اولئك الذين يحرمون تدريس علم الجغرافيا في مدارسهم والفلسفة عندهم منافسة لعلم الله، واعـتقدت هـذه الفـئة ان الاسلام يحارب العلوم وان الدين عبارة عن طقوس وعادات من رواسب البـدائـية، لانهم لم يروا المسلمين الا في صورة من يحرمون الجغرافيا والفلسفة وخالوا ان ذلك هو الاسلام لضيق افقهم وتأثرهم بالغرب بدون روية، وظنوا ان كل شيء من اوروبا هو الحق وما سواه باطل، وفاتهم ان الاسلام شيء وان المسلمين شيء آخر فلم يفرقوا بين الدين وبين معتنقي الدين. متوهمين ان الاساطير من اسس التعاليم الاسلامية وحسبوا ان الاسلام دين تافه لا يستطيع مجاراة الزمن، ولم يفطنوا انه اذا قام المتدين بارتكاب جريمة فعليه العقاب، لا كما يتخيل أن المتدين إذا ارتكب جريمة فان الديـن ديـن اجرام.

هكذا مني الاسلام بهؤلاء المفرطين والمفرّطين بين متعصب ضيق الافق ينكر كروية الارض ودورانها واختراق الفضاء وبين من انجرف مع اوروبا بخيرها وشـرها يرى الخير كله في اوروبا.

هولندا وحركة السيد ابن شهاب

لم تتمالك حكومة هولندا الاستعمارية في الهند الشرقية نفسها امام هذا النشاط المتواصل الذي اثاره السيد ابن شهاب في دعوته الى النهضة الاصلاحية وخشيت هولندا من مغبة هذه الحركة التي ستقوض حكمها ومصالحها في الهند الشرقية، واتخذت هولندا كل التدابير سراً للحد من هذا النشاط المتواصل، خشية من عواقب هذه الحركة لانسياق الشعب لهذه الفكرة الجديدة، مع ان السيد لم يمكث في الهند الشرقية سوى اربع سنوات متتالية، رأت هولندا كيف احتوى السيد ابن شهاب جملة كبيرة من المثقفين المتنورين واثار فيهم الحماس وروح النضال، وكيف استطاع ان يؤثر فيهم وفي افكارهم التي تمخضت على اثر ذلك عن روح الكراهية للاستعمار بكل انواعه واشكاله، واحتدم الغليان والتبرم من الوضع الحاضر الاستعماري فاصدر الوالي العام مندوب التاج الهولندي المقيم بجاكرتا امره للمستشرق الهولندي ومستشار الوالي الهولندي الخاص الذي يرأس ادارة الشؤون الاسلامية، وكان ذلك بتوصية خاصة من وزير المستعمرات الهولندية لما وراء البحار بتقديم تقرير ضاف شامل عن أنشطة السيد ابن شهاب لقمع تلك الحركة قبل استفحالها باتخاذ كل التدابير اللازمة، لاعادة استتباب الامن والطمأنينة في ربوع الهند الشرقية، وكان اول عمل قامت به حكومة الاستعمار الهولندي مضايقة السيد ابن شهاب باعتباره اجنبيا في هذه البلاد ولا يحق للاجنبي ان يمارس اي نشاط سياسي أو ما يخالف الدستور الاستعماري الهولندي او ما يثير القلاقل او يحدث الهرج في الافكار التي تزعزع الطمأنينة العامة باي اسلوب من الاساليب الاستفزازية وبلبلة العقول مما يجر الى عدم الاستقرار واضطراب الامن العام. كما بدأت الحكومة تختطف رجال الحركة للاستنطاق بتهمة العمل والمحاولة لاثارة القلاقل في البلد بتحريك شعور الشعب ضد الدولة وتم اعتقال رجال النهضة

الاصلاحية في سورابايا ومالاغ وبنداواسا والصولو وجاكرتا من اسر وعائلات معروفة في الحركة من بيت آل حداد والمحضار وآل العطاس وآل السقاف وآل شهاب وآل الحبشي وغيرهم.

وبنصيحة من المستشرقين الهولنديين الذين يعملون في ادارة الشؤون الاسلامية أنه لابد من ايجاد حركة اخرى مقابلة للنهضة الاصلاحية لتكون منافسة لها ومعاكسة لكل عمل من اعمال النهضة الاصلاحية واتهامها بالمروق من الدين ونشر البدع اختارت الحكومة الهولندية بطريقة غير مباشرة جماعة ممن يسيرون في ركاب الاستعمار ومن ورائهم مطبلي الدولة، فبرزت الى الوجود هذه الحركة التي تدعمها حكومة الاستعمار بالمال لتسهيل امورها ولتعكير الافكار وضرب المسلمين بعضهم ببعض حتى تنشق كلمة المسلمين وتتفرق وحدتهم وتتمزق عراهم وتتشتت افكارهم باثارة المسائل الفقهية الخلافية، وغذت حكومة هولندا هذه الحركة المعارضة بالآراء والافكار والاموال محاولة جعل المسلمين كتل متناحرة، ومهما يكن فقد استفادت هولندا من هذا الوضع في تعكير الافكار وبلبلتها كما فتحت هولندا للحركة (الاحمدية) القاديانية التي تمولها بريطانيا المجال الواسع في اندونيسيا لزيادة تعكير الاوضاع وبلبلة الافكار. لينشغل المسلمون في تلك المسائل الخلافية.

اجتمع رجال حركة النهضة الاصلاحية وتشاوروا فيما بينهم في كيفية مجابهة المكر الاستعماري الهولندي المتزايد، واشار بعض الحاضرين من رجال الحركة ممن لا يتمالك صبره قائلاً: «لابد من تغيير وتحويل اسلوب دعوتنا الاصلاحية من اسلوب السلم الى طريقة العنف والقوة ومجابهة القساوة بقساوة مثلها او اشد منها، لتتسم حركتنا بالقوة والعنف وليعرف الجميع اننا لسنا ضعفاء كما يتخيلون ويريدون هضم الضعيف، واذا عرفوا اننا اقوياء حسبوا لنا الف حساب. ندعو جميع العمال والموظفين ان يقاطعوا الدولة ويتوقفوا عن العمل لشل حركة الدولة وارهاقها في المشاكل بدلا من

محاولتها لمحاربتنا، فلنسبقها بمهاجمة المراكز الحساسة للدولة».

ولكن هذا الاقتراح والتفكير لم يجد قبولا حسنا لدى السيد ابن شهاب وعارض كل اسلوب للعنف، بحجة ان المسلمين لا يزالون ضعفاء لا يملكون سلاحا ومعنويتهم لم تتبلور الى قوة روحية كاملة، والاقدام الى العنف والمسلمون في تلك الحالة يعد من الاعمال التهورية التي لا تنتج إلا سوء العاقبة ويفضل السيد ابن شهاب مضاعفة النشاط الحركي ودعوة اولئك العملاء الذين أمروا لمعارضة النهضة الاصلاحية وتوعيتهم ومخاطبتهم بالاسلوب الذي يمكنهم من قبول دعوة الحركة الاصلاحية فيرعووا ويهتدوا ونجعل حكومة الاستعمار الهولندي في مأزق ونذكرها بان الخلافات بين الامة لا تعود على الجميع الا بالضرر الجسيم.

ان مخطط حكومة الاستعمار الهولندي في جزر الهند الشرقية لتحطيم حركة النهضة الاصلاحية التي يقودها السيد ابن شهاب وان كانت قد اثرت في بعض النواحي على هذه الحركة باعتقال بعض رجالها واستنطاق الاخرين، غير ان حركة النهضة ظلت تسير في طريقها بقوة اكبر وهمة اعظم، واستطاعت ان تزحف كالسيل العارم الجارف مكتسحة دعاة المعارضة والمقاومة وعملاءها الى ناحية وهم صاغرون مبهوتون، وتبين للملأ طريق الباطل الزائف من الحق الناصع.

ان السبيل الوحيد لدرء المفاسد هو تثقيف الشعب تثقيفا علميا وتوعيته توعية تجعله يشعر بالمسؤولية ويسعى للوصول الى الغاية المنشودة بكل ما عنده من قوة.

ان اختلاف وجهات النظر في العمل للوصول الى الغاية لا يستوجب التنافر او التناحر، فالهدف واحد والغاية واحدة، هي هي. وبدل ذلك يجب ان يركز على الاخلاص في العقيدة والمبدأ ومن لا يخلص لعقيدته ومبدئه فلا خير فيه وهو من الذين يسهل شراء ضمائرهم ويكونون عملاء للاستعمار ضد بني قومهم ووطنهم لمصالح المستعمر. يقول السيد ابن شهاب في هؤلاء الذين لا يخلصون في مبادئهم ما يلي:

من ليس يخلص في مبدا ارادته فكيف يرجو فلاحا في تناهيه
ومن له من هوى الاغراض شائبة يهوي به الحظ في اهوى مهاويه

لا جرم ان سمو الاخلاق والمحافظة على المثل العليا يكوّنان للفرد شخصية قوية بحيث يتقزز من الوقوع في الامور غير المرضية ويبتعد من مهاوي الانزلاق لئلا يقع في الهاوية.

ومن هنا يتجلى ان السيد ابن شهاب كان يعارض التهوّر في الاعمال، خصوصاً ما يكون بالعنف والقوة لقلب نظام الحكم لانقاذ الوضع المتردي مهما كان الامر وكما يحسبه البعض ميئوساً منه، وكل ميئوس منه يجب بتره والاستغناء عنه كليا، نجد ان السيد يخالف هذه الفكرة بتاتا، كما سبق ان بيناه. ولم تكن فكرة معارضة السيد للعنف قد جاءت عفوية بسبب المكر الاستعماري او تلقائيا، ولكن فكرة الدعوة سلميا كانت متخمرة لديه وفي ذهنه منذ عنفوان شبابه وهو في المرحلة الاولى من مراحل حياته اي منذ عام ١٢٨٠هـ، عندما كان يفكر في حالة قومه التي لا ترضيه، قومه الذين يعانون الجهل والفقر والمرض والجمود الذي خيم على عقولهم وافكارهم. يرى كل ذلك ويحز في نفسه الما موجعا، فلم يصبر فتكلم وناقش، وأخذ يستنهض همم بعض الشباب بالحديث والخطب والكتابة، وكثيرا ما تبلورت احساساته في قصائده في كثير من المناسبات.

لم تكن فكرة النهضة الاصلاحية موجهة لناحية خاصة، وانما كانت الدعوة عامة تشمل الاقتصاد والتجارة والصناعة وكلها مبنية على اساس التثقيف والتعليم والوعي. وعلينا ان ندرس هذه الامور والقضايا دراسة وتحقيقا لئلا يفوتنا شيء او يغيب عن اذهاننا او ننسى ان عصر السيد ابن شهاب الذي نشأ وترعرع وعاش فيه يخالف عصرنا الذي نحن فيه الآن فالفرق بينهما شاسع، ولكل عصر مقاييسه الخاصة ولكل زمان اوضاعه وظروفه، فلا يمكن مقارنة او مساواة عصر بعصر قبله او بعصر

بعده، فعصر البخار غير عصر الكهرباء.

السيد ابن شهاب ودولة الخلافة

من المعلوم ومما لا يخفىٰ على احد ان سياسة السيد ابن شهاب كانت ترتكز على دعم دولة الخلافة التركية، لتكون الخلافة الرمز الاول للكتلة والوحدة الاسلامية، ولن تكون الخلافة قوية اذا لم يؤيدها ويدعمها المسلمون، والدعم والتأييد لن يكونا الا بالعلم والفهم والوعي. على ما بلغته دولة الخلافة في ذلك الوقت من وهن ومع ما تعانيه من مشاكل داخلية وقلاقل وثورات تغذيها دول اوروبا، ومع هذا الوضع المتردى فان دولة الخلافة لا تزال تتمتع بقسط وافر من المحبة والاجلال في قلوب المسلمين، وهذا القسط من محبة وتقدير المسلمين يخشاه العدو ويحسب له كل حساب، يحاول ازالة تلك المحبة والاجلال. يقول السيد ابن شهاب انه مادام المسلم مسلما فلا يمكن له لن يكون سلبيا لا يكترث بامر المسلمين ولا بدولة الخلافة التي هي رمز وحدة المسلمين، او يقف كالمتفرج، بل عليه الاهتمام بامر المسلمين ودعم دولة الخلافة.

في نفس ذلك العصر كانت هناك ايضا بعض دويلات وسلطنات وامارات اسلامية هشة متناثرة مستضعفة وكلها واقعة على رغم منها تحت الاستعمار بشكله المباشر او غير المباشر او واقعة تحت حمايات دول غربية قوية، وتتفاوت مستويات الحماية بموجب مصلحة الدول الحامية وبمقدار القوة والضعف لتلك السلطنات والامارات. ومن الطبيعي ان القوي هو الذي يحكم ويفعل ما يريد، والضعيف هو دائما المحكوم عليه، والشاعر يقول:

ملخصه ان القوى محكم　　　وحاصله ان الضعيف مسخر

وهناك سوىٰ تلك الدويلات الهزيلة أيضا شعوب اسلامية من بلدان آسيا وافريقيا، عددها كبير واقعة تحت الاحتلال الاوروبي مباشرة. وازدادت الاحوال سوءاً

بعد الحرب العالمية الاولى وزوال دولة الخلافة من الوجود، وانتصار دول الحلفاء التي ازدادت طغيانا على الشعوب المستعمرة. ولاح الفجر الجديد بعد الحرب العالمية الثانية حيث تمكن بعض الدول الاسيوية والافريقية من حل قيود الاستعمار والتمكن من نيل استقلالها، وطوى بعض دول الاستعمار استعماره الى غير رجعة. فنالت اندونيسيا والملايو والهند وباكستان وغيرها استقلالها، ولا يزال بعض الشعوب السلامية الاخرى يرزح الى اليوم تحت الاحتلال مثل جزر مورو الواقعة تحت الاحتلال الفليبيني.

مهما كانت الامارات والدويلات الاسلامية صغيرة وضعيفة ومترهلة، فلا يمكن طمسها او ازالتها من الوجود ولكن يجب دعمها لتكون نواة صالحة وتصبح دولة قوية ذات كيان اقتصادي قوي، فمن الضروري اذن رعايتها ودعمها واصلاح ما فسد فيها لتطويرها في جميع المجالات خصوصا التربوية والتعليمية والاقتصادية بالتدريج حتى تبلغ المستوى المطلوب وتملك مستلزمات الدفاع، وهذه المعالجة ليست سهلة وتحتاج الى فترة طويلة قد تكون عسيرة. وترتكز وسائل النهضة الاصلاحية على الاسس التالية:

١ ـ تعميم التعليم والتربية بصفة عامة.

٢ ـ ارسال البعثات التعليمية الى الجامعات العالمية.

٣ ـ عدم الاقتصار على العلوم الدينية.

٤ ـ رفع مستوى الاقتصاد والاتجاه الى الاقتصاد الحر.

٥ ـ الاهتمام بالتصنيع والانتاج.

٦ ـ التسويق العالمي للمصنوعات والمنتوجات.

لقيت هذه الدعوة تجاوبا وترحيبا حارا من اوساط المثقفين بل حتى من الامراء وبعض السلاطين، اما الخليفة عبد الحميد فقد وعد بتنفيذ هذه الفكرة التي نالت منه موقع الاستحسان وكذلك خديوي مصر الذي كان من اول المؤيدين لهذه الفكرة

بعد الخليفة عبد الحميد وبتقدير عظيم. ويجد القارئ هذه المحاورات في الرسائل المتبادلة بينهم. اما سلطان حيدر آباد فقد وضع كل الامكانيات تحت تصرف السيد ابن شهاب كما ذكرناه في موضع آخر.

يتساءل البعض من الاخوة لماذا كانت وجهة نظر السيد ابن شهاب تتجه الى المهاجر الشرقية فقط دون الاتجاه نحو الغرب والمهاجر الغربية حيث فيها عدد كبير من المسلمين؟

كان اتجاه هجرة السيد نحو الشرق بحكم هجرة اسلافه السابقين نحو الشرق بعكس بعض اهل الشام من لبنانيين وسوريين كانت هجرتهم نحو الغرب الى الاميركيتين الشمالية والجنوبية، ولا نجزم انه لم يكن له صلات واتصال بوجهاء المهاجرين في المهجر الغربي، اما اتصاله بسلاطين المغرب العربي فهناك وثائق تؤكد صلاته بهم وكذلك مساعدات ملوك المغاربة ماديا للاسر العلوية بجنوب الجزيرة.

ان السلطنات والامارات الاسلامية جلها او كلها في المهجر الشرقي، وكان اتجاه نظرة السيد الى المهاجر الشرقية لتنفيذ مشروعه الذي يتضمن الاتصال المباشر بالمسؤولين فيها للتباحث معهم فيما يمكن التفاوض فيه لا صلاح ما يمكن اصلاحه وتطويره الى مستوى افضل وانهاض شعوبها.

نجد من بين مراسلاته ومكاتباته العديدة للزعماء ورؤساء الدول والسلاطين والامراء والمسؤولين وقادة الشعوب والادباء والشعراء ورجال الصحافة مساجلات ممتعة وجلها يدور في موضوع النهضة والاصلاح والتعليم والاقتصاد للسير فيها الى مستوى احسن. وتتسم مراسلات السيد بروح النصح والتوجيه لمصالح العامة.

خمسون عاماً قضاها السيد ابن شهاب في كفاح مرير ونضال من اجل توعية امته، انه وقت قصير بالنسبة للتاريخ، ففي خلال هذه الفترة الوجيزة من التاريخ استطاع ان يقدم الشيء الكثير من الاعمال الجبارة والمنجزات، فطور الافكار وانار العقول.

ان النهضة التي اثارها ودعا اليها بمفهومها الواسع ترتكز على دعامتين:

الاولى: الاتجاه نحو المسلمين، المبني على التثقيف والتربية والتعليم والاقتصاد لرفع مستواهم العام علميا وفكريا.

الثانية: الاتجاه نحو غير المسلمين، بالاتصال المباشر بالافراد والجماعات للتحدث معهم ومحاورتهم ومباحثتهم بالطرق العلمية على جميع المستويات الفكرية والثقافية والنفسية لتنوير اذهانهم ودعوتهم الى الاسلام، حتى يقبل الواحد منهم عن يقين ووعي وايمان.

ففي كل هذه الاحوال يختلف اسلوب الدعوة باختلاف مستوى ومبلغ ثقافة السامع والمخاطب وادراكه، الذي يمكن التفاهم والتحاور والتخاطب معه، حيث يختلف الخطاب مع المثقف والمتعلم عن التخاطب مع التاجر والاقتصادي او العامل او الطالب، فلكل منهم الاسلوب الخاص الذي يروقه ويفهمه ويدركه.

اسلم واهتدى الى الاسلام بعض اساتذة الجامعة ونفر من التجار وشخصيات بارزة مرموقة وجمع من طبقة المنبوذين (الباريا) في الهند، وكان هؤلاء خير سند للدعوة الاسلامية.

اما اعماله للمسلمين فباقامة المعاهد العلمية وتشييد المدارس والمعاهد فغير العقليات وطور الافكار وقادهم للتحرر، فأعاد للانسان كرامته وحرمته وشخصيته بعد ان ضل اسيرا للجمود.

اعقب نهضته الفكرية هذه بالنهضة الاقتصادية، فأثار همم القوم لابدال بيع السلع في الاسواق بالتصنيع والاستيراد والتصدير، فالمواد الخام موجودة والايدي العاملة موجودة. وكان كثير من القوم يستشيرونه، وكان في الامور الاقتصادية يحيلهم الى رجال الاقتصاد، لتنوير المستشيرين في تطوير اوضاع الاقتصاد من وضعه الحالي الى وضع احسن ليستطيع السيطرة على الاقتصاد العام، الذي يشمل التجارة بانواعها

والصناعة بفروعها والزراعة بشتى مرافقها على اسس سليمة وكان يمنع الغش والمكر والخداع والاحتكار، فكل هذه الاعمال اجرامية. ففي الاقتصاد مسؤوليات لان الاقتصاد اساس قوة الشعب وتقدم البلاد، والشعب الذي لا يملك اقتصاديات بلاده يعتبر ضعيفا متخلفا.

يقول العلامة السيد محمد احمد الشاطري: ان السيد ابن شهاب قام باصلاحات في حضرموت وخارجها، باخماد نار الفتن التي تقع بين القبائل المسلحة بحضرموت، كما قام بصلح بين سلطنتين في جنوب الجزيرة، القعيطي والكثيري عام ١٢٩٤هـ اثر حروب اهلية بين السلطنتين دامت سنتين تضرر منها الشعب، فاخمد ابن شهاب النار بحكمته السياسية.

يرى السيد ابن شهاب وجوب اصلاح العقيدة وتصحيحها وتنقيتها مما رسب في الاذهان، خدمة للعدالة الاجتماعية في الاسلام[١].

ان السيد ابن شهاب من اعلام هذا الدور، لانه الشخصية التي توفر فيها العلم والادب والاصلاح والسياسة والتمسك بمبادئ الاسلام ثم الزعامة القوية في المجتمع الذي يعيش فيه، فاستحق بهذا ان يوضع في مصاف الابطال مع العلم بأن هناك شخصيات كثيرة عظيمة انجبتها البلاد في هذا الدور ولكن لم يلمع منها احد في كل الصفات التي لمعت في شخصية ابن شهاب[٢].

ولابن شهاب آراء وافكار في مفاهيم عصره ومجتمعه ويتجلى هذا في مؤلفاته وقصائده فقد دعا ابن شهاب الى وجوب اصلاح العقيدة وتصحيحها.

ولابن شهاب ثورة على التقليد الذي يجعل العقول متجمدة ومرتبطة

---

(١) ادوار التاريخ الحضرمي للعلامة محمد احمد الشاطري / صفحة ٢٤٢ مطبوع.

(٢) المصدر السابق.

بالاشخاص لا بالتشريع[1].

خطوات التطور في المهاجر الشرقية في مجال التربية والتعليم كانت وليدة النهضة الاصلاحية منذ عام ١٢٨٢هـ وكلها سلسلة متشابكة بعضها مع بعض.

كتب الاستاذ المجاهد زعيم الجنوب العربي ورئيس رابطة ابناء الجنوب مقدمة مطولة لكتاب (تاريخ الدولة الكثيرية) للاستاذ السيد محمد بن هاشم المطبوع بمصر عام ١٩٤٧ نثبت هنا الصفحة الاولى من المقدمة لعلاقتها بالسيد ابن شهاب والاعتراف بزعامته الاصلاحية.

بسم الله الرحمٰن الرحيم

مقدمة

«ثلاثة نفر في هذا القطر الحضرمي سيذكرون إذا دبج تاريخه الحديث كطليعة لقادة الفكر الجديد، وزعماء النهضة الإصلاحية، ودعاة انقلاب، انقلاب يشمل كافة مرافق الحياة، وينفخ الروح في هذا الجسد الذي افتقدها منذ مئات السنين، وعاش بعيداً عنها في عالم غير عالمها، إن أمكن أن تكون لجسد من غير روح حياة. اللهم إلا إذا جاز أن يعُد من الأحياء جدث عصمته الأقدار من الفناء بعد فراق روحه إلى دار البقاء.

هذا النفر أو هذه السلسلة الذهبية النيرة؛ تبدأ بالسيد أبي بكر بن عبد الرحمن بن شهاب، ثم بالسيد محمد بن عقيل، وأخيراً بالسيد محمد بن هاشم، مؤلف هذا الكتاب القيم الذي يقدم لنا اليوم الجزء الأول منه.

لن يستطيع ـ ولو أراد ـ أي متصدر لتاريخ النهضة الحضرمية ان ينكر أو يتجاهل

---

(١) من مقدمة لكتاب فتوحات الباعث، مطبوع.

هذه الحقيقة الخالدة، وهي أن هذا النفر من الأفذاذ هم قادة لواء النهضة الحضرمية الحديثة، وواضعوا أسسها، وأول من حاول إزالة الغشاوة عن أعين قومهم، وبالتالي أول من واجه العاصفة التي لابد وأن يواجهها كل مجدد، يهدف إلى إمالة قومه عن نهج اعتادوه أو جهالة أنسوا إليها أو تقاليد ابتدعوها، فأصبحت منهم بمثابة الدين الذي لا يأتيه الباطل من أي الجهات؛ أو فتن متراكمة بعضها فوق بعض، استكانوا لها، فاطمأنوا إليها فصارت جزءاً من حياتهم، لا هم يستطيعون التخلص منها، ولا هي ترتاح إلى الابتعاد عنهم.

ولذلك فهم يعجبون أيما عجب لهذه الصرخات التي يجأر بها أفراد، هم في معتقدهم أقرب الى الضلال منهم إلى الهدى، حادوا عن النهج القويم واتبعوا الهوى، فكل ما يأتون به باطل وكل ما ينادون به ضلال.

هذه هي العاصفة التي واجهها محمد بن هاشم، ومن قبله محمد بن عقيل، ومن قبلهما أستاذهما أبو بكر بن شهاب، وغيرهم من رجالات الفكر الحضرمي فما ضعفوا وما استكانوا، وما تلجلجت بهم الخطى، أو خارت منهم العزائم».

من اهم مصالح اعداء الاسلام الاساسية تبني ورعاية وجود الفرق والمذاهب بين المسلمين، واتخاذها ذريعة لتحطيم المسلمين وتمزيق شملهم باذكاء نار الفتن والعداوة والشحناء فيما بينهم، وهكذا سيق المسلمون الى هاوية الفرقة والتناحر والى الذل والمهانة بدون شعور منهم وهم لاهون غافلون عما يفعله الاعداء.

واستمر الانحلال والانقسام والتجزئة الى كتل وجماعات شتى متفرقة تقتسمها الاهواء والنزعات الهدامة في كل ناحية من نواحي الحياة وتتجاذبها العواطف، والمسلمون فخورون بهذا الوضع لعقيدتهم ان موقف كل منهم هو الصحيح، حتى ان الانسان متى يمم جهة من الجهات فسيجد نفس الوضع والحالة، حتى جات حركة النهضة الاصلاحية لتصحيح تلك الحالة والاوضاع بالسعي لتوعية وتفهيم المسلمين

بما حل بهم من الامراض الاجتماعية الفتاكة التي منوا بها، ودعوتهم بالحسنى لنبذ الاحقاد والخلافات والانضواء تحت ظل الخلافة التركية ليكونوا كتلة واحدة. وكانت الخطب من رجال النهضة الاصلاحية تلقى في كل مناسبة ليكونوا الحصن الحصين امام عدوان الاعداء. وفي هذا الصدد يقول السيد ابن شهاب من قصيدة طويلة نقتطف منها:

والاجتماع اجل حصن رادع ... عبث الخصوم وسورة العدوان
والمؤمنون كما اتانا في حد ... يث الصادق المصدوق كالبنيان
ومتى تخاذلنا واهمل بعضنا ... بعضا خلعنا خلعة الايمان
واصابنا الفشل الذي يقفوه ذل ... واضطهاد ليس بالحسبان
ان افتراق المسلمين اذاقهم ... ضيم الهضيمة بعد عظم الشان
وهنت عزائمنا واصبح هازئاً ... بخمولنا الوثني والنصراني
فعلام فرقتنا التي القت بنا ... في هوة الاهمال والخذلان
ولم التنافر والتباغض بيننا ... والحقد وهي مدارك النقصان
ها كل طائفة من الاسلام مذ ... عنة بوحدة فاطرالاكوان
وبان سيدنا الحبيب محمدا ... عبد الاله رسوله العدناني
وامام كل منهم في دينه ... اخذا وردا محكم القرآن
فالهنا ونبينا وكتابنا ... لم يتصف بالخلف فيها اثنان
والكعبة البيت الحرام يؤمها ... قاصي الحجيج لنسكه والداني
وصلاة كل شطرها وزكاته ... حتم وصوم الفرض من رمضان
افبعد هذا الاتفاق يصيبنا ... نزغ ليفتننا من الشيطان

ان الذي يحيا في هذه الدنيا ولا ينتفع الناس ولا قومه به فهو عضو اشل في المجتمع، فاحب الناس الى الله انفعهم للناس والذي يسعى جاهدا لرقي امته يدفع عنهم كل ضير ويجلب لهم كل نفع فهو سيد الناس، الذي يصفه السيد بقوله:

سيد الناس من يجد ويسعى	في رقي العباد دنيا واخرى
يخدم الشعب فهو يجلب نفعا	مستجدا لهم ويدفع ضرا
والسخيف الذي تصدر بالمـ	ـال او العلم فازدرى الناس كبرا
حاسب أن من سواه تراب	وهو من بينهم تكون تبرا
ليت هذا السخيف كان حمارا	للنبيل الذي تقدم ذكرا

لقد كانت الدعوة لحركة النهضة الاصلاحية في المهجر الشرقي مبنية على اسس حكيمة متينة بعد دراسة واسعة سار عليها رجال النهضة والتزموا بها، ولم تكن مجرد شعارات جوفاء او صرخات عاطفية يقصد منها الاستهلاك المحلي، ولكن كانت الاعمال قائمة على الاسس المقررة المتينة ومطبقة على بصيرة رجال النهضة الاصلاحية الذي رعوها خير رعاية، فلا غرابة ان نبتت واثمرت وازدهرت.

لقد تخرج من مدرسة ابن شهاب زعماء افذاذ، وعلماء وادباء وشعراء وهم الذين واصلوا كفاح النهضة الاصلاحية وحافظوا على اسسها ومبادئها.

وما هذه التطورات العظيمة الملموسة التي يشاهدها الكل في جميع المستويات الا اثر من آثار تلك النهضة الاصلاحية، وما هذه المدارس ودور العلم والمستشفيات وملاجئ الايتام والمطابع والجرائد ودور النشر كلها إلا حصيلة النهضة الاصلاحية التي وضعت بذورها في اواخر القرن التاسع عشر، فلم تذهب تلك الجهود المبذولة سدى (١٢٣٠هـ / ١٨٨٩م).

هذا النجاح الذي احرز لم يكن سهلاً ولا كانت الطرق التي سلكها السيد ابن شهاب مفروشة بالورود والازهار، ولكنه تعرض لمشاكل عويصة ومقاومة عنيفة حتى من قومه وبني جنسه بل حتى ممن يدعون العلم من رجال الدين المتملقين للحكام ورجال الاستعمار، تأييداً للظالم على ظلمه والطاغي على طغيانه والمستبد على

استبداده، لم يردعهم ضمير ولا رادع، وهان لهم تقليب الحقائق وجعلوا الباطل حقا والحق باطلا، وما مني المسلمون ببلوة مثل وجود هذه الفئة التي مزقت شمل المسلمين بدعوى انهم ورثة الانبياء فيثيرون الخلافات، وكأن تلك الخلافات هي من أُسس الدين الحنيف ويتهمون غيرهم بالمروق من الدين والزندقة لان غيرهم لم يكونوا على طريقتهم، وفيهم يقول الشاعر الافغاني:

شر المصائب في الدنيا باجمعها	بان يجامل بعض الناس بالكذب
وان يضوع بهم والقلب يلعنهم	من النفاق عقود الماس والذهب
واقبح الناس دجالون قد مردوا	على النفاق لأهل الجاه والرتب
بئست حياة رجال لا خلاق لهم	ينافقون بلا حق ولا ادب

امثال هذه الاوضاع الفاسدة هي التي تعرقل سير حركة النهضة الاصلاحية ولولا وجود رجال مخلصين حملوا لواء الكفاح لتحقيق هذه النهضة الاصلاحية لما استطاعوا اكتساح امثال تلك الفئة كما وصفهم الشاعر الافغاني. وبقوة وصلابة رجال النهضة تغلبوا على كل العراقيل الداخلية والخارجية وانتصروا.

القومية والوطنية

لا يمكن الاستخفاف بالامر الواقع وهو انه بعد زوال دولة الخلافة عام ١٩٢٣ اتجهت الشعوب والامم التي تطالب بـالاستقلال والحـرية الى الدعـوة الى القـومية والوطنية، ونالت تلك الدعوة بشعاراتها الخلابة المزيد من تأييد الشعوب المستضعفة، ونالت هذه النغمة الحساسة تجاوبا خصوصامن طليعة الشباب المـتحمس والطـلبة المتحفزين في كثير من البلدان الاسلامية في ذلك الوقت، وكان صداها يدوي في كل محل وتتجاوب ردود الفعل بقوة تبشر بالنجاح، اعقبها تأسيس الاحزاب السـياسية باندفاع وحماس من القوميين والوطـنين، حـتى انـنا لا نـجد مـجتمعا اسـلاميا الا والاحزاب الوطنية هي البارزة، وصفحات الصحف مليئة باخبارها وكـلها فـي ذمـة التاريخ بل لا تزال الحركات القومية والوطنية هي البارزة الى يومنا هـذا ابـتداء مـن الحزب الوطني المصري بقيادة مصطفى كامل ومرورا بالاحزاب الوطنية في الاقـاليم العربية والاسلامية الى الحزب الوطني الانـدونيسي بـقيادة الزعـيم الراحـل احـمد سوكارنو عام ١٩٢٨ الذي انضوى الشعب الاندونيسي تحت لوائه.

يقول بعض المؤرخين ان حركات القومية والدعوة الى الوطـنية بـعد الحـرب العالمية الاولى كانت اقوى وابلغ من الدعوة الى الدين. فالحركات القومية والوطـنية الجديدة طغت على كل المفاهيم الاخرى في العالم، وتطورت الاشـتراكـية بـجميع مـفاهيمها والشـيوعية بكـل اتـجاهاتها المـاركسية واللـينينية بـجانب اللـيبراليـة والديمقراطية وغيرها وكلها لا يمكن لها التخلي عن الصبغة القومية والوطنية بـل لا يمكن لها التحرر من الروح والطابع الوطنيين فالأحزاب الشيوعية في الصين او فـي يوغوسلافيا او في الهند او غيرها كلها مرتبطة بالقومية، وهذا دليل عـلى ان القـومية

غريزة في النفوس. فالشعور بالقومية والاعتزاز بالوطنية يحتلان المكـان الاول فـي النفوس على رغم ان الشيوعية مثلا تدعي انها عالمية الاتجاه لا تعترف بالقوميات ولا الوطنيات ولا الجنسيات ولا العنصريات، لانها نبتت على اساس فكرة عـالمية فـي المبدأ والغاية، ولكن الواقع الحتمي الذي لا غبار عليه ان روح القومية والوطنية لدىٰ الافراد تغلب علىٰ المبادئ والاتجاهات الاخرى، ولا غرابة ان نرى الخلافات مستعرة بين مفاهيم الاحزاب الشيوعية نفسها، فيوغوسلافيا والصين وغيرها تسير في اتجاه معاكس للاتحاد السوفييتي رائد الشيوعية. واساس الخلاف هو تمسك كل من الصين ويوغوسلافيا بقوميته ووطنيته وربما جر ذلك الى عداوة وقطيعة بل والى مناوشات وحروب كما حدث بين الصين وفيتنام الشمالية وبين روسيا والصين الشعبية عـلى الرغم ان كلاً منها تدين بالشيوعية.

ولهذا نجد ان الدعوة الى الاسلام مهما نالت من القبول والتأييد، فان الصـبغة القومية متغلبة على النفوس في مستوى الافراد او في مستوى الجماعات، فالاحزاب الاسلامية الموجودة لا تتحرك الا في نطاق محدود ومع ذلك تتقيد بالقومية، كالحزب الاسلامي الاندونيسي. ثم اننا لا نجد من الثلاثة والعشرين من الدول العربية من تسمت باسم الاسلام بل نجد الصبغة القومية هي المتغلبة، كجمهورية مصر العربية، والجمهورية العربية السورية، والمملكة العربية السعودية، والجمهورية اليمنية وقد تضيف بعض تلك الحكومات كلمة شعبية وديمقراطية كاليمن الجنوبي سابقاً والجزائر وليبيا وغيرها من الدول العربية البارزة ما عدا موريتانيا، ومهما قيل من ان دين الدولة هو الاسلام تبقىٰ كلمة العربية هي البارزة. وهذا دليل ان الاقليميات قد تغلغلت في النفوس والمشاعر والاحساس، مع ان الاسلام دين واحد لا يعترف بفوارق العنصريات.

والمحاولات التي يحاولها رواد الاصلاح بجعل المسلمين جميعهم يـنضوون تحت راية واحدة ودولة واحدة، هي محاولات شاقة ولا نقول مستحيلة، خصوصاً بعد

انهيار دولة الخلافة وحلول القومية والوطنية محلها وزوالهـا وتـبعثر المسـلمين الى قوميات واقليميات شتى وذلك بسبب انهزام المسلمين امام الغزو الخارجي الجارف.

وهذا بحث قد تداولته اقلام الكتاب والباحثين، ولو استرسلنا في هذا الموضوع لخرجنا مما نحن بصدده، ولكننا تعرضنا له لعلاقته بفكرة النهضة الاصلاحية.

النهضة الاقتصادية

لم يقتصر دور السيد ابن شهاب على الحقل العلمي والناحية السياسية فقط بل كان كفاحه ابعد من ذلك. فدعوته الى النهضة الاصلاحية شملت النواحي الاقتصادية والصناعية أيضاً. كانت دعوته مبنية على اثارة الوعي في افراد الامة ليشعروا بالمسؤولية فكانت دعوته قوية التأثير نافذة المفعول لذا فقد تكللت بالنجاح.

يقول السيد ابن شهاب: ان الاقتصاد جزء لا يتجزأ من حياة امة متحضرة، فالحضارة والمدنية والتقدم لا تتوقف على نوع واحد من الفنون والعلوم كالادب فقط، وانما حضارة أية امة تشمل جميع نواحي حياتها ومتطلباتها، بما في ذلك من العلوم والهندسة والآداب والاقتصاد والاخلاق والطب والصناعة، والقوة العسكرية، والمدارس، والجامعات، والبحوث العلمية. الى غير ذلك.

الامة المتحضرة تدرك عن وعي وفهم وعلم معنى الحرية، حرية الفكر، وحرية العمل القائمة على الرغبة والاستعداد وأن لا يكره المرء على عمل لا يريده. والايمان القوي البعيد عن التعصب والعقليّة المغلقة والافق الضيق هو الدافع الوحيد لثبات العقيدة والمبدأ.

يحث السيد ابن شهاب قومه على اعتماد الاعمال الحرة، مثل التجارة والصناعة والزراعة. كل امة تريد الحياة بمعانيها الحقيقية عليها أن تعوّل في المقام الاول على الاقتصاد.

كانت الحالة الاقتصادية كحالة التجارة والصناعة في اواخر القرن التاسع عشر لا ترضي كل غيور ممن يهمه امر قومه. الوضع الاقتصادي والصناعي لا يزال علىٰ حاله القديمة واصبح يعاني التقهقر امام التقدم الصناعي الاوروبي. فكيف يمكن لامة ان

تطور اقتصادياتها وهي جامدة الفكر؟!

كان اغلب المسلمين مزارعين على الطريقة والاسلوب القديم وقليل منهم يمارسون التجارة وحالتهم الاجتماعية كما ورثوها من اجدادهم. صناعتهم لا تتعدى الصناعة التقليدية المحلية وهي محدودة. والقليل جداً هم ملاك عقارات واصحاب أراضٍ، ويطلق عليهم اليوم كلمة اقطاعيون. حصلوا عليها بالإرث او كانوا حكاما استغلوا مناصبهم لاحتكار الاراضي وجعلوها لهم ولمصالحهم، او كانوا من شيوخ القبائل الذين لهم السيطرة والنفوذ ورثوها عن آباءهم. فالحياة الاجتماعية متأثرة بالحياة القبلية والعشائرية في كثير من بلدان المسلمين بينما سبقت اوروبا المسلمين بعد الثورة الفرنسية وخطت خطوات سريعة علىٰ صعيد الثورة الصناعية، واصبحت اوروبا تنتج والشعوب الاسلامية ليست اكثر من كونها شعوب مستهلكة فقط.

بالرغم من خصوبة تربة البلدان الاسلامية وغنىٰ اراضيها بالمعادن لكنها لم ينتفع المسلمون منها لانها بقيت دفينة، فجاء الاستعمار الاوروبي واستخرج خيرات تلك الاراضي ولكنه احتكرها لنفسه. مرت سنوات عديدة والاستعمار يستخرج خيرات البلدان الاسلامية من معادن الفولاذ والحديد والرصاص والبترول، بينما الشعوب الاسلامية لا تتميز إلا بالفقر وعيش الفاقة، فالافراد فقراء المادة وفقراء العلم، واصبح الجهل يخيم عليهم. ولاتزال ثروات هائلة مدفونة تحت الارض الى اليوم، والناس يمشون عليها ويطؤونها ولا يعلمون عنها شيئاً.

هذه الامور كانت من المواضيع المهمة التي تمر على ذاكرة السيد ابن شهاب وكان يهتم بها اهتماما كبيرا، فيحاور زملاءه واصحابه وتلامذته لحل هذه القضايا التي يراها مستعصية، ويجب حلها من الاساس باجتثاث عروقها الفاسدة كليا. وكان السبب الرئيس فيها ان الجهل والفقر والمرض هي السائدة والمخيمة في المجتمع، فالأكثرية الساحقة من الناس يعانون الفقر المدقع، وهم سكان الاكواخ الذين يرتدون الاسمال

البالية ولا يقدرون على ارسال اولادهم الى المدارس لطلب العلم، والمدارس في ذلك العهد كانت محدودة العدد، كما لا يستطيعون معالجة مرضاهم لدى الاطباء لان اجور العلاج باهضة. ولكن هناك قلة قليلة اثرياء يعيشون مترفين ويسكنون القصور الفخمة، ياكلون احسن الاطعمة في مجتمع غير متوازن. فقير لا يجد قوت يومه وغني يرمي مازاد من طعامه في المزابل وينثر الدنانير لملذاته.

يقول السيد ابن شهاب: لن تفلح امة اقتصادياتها بائرة وصناعاتها بدائية، وتجارتها ضعيفة. ان مقياس تقدم كل امة بمستوى تقدم اقتصادياتها، والاقتصاد ركن الحياة الذي يرفع المجتمع الى مستوى استقلالي رفيع، ويحفظ للانسان كرامته، فإنه يجب أن يعيش مع اسرته حياة كريمة هانئة.

يولي السيد ابن شهاب اهتمامه بالشباب المثقف ويدعوهم لمعالجة الامور الاقتصادية الضرورية للحياة للسير نحو حياة افضل وانجاح الكفاح ضد التخلف الاقتصادي، والاتجاه نحو الصناعة والتجارة والزراعة على ان يكون الاقتصاد اساساً بصفة عامة في حياتهم الكفاحية وأن يكونوا طموحين في اعمالهم الحرة. ان التحرك السياسي لا يجدي ولا يتم ما لم يكن التحرك الاقتصادي موازيا له، وبهذين التحركين تكون النهضة شاملة كاملة. ان الامة المتخلفة اقتصاديا ستكون تابعة لدول اخرى متقدمة اقتصاديا. اذن يجب قبل كل شيء انجاح الكفاح ضد التخلف الاقتصادي للوصول الى المنهج المفضل اتباعه في الانتاج والتوزيع القائم على اساس علمي متين.

لا يمكن لامة تنشد الحياة ان تصل الى مستوى اقتصادي رفيع وقوي صالح للمجتمع ما لم تكن التنمية في مجال الصناعة والزراعة والتجارة ركنا متينا واساساً راسخاً قوياً، وتتمكن من تبوؤ المكان اللائق بها بين سائر الامم المتحضرة والمتقدمة صناعيا. ان العمل السياسي الناجح هو الذي يعتمد على الاقتصاد.

لا يفضل السيد ابن شهاب اندفاع الشباب الى الوظائف، ظاناً أنه لا امل له إلا في

الحياة الوظيفية فقط. فبهذا يكون قد باع حريته واصبح يتعلق بغيره. على الشباب ان يندفع الى حب الاعمال الحرة في جميع المجالات ومرافق الحياة التجارية والصناعية والزراعية وان كانت في اول خطوات العمل وليس في هذه الاعمال شيء مستهجن وإن صغر فالصناعة والتجارة والزراعة الواسعة الكبيرة انها تبدأ من شيء بسيط مصحوب بالصدق والوفاء وحسن الخلق لكسب ثقة المعاملة.

نجح السيد ابن شهاب في مشروعه هذا في توعية الشباب للاتجاه نحو الاعمال الحرة، وكان ذلك ضمن نهضته الاقتصادية العامة وانخرط الكثير من الشباب في المعاهد المهنية والصناعية والحرفية، وتدربوا ونجحوا وشقوا طريقهم للاعمال الحرة واصبحوا فيما بعد من كبار رجال الصناعة واسسوا شركات مساهمة كبيرة في التجارة العامة واقاموا مصانع كبيرة للحديد والنسيج والاحذية وغيرها.

هذا النجاح الذي احرزته الامة هو نتيجة حث وتوجيه السيد ابن شهاب لامته وخصوصا الشباب منها وترغيبهم لممارسة العمل الحر وكان في دعوته دائما يضرب لهم الامثال بالناجحين في الواقع التاريخي مستدلا بحوادث ووقائع عالمية كثيرة في الغرب والشرق كل ذلك للترغيب في الاعمال الحرة.

قد يكون صاحب مهنة مغمورا مجهولا لا زبائن له إلا ما قل وندر، ولكن عندما نبحث عن أسباب تأخر عمله وندرس القضية، نجد نقاط الضعف تكمن في نفسه وروحه. فقد يكون السبب هو عدم عنايته بعمله وتهاونه واستهتاره بحقوق زبونه، أو انه لا يفي بما يعد فاساء الى عمله وفقد زبونه وخسر، ولم يثق به احد. اما الزبون فامامه طرق اخرىٰ الى اصحاب آخرين للمهنة نفسها يسد بها موضع حاجته. والزبون المرتاح هو اكبر داعية.

هناك اصحاب مهن نجحوا في اعمالهم وبلغوا القمة ذلك لانهم اصحاب همم عالية يشعرون بالمسؤولية، يؤدون الامانة ويصدقون في مواعيدهم فنالوا ثقة

الجمهور. وهكذا نجح الكثير في المهاجر الشرقية في اعمالهم التجارية وأسسوا مصانع هائلة للنسيج وصناعة الاخذية والملابس الجاهزة بآلات حديثة لا للاستهلاك المحلي فحسب ولكن للتصدير وتسويق المنتجات في الاسواق العالمية.

النجاح والفشل في الاعمال يعود الى مدى مستوى المسؤولية والشعور بالوعي والطموح والروح الكبيرة. وآثر الناجحون منهم توسعة اعمالهم اعماله بالتخطي الى بلدان اخرى طلبا للمزيد من الكسب واصبحوا من كبار رجال الاقتصاد والصناعة في المهجر الشرقي وبذلك ازدهرت التجارة والصناعة.

هؤلاء هم الذين ساروا على نهج الخطة الاقتصادية التي وضعها السيد ابن شهاب، فاسسوا شركات صناعية وتجارية وزراعية. تولت هذه الشركات بناء العمارات التجارية والسكنية وفنادق فخمة ومطابع ودور للنشر تصدر الكتب والجرائد والمجلات باللغة العربية والاندونيسية، ومصانع للنسيج تنافس المصانع العالمية، حتى ان الوفد التجاري المصري عندما زار احدى تلك المصانع قال: انها تضاهي مصانع «المحلة الكبرى للنسيج» بمصر. اما المزارع فكانت تغطي مساحات واسعة من الأراضي وهي معدة لزراعة الشاي والقهوة والتبغ والقرنفل وتصدر حاصلاتها الى اوروبا وأميركا وبعضا منها الى الشرق الاوسط، وكانت هناك شركة ملاحة، وشركات تجارية للاستيراد والتصدير.

وكانت الشركات الاوروبية تحميها دولة الاستعمار، وتقدم لها كل التسهيلات وترعى مصالحها والدفاع عنها حفاظا على بقاء مراكزها الاقتصادية، فأن بقاءها يعتبر دعما لكيان الاستعمار، وكان الصراع والمنافسة قويين بين قوم لا دولة لهم وبين امة تحميها دولة.

وبنجاح المشروع الاقتصادي نجحت المشاريع الاخرى، وان كانت لم تبلغ المستوى المطلوب في ذلك الوقت.

كان لنداء السيد ابن شهاب صدى كبير في الاوساط المثقفة فقد تضاعف الاهتمام لدى المثقفين في بالمسائل الاقتصادية، فكانت النهضة الاقتصادية التي سار الكثير فيها على هذا النهج القويم فاصبحوا رواداً ومصلحين.

تمتاز هذه النهضة الاصلاحية من الناحية الاقتصادية بظاهرة حسنة، وهي اقبال الشباب لارتياد الاعمال الزراعية والصناعية الحرة وعدم الاكتفاء او الارتباط بالتوظيف فقط.

فالامة التي تنشد الفلاح في حياتها وتريد تبوّؤ المكان اللائق المحترم لها يجب ان تعتمد على نفسها اقتصاديا، وأن تكون حرة في تصرفاتها واعمالها وفي تنفيذ مشاريعها الانمائية بدون ارتباط خارجي إلا على اساس التكافؤ والمساواة في المصالح المشتركة. ولا يمكن لاية جهة من الجهات الاخرى استغلال خيرات الامة لصالحها فقط.

لم يكن النجاح في النهضة الاقتصادية نجاحا ساحقا وانما كان يسيراً في اول مراحله.

يقول السيد ابن شهاب: ان الامة المتفرجة على البضائع المستوردة في واجهات المعارض هي امة استهلاكية ولكن الامة الحية هي التي تلبس مما تصنع.

ويقول أيضاً: ان الامة القوية هي الامة المتفوقة اقتصاديا، صناعة وتجارة، تحكم نفسها بنفسها ولا يتحكم بها غيرها من الامم. الامة الضعيفة اقتصادياً تكون ضعيفة في تجارتها متأخرة في صناعتها، فهي دائما وابدا متعلقة بغيرها وفي حاجة ماسة الى سواها.

لم يكن المسلمون يملكون في ذلك الوقت مصانع بالمعنى المفهوم كالمصانع المتطورة الموجودة في اوروبا وأميركا واليابان. فان اقيم مصنع في احدى بلاد المسلمين فهو ملك لغيرهم وليس لهم شأن فيه، سوى ان المصنع أقيم في بلده تحت

حماية الاستعمار. بلدان اوروبا وأميركا واليابان تنتج وبلدان المسلمين بمثابة اسواق لمنتجات تلك البلدان.

جاء الاستعمار غازيا بدافع اقتصادي، فاحتكر خيرات البلاد، ولم يكن غزوه ارتجاليا، ولكن كان مبنياً على دراسة وتخطيط.

لاح نجاح مشروع السيد ابن شهاب في اول مسيرته ولكن هذا النجاح لم يدم طويلاً فقد ارتطم العالم بحرب عالمية ضارية تعرض فيها الاقتصاد الحر للانهيار، اذ صودرت الممتلكات واممت التجارة فانقلبت الموازين.

وبعد هذه النظرة السريعة، نجد ان السيد ابن شهاب يرى ان الامة الاسلامية تعيش متخلفة اقتصاديا ومنهارة، عاجزة عن التحرك لتطوير حالتها الا٤قتصادية الى مجتمع اقتصادي أفضل، لعجزها الناجم من عدة اسباب رئيسة، فهي ترى العراقيل الواهية امامها وكأنها عقبات كأداء لا يمكن تخطيها فاستسلمت ورضيت بحالتها.

يقول السيد ابن شهاب: ان الخطأ ناجم من الجهل الذي جر الى حب الانزواء والخشية، فوقعت الامة في تخلف اقتصادي مرير. والحل الاول و الوحيد هو التسلح بالعلم حتى يتمكن المرء من التحرك الحر على علم في إطار اقتصادي سليم وبذلك تحل مشاكل التخلف الاقتصادي الذي يعانيه المسلمون.

وهكذا شمر السيد ابن شهاب عن ساعد الجد ودشن حركة نهضته الاصلاحية اقتصاديا واجتماعيا وسياسياً، ووضع المنهج الاصلاحي السليم للحاق بركب الامم المتقدمة اقتصاديا، وهي شعوب اوروبا، وعليه يجب التخلص التام من روح الانزواء والخوف والتبعية، وازالة كل ما علق بالاذهان من فكرة خاطئة بان هذه الدنيا خلقت للكافر وان للمسلم الآخرة.

يرى السيد ابن شهاب ان المسلم يجب عليه ان يكون عالما مثقفا حراً قادراً على استثمار مواد بلاده الاولية، مستحوذاً على اقتصادها الكامل، ساعياً للتخلص التام

من سيطرة الاقتصاد الاجنبي بنوعيه الرأسمالي والاشتراكي وعدم التقيد كليا بهذين النظامين مما يمكنه من الاتجاه إلى اقتصاد اسلامي سليم. ومتى استطاع المسلمون ان يطبقوا هذه النظرية الاسلامية، فانهم يقدرون على استيعاب القوة الكامنة لديهم، لتكوين شخصيتهم الاسلامية امام تلك القوىٰ الأُخرى. وبذلك يحفظ المسلمون كيانهم الاقتصادي السليم، لان كلا الاقتصادين الرأسمالي والاشتراكي اقتصاد استعماري يصطدم مع النظم والمتطلبات الاقتصادية الاسلامية، واقتصاديات الامم المتخلفة والمحتلة والمستعمرة. فالاقتصاد الاستعماري من رأسمالي او اشتراكي يفرض الاحتكار للقوى الاقتصادية الاستعمارية لذا فالمسلمون في هذا الواقع الاليم يواجهون معركة ضارية ضد الاستعمار الاقتصادي في سبيل حصولهم علىٰ لقمة العيش.

وهكذا فان نظام الاقتصاد سواء كان رأسمالياً أو اشتراكياً هو نظام ريادة للاستعمار اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا، حتى ان بعض المسلمين من ضعاف النفوس يشعر بانه ليس بالامكان للشعوب المتخلفة بصفة عامة والمسلمين بصفة خاصة منافسة الاقتصاد الغربي او اللحاق به فهو الذي قد بلغ اوج النجاح.

هذه نظرية خاطئة من اساسها، فالامة اليابانية استطاعت ان تكون لنفسها شخصية عالمية محترمة تبوأت بها مستوى عالياً اقتصاديا وصناعيا وسياسيا، وما حادثة ١٩٠٥ ببعيدة إذ استطاعت ان تدحر قوة اوربية كبيرة[١] واصبح لليابان كيان عالمي مرموق وشخصية محترمة.

إن نقطة الانطلاق الوحيدة لتطوير اوضاع الاقتصاد الاسلامي، هي قبل كل شيء تطوير التفكير لدى الشعوب الاسلامية، ولا يكون ذلك إلا بمحو الامية والارتشاف من مناهل العلم حتى تتفتح الاذهان فتوجد في عقلية المسلمين روح فياضة ونفسية

---

(١) اما الآن فلليابان شأن اكبر، تنافس دول اوربا العظمى باجمعها وهي فريدة والكل يخشاها.

مجاهدة على اساس علمي متين سليم، وأن يسلك المسلمون منهجا قويما يمكنهم من القفز في فترة قصيرة، وباستخدام القدرات العلمية لديهم والوصول الى ارفع المستويات الاقتصادية العالمية بصورة سريعة منتظمة. ولا ريب ان المسلمين سيلاقون محاربة اقتصادية شرسة من الجهة المعادية ويتوقف نجاح المسلمين في هذا الصراع الاقتصادي على مدى قدرتهم الدفاعية وقوتهم في مجابهة العدو وجلادتهم امام تلك القوى التي تستنزف كل طاقات المسلمين الاقتصادية والمالية لترديهم في حضيض الخسران والوبال ويعود المسلمون الى خط التخلف الاقتصادي يعانون المتاعب والمشاكل الكثيرة العويصة. صراع من اجل البقاء. هذا شأن الانسان الحي الذي يريد الحياة الأفضل. ولن ينجح الانسان او يحق له أن ينتظر النجاح وهو مكتوف اليدين، ضعيف الروح منزوٍ يجهل كل شيء.

الحياة جهاد، والجهاد علامة الحياة وهو مر ومرير. ولن يحصل النصر إلا بالجهاد والصبر والتضحية والجلادة امام كل القوى المعادية وعلى جميع المستويات ثم تطبيقه ليكون ركنا وحصنا قويا منيعا لانجاح الاقتصاد المنشود ورفع مستواه من وضعه الوضيع الاليم، وذلك في اطار اقتصادي اسلامي صحيح يقوم على اساس ايمان المرء بعقيدته الاسلامية الصحيحة وصلته باللّٰه تعالى، وانه هو وحده الرحمن الرحيم لمن اطاعه.

الامة المتأخرة اقتصاديا هي التي لا تملك زمام ثروتها الطبيعية من المعادن والزراعة، ولا تملك المصانع فهي امة متخلفة اقتصاديا وصناعيا، اذ تسيطر عليها القوى الرأسمالية. فهذه الامة وإن كانت في ظاهرها مستقلة لكنها في حقيقة امرها مستعمرة، متخلفة اقتصاديا، مكبلة بالقيود التي لا ترى. ولا تزيد هذه الامة في واقعها عن قطع الشطرنج على اللوحة حيث يضعها القوي وينقلها ويفعل بها كيفما شاء تبعا لمصالحه.

واخيرا نصل الى نتيجة أن العلم والادراك والفهم كفيل بجعل الانسان المسلم يشعر بواجبه ومسؤوليته التي القاها اللّٰه عليه. فهو مسؤول امام ربه، ماذا قدم في حياته لصلاح امته التي هو احد افرادها وجزء لا يتجزأ منها؟

ان هذه المسؤولية التي يشعر بها هي التي تجعله يؤدي واجبه نحو مجتمعه وامته متجردا عن الانانية وحب الذات مؤثراً لغيره على نفسه، وللصالح العام قبل مصالح نفسه الذاتية.

ان هذه هي الاخلاقية الحقة التي يجب ان يتحلى بها كل فرد مسلم في هذه الأرض تأدية لرسالة الاسلام طول حياته حتى يفارق هذا العالم.

وهل نجد الآن ولو جزءاً طفيفاً من هذه الاخلاقية لدى الانسان المسلم اليوم؟ سؤال يحتاج الى اكثر من جواب.

منهجه

لم يسلك السيد ابن شهاب في منهجه العملي والتفكيري الطرق التي يسلكها الزعماء والقادة السياسيون المحترفون او الذين يفرضون رأيهم بالقوة على الغير او كما يفعله بعض رجال الدين ممن لهم مآرب بالالتجاء الى التخويف والوعد والوعيد بعذاب السعير وسقره باصدار شتى الفتاوى التي لا يمكن الحياد عنها ولا مخالفتها والتي تقوم بتخدير العقول بالخوف والويلات والرهبة، حتى يكون المخدر منقادا كالسوام الصماء، منهار الشخصية فاقد الاحساس.

هذه الاوضاع الفاسدة هي التي غلّت الافكار وجمدت العقول. ومن هذا المنطلق اندفع السيد ابن شهاب وقام بدعوته الى النهضة الاصلاحية، لاصلاح الاوضاع الفاسدة وتقويم المعوج وتنوير ما فسد من الافكار المسمومة وتهذيب الشعب وتقويم وانقاذ الشباب لئلا يقع في الهاوية لتكوين مجتمع متعلم متنور واع يشعر بالمسؤولية فلا يتعدى احد على احد ولا يتلاعب الناس بالدين ولاكل من جاء يصدر الفتوى الا من كملت فيه الشروط مع الورع والتقوى بأن يقول الحق ويحارب الباطل.

يقول السيد ابن شهاب: ان باب الاجتهاد مفتوح لمن كملت فيه الشروط وهو أن يكون كفوءاً مع التمسك بالمبادئ الاخلاقية السامية ولا يعمل الا لمصلحة الامة. لا يتسورن احد الى مركز ليس هو من اهله فلا يدعي أحد انه طبيب أو حقوقي إلاّ من كان حائزاً لشهادة الطب أو الحقوق. ولكن في الدين اختلط الحابل بالنابل وهذا هو سبب الفساد الاجتماعي في الامة.

ان كم الافواه ومحاربة الحق أمر معروف من العصور القديمة اذ لا يبقىٰ الحكم الا بالاستبداد والجور، فالطغيان والاستبداد بموجب عرفهم وسيلة لابقاء حكمهم

والمحافظة عليه، فالاستبداد هو المسيطر على الاتجاهات الفكرية الحرة والمحارب لها.

والطغيان يورث الانفجار، ولذا نجد أن الثورات تحدث اثر الظلم والطغيان وقد تتطور الى سفك الدماء والىٰ حروب طاحنة، وما اكبر امثال تلك الحوادث مما ملأُكتب التاريخ. وما اكثر من اهتموا بدراسة تلك الحوادث التاريخية وتحقيقها من مصادرها الاصيلة السليمة.

ونرى ان السيد ابن شهاب في خطواته واعماله لم يكن مرتجلاً أو متسرعاً أو عاطفياً ولكنه كان يعمل بروية وبعد تفكير عميق معتمدا على الدراسات ولا يستغني عن مبادلة وجهات نظره مع زملائه ومن كان معه في الامور، فالكل يشاركونه في الأعمال شاعرين بالمسؤولية نحو المجتمع مع عدم الاستهانة حتى بصغائر الامور، فان صغائر الامور قد تجر الى مشاكل مستعصية، وفي هذا المعنى يقول السيد ابن شهاب:

وإن النار أولها وميض ويقفوها التهاب واشتعال

فهو يفكر دائما في كيفية درء الشر قبل استفحاله، لان بالاهمال تقع الطامة. فالظالم والطاغي والجائر كانوا في البدء اطفالا شأنهم شأن غيرهم، ولكن سوء التربية ومن ثم كان تربعهم علىٰ المناصب الحساسة وتقلدهم مقاليد الامور بدون حد ولا رقابة جاراً الى السيطرة المطلقة ثم الى الاستبداد.

فالمنهج الاصلاحي الذي وضعه السيد ابن شهاب في استراتيجية النهضة الاصلاحية كان مبنياً على اساس متين وراسخ مبتدئاً فيه بالتربية والتعليم لاختيار الكوادر الصالحة، ولا عجب أذ نجح في اعماله في جميع مراحلها، ولذلك عرفت خطواته بالمدرسة الفكرية.

عندما وصل السيد ابن شهاب الى المهاجر الشرقية لم يجد فيها معاهد عالية فضلا عن جامعات بالمعنى المعروف في العالم او على الاقل ما يساوي جامعة الازهر

بمصر والزيتونة بتونس والجامعات الدينية بالمغرب والحوزات العلمية بالنجف وايران او بعض الاربطة الدينية في البدان الاخرى، وانما توجد كتاتيب بسيطة لصغار الاطفال، فأثارت هذه الاوضاع روح السيد ابن شهاب ومن هذا الاساس انطلق في دعوته الاصلاحية مبتدئاً بالتعليم العام وتطوير اساليبه مواكباً للتقدم ومتمشيا مع متطلبات الزمن المتجددة، التقدم وذلك بتأسيس معاهد عالية ثم جامعات تضم كليات الطب والهندسة والعلوم وغيرها مع ابقاء الحوزات الدينية العالية وتطويرها تطويراً لتكون في مستوى لائق للمركز الديني.

كان السيد ابن شهاب يعلم حقاً ان المسألة عويصة وليس من السهل ان يقوم منفرداً بحلها، وهو يعلم ان امثال تلك الاعمال لا تقوم بها الا الدول، وليس في زمنه دولة اسلامية إلا دولة الخلافة، وما سواها سلطنات هزيلة ضعيفة واقعة تحت حكم الاستعمار الغربي والشرقي، وحتى دولة الخلافة تعاني ما تعاني من ضغوط دول اوروبا. وامام تلك الاوضاع التي لا يمكن السكوت عنها، لابد من تحقيق الهدف بانتشال تلك المجتمعات المتخلفة من الحضيض ورفعها الى مستوى الامم المتحضرة، ويحتاج هذا المشروع الى مجهود عظيم قد يدوم عدة سنوات. فالعلم والوعي هو الاساس الوحيد لتبوؤ المكانة الحضارية العليا بين شعوب العالم المتحضر وبالعلم وحده يرتفع قدر الامم والشعوب الى القمم، ويستحيل علىٰ امة أن تنال الحياة بدون علم.

يقول السيد محمد احمد الشاطري احد رجال العلم الافذاذ حول هذا الموضوع:

ان السيد ابن شهاب في الناحية العلمية كان يقوم بدور فعال في التوعية وفهم الاسلام وتعاليمه على الوجه الصحيح، فكان يعارض الممجدين للملوك من بني امية وبني العباس المعروفين بالاقطاع والاستغلال، والمناهضين للدعاة الى الثورة الاجتماعية الاسلامية الصحيحة من ائمة اهل البيتعليهم السلام، فهو مثلا يشجب الاعمال المادية التي

يقوم بها معاوية بن ابي سفيان وشركاؤه من توريث الملك والسلطة، ومن تـصرفاته الخاطئة ضد الامام علي بن ابي طالب[1].

ويستطرد السيد الشاطري قائلاً: انه يوجد في ديوان السيد ابن شهاب قصائد ومقاطع عديدة يعالج بها النعرات والامراض الطائفية الاجتماعية.

واليوم ونحن علىٰ أبواب القرن الحادي والعشرين الميلادي، ماذا عن احـوال المسلمين واوضاعهم؟ نرى امما متفرقة وشعوبا متمزقة ودولا شتى مـتجزئة الى ٤٢ دولة بين جمهورية وملكية متوارثة وامارات وسلطنات هزيلة غير مستقرة في مهب الريح تتجاذبها الدول الكبرى صاحبة السلطة المطلقة والصولة النـافذة بـين شـرقية وغربية.

هذا هو وضع المسلمين اليوم، اما وضع العرب فأمر وادهى، ان مجموع عـدد العرب من الخليج الى المحيط يتجاوز المـائة والسـتين مـليونا بـموجب الاحـصاء التقريبي كما نشرته الصحف العربية. والعرب ممزقون الى ٢٣ دولة بـين دول تـدين بالاشتراكية، والبعثية، والماركسية والرأسمالية وكلها اما تسيطر عليها القوى الشرقية او الغربية، والحكام يتبعون اهواءهم وما تقتضيه مصالحهم الذاتية، ولذا حـدثت بـينهم صراعات وتناحرات بحيث اصبحت حالتهم تمثل اسوأ الاحوال للقرون المظلمة حيث تستعبد الشعوب وتكم الافواه.

يتساءل المتنورون المتحمسون الذين عاشوا تلك الاوضاع المأسوية وأضنتهم الفوضى والطغيان، هل من رجاء للبر والصلاح؟

يقول الاستاذ خالد محمد خالد في الصفحة ١٨٦ من كتابه (من هنا نبدأ) ما يلي: (الحقيقة ان الحكومة الدينية اليوم وان ظفرت بهذه التسمية التي توهم ان لهـا صـلة بالدين، لا تستلهم مبادئها وسلوكها من كتاب الله ولا من سنة رسوله، بل من نفسية

---

(١) ادوار تاريخ حضرموت للاستاذ السيد محمد احمد الشاطري / ص ٢٤١.

الحاكمين واطماعهم ومنافعهم الذاتية ومن تلك الغرائز التي تصدر عنها في كل اتجاهاتها).

ثم يقول في صفحة ١٨٨: (فزعمها انها ظل الله في الارض وهو الامر الذي تستمد منه قوتها لا يلبث ان يتكشف زيفه وبهتانه، حين يكتوي الناس ببغيها ويلفحهم هجيرها فتفقد ثقتهم ويتضاءل احترامها في نفوسهم).

يقصد الاستاذ خالد محمد خالد بقوله ذلك بعض الدول العربية الموجودة الآن منذ زوال الخلافة عام ١٩٢٤، وهذه الدول التي تدعي انها دول اسلامية ودستورها القرآن هي من اساسها تخالف الاسلام افقيا وعموديا وتمارس الاستبداد المطلق وتتوارث الحكم مدعية انها حامية الاسلام.

سبق لنا ان قلنا قبل هذا ان السيد ابن شهاب في منهجه للنهضة الاصلاحية لا لايؤمن بالثورة المسلحة واراقة الدماء وهدر الارواح في اي عمل من الاعمال للوصول الى الهدف، ولكنه يؤمن بمنهجه ان النجاح والفوز لا يحصل الا بنشر العلم وبث الوعي بين الافراد باسلوب التطوير التدريجي، لان الثورة المسلحة واراقة الدماء، وتلك الخطوات من الاعمال العنفية مما يثير الاحقاد ثم يجر الى الظلم، فيفقد الهدف، في الوقت الذي يحتاج الناس الى صون تلك الدماء.

المنهج الذي اتخذه السيد ابن شهاب كان نتيجة دراسة وتحقيق من جميع الجوانب وبحث ما ينتجه ذلك من آثار. وبتلك الخطوات استطاع ان يكشف ما خفي من الامراض الاجتماعية، ووضع لمنهجه العملي الاساليب والطرق الكفيلة بالنجاح والتي يجب اتباعها والسير عليها.

يقول السيد عبد الله المدحج احد العلماء المحققين المقيم في حيدر آباد: «ان الملامح البارزة في شخصية السيد ابن شهاب، الاخلاص والتضحية وتتجسد هذه الصفات النبيلة في روحه واضحة جلية. لقد اثبت التاريخ ان من كان في صف السيد ابن

شهاب هو مع الحق والحق معه، ومن كان في غير صف السيد ابن شهاب بطبيعة الوضع والحال اما ان يكون من الحاقدين عليه او عميلا من العملاء لجهات معروفة ليكفل مصالح المستعمر. ونشهد ان الظروف التي مرت على السيد ابن شهاب كانت ظروف قاسية ولكنه استطاع التغلب عليها وهي التي جعلته شخصية عظيمة بارزة عملاقة لا يوازيه احد في عهده».

بذل السيد ابن شهاب جهودا جبارة لتطبيق المنهج الذي وضعه لانهاء الاساطير المستحكمة في عقول الشعب المغلوب على امره من سطوة المستبدين والظلمة والطغاة. فلم يترك مجتمعا موبوءاً بالفساد الا اتصل به، ولا جائرا الا نصحه ولا حاكما مستبدا او ظالما الا وعظه باسلوب حكيم وقول حسن، فاستطاع ان يردع الكثير منهم الى الصراط السوي والى الاعمال الخيرية بدون اراقة دماء ولا التجاء الى القسوة فقدروه وشكروه وأجلوه. ولو حذا غيره حذوه لكفيت الشعوب تلك الثورات والدماء المراقة.

عندما نراجع صفحات تاريخ السيد ابن شهاب يتبين لنا المنهج القويم الذي سلكه في حياته وجهاده لتحقيق الاهداف السامية، وتتراءىٰ لنا الشخصية الفذة التي تتهاوىٰ امامها كل القوى المعارضة، ذلك لان منهجه العملي كان مبنياً على اساس متين، ومعه خيرة من الشباب المثقف المتنور الذي هو عماد الحركة. ولا غرابة اذا تهاوىٰ العملاء الواحد تلو الآخر امام هذه الجبهة الفولاذية.

ان المشكلة الاجتماعية انما تكمن في العقول المتحجرة والاتباع الذين يتبعون طريقة الببغاء تقليدا ولا يعرفون شيئا الا ترديد قول من سبقهم، فهو مقلد اعمى وبدون فكر ولا روية وعقل، لانه ببغاء. وازاء هذه المشكلة كان لابد للمنهج الذي وضعه السيد ابن شهاب اولا من إذابة تلك الاحجار الصلدة من تلك العقول، لتستطيع ان تقبل الحق ودعوة الحق على بصيرة وعلم ودراية، وبذلك تتوسع الافكار إلىٰ مجال النظر والبحث.

فالجمود الفكري لا يضر بالفرد صاحب العقل المتحجر ولكن يضر بالمجتمع، مما يجعل الامة لقمة سائغة للغزو الاستعماري واداة يستغلها المستعمر لمصالحه.

فالمنهج الذي وضعه السيد ابن شهاب يستوعب جميع مراحل النهضة الاصلاحية والمستويات السياسية والاقتصادية والتربوية والتعليمية وهذا المنهج لا يمكن ان يكون منهجا صامتا، ولكن يجب ان يطبقه عمل متواصل وكفاح مستمر بدون يأس ولا ملل.

والسيد ابن شهاب في جميع اعماله كان متأسيا بمن سبقه من عظماء الرجال بايمان قوي وصبر عظيم، والمنهج الذي سلكه وسار عليه متوقف على امرين:

الاول: تنوير العقول المتحجرة.

الثاني: التحرر الفكري من التبعيات.

هذا هو المنهج الاول الذي يربط ربطاً وثيقا بين الفكرة والعمل والذي بنيت عليه حركة النهضة الاصلاحية.

والحياة كما يقول الشاعر احمد شوقي، مبدأ وعقيدة وجهاد للوصول للهدف والغاية.

فكل انسان بدون عقيدة ولا مبدأ ولا هدف له في حياته هو امرؤ اشل في هذه الدنيا. وصاحب المبدأ والعقيدة هو الانسان الحي الذي يكافح ويستميت لمبدئه وعقيدته للوصول الى هدفه المنشود. والحياة صراع وكفاح بجميع انواعه ومتطلباته، وصاحب العقيدة والمبدأ هو الذي يشعر بالمسؤولية في هذه الحياة. فكل من التاجر والفلاح وطالب العلم ان لم يكن له مبدأ وهدف في حياته فهو الفاشل الحقيقي.

والمصلحون يجاهدون ويكافحون لا لانفسهم او لمصالحهم الذاتية ولكن للامة وللشعب وللصالح العام.

يقول الشيخ صالح بن سند الكثيري احد زعماء عشيرة آل كثير، في مناسبات

كثيرة عندما يذكر السيد ابن شهاب:

ان السيد ابن شهاب مصلح عظيم وزعيم عملاق، حارب الباطل فأزاله، فحطم الاصنام البشرية ورفع مستوى الشعب المستضعف الى مستوى رفيع ونصر المـظلوم وقاوم الظالم ونشر العلم بين الشعوب، فلا غرابة ان ينهال الناس نحوه يلبون نداءه.

الصحف والصحافة في نظر
السيد ابن شهاب

الصحف والصحافة في نظر السيد ابن شهاب هي اعظم وسيلة يجب اتخاذها في جميع الاعمال وبالاخص في سبيل الدعوة للنهضة الاصلاحية، ولا تختلف نظريته في الصحافة والصحف عن نظريات عظماء الرجال، كما يصفون الصحافة بانها القوة الرابعة، والسلطة غير المتوجة.

ولكن السيد ابن شهاب يشترط في الصحافة ان تكون حرة ولا تكون تحت سيطرة حاكم أو تأثير سلطان أو متزلفة، شانها في هذا شان المحدثين في العصور الماضية.

كان السيد ابن شهاب ممن يهتم بالصحف والصحافة، وكان يوجه توجيهاته إلىٰ زملائه لشق الطريق واصدار الصحف، ففي عهده صدرت صحف ومجلات من سنغافورا وفيناغ (فلفلان) وجاكرتا وسورابايا وفكالوغن.

يقول السيد ابن شهاب: ان الصحفي يجب ان يكون ذا مبدأ وعقيدة راسخة يستميت في الدفاع عنها وعن الحق وتوعية الشعب والدفاع عن المستضعفين لا العكس وأن لا يكون بوقا لحاكم أو سلطان أو ارباب المصالح.

الصحفي والكاتب والداعي والزعيم كلهم في مستوى واحد علىٰ ان يكونوا نزهاء يدافعون عن الحق لانه حق ويحاربون الباطل لانه باطل.

إذا راجعنا صحف المهجر الشرقي منذ حين بروزها في عهد السيد ابن شهاب ثم بعد وفاته الىٰ اندلاع الحرب العالمية الثانية نجدها في مستوى رفيع، وتلك الصحف المتخصصة في السياسة أو الاجتماع أو الاقتصاد أو الادب أو غيرها تتميز بابحاثها ومعالجتها للامور السياسية أو الاجتماعية أو الادبية. فجريدة الاقبال وحضرموت مثلاً

وهي من ارقى الجرائد في المهجر الشرقي واوسعها انتشاراً تضاهي الجرائد المصرية ومثلها بجلة السلام والعرب وصوت حضرموت والنهضة الحضرمية والامام والرابطة وغيرها من المجلات الادبية لا تقل عن ارقى المجلات التي تصدر من مصر والشام بحثاً وتحريراً واخراجاً وتبويباً وطباعة، ولا تزال هذه الصحف محفوظة بايدي بعض الافراد. كما ان هناك مجلات فكاهية وانتقادية حرة مثل بجلة المكوى ومجلة برهوت ومجلة الترجمان وغيرها.

والصحفيون في المهجر الشرقي في ذلك الحين من الاحرار الذين لا يتقيدون بشيء إلّا النزاهة، فهم احرار لا ينتمون إلىٰ اية جهة من الجهات وغير متأثرين بشيء فلا تسيّرهم سلطة أو هيئة.

يقول السيد ابن شهاب: ان العدالة هي الحرية، وان الحرية هي العدالة، وحدة لا تتجزأ. فكيف يمكن لحاكم ان يحكم بالعدل ان لم يكن حرا وكان مقيدا لجهة من الجهات أو تحت سيطرة حاكم أو قوة نفوذ هيئة من الهيئات أو متأثرا بشيء؟ فهو في هذه الحالة لا يستطيع ان يحكم بالعدل. فالامام علي عليه السلام يقول: لا تكن عبدا لغيرك وقد جعلك الله حرا.

ان المستبد وارباب المصالح يكرهون الحرية ويحاربونها، وكل من يحارب الحرية فهو طاغٍ.

من هذه الامور تتجلىٰ واضحة فكرة السيد ابن شهاب ومدىٰ محاربته للاستبداد والطغيان من جميع جوانبه بلا هوادة.

مواقفه السياسية

السيد ابن شهاب من الذين لا يرون للقومية والوطنية مكانا في الاسلام، لان الاسلام هو العقيدة الوحيدة والمبدأ والهدف الذي يجمع المسلمين في بوتقة واحدة. فشمر عن ساعد الجد ورفع مشعل الدعوة للوحدة الاسلامية متشبثا بالخلافة الاسلامية رمز وحدة المسلمين، ففي نظره مهما تكن وضعية الخلافة الاسلامية، فان المحافظة علىٰ وجودها وبقائها واجبة. ووجودها كفيل بإثارة حمية الوحدة الاسلامية، وهي الرابطة التي تربط المسلمين من خلال الانضواء تحت لوائها. وبدون وجود كيان الخلافة الاسلامية سيتفرق المسلمون شذرا نحو قوميات مستوردة وعنصريات مختلفة متفرقة كاشلاء متناثرة وحينئذ يسهل علىٰ الاعداء استعبادهم لانهم فقدوا قوتهم المعنوية فانحلت كل الروابط التي تربطهم بالسند الاعظم الذي يأوون تحت ظله. ومن هذا المنطلق كان السيد ابن شهاب يدافع عن الخلافة ويرىٰ وجوب المحافظة عليها وتأييدها تأييدا كاملاً ومقاومة كل التيارات الفكرية من مكر الاعداء التي تحاول فصل الدين عن الدولة. ولتحقيق فكرته التي يدعو اليها ويؤمن بها، دعا المسلمين اليها فجاب البلدان الاسلامية متنقلاً بين مدنها وقراها للاتصال بزعماء الامة وعلمائها للتفاهم معهم وللمحافظة علىٰ الجبهة الاسلامية الموحدة وسد طرق تلك التيارات الجديدة الوافدة الهدامة ومقاومة فكرة القومية وشعار الوطن للجميع والدين لله لتكون الدولة علمانية ومعنىٰ ذلك القضاء علىٰ كيان الوحدة الاسلامية وازالة الخلافة من الوجود. ومسألة تدمير الخلافة امر متفق عليه، ولو لزم استخدام القوة لتحقيق هذا الهدف[1].

(١) تحققت امنية الاعداء، وازيلت الخلافة وتشتت المسلمون إلىٰ ٤٢ دولة بينها ٢٣ دولة عربية علمانية وان ادعىٰ بعضها

نجح السيد ابن شهاب في دعوته للدفاع عن الخلافة في فترة من فترات زمانه ولكنه شاهد قبل وفاته متحسراً انهيار دولة الخلافة الاسلامية عام ١٩٢٢ وبانهيارها ختمت الخلافة الاسلامية وانتهى دورها وتحقق هدف الاعداء ومنها تفرق المسلمون مع كل ريح يميلون فاستعمرتهم دول الغرب والشرق الشيوعي، وهو الواقع الذي كان يخشاه السيد ابن شهاب وقد وقع فعلاً علىٰ رغمه ورغم المسلمين اجمعين.

ماذا كان يقول السيد ابن شهاب عن الخلافة التي هي رمز الوحدة الاسلامية فلنسمع قصيدته التي وجهها إلىٰ الخليفة عبد الحميد:

امير المؤمنين أجل غازٍ	بقائم سيفه الدين استقاما
خليفة عصرنا المرضي فينا	لدنيانا وللدين الاماما
هو الطود المنيع المرتقى في	حماه الجار يأمن ان يضاما
قرين عرائس المجد اللواتي	سمت إلا له عن ان ترامى
به تزهو المنابر حين تتلى	شمائله وتهتز احتراما
شأ ما شاء في العلياء حتى	علىٰ هام السها ضرب الخياما
وارعف سيف نقمته الىٰ ان	تبوأ من ذرى المجد السناما
يقود الخيل عادية عراباً	تثير النقع تحسبه ركاما
فتهوي كالبزاة العصم كراً	سنابكها الخوافي والقدامىٰ
عليها من ذوي عثمان غر	يرون تجشم الهول اغتناما
إذا وردت بهم دأماء حرب	شهدت لهم بلجته اقتحاما
ولم يصدرن عن مثوىٰ عدو	وفيه سوى اليتامى والايامى
تؤمل من جلالته وتخشى	ملوك الارض صفحاً وانتقاما

الاسلام فالقوانين المطبقة فيها قوانين وضعية علمانية تهما لمصالح الحكام قبل مصالح الدولة أو مصالح الشعب، واصبحت كلمة الاسلام للتخدير او الاستهلاك المحلي والدعايات الخارجية فقط.

إذا اشتعلت سعير وغى عليهم رأيت لهم برايته اعتصاما
ولم يعبأ بهم لو لا ولولا فسوف يكون ان جحدوا لزاما
إذا ما استنفر الآساد يوما بدعوة دينه يمنا وشاما
ليوجف نحوه من كل صقع خميسا تحت طاعته لهاما
مليك تعجز الايام عن ان تجيء بمثله بطلاً هماما
براه الله في المسكون عضبا على الباغي إذا يحماه حاما
فصان مشاعر الاديان بيت المقدس والمدينة والحراما
بسيط الارض في يده فيحيي ويورد من يشاء به الحماما
وما من مركز إلا وجدنا شيات من علاه به وشاما
نداه الغيث لكن ليت شعري ايستويان ذا ذهب وذا ما
اخو ثقة بنفس ما اقتفت في ترقيها الملالة والسآما
ومهما حل في فلك علي من الشرف استقل به المقاما
ولم يرفع منارا منه إلاّ بأعلى منه كان له اهتماما
سما في العز عن آباء صدق وكان لكل منقبة عصاما
ولم نعرف له الا اشتراء الـ ـفخار بباهض الاثمان ذاما
امير المؤمنين انعم صباحاً ودمت تقي من الدهر الكراما
فانت العروة الوثقى ولسنا نرى للعروة الوثقى انفصاما
أتيت اليك من بلد بعيد لاقرئك التحية والسلاما
وقابل بالقبول مهاة خدر حياء منك تعثر واحتشاما
تمد اكف معذرة وعجز عن استقصائها المدح التماما
وكيف بحصر مالك من فخار ولو حاولته خمسين عاما
فانك زينة الدنيا جميعاً ونشر ثناك قد زان النظاما

يدعو السيد ابن شهاب دائما الىٰ الوحدة والائتلاف والتماسك والترابط والتعاضد بنبذ العنصريات بقيادة حكيمة وسياسة موحدة. وإذا بنا اليوم نرى الاوضاع معكوسة، فبدلا من الدعوة إلىٰ الوحدة والاتحاد والتضحية بالنفس والنفيس للمصالح العامة. نسمع ونشاهد الدعوة إلىٰ الاقليمية الضيقة، وكذلك حماس القبلية والعشائرية الجاهلية وحب النفس. ثم نجد المطبلين من وعاظ السلاطين حاملين دفوفهم مؤيدين وداعمين فكـرة القبليات والعشائريات باسم الدين وكمّ افواه الشعب لقبول الامر الواقع وطاعة الحكام لانهم ظل الله في الارض والخروج عليهم كفر فمن يدرس علم الجغرافيا ومن يصدق غزو الفضاء والوصول الىٰ القمر فهو كافر وكل ما قيل عن الفضاء كذب وهراء علىٰ الله ومن اعتقد باقاويل الكفار فقد كفر وارتد عن دينه، يجب استتابته وإلّا فيحكم عليه بالقتل ان اصر علىٰ اعتقاده.

هذا ما يحدث ونحن في عصر العلم ولا نزال نجد امثال هذه الغرائب ولا نـدري كيف يقبل الانسان تلك الافكار العوجاء.

طغىٰ شعور الاقليمية والاعتزاز بالقبلية والعشائرية بين الكثير مـن الشـعوب الاسلامية. الم يكونوا يعلمون انهم يسيرون القهقرى عائدين إلىٰ الجاهلية الاولىٰ؟ فـما اسوأ حظ المسلمين اليوم فقد ابتلوا بهذا الداء الوبيل.

هل للعناصر الخارجية دور في ادخال تلك المفاهيم المضللة المزخرفة بشعارات القبليات والعشائريات أو الاشتراكية أو الماركسية وكلها في طريق معاكس للاسلام.

خلا الجو للاستعمار فرتع ومرح فهيمن علىٰ الاقتصاد والخيرات وسـيطر عـلىٰ سياسة البلاد، وإذا بتلك الشعوب المخدرة عقولها ترىٰ الوافـد الاوروبي كأنـه رسـول الرحمة.

الاموال تنهب، وليس للحكام إلّا هدرها لملذاتهم بينما الشعب يـعيش مكـبوتاً مهدور الكرامة، واصبحت شعارات الدعوة للوحدة مجرد شعارات جـوفاء لا تـتعدىٰ

الاستهلاك المحلي، ولن يجتمع المسلمون تحت دولة واحدة مادامت الاوضاع كما هي الآن حيث الامر ليس للحكام، وانما هم للمستعمر الغربي أو الشرقي اطوع من بنانه، ولا يخيف المستعمر إلّا التكتل الاسلامي، اما تجمعات المسلمين للصلاة والحج فني نظر المستعمر ليست إلّا طقوسا لن توحد المسلمين فلا خوف ولا خطر من صلاتهم وحجهم.

بدايات التصدع في هيكل دولة الخلافة:

ظهرت حركة جديدة في تركيا باسم (الاتحاد والترقي) تحت شعار العدالة والمساواة في عهد الخليفة عبد الحميد. قام بهذه الحركة زمرة من الشباب التركي المتأثر بالمدنية الاوروبية، وسرىٰ مفعول هذه الحركة بين الاوساط الاسلامية وكان تأثيرها في العالم الاسلامي عظيما بين مؤيد ومقاوم. اما العالم الاوروبي فقد استقبل هذا النبأ بالترحيب والتأييد.

يقول بعض المؤرخين المسلمين: ان هذا الحادث كان بادرة تصدع في جسم دولة الخلافة، في الوقت الذي كانت دولة الخلافة تجابه القوة الاوروبية الغازية للعالم الاسلامي.

محاولة التخلص من الخليفة باغتياله:

حاولت الايدي العابثة من عملاء الحلفاء اغتيال الخليفة عبد الحميد عام ١٣٢٣هـ بقنبلة القيت عليه للتخلص منه وانهاء نفوذه واحداث قلاقل داخلية. لكن الخليفة نجا من حادث محاولة الاغتيال ولم يصبه مكروه. بدأت الصحف الغربية تزمر وتطبل لتلك النهضة لاجتثاث حكم الرجل المريض بدعوىٰ ان الشعب التركي سئم الحكم الاسلامي ونهض الشباب المتنور للتخلص من الجهل والفقر والتأخر. كثر الهرج والمرج في ديار المسلمين وتعددت الاقاويل وتشعبت الظنون والتخرصات حول هذا

الحادث والمدبر له وذهب اكثر القول استنادا إلىٰ مجرى الحادث وتسلسله أنه من تدبير يهودي عميل للحلفاء، ولكراهية اليهود للخليفة ارادوا الانتقام والتخلص منه. وكان ذلك بعد اصدار الخليفة عبد الحميد مرسوما يقضي بمنع استيطان اليهود القادمين إلىٰ فلسطين ومنع اليهود المقيمين من شراء أو تملك ارض حتىٰ ولو كانت للسكنىٰ، فكان لهذا المرسوم رد فعل لدى اليهود واضمروا الحقد علىٰ الخليفة وقرروا الانتقام منه بمساعدة بريطانيا، فحاكوا حوله المؤامرات، وبدأت الضغوط البريطانية علىٰ دولة الخلافة بشتىٰ الوسائل ومنها فتح باب الهجرة اليهودية إلىٰ فلسطين، ولكن الخليفة عبد الحميد اصر علىٰ رفض كل مطلب يتعلق باليهود. لم ييأس اليهود من تحقيق رغباتهم بشتىٰ الطرق، وباءت كلها بالفشل، ثم جاؤوا باساليب اخرىٰ منها العمل مع المخابرات البريطانية والاستعانة بقوة المافيا للضغط علىٰ دولة الخلافة بطرق خفية من عدة جوانب، وما فتأت ان انكشفت المؤامرة، فهدد الخليفة عبد الحميد وانذر. فهل وقف اليهود عن مؤامراتهم ضد دولة الخلافة؟ لا، ولكنهم واصلوا سعيهم بدون توقف.

الحكومات الاوروبية كلها ما عدا المانيا في شخصية قيصرها (ولهلم) تكره الاسلام وتكره الخلافة الاسلامية وتكره عبد الحميد إلىٰ اقصى حدود الكراهية لانه يسعىٰ لاحياء الوحدة الاسلامية واعادة مجد الخلافة.

اما المانيا فكانت علىٰ طرفي نقيض مع الدول الاوروبية الاخرىٰ في المصالح فارتبطت المانيا بدولة الخلافة لان العدو واحد، والمصلحة تقتضي التعاون امام العدو المشترك.

الخليفة عبد الحميد رجل طموح، قوى الارادة، ولكنه في دولة اخذ نجمها يميل الىٰ الافول.

وجد ساسة اليهود الذين يحملون الجنسية البريطانية ولهم مكانة رفيعة في الدولة طريقا من ضعف دولة الخلافة لمحاربتها اقتصاديا حتىٰ يكمل ضعف دولة الخلافة وتصبح

عاجزة مما يدفع الشعب التركي الىٰ الاستياء من وضع الدولة وتصبح الاوضاع المتردية مهيئة للقلاقل الداخلية. وبدأت دول اوروبا تحاصر دولة الخلافة اقتصاديا وسياسياً ثم اخذت اجهزة الاعلام الاوروبية واليهودية العالمية تحمل الحملات الشنعاء علىٰ دولة الخلافة وإلصاق التهم والتقوّل علىٰ الخليفة عبد الحميد وحاكوا حوله قصصا ملفقة من نسيج الخيال كقصص اسطورة ابن سبأ في التاريخ الاسلامي. وضعوا قصصا وحكايات عن حياته الخصوصية تضاهي اساطير حكايات الف ليلة وليلة عن الصبيان والغلمان والحريم والشراب واللهو والمجون، ومثلوا عبد الحميد بانه رجل تافه التفكير اهبل مختل العقل ثم لقبوه بالرجل المأفون والمريض عقليا ونفسياً. وانتشرت هذه القصص والترهات حتىٰ صدق بها بعض المسلمين.

ما هو الهدف من نشر تلك الترهات والاقاويل؟

ان الهدف الوحيد من نشر تلك الاقاويل والترهات بصفة واسعة عالميا هو الحط من قدر رجل الدولة الاسلامية واهانته واسقاط اعتباره من اعين المسلمين انفسهم حتىٰ تزول ثقة المسلمين فيه فيفقد حبهم له ثم يكرهونه ويأبون ان يكون الخليفة رجلاً مأفوناً بهذا المستوىٰ السافل.

يقول اعداء الاسلام: انه ما دام للمسلمين دولة تجمعهم، فلهم قوة يستظلون تحتها، وستبقىٰ قوتهم المعنوية عالية ما دام منار الخلافة عاليا يشع منه هذا الشعاع الاسلامي ويبث في قلوب المسلمين الشعور والاعتزاز بالوحدة، هذا الشعور هو ما تخشاه الامم من غير المسلمين لان الاسلام خطر عليهم ويجب ازالة وقلع هذا الخطر من جذوره المتمثل في دولة الخلافة التي بزوالها ستزول معنوية المسلمين وكل محاولة بعد ذلك لتوحيد المسلمين يجب تحطيمها ويكفي المسلمين سلطنات وامارات يحكمها اسر قبلية وعشائرية لا يجمعهم دين أو عقيدة اسلامية.

ومن هنا تتجلى اسباب محاولة اغتيال الخليفة عبد الحميد، ولما بلغ السيد ابن

شهاب هذا النبأ جاش صدره بهذه القصيدة يهاجم فيها تلك الايادي الأثيمة العابثة التي تحاول المس بالخليفة.

غلت يد العادي الى صدره ورد كيد الخصم في نحره
والله جلت ذاته حافظ حافظ دين الله في عصره
خليفة الحق الذي اختاره في بره الباري وفي بحره
يدبر الكافر مكراً به واين مكر الله من مكره
شلت يد القاصد بالسوء من تنفيذ امر الله في أمره
ما لبغاث الطير في جوها تطمع في نيل أذى نسره
وذلك الغادر لابد ان يكرع من مرّ جنىْ غدره
افٍ له افٍ وتفٍ لمن اغراه أو ساعد في نكره
اهكذا يصنع من يدعي شهامة النفس لدى فخره
كلّا ولكن هذه شيمة للانث الخمر[1] علىْ شعره
لو انهم ممن يروم العلى لا قوه يوم الروع في بجره
يستنصرون الصفر وهو الذي في بيضه النصر وفي سمره
اعجزهم ليث الشرى في الوغى فاعملوا الحيلة في ختره
وما دروا ان الذي حاولوا اذاه لا يطمع في ضره
عليه من كيد العدا جنة صانعها الرافع من ذكره
إثم تولت كبره امة يعرفها العالم من اسره
من شانها بث بذور الشقا في الارض والنفخ على جمره
ان تذر بغيا في حمى حاكم ظنت منال الربح في خسره
قبحا لها مدت خياناتها في عامر الملك وفي قفره

---

(١) جمع خمار وهو حجاب المرأة.

آمنة من ان تجازى بما من جمه جاءته أو نزره
علما بان الحر مستنكف عن فعله السوء وعن اصره
ان ادركت ما ادركت غيلة فالليث لا يهجع عن وتره
والبحر قد يجزر لكنه في مده بحر وفي جزره
ايهاً امير المؤمنين اتئد بالدين واحملهم على يسره
واضرب بسيف الحق واخضد به شوكة من يعمه في شره
وكن بحبل الله مستعصما وثق بما عودت من نصره
واحمده واجعل شكره ديدنا ان مزيد الفضل في شكره
ولنرفع الايدى وندع الذي لابر إلا وهو من بره
ان يمنح الاسلام عزابه يعلو شعاع الحق من زهره
يعنوله البوذي في داره ويخضع الراهب في ديره
وينصر السلطان نصرا به يجتث عرق البغي من جذره
مخلدا أيامه منعما ما شاء في مد مدى عمره
بحق روحانية المصطفى وآله عمد الهدى غره

تتجلى في هذه الابيات روح السيد ابن شهاب الفذة حيث يخاطب الخليفة ورئيس دولة المسلمين بهذه الروح الكبيرة كما يخاطب زميلا له، وينصح الخليفة بالتمسك بحبل الدين والاعتصام بالله ويشكر المولى علىٰ ما انعمه من النعم والسيد إذ يخاطب الخليفة بهذه اللهجة غير راج منه شيئاً.

ماذا سيقول السيد ابن شهاب لو عاش إلىٰ زماننا هذا، ورأىٰ صروح الاسلام تدك دكّا بأيدي ابناء المسلمين وقد اصبحوا طوائف ممزقة وقوميات عديدة ما كانت معهودة ولا معروفة.

كان السيد ابن شهاب في ثباته كالطود الشامخ امام تلك التيارات الفكرية الوافدة

من الغرب وذلك عائد في المرتبة الاولىٰ الىٰ التربية الحرة التي تربى وترعرع ونشأ عليها والىٰ الدروس التي تلقاها من كبار اساتذته العلماء الاحرار، فليس غريبا ان يكون حرا قوي العزيمة في ممارسة اعماله وكفاحه طيلة ادوار حياته، وهو بدوره يدعو الىٰ التحرر والىٰ الحياة الفكرية الحرة المبنية علىٰ الايمان والعقيدة الصادقة الصحيحة.

الانقلاب التركي:

قام زمرة من الشباب التركي بثورة اطلق عليها في ذلك الوقت اسم (الانقلاب) كانت بمثابة نتيجة حتمية بسبب الضعف العام الذي اعترىٰ دولة الخلافة اضافة الىٰ الحملات الاوروبية اقتصاديا وسياسيا واعلاميا ضدها وحاولوا بكل قواهم تدمير حصن الخلافة الاسلامية.

علىٰ اثر الدعوة الجديدة من جمعية الاتحاد والترقي في تركيا وبقوة نفوذ المدنية والحضارة الاوروبية إلىٰ شعوب البلدان الاسلامية تبلورت وظهرت في الاوساط الاسلامية فكرة (القومية) و(الوطنية) سعيا وراء التقدم ومجاراة لشعوب دول اوروبا التي اصبحت الرمز في الرقي والتقدم الاقتصادي والصناعي في اعين المسلمين.

لم تكن فكرة ازالة الخلافة أو ابدالها بجمهورية قد تخمرت آنذاك في اذهان رجال جمعية الاتحاد والترقي بل كان هدفهم اصلاح الاوضاع السياسية العامة في اطار دولة الخلافة برلمانيا، أي جعلها شبه علمانية ولكن مع الاحتفاظ بهيكل دولة الخلافة والانضواء تحت ظلها.

كان زعيم الحزب الوطني المصري ممن يؤمنون بهذا المذهب، الذي يمثل الاعتزاز بالقومية والوطنية المصرية تحت ظل الخلافة الاسلامية وكان من الداعين الىٰ هذه الفكرة مع المحافظة علىٰ التقاليد الاسلامية والولاء التام لدولة الخلافة.

طغىٰ شعور القومية والاعتزاز بالوطنية علىٰ الشعوب العربية والاسلامية في

اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين الميلادي وتبلور في كل الحركات السياسية والاجتماعية حتىٰ في الامور الخيرية، وكانت الصحف العربية تثير في الشعب روح القومية في مصر والشام والعراق والحجاز وفي المهجر الاوروبي والاميركيتين، حتىٰ في المهجر الشرقي محاولة بشتىٰ اتجاهاتها السياسية وتنوع عقائدها غرس روح القومية هادفة إلىٰ تطوير اوضاعها ومعالجة تخلفها للحاق بالركب الحضاري الغربي صناعياً واقتصادياً وثقافياً.

ان التأخر العام في البلدان الاسلامية سببه الأساسي تدني مستوىٰ التعليم مما جر المسلمين الىٰ التواكل والضعف والوهن وتخلفوا عن الركب الحضاري، وعليهم ينطبق قول شاعر المهجر الشرقي احمد السقاف:

ولنا المئات من السنين ونحن في كتب التهجي لم نجاوز دالها

حاول هؤلاء القوميون والوطنيون استدراك ما فات وتعويض ما فقد ليتمكنوا من مجارات الركب الاوروبي، فكان الاعتزاز بالقومية هو الدافع الاول لهم، حتىٰ غدا الكل يفتخر بوطنيته وقوميته اكثر مما يفتخر بشيء آخر. ان هذا الشعور والاعتزاز بالقوميات هو الذي جزّأ العرب والمسلمين وفرقهم الىٰ كتل اقليمية ضيقة والىٰ قبليات وعشائريات لم تكن في حقيقتها سوى خيالات محضة. فالتقدم هو العلم. وعلىٰ الرغم ان العرب تجمعهم لغة واحدة وثقافة واحدة وتراث واحد وتربة واحدة ووطن واحد ومصالح مشتركة بينهم، لكننا نرىٰ التفرق والتمزق والخصام والعداء والشكوىٰ من بعضهم علىٰ بعض حتىٰ اريقت الدماء وازهقت الارواح وهدمت المدن واصبحت بعض الاسر بلا مأوى، ورملت النسوة وتيتم الاطفال. وحوادث الانقلابات الناجحة أو الفاشلة في البلدان العربية بعد الحرب العالمية الثانية هي دليل قاطع علىٰ ما نقول، وما الماساة اللبنانية المستمرة ببعيدة عنا وقد مضى عليها سنوات طويلة. فأين حكام العرب؟

نعم، حاول بعض الزعماء المصلحين من العرب بعد الحرب العالمية الثانية توحيد وجهات النظر العربية وتقريبها واعتمدوا لذلك طرقاً عديدة واساليب شتىٰ، ولكن تلك الجهود باءت بالفشل في اول خطوة من المسيرة، وتكرر الفشل بعد ذلك حتىٰ شك الناس في كل فكرة تدعو للوحدة والاتحاد وعند سماع كلمة (الدعوة والاتحاد) يقال عنها إنها فاشلة لكثرة الفشل المتلاحق، فملفات وزارات الخارجية للدول العربية وملفات الجامعة العربية وما تنشره الصحافة والاذاعات كلها شاهدة وناطقة علىٰ ما نقول، وعلىٰ الجيل القادم ان يولي لهذا الموضوع اهتمامه ويدرس اسباب هذا الفشل.

البعض في عصرنا يعلل اسباب الفشل بفقدان الوعي وحب الذات وعدم الايثار والتهافت علىٰ السلطة وقيمومة الدول الغربية الراسمالية ودعمها لوجود دويلات عربية ممزقة. ولكن نفى آخرون هذه النظرية وقالوا انها نظرية واهية وحجتها جوفاء. إذا اراد العرب حقيقة الوحدة والاتحاد فمن يمنعهم؟ ولهم في الشعوب الاخرىٰ علىٰ قلة عددهم وعدتهم دليل علىٰ امكانية الوحدة والاتحاد. وحركة الفيت كونغ الفيتنامية هي الدليل إذ كيف استطاعت هذه الزمرة الصغيرة دحر الولايات المتحدة بقوة جيشها البالغ ثمانمئة الف جندي بكامل اسلحتهم ومعداتهم الحديثة المدعومة بالاساطيل البحرية والجوية، لقد خرجت القوات الامريكية خاسرة فاشلة، وتوحد الشعب الفيتنامي في دولة واحدة شمالاً وجنوباً. وهناك امثلة اخرىٰ في الشعب الماليزي أو الشعب الاندونيسي، فاندونيسيا توحدت علىٰ رغم تكوينها الجغرافي المؤلف من ١٣ الف جزيرة تفصلها المياه، ويتألف شعبها من عدة قوميات لكل منها لغته الخاصة به، وله ثقافته الخاصة، وعاداته واساليبه في الحياة. حيث بلغ مجموع لغاتها ولهجاتها عشرين لغة وثمانين لهجة مختلفة، تختلف كل لغة عن الاخرى حتىٰ في احرف هجائها ومع كل ذلك توحدت تحت راية واحدة ودولة واحدة وتحت شعار (قوميات مختلفة في شعب واحد).

إذا القينا نظرة علىٰ التاريخ الاستعماري الاخير عام ١٩٤٥ / ١٩٤٩ نجد أنه كيف

حاولت هولندا فرض ارادتها واشترطت في معاهدتها بتأييد من هيئة الأُمم لتسليم السلطة والسيادة لاندونيسيا بعد حروب دامت اكثر من ثلاث سنوات، ان تكون اندونيسيا فيدرالية تتألف من عدة حكومات، ولكن روح الوحدة الاندونيسية قوية، حيث نبذت اندونيسيا تلك الشروط واعلنت انها دولة واحدة ذات سيادة كاملة ولغتها واحدة هي اللغة الاندونيسية فالوطن واحد هو اندونيسيا والشعب واحد هو الشعب الاندونيسي. ومهما اختلفت الاحزاب الاندونيسية في مشاربها السياسية فانها لن ترضى التجزئة والتمزق والانفصال، وأن تقوم علىٰ اسس اقليمية أو عشائرية ضيقة أو علىٰ اساس لغة أو ثقافة معينة كما حدث لباكستان التي ما لبثت أن تحطمت وانشقت إلىٰ دولتين هما باكستان وبنغلاديش.

وكذلك نجد مثلاً في الامة الماليزية، فعندما خرج الاستعمار البريطاني الذي جزأ الشعب الماليزي إلىٰ تسع سلطنات واربع ولايات قائمة بذاتها، اجتمع السلاطين التسع وشخصيات ماليزية بارزة وتداولوا وتشاوروا فيما بينهم وقرروا تكوين دولة واحدة من مجموع هذه السلطنات والولايات باسم (دولة ماليزيا) عن وعي وادراك وقناعة وتضحية وبذلك تكونت دولة ماليزيا الموحدة، ولم يطمع أي سلطان باستئثاره بالحكم لنفسه دون غيره، وبقي السلاطين في اماكنهم حكاماً علىٰ ولاياتهم ضمن دولة ماليزيا الموحدة، ونوع الحكم فيها مستحدث في التاريخ وفي عرف انظمة الدول والحكومات، فقد اتفقوا علىٰ دستور لا هو ملكي بالمعنىٰ المعروف بالتوارث ونظام ولاية العهد ولا هو جمهوري بالعرف المفهوم ولكن النظام المعمول به هو ان يتولىٰ شخص زمام الحكم كل خمس سنوات بالتناوب بين السلاطين التسعة باسم ملك ماليزيا، لكنه لا يحكم مباشرة، فالحكم لمجلس الوزراء الذي يتم بانتخاب الشعب والوزراء مسؤولون امام البرلمان المتشكل من مندوبي الشعب، والملك يعتبر رمزاً للوحدة تطبيقاً للاجراءات البروتوكولية.

ما هو السبب في نجاح الماليزيين وهم قريبو عهد بالاستقلال؟

اما الهند التي تمثل شبه قارة بمجموع سكانها الالف مليون نسمة ثم الصين التي بلغت نفوسها اكثر من مليار ومئتي الف نسمة فيتكون كل من شعبيهما من مجموعة قبائل وعشائر وولايات واسعة مع تعدد القوميات واللغات والاديان والعقائد والثقافات والاحزاب والمذاهب والمصالح ومع كل ذلك بقي كل من الدولتين في اطاره الخاص دولة واحدة موحدة في نظام جمهوري.

هل ينطبق اليوم قول النبي محمّدﷺ علىٰ المسلمين بهذه الكثرة الكثيرة من عدد نفوسهم انهم يشبهون غثاء كغثاء السيل، مساجدهم عامرة وقلوبهم خاوية، ممزقون مشتتون تسيطر عليهم الاهواء وحب الذات والاهتمام بالمصالح الشخصية، حكامهم يحكمون شعوبهم بالسياط والاغلال، والسجون غاصة بالابرياء يعيشون في حفر تحت الارض لا يرون الشمس ولا يعرفون النور ولا يعرفون نهارهم من ليلهم وينتهي امرهم بالقتل السري. بينما شعوب العالم تشاهد وتتفرج علىٰ هذه المسرحية مسرحية الحكم الاستبدادي، وعلىٰ الشعب المبتلى الفقر والمرض.

في اواخر القرن التاسع عشر شكلت بريطانيا في منطقة عدن بجنوب اليمن قاعدة عسكرية لمحاصرة الجيش التركي وسلطنة لحج، قاوم السيد ابن شهاب هذا المشروع البريطاني مقاومة شديدة سياسياً واعلامياً وعلىٰ مستوىً عالمي ومقاومة سياسة بريطانيا في منطقة عدن وما تبذلها من اموال ومواعيد خلابة لابناء جنوب الجزيرة ليست بالامر السهل واستشاطت بريطانيا من موقف السيد ابن شهاب المعادي لبريطانيا فألبت عليه الأُجراء والعملاء.

انهيار دولة الخلافة:

قضي الامر وانحازت دولة الخلافة إلىٰ المعسكر الالماني في عام ١٩١٤ وتورطت

في الحرب العالمية الاولى ضد الحلفاء، وانهارت تركيا ودخلت الحرب وهي ضعيفة فمنيت بالخسارة العظمىٰ التي لا تعوض، واستسلمت للحلفاء صاغرة ذليلة وبدون أية مكاسب ورضخت مرغمة لتوقيع معاهدة الاستسلام بكل ما املىٰ عليها الحلفاء المنتصرون وجردت تركيا من جميع قواها العسكرية وحددت سياستها الخارجية ومزقت البلدان التابعة لدولة الخلافة والتي كانت جزءا منها وتم ابدال الحروف العربية باللاتينية وبذلك قطعت كل العلاقات مع الامم الاسلامية ثقافياً وسياسياً واقتصادياً ومحيت الخلافة الاسلامية محواً تاماً وتحرك الاعتزاز بالقومية والوطنية التركية وتم تأسيس جمهورية تركيا الوطنية العلمانية، وما علىٰ تركيا المهزومة الضعيفة إلّا الرضوخ لتوقيع تلك الشروط في وثيقة قيل عنها انها معاهدة صلح والحقيقة هي انها معاهدة استسلام للحلفاء وكان ذلك في عام ١٩١٧.

هذه المأساة القاسية كانت مأساة المسلمين اجمعين وضربة لهم وهم عزل لا يستطيعون تحريك شيء أو أن يفعلوا شيئاً سوى التأوه بينما احتفل الاعداء بعيد النصر بالقضاء علىٰ دولة الخلافة، وعلىٰ اكبر حصن ومعقل اسلامي من الوجود.

وازدهرت بعد ذلك القوميات والدعوة اليها ورفع شعار الوطنية واقبل الناس الىٰ هذه الفكرة بشعار: الدين لله والوطن للجميع.

لقد فوجئ المسلمون في عام ١٩٢١ بنبأ تطبيق شروط استسلام تركيا المجحفة واهمها الغاء دولة الخلافة وعزل الخليفة وتم محو كيان الخلافة الاسلامية من الوجود نهائياً.

تألم السيد ابن شهاب لذلك الخبر كما تألم المسلمون من رواد النهضة الاصلاحية.

تلقى السيد هذا النبأ السيئ برباطة جأش وتجلد، بيد أن التأثر غلب عليه فهد من صحته وظل يعاني آثار هذه المأساة التي اوهنت جسمه. وقال والألم يحز قلبه: ان الاعداء توصلوا إلىٰ مبتغاهم. ومع هذه الضربات القاسية عليه ظل يساوره الامل ويتفاءل

بامكانية استرجاع تركيا قوتها لتعود الىٰ مكانتها الاولىٰ.

فالسيد ابن شهاب الذي قضى حياته في الدفاع عن الخلافة بكل طاقته، لا يود ان يرى تمزق المسلمين بزوال دولة الخلافة. ولكن الواقع هو تطور الاحوال ونشوء جمهورية جديدة في الوجود هي جمهورية تركيا التي سارعت دول الحلفاء للاعتراف بها وتقديم كل المساعدات لها، ورفع الأذان ولم يعد يسمع له دوي كما كان يسمع من مآذن جوامع تركيا لا في العاصمة استنبول ولا في المدن التركية الاخرىٰ، ولكن هذه الحالة لم تدم طويلاً حتىٰ عاد الاذان من منارات المساجد.

ليس بغريب حدوث ووقوع امثال هذه الحوادث في العالم، فالقوي هو الذي يفرض ارادته ويحكم ويفعل ما يريد وليس للضعيف إلّا الرضوخ، وبزوال دولة الخلافة تهافت الحلفاء لاحتلال البلدان الاسلامية وتقسيمها فيما بينهم واستعمروها واستعبدوا شعوبها وتشتت المسلمون كاليتامىٰ لا اب لهم ولا راعي يرعاهم.

لم يعد يتحمل السيد ابن شهاب اكثر من هذه المآسي المؤلمة والاوضاع القاتمة والاحوال المظلمة فكان يعاني آلاما نفسية وتردت حالته الصحية حتىٰ وافاه الاجل المحتوم بعد عام واحد من ذلك اليوم المشؤوم يوم محو وازالة الخلافة الاسلامية، وماساة العالم الاسلامي اجمع.

تعالت النغمة القومية والوطنية فانتعشت وازدهرت واحتلت مشاعر الشعوب الاسيوية والافريقية التي يطلق عليها آنذاك شعوب الشرق ويصطلح عليهم اليوم بشعوب العالم الثالث.

وها نحن الآن نشاهد كل امة تعتز بقوميتها ووطنيتها مما دفعها لشق طريقها من جديد للتحرر والكفاح من اجل مستقبل افضل محتذية حذو الشعوب الاوروبية معتبرة ان اوروبا مثال التقدم والحضارة والمدنية.

اليابان:

إذا كان المعتقد ان اوروبا هي المثال الذي يجب ان يحتذى في الشرق شعب لا يقل عن الغربيين حضارة ومدنية بلغ من التقدم الصناعي مبلغاً يضاهي دول اوروبا بمجموعها، هذا الشعب هو الشعب الياباني بل ان اليابان هو رائد التقدم في الشرق.

كانت اليابان تدعو الشعوب الآسيوية المستعبدة باسلوبها الخاص للتخلص من هيمنة الاستعمار الاوروبي بعد انتصارها علىٰ روسيا عام ١٩٥٠ وتوقظ الشعوب المستعبدة في آسيا للاعتزاز بالقومية والتفاخر بالوطنية كما يعتز الشعب الياباني بقوميته وثقافته البوشيدوية ومدنيته العريقة وتاريخه تاريخ بني الشمس المشرقة. وما دمنا في ذكر اليابان زعيمة الشرق فلا بأس من الاستطراد لنستعرض شيئاً عن الوطنية اليابانية واساليبها لاستنهاض مشاعر الآسيويين بشعارها المعروف الذي تخاطب به الشعوب الآسيوية ضاربة الوتر الحساس في نفوسهم بان (آسيا للآسيويين) فعلىٰ الشعوب الآسيوية ان تتحرر من براثن الاستعمار الاوروبي.

ولليابان أيضاً عدة اساليب لاثارة الشعور ضد الاستعمار الاوروبي والاعتزاز بالقومية وخلق الثقة في النفس ليس فقط بالافلام السينمائية المثيرة والكتب والنشرات الدورية وما تنشره الصحف والمجلات ولكن علاوة علىٰ كل ذلك الاتصال المباشر بالشعوب الآسيوية ليس في المدن فحسب ولكن حتىٰ في القرىٰ البعيدة حيث تحمل معها كل ما من شأنه كسب ثقة الشعوب غرسها في نفوسهم وان اليابان ستنقذ شعوب آسيا وتحررها من الاستعمار الاوروبي، ومن جملة هذه الاساليب الدعائية الكثيرة توزيع (اللبان المعطر) للشعوب في علب صغيرة جميلة عليها صورة جنرال ياباني بلباسه العسكري وكتب تحته كلمة جينتان (JINTAN) وهذه الكلمة لها مدلولها ومعناها وهي ترمز لاوائل حروف كلمات باللغة الماليزية والاندونيسة.

١ ـ J= JENRAL

٢- I= INI

٣- N= NANTI

٤- T= TOLONG

٥- A= ANAK

٦- N= NEGRI

ومعنى هذه العبارة، ان هذا الجنرال الياباني هو الذي سينقذ ابناء هذا الوطن. حتىٰ صارت هذه الجملة عقيدة راسخة في قلوب الآسيويين خصوصاً شعوب جنوب شرقي آسيا مؤملة من اليابان تخليصها من الاستعمار.

وعندما انتصرت اليابان في اوائل الحرب العالمية الثانية واكتسحت الاستعمار الاوروبي من بلدان جنوب شرقي آسيا استقبلت شعوب تلك المناطق الجيش الياباني المنتصر الفاتح باستقبال عظيم منقطع النظير. وقد رحب شاعر المهجر الشرقي المفلق السيد أحمد عبد الله السقاف بقصيدة طويلة رنانة بلغ بمجموع ابياتها ١٤٢ بيتاً نختار منها مايلي:

شدت علىٰ ان لا تعود رحالها	وطوت من المستعمرات حبالها
هجمت علىٰ دين الاله وقررت	ما قررت لتزيله فازالها
ظلمت وهذا اخذ ربك كم ابا	د من الممالك بعد ان أملى لها
بين العشية والضحىٰ عصفت بها	هوج الهلاك فزلزلت زلزالها
فاذا بنو نيفون[1] قد ضربوا علىٰ الجـ	يش الحصار وخيبوا امالها
وإذا رايت الجيش يقدمه لوا	ء الشمس مشرقة كسته جلالها
يتخاطفون الموت في طلب العلىٰ	ويضاحكون لدىٰ الوغىٰ اهوالها

(١) نيفون: هو الاسم الذي تطلقه اليابان علىٰ نفسها.

واصاب واشنطون مس إذ غدت ... لضيافة الاسماك تفني مالها

ثم يصف شاعر المهجر استسلام هولندا وحلفائها بعد ان فقدت قواتها في هذه الحرب بقوله:

تسعون الفاً هم بقية جندها ... تركوا الحصون وسلموا اقفالها

يستسلمون بدون قيد يجمعو ... ن امام من خضعوا لها انفالها

فإذا الديار تناكر السكان حيـ ... ـن رأت اولي الباس الشديد خلالها

وإذا العلوج تساق اسرى والاوا ... نس تكتفي بالدمع يشرح حالها

هذه تشد حقيبة سقطت وتلـ ... ـك تقود وهي كئيبة اطفالها

والجمع محتشد يشاهد أمة ... لعبت به دهراً ترىٰ اعمالها

بالامس تنذره بسوء مآله ... واليوم يشهد بالعيان مآلها

ثم يوجه الشاعر خطابه لدول الغرب ويصف شهامة اليابان:

يا غرب هذي زاحفات الشرق تقـ ... ـحم البلاد سهولها وجبالها

اتخيفه بالمهلكات وقد اعدّ ... لكم ومن في صفكم امثالها

لا تعمل الآلات شيئاً وحدها ... ان لم تجد من يحسن استعمالها

ان الجنود بلا قلوب في الوغىٰ ... يقضى عليها قبل ان يقضى لها

يا وحدة الشرق التي لعبت بها الا ... يام حتىٰ قطعت اوصالها

آن الاوان وغاب ادبار الليـا ... لي فاغنمي مجموعة اقبالها

مدّي الىٰ نيفون مخلصة يدا ... و بكل وسعك حققي آمالها

ولنا المئات من السنين ونحن في ... كتب التهجي لم نجاوز دالها

ثم ينتقل بخطابه إلىٰ اليابان الباسل المنتصر:

قم يا زعيم الشرق وارفع راية الشمـ ... ـس المنيرة كي تمد ظلالها

واقدم فكل الشرق بين يديك يرّ ... تقب النجاة ويطلب استعجالها

فارأس جديرا عصبة الامم التي أضحت ترى اذلاله اذلالها
اسمعتها بشرى انتصارك فاعتر تها هزة واستقربت إيلالها
الشرق للشرقي تلك مقالة نيفون تشرح للورى اجمالها
حق علينا ان نناصر من ازا ح عن الظهور من الاذى اثقالها
سنقوم صفا تحت رايتك التي احييت بتمزيق العدا آمالها
وسنلتقي حول اللواء نرى بزو غ الشمس ينشر في الوجود جلالها
قم يا زعيم الشرق ان شعوبه بين العدا عبثا تطيل جدالها
فاصدع بامرك ان هذا الغرب ير جو بالتلون ان يديم مطالها
كل الشعوب الاسيوية تفهم الـ ـغربي مهما صام او صلىٰ لها
قم علم الشرق الكفاح وفك من اعناق طلاب العلىٰ اغلالها
وأرِ الشعوب الأسيوية ما عليـ ـها في سجلات القرون ومالها
ارها لتعرف كيف تأخذ بالقنا بل لا ببذلّ السائل استقلالها
ارها لتعرف كيف يمكن بالمدا رس لا الملابس ان تُعزّ منالها
ارها التفاهم بالسلاح فليس ثمـ ـة ما يحل سوىٰ السلاح سؤالها
ارها كلام الطائرات وكيف بعـ ـدُ بها تكسّر عنوة اكبالها
علم شعوب الشرق كيف ترى مذا ق الموت في طلب العلىٰ احلى لها
علم بني الشرق الترابط واسقهم من منعشات اخائهم فعّالها
وانشر صحيح ثقافة الشرق التي طبعت علىٰ غرر القرون مثالها
علمهم اللغة التي حضنت لشعـ ـبك عن غنىً كل العلوم فعالها
ارنا لنصبح نحن ارباب المعا مل من طريق العلم لا عمالها

وختم الشاعر قصيدته الترحيبية:

والشمس طول الدهر مشرقة وكل ممالك الدنيا تدور حيالها

فوجئ الناس بعد ايام معدودة من هيمنة اليابان علىٰ بلدان جنوب شرقي آسيا بحكم قاس لم يتصوره بشر، إذ نهبت الاموال والممتلكات والمؤن والارزاق من المتاجر والبيوت واتّهم الناس بانهم جواسيس وعملاء للحلفاء وانتشر الخوف والذعر بين الجميع وقبع الناس في البيوت خوفا علىٰ انفسهم وقتل من قتل افرادا وجماعات، حتىٰ إذا ساد الخوف واطمأنت اليابان علىٰ نفسها من العدو الداخلي اعلنت التجنيد الاجباري العام بدون استثناء احد وكلف الناس حمل السلاح لمحاربة الحلفاء وسعت لايجاد روح النضال وحب الاستشهاد في شعوب جنوب شرقي آسيا وكونت اليابان فرقا عسكرية باسم (جيش الدفاع الوطني).

وما فتئت ان انهزمت اليابان بعد حرب دامت اربع سنوات وخرجت من الحرب مهزومة مستسلمة للحلفاء بدون شروط، وباستسلام اليابان وخروجها من المناطق التي سيطرت عليها، كافحت شعوب تلك المناطق لنيل سيادتها واستقلالها وحريتها، فاستقلت.

ان حكم اليابان العسكري القاسي خلال مدة احتلالها لهذه المناطق طيلة سنوات الحرب العالمية الثانية كان حكماً وحشياً لا يطاق. قال شاعر المهجر الشرقي السيد أحمد السقاف يهجو ظلم اليابان بقصيدة طويلة مطلعها:

غرورك لا الاتوم[1] ولا الخصام   عليك قضىٰ فلم يطل المقام

ونعود الآن الىٰ قضية القومية والوطنية، ففي البلدان العربية ظهرت في كل من مصر والشام والعراق حركات قومية متعددة الاسماء كما ظهرت حركة القومية في الصين بقيادة الدكتور (سون يات سين) بالشعار المعروف (سين من شوى) وفي الهند بقيادة المهاتما غاندي ومحمد علي جناح مؤسس الباكستان. وتختلف روح تلك الاحزاب القومية في البلدان العربية عن غيرها من زميلاتها في بلدان الشرق كالصين والهند

---

(١) الاتوم: القنبلة الذرية التي قذف بها علىٰ مدينتي هيروشيما وناكازاكي في ١٤ مايو من عام ١٩٤٥.

واندونيسيا. فالحزب الوطني في مصر بقيادة مصطفى كامل يدعو الىٰ الوطنية مع التشبث بالخلافة الاسلامية ومثله أيضاً يدعو شوكت علي ومحمد علي في الهند الىٰ القومية بروح اسلامية مع الاحتفاظ بالخلافة الاسلامية والبقاء تحت ظلها بعكس الصين التي تدعو الىٰ القومية المحضة، وما لبثت ان ظهرت بعد ذلك احزاب اخرىٰ في البلدان العربية والآسيوية تدعو الىٰ القومية المحلية المحضة، فكان في مصر حزب الوفد بزعامة سعد زغلول باشا ثم تعدد بروز الاحزاب السياسية بقيادة المثقفين الذين درسوا في المعاهد الاوروبية في مقابل المتمسكين بالاسلام مثل الصحفي المعروف الشيخ علي يوسف صاحب جريدة المؤيد اليومية في القاهرة والسيد ابن شهاب رائد النهضة الاصلاحية في المهجرر الشرقي، وبتطور الزمن نضجت فكرة الوطنية بصفة عامة وبدأت الدعوة الاسلامية تتقلص وان كانت لا تزال تحتفظ بكيانها. وكانت النتيجة وجود معسكرين متجابهين. المعسكر الاول مكون من احزاب وطنية وجبهات قومية معروفة بميولها واتجاهاتها في مواجهة المعسكر الثاني وهو الاسلامي المكون من عدة عناصر متفرقة الاتجاهات وذات مشارب شتىٰ ومذاهب متناقضة، وجل المسلمين يعتقد ان كل حركة خارج نطاق الاسلام معناها العلمانية وبدلا من ان يكون المسلمون امة واحدة اصبحوا مشتتين الىٰ قوميات وطوائف متعددة ضعيفة صارت لقمة سائغة للاعداء، ولا يزال الكثير ممن يحملون مثل هذه الفكرة في البلدان الاسلامية، ففي سنغافورا مثلاً جماعة كبيرة من وجهاء المسلمين الذين تخمرت فكرتهم لاصدار صحيفة تحمل افكارهم باسم (الامام) بريادة السيد الهادي والاستاذ طاهر جلال الدين، وكان العلّامة السيد محمد بن عقيل صاحب كتاب النصائح الكافية والمؤلفات الاخرىٰ هو باعث الفكرة والموجه لها.

وصدر في مدينة سورابايا عاصمة جاوا الشرقية جريدة باسم الاقبال للشيخ محمد بن سالم بارجاء احد رواد النهضة الاصلاحية ثم تعدد صدور امثال هذه الصحف في الهند وماليزيا وكثير من بلدان اندونيسيا، فازدهرت الصحف الاسلامية ازدهارا عظيماً

وكلها تحمل نفس الفكرة، وكان السيد ابن شهاب يوجه الجميع من مقر عمله وكثيراً ما كان يكتب السيد ابن شهاب المقالات بتوقيع مستعار في تلك الصحف كما يكتب أيضاً في جريدة المؤيد.

يقول السيد ابن شهاب: ان في العالم اليوم قوتين متصارعتين لا ثالث لهما، القوة الاسلامية مهما تعددت وجهاتها في جهة والقوة غير الاسلامية مهما تعددت مصالحها ووجهات نظرها فانها كلها في معسكر واحد تجابه الاسلام، وهذه القوىٰ تجتمع وتتكتل وتتوحد لمحاربة المسلمين مباشرة أو غير مباشرة خشية من القوى الاسلامية وسعياً لتمزيق تلك القوى واستنزاف الروح المعنوية عند المسلمين ليكونوا دائماً فاقدي العقيدة، فيكفي ان يكون المسلم مسلماً بالاسم فقط وتكون وجهته الفكرية هي اوروبا التي أُعجب بمدنيتها وحضارتها. وهذا الاسلوب هو الذي سيضعف معنويتهم ويخمل ارواحهم ويجعلهم حيارى بتمزقهم وتشتتهم فيتهافتون الىٰ العقائد الوافدة والافكار الجديدة الخلابة كالشيوعية والاشتراكية فتجزأ المسلمون اليوم الىٰ ٤٢ دولة بين نظام ملكي وجمهوري وسلطنات وامارات كل واحدة منها سائرة في جهة تخالف الاخرىٰ لاختلافاتها الاساسية وربما ينطبق عليها قول الشاعر:

القاب سلطنة في غير موضعها　　　كالهر يحكي انتفاخا صولة الاسد

وعلىٰ اثر هذا التمزق مني المسلمون في الحاضر بهزائم سياسية متلاحقة في جميع المستويات حتىٰ فقد الشعب المسلم شخصيته وهو حائر مبهوت فيما صار إليه المسلمون بينما حكامهم يبذرون الاموال في اهوائهم وملذاتهم غير آبهين بشعبهم وكأن البلاد والعباد والاموال هي ملك الحكام الخاص بهم.

الوحدة الاسلامية

نجحت فكرة الحركة الاسلامية في المهاجر الشرقية، وتحمس المثقفون منذ اواخر القرن التاسع عشر وتألفت لجان وهيئات وجمعيات، وتجاوب المسلمون عند ما قررت دولة الخلافة فتح خط للقطار لربط الشام بالمدينة المنورة الذي عرف بالخط الحديدي الحجازي لرعاية الحجاج، وعمت البشرى انحاء العالم الاسلامي وبادر المسلمون في المهجر الشرقي بتوجيه من السيد ابن شهاب لتأسيس لجان خاصة لجمع الاموال والتبرعات وارسالها الىٰ الباب العالي بواسطة مندوب دولة الخلافة بجاكرتا، مشاركة من مسلمي هذه الجهات لتحقيق المشروع.

وكانت هذه المبادرة الطيبة مفاجأة سارة لدولة الخلافة، وتقديرا من دولة الخلافة لهذه اللجنة بعثت إليها بشهادة تقدير وشكر، كما ان مندوب دولة الخلافة بجاكرتا حصل علىٰ تقدير وترقية في درجته.

اجتمع زمرة من الشباب المثقف المتحمس لحركة النهضة الاصلاحية فاسسوا اول جمعية اسلامية في ذلك الوقت باسم جمعية خير في عام ١٩٠٠، وبعد عامين أي في عام ١٩٠٢ اسسوا اول مدرسة اسلامية علىٰ الاسلوب والنظام الحديث في التربية والتعليم، ثم تكاثر بعد ذلك تشييد الجمعيات والمعاهد الاسلامية في كثير من بلدان اندونيسيا وماليزيا وسنغافورا وغيرها.

وانضم الىٰ جمعية خير وجهاء المسلمين وزعماؤهم مثل الحاج عمر سعيد جوكروامينوتو الذي اسس حزب شركة اسلام، والحاج أحمد دحلان الذي اسس جمعية المحمدية، والحاج سمنهودي مؤسس رابطة التجار المسلمين والحاج هاشم اشعري مؤسس جمعية نهضة العلماء.

ولما رأت حكومة هولندا تجمع المسلمين وانضواء زعمائهم في جمعية واحدة، اثار هذا الوضع قلقها ولم تعترف بوجود جمعية خير باعتبارها منظمة شعبية، واخذت تعاكس رجال الجمعية، ولكن هؤلاء الرجال استمروا في اعمالهم علىٰ رغم العراقيل الهولندية، بل وطد رجال الجمعية علاقتهم بالشخصيات الاسلامية في مصر وتركيا والهند، وفشلت هولندا في تحطيم هذه الحركة وتمزيق رجالها، لان نفوس المسلمين مهيأة لاستجابة دعوة النهضة الاصلاحية والكفاح ضد الاستعمار، وتعزيز التعاون مع المسلمين في العالم الاسلامي وهو ماتمليه العواطف الاسلامية والشعور بالاعتزاز بالاسلام، ولم تتمكن هولندا بكل وسائلها المتوفرة لديها من صد التيار الاسلامي الكاسح وزاد قلقها أكثر فأكثر عندما شاهدت العلاقات الوثيقة بين سلطنة اتجية (ACEH) بسومطرا الشمالية وبين دولة الخلافة في استنبول اثر معاهدة عقدت بين الحكومتين، علىٰ ان تزود دولة الخلافة سلطنة اتجية بالاسلحة. الامر الذي ازعج هولندا وارعبها تدفق الاسلحة الىٰ سلطنة اتجية، خصوصاً وان علاقة دولة الخلافة مع المانيا قبل الحرب العالمية الاولىٰ كانت وثيقة وحسنة جدا، وهذا امر مهم جدا بالنسبة لهولندا لان اية حركة أو اندلاع اية ثورة في الجزر الاندونيسية ستجد عونا مباشراً من دولة الخلافة ومن المانيا حليفة دولة الخلافة، خصوصاً وان العلاقات بين هولندا والمانيا في ذلك الوقت كانت غير حسنة. ترىٰ هولندا ان انبعاث الروح الاسلامية لدى الشعب والتحمس للحركات الاسلامية، هو الخطر الداهم علىٰ سلطتها ومصالحها، ولكنها لا تريد اتخاذ اسلوب القمع بالشدة خوفا من وجود ردود فعل عالمية ومجابهة دولة الخلافة.

فالعالم الاسلامي علىٰ رغم وضعه المتردي لا يزال ينظر الىٰ مكانة دولة الخلافة عصمة يأوي اليها.

واستمعت هولندا الىٰ آراء المستشرقين الهولنديين ونصائحهم لها في عدم مجابهة الحركات الاسلامية بصورة مباشرة، وإنما يتم ذلك باثارة الخلافات بين المسلمين انفسهم

لتحطيمهم من الداخل، ففوضت هولندا ادارة الشؤون الاسلامية الى المستشرقين برئاسة سنوك هو روغرونجي، فاجتمعوا واخذوا يتدارسون قضية الحركات الاسلامية وكيفية قمعها، وادعىٰ المستشرق سنوك بانه مسلم وانه ادى فريضة الحج ومكث في الحجاز وقتا يدرس الدين الاسلامي علىٰ فطاحل العلماء في الحرم المكي الشريف الذين شهدوا اسلامه، ولكن الواقع خلاف ذلك، فانه دخل الحجاز متستراً باسم مسلم ليصل الىٰ مكة المكرمة لعله يستطيع الاتصال بعلماء المسلمين ويستقصي احوال المسلمين ويستطلع آراءهم وافكارهم عن كثب سواء من القادمين للحج من العالم الاسلامي أو من علماء الحجاز، وهو بذلك يؤدي رسالته الاستشراقية ويخدم دولته، وبعد ان ادىٰ ما يجب عليه في الحجاز واصل مسيرته الىٰ بعض البلدان الاسلامية فقصد استنبول عاصمة دولة الخلافة وعرج علىٰ الشام والعراق ودخل مصر ليستكمل تقصيه لأحوال المسلمين وما هو تأثير الدين الاسلامي علىٰ الشعوب الاسلامية.

ولما عاد سنوك الىٰ اندونيسيا واصل رحلاته الىٰ الجزر المترامية الاطراف وتوجه الىٰ سلطنة اتجية باعتبارها اهم منطقة اسلامية، واخذت منه مدة طويلة لرحلاته هذه، ثم قدم تقريراً ضافيا عن رحلاته الاستطلاعية وما يجب علىٰ حكومة هولندا اتخاذه ضد الحركات الاسلامية.

ليس من السهل علىٰ هولندا تحطيم الحركات الاسلامية خصوصا وان اتجية هي السلطنة البارزة التي تعادي هولندا بقوة السلاح واستمرت هولندا تحارب اتجية بمساعدة بريطانيا فقد تم حصارها خلال الحرب العالمية الاولىٰ براً وبحراً ومنعت الامدادات الخارجية من الوصول إليها من جميع موانئها، حيث انشغلت دولة الخلافة وتورطت في الحرب العالمية الاولىٰ ثم انهارت امام الحلفاء عام ١٩١٦ وبذلك تم لهولندا احتلال سلطنة اتجية واسر سلطانها محمد داود شاه ونفي هو واسرته، ولكن هذا الاحتلال لم يدم طويلا فقد خرجت هولندا صاغرة في الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٢ من جميع

اندونيسيا واحتلت اليابان هذه المناطق بتأييد من الشعب الاندونيسي. أي ان احتلال هولندا لسلطنة اتجية دام قرابة ٢٦ عاما كانت مليئة بالثورات والكفاح والمقاومة ولم يستقر الامن لهولندا يوماً واحداً علىٰ رغم القوات الهائلة التي ارسلتها هولندا الىٰ اتجية وإنما تكبدت خسائر كبيرة في الارواح والعتاد.

اتخذ سنوك سلطنة اتجية خلال احتلال هولندا لها مركزا له ومن هنا كان سنوك يرسل تقاريره ومقترحاته الىٰ حكومته، وبعد عودته الىٰ مركز عمله في جاكرتا التي تطلق هولندا عليها اسم بتافيا حمل معه كل ما جمعه من وثائق وسلمها في ملف خاص الىٰ الوالي الهولندي المقيم بجاكرتا مضافاً لما يجب علىٰ حكومة هولندا اتخاذه حيال الحركات الاسلامية، وكشف سنوك لحكومته عن نقاط الضعف في المجتمع الاسلامي باندونيسيا. وفي توجيهاته يقول: ان الحركات الاسلامية لا يمكن قمعها بالقوة للقضاء عليها أو اعتقال زعمائها، لان العقيدة الاسلامية متمكنة في القلوب والمشاعر، وما حدث في سلطنة اتجية اعظم دليل حيث لا تزال هولندا تعاني المشاكل، ولكن هناك طريقة اخرىٰ في امكانية تمزيق شمل المسلمين وتحطيمهم وذلك باثارة الخلافات المذهبية واذكاء سوء التفاهم بينهم وتطعيم آرائهم بمفاهيم جديدة من ديمقراطية واشتراكية ووطنية وقاديانية.

الحقيقة التي لمسها سنوك هي انه لا وجود لاية حركة في اندونيسيا سوى الحركات الاسلامية وان العقيدة الاسلامية هي الوحيدة التي تحتل المكانة الاولىٰ في قلوب المسلمين، وعلىٰ رغم تاييد هولندا ودعمها للحركات التنصيرية لم يكتب لها النجاح بتاتا. لذلك جاءت مقترحات سنوك المبنية علىٰ ما وصل إليه خلال دراساته وتقصيه للاوضاع الاسلامية بعدم مواجهة الحركات الاسلامية ومحاولة ادخال المفاهيم الجديدة الاخرىٰ لتكون تلك المفاهيم هي التي تجابه وتقاوم الحركات الاسلامية.

نفذت حكومة هولندا تلك المقترحات وفتحت الابواب لمذهبي الاشتراكية

والقاديانية ووصل دعاة ذينك المذهبين مما اثار السخط بين المسلمين، ولكن السخط كان موجها ضد تلك المذاهب لا الى حكومة هولندا، وعلى اثر ذلك نشأت في اندونيسيا تيارات جديدة:

١ ـ التيار القومي الوطني مع اعتزازه بالاسلام.

٢ ـ التيار العلماني والاعتزاز بالقومية فقط.

٣ ـ التيار الاشتراكي.

٤ ـ تيار القاديانية.

وانشغل المسلمون بالمسائل الخلافية الفرعية التي لا طائل فيها، وكانت هذه التيارات اكبر عامل لاضعاف الحركات الاسلامية. اما الحركات القومية فقد وجدت ارضاً خصبة خصوصاً لدى المثقفين الذين تثقفوا في اوروبا وفي المدارس الاوروبية ومع كل ذلك فانه لم تحدث بين المسلمين والقوميين اية ازمة.

اما التيار الاشتراكي فقد تسلل الى الافراد في صفوف المسلمين والقوميين ثم ما فتئت ان ظهرت الدعوة للعودة الى التاريخ القديم (المابراتا) السنسكريتية والاعتزاز به، وان كانت هذه الدعوة لم تنل اهتمام الجمهور، غير ان القائمين بها يواصلون جهودهم باستمرار، وهكذا اصبح المسلمون امام هذه التيارات المختلفة المتناقضة يصارعون شتى الاهواء في الوقت الذي تشن فيه تلك التيارات على المسلمين هجمات عنيفة فاختلط الحابل بالنابل وتورط الكل في هذه المعمعات الفارغة التي لا نهاية لها، واستنفدت كل القوى، وتظاهرت هولندا بالحياد وهي التي تغذي تلك الحركات المعارضة للمسلمين، مدعية انها تسمح بالآراء والافكار المختلفة وتحترم حرية العقيدة وتسمي تلك الحركات بالحركات التقدمية.

ثم جاءت هولندا بالمهندس الهولندي سنيفليت (SNIVLIET) الماركسي المعروف والعضو البارز في الحزب الاشتراكي الديمقراطي الهولندي، الذي استقدم من

هولندا ليقيم في اندونيسيا لتحقيق المهمة الملقاة على عاتقه وهي تطبيق مخططات سنوك، وبدأ سنيفليت عمله بنشر المفاهيم الاشتراكية الحرة بين الشعب الاندونيسي. لم يخدم سنيفليت الاشتراكي حكومته بقدر ما كان يخدم عقيدته الماركسية، وقدمت السلطات الهولندية الحاكمة كل التسهيلات له.

كان سنيفليت ذكيا يتمتع بخبرة واسعة في الحركات الماركسية، كما ان له خبرة في كسب ودّ من يلتقي به حتىٰ كون له انصارا فتمكن في خلال وقت قصير من توثيق روابطه مع الشخصيات من خلال الاتصال بهم واقام معهم علاقات تتسم بالبراءة والاحترام والتقدير، وكان يستغل كل الفرص السانحة لتنفيذ خططه ومآربه. وظهرت مقدرته في تعامله مع بعض المواطنين وأثر علىٰ مجرىٰ افكارهم.

وشاهدت حكومة هولندا بوادر النجاح فضاعفت من تاييدها له فعززته برجال آخرين استقدمتهم من هولندا ليكونوا عونا له في مواصلة تنفيذ المخططات الرامية لتمزيق الحركات الاسلامية بالتاثير علىٰ مجرىٰ افكارها العامة وإحداث بلبلة فيها بشتىٰ المفاهيم.

لم تمر علىٰ زعماء المسلمين هذه المسرحية التي تغذيها حكومة هولندا مما ضاعف نشاط زعماء المسلمين في اتخاذ الحذر والاحتياطات اللازمة.

وصل المهندس بارس (IB. BAARS) الىٰ اندونيسيا ليكون الساعد الايمن لسنيفليت، وقد وصل علىٰ ظهر باخرة هولندية الىٰ جاكرتا.

لم يدع سنيفليت أو زميله بارس علنا الىٰ المفاهيم الشيوعية، وانما كانا يقولان انهما يدعوان الىٰ المزيد من الحرية والتجرد من العواطف والاتجاه نحو الحركات والافكار التقدمية، وعليه فانهما يؤكدان علىٰ ضرورة انشاء وتأسيس منظمة متحررة وان يتولىٰ ادارتها اصحاب العقول الحرة من المسلمين ولو كانوا من رجال الحركات الاسلامية.

بهذا الطريق نجح سنيفليت في خداع عدد من الاشخاص بعد تأثيره عليهم وإقناعهم بان خير سبيل للتحرر هو انتهاج (الليبرالية) المتحررة وانتهاج الخطة

الاشتراكية التي تضمن حل المشاكل الاجتماعية والتحرر من الموروثات والتقاليد البالية، فلا ينبغي الاعتزاز إلّا بالقومية والعنصرية.

كان لسنيفليت وزميله بارس اتصال مباشر بالمركز الشيوعي العالمي (KOMINTERN) عن طريق الحزب الماركسي الهولندي في هولندا.

في عام ١٩١٧ تأسس مرة أولىٰ في اندويسيا (الحزب الاشتراكي الديمقراطي) فرعاً للحزب الاشتراكي الديمقراطي في هولندا، ولم يجد الحزب اقبالاً من الشعب الاندونيسي مطلقاً وكان اعضاؤه من الهولنديين، وانكشفت اللعبة وبانت حقيقة هذا الحزب إذ انه لم يكن في هدفه تحرير اندونيسيا من الاحتلال الهولندي وليس في مواد الحزب شيء من هذا القبيل، خصوصاً وان الحزب انما هو فرع للحزب الام في هولندا ومرتبط به. وعلىٰ عكس هذا الحزب كانت الحركات الاسلامية تجاهد وتكافح لتحرير اندونيسيا من الاحتلال الهولندي.

بدأ الارتياب يغمر الحكام الهولنديين من عدم النجاح المأمول فلم يطمئنوا كل الاطمئنان الىٰ التطورات بعد تأسيس الحزب الاشتراكي الديمقراطي واتضح ان الاندونيسيين لم يقبلوا الانخراط في الحزب المذكور إلّا نفراً معدوداً ليس لهم في الحزب مركز يتبوأونه. وقائمة رجال هذا الحزب تتكون من الهولنديين فقط:

١ ـ سنيفليت	Snivliet
٢ ـ المستر ستوكفيس	J. E. Stokvis
٣ ـ المستر كرامر	IR. Cramer
٤ ـ المستر فان خندرن	Van Gendren
٥ المستر فان بورنيك	Van Bornik
٦ ـ المستر بارس	IR. Baars

وتنبه الكثير ممن كانوا قبل ذلك علىٰ ريب الىٰ أن ارتباط هذا الحزب بالحزب الام

في هولندا امر لا يمكن الاطمئنان إليه، مما حمل رجال هذا الحزب على اتخاذ طريق آخر لكسب الثقة. فاضطروا ان يعلنوا في عام ١٩١٩ بعد الحرب العالمية الاولى انفصال فرع الحزب في اندونيسيا عن الحزب الام في هولندا، واستقلال الفرع واعتباره حزباً قائماً بذاته، غير ان قادة الحزب بقوا في مراكزهم يسيطرون على دفة الحزب واستمر اتصالهم بالهيئة المركزية للحزب في هولندا. اما غير الهولنديين من الاندونيسيين في ادارة الحزب فهم:

١ ـ سماعون	SEMAOEN
٢ ـ دار سونو	DARSONO
٣ ـ تان مالاكا	TAN MALAKA
٤ ـ عالمين	ALIMIN
٥ ـ براويرو ديرجو	PRAWIRODIRDJO

في شهر ايار / مايو ١٩٢٠ اعلن هؤلاء الخمسة المنضمون الى الحزب الاشتراكي الديمقراطي الذي انفصل عن الحزب الام في هولندا تأسيس (الحزب الشيوعي الاندونيسي) بتأييد من (الكومنتيرم) الشيوعية العالمية. وفي شهر كانون الاول / ديسمبر من العام نفسه اعلن الحزب الشيوعي الاندونيسي التحاقه مباشرة وبصفة رسمية بالشيوعية العالمية KOMINTERN طبقا لمخطط سنيفليت واعوانه، وكانت السلطات الهولندية تقدم العون والتسهيلات للحزب بصفة غير مباشرة بحجة الديمقراطية والليبيرالية، وكان الهدف الاول مجابهة ومحاربة المسلمين.

يقول احد الصحافيين الهولنديين البارزين: بالتأكيد ان الشيوعية لم تكن في صالح هولندا، ولم يكن للشيوعيين في اندونيسيا وهي تحت هيمنة هولندا سوى نشر الالحاد الذي يجر الى الكثير من المشاكل العقائدية في البلاد.

اما السيد عبد الله بن علوي العطاس المكافح والمفكر المعروف فيقول: ان الحزب

الشيوعي الاندونيسي لم يكن إلّا دمية في يد المستعمر، ولذا لم يكن من هدف الحزب الاستقلال أو تحرير اندونيسيا من الاستعمار الهولندي وإنهاء هيمنتها علىٰ البلاد، وانما الهدف الوحيد مجابهة الحركات الاسلامية التي تطالب بالاستقلال وفك الاغلال من الهيمنة الهولندية. وفي عام ١٩٢٣ اعلن الحزب الشيوعي الاندونيسي مؤكداً ان دستور الحزب وهدفه الرئيسي هو قيادة الفلاحين والعمل ضد الرأسماليين والتجار المسلمين وهم الذين يستغلون الشعب استغلالاً لمصالحهم الذاتية باستعباد الشعب الفقير الضعيف.

يتضح من ذلك ان الهدف الاول والوحيد هو محاربة المسلمين فقط، ولم يشر الدستور ابدا الىٰ الاستعمار الهولندي ولا الىٰ مظالمه وطغيانه بل تفنن الحزب الشيوعي في دعايته الواسعة في محاربة الاقتصاد الاسلامي والدعاية للشيوعية، ولم تجد الحركات الاسلامية بداً من تعزيز موقفها ومجابهة الحزب الشيوعي والاستعمار الهولندي الذي يدعم الحزب الشيوعي، وقد اثارت اعمال الحزب الشيوعي الاستفزازية حفائظ المسلمين، واعلن حزب شركت اسلام عقد مؤتمر اسلامي في مدينة سورابايا عاصمة جاوا الشرقية، وقرر المؤتمر اقالة كل عضو في الحزب الاسلامي إذا انضم الىٰ الحزب الشيوعي، وكان هذا بداية سلسلة من المجابهات العنيفة بين المسلمين والحزب الشيوعي الاندونيسي بصفة علنية.

تعتبر حكومة هولندا ان سياسة سنيفليت واعوانه قد نالت نجاحا بتورط الحركات الاسلامية في هذا المأزق، وانشغلت عن مجابهة الاستعمار الهولندي، وانشغل المسلمون بقضية جديدة تستنزف الكثير من طاقاتهم وقواهم.

ان اخراج الاعضاء المسلمين من حزب شركت اسلام بسبب اتصالهم برجال الحزب الشيوعي كان له الأثر السيئ في نفوس المرفوضين الذين اصبحوا فيما بعد اشد اعداء المسلمين، وقد قال البعض: إن الحماس والتسرع في اقالة ورفض الاعضاء من حزب شركت اسلام قد جر الىٰ عواقب غير مرضية، وكان القرار بعيداً عن الاتزان

والحكمة، خصوصاً من الذين رفضوا شخصيات مرموقة ذات قيمة في المجتمع، وكذلك تشهيرهم في مؤتمر عام وامام جمع غفير من الملأ ثم تعريتهم في الصحف، فكان من الطبيعي الحتمي ان يقوم هؤلاء برد فعل اكبر لتعزيز مواقفهم والدفاع عن انفسهم لحفظ كرامتهم التي اعتبروا أنها قد انتهكت ظلماً وطغياناً، فاتهموا رجال حزب شركت اسلام بالبرجوازية والدفاع عن الرأسمالية.

تطورت الامور بعد تلك الحادثة واضطر حزب شركت اسلام الىٰ سلوك طريق واسلوب اكثر مرونة معهم فبدلاً من قساوة الرفض والابعاد لهؤلاء الاشخاص دعا الىٰ اتخاذ سبل التفاهم لازالة اسباب الخلافات التي يمكن علاجها.

نتيجة لهذه الصراعات المأساوية غادر سماعون رئيس الحزب الشيوعي الاندونيسي في شهر تشرين الاول / اكتوبر عام ١٩٢١ ورفيقه دارسونو، اندونيسيا متوجهين الىٰ موسكو بدعوة من الشيوعية العالمية بصفة وفد رسمي من اندونيسيا لتقوية اواصر المودة والاخاء الشيوعي بين اندونيسيا والاتحاد السوفييتي وبين الشعب الاندونيسي والشعب السوفييتي.

تفاقم العداء واستمر الخصام بين حزب شركت اسلام والحزب الشيوعي خصوصا بعد ان عقد الحزب الشيوعي مؤتمره يوم ٢٤ كانون الاول / ديسمبر عام ١٩٢١ برئاسة تان مالاكا وكان هذا المؤتمر رد فعل لمؤتمر حزب شركت اسلام المنعقد قبل شهرين وذلك في شهر تشرين / اكتوبر ١٩٢١ في مدينة سورابايا، وقرر الحزب الشيوعي في مؤتمره اعتبار لينين هو الزعيم الاوحد للشيوعيين في العالم وانه منقذ البشر من طغيان الرأسمالية، وكان ذلك مجابهة مكشوفة لحزب شركت اسلام.

اما سماعون ودارسونو فقد بقيا في الاتحاد السوفييتي حتىٰ عام ١٩٢٣، وحينما عادا كانا يحملان معهما تعليمات الكرملين لتوطيد اركان الشيوعية باندونيسيا وكانا مسلحين بسلاح التجارب الشيوعية الدولية، وكان اول عمل قام به سماعون بعد عودته

من موسكو تكوين منظمة عمالية تحت اشرافه المباشر. كان سماعون نشيطا ومتصلا بالفلاحين والعمال مركزا هجومه ضد شركت اسلام والمسلمين بصفة عامة، وكان يقصد من وراء ذلك تجزئة المسلمين والتفريق بين حزب شركت اسلام وبقية المسلمين، متهما هذا الحزب بانه منظمة بورجوازية راسمالية اسس لحماية مصالح البرجوازيين والرأسماليين، واخذ سماعون بهذا الاسلوب وهو تجميع العمال والفلاحين واثارة عواطفهم ضد التجار المسلمين، وهم لا يعلمون حقيقة سماعون وهدفه لبث مفاهيم الشيوعية ومحاربة الاسلام المتمثل في شخصية حزب شركت اسلام ونشر مشاعر البغض والكراهية لكل ما هو غير شيوعي.

هذه الاعمال الاستفزازية ادت الىٰ المزيد من تفاقم الصراع واشتداد المجابهة بين الشيوعيين والمسلمين وتطورت الامور الىٰ معارك اشتبك فيها الطرفان أدت الىٰ اراقة الدماء. قاوم حزب شركت اسلام اعمال العنف والاستفزاز من قبل الشيوعيين الذين استخدموا العمال والفلاحين وقرر الحزب انه من الضروري الدعوة لعقد مؤتمر اسلامي عام للمسلمين لتدارس التطورات الجديدة ومدى تأثيرها علىٰ المجتمع الاسلامي وما يجب علىٰ المؤتمر اتخاذه من قرارات حيالها. تم عقد المؤتمر في مدينة شربون بجاوا الغربية (CIREDON) اشترك فيه الشخصيات الاسلامية، وتدارسوا قرارا ايجابيا حاسما ولكن اكتفىٰ باصدار بيان وتوصيات ونداءات وجهت للمسلمين تشتمل علىٰ:

١ ـ الدعوة الىٰ المزيد من التضامن والتعاضد والتكاتف.

٢ ـ تشكيل جبهة موحدة لمواجهة الاعمال الاستفزازية الشيوعية ضد المسلمين.

٣ ـ يجب علىٰ المسلمين تلبية هذا النداء امام هذا الخطر المحدق بالمسلمين، فالتهاون والاهمال يجر الى استفحال الاعمال الاستفزازية التي ستكون وبالا علىٰ المسلمين.

٤ ـ الحزب الشيوعي يتلقى مساعدة مادية ومعنوية من موسكو ومن حكومة الاحتلال الهولندي.

ومن يمعن النظر يرى ان المسلمين وحزبهم المتمثل في حزب شركت اسلام اصبحوا في موقف المدافع بدلا من موقف المهاجم.

انتقل السيد ابن شهاب الىٰ رحمة الله في ٢٩ كانون الاول / ديسمبر عام ١٩٢٢ وبعد وفاته بشهرين اعلن حزب شركت اسلام في شهر شباط / فبراير عام ١٩٢٣ عن تطوير دستوره وجعل حزب شركت اسلام حزباً إسلامياً سياسياً، مستهدفاً توسيع مجال النضال ليكون اعظم رسوخاً واكثر قدرة علىٰ الكفاح، وذلك بناء علىٰ التوجيهات التي كان السيد ابن شهاب يوجهها للمسلمين قبل وفاته.

وأتىٰ هذا التعديل في دستور حزب شركت اسلام بثمار ملموسة وتغيرت الاوضاع من حسن الىٰ احسن.

لو اتخذ حزب شركت اسلام هذا الاسلوب المرن بدلاً من ذلك القرار الذي قرره في مؤتمره في مدينة سورابايا من رفض واقالة بعض الشخصيات لتفادىٰ المشاكل وربما سلم من التورط في مجابهة الشيوعيين وربما فشل الشيوعيون أيضاً.

اما حكومة الاستعمار الهولندي فلم يخامرها الاطمئنان، وكان القلق يساورها نتيجة لهذه المسيرة الاسلامية وتحول شركت اسلام الىٰ حزب اسلامي مكافح ضد كل قوى البغي والطغيان بجميع اشكاله واوضاعه. واخذت تبحث مع مستشاريها من المستشرقين طرقا اخرىٰ ضد امتداد الحركات الاسلامية المتصاعدة وازدياد تضامن المسلمين وتكتلهم في بوتقة واحدة علىٰ اساس عقائدي ديني.

لم تكتف هولندا بتشجيع ودعم الشيوعيين ومنظماتهم وإنما وسعت اعمالها بدعم كل حركة مضادة لنشر المزيد من البلابل الدينية باثارة المسائل الخلافية الفرعية حيث عززت الحركة القاديانية وتواطأت مع بريطانيا علىٰ تأييدها وفسح المجال لها، لانها حركة اسلامية متحررة متطورة، وأتاحت فرص العمل في دوائر الاستعمار الهولندي لمن ينتمي للاحمدية القاديانية في اندونيسيا تحت قيادة الشيخ رحمة الله الهندي الذي

استقدمته هولندا من الهند ليقيم في أندونيسيا ويتولىٰ دفة الحركة الاحمدية القـاديانية باندونيسيا، وكان الشيخ رحمة الله يدعو الىٰ تـصديق نـبوة مـيرزا غـلام احمـد، نـبي الاحمدية. وانطلق المسلمون يقاومون الدعوة الاحمدية القاديانية في جـهة ويـقاومون الشيوعيين في جهة اخرىٰ، وامام المسلمين كذلك الاستعمار الهولندي، فهم يجاهدون في ثلاث جبهات في وقت واحد، واصبحوا غارقين في دوامة من المعارك.

في وسط هذا الجو المحموم تكتل الشيوعيون والقاديانيون ومن ورائهم هـولندا لمجابهة المسلمين لتمزيق شملهم وتفريق كلمتهم بـاستنزاف قـواهـم المـادية والمـعنوية. واستغلت الكتلة الشيوعية القاديانية هذه الدوامة باتهام المسلمين بانهم قد فشـلوا في حركاتهم وتورطوا في متاهات وغرقوا في مجادلات فارغة، احدثت بالمجموع الاسلامي ضررا كبيرا وضاعت الاوقات سدى وبدون جدوى بينما الشعب يرزح تحت ظل الفقر، وكان الشيوعيون يدعون أنهم في المكان الاول يهتمون باوضاع الفلاحين والعمال الذين يستغلهم ارباب المصالح من البرجوازيين والرأسماليين ويكافحون مـن اجـل الشـعب لتحسين احواله ورفع مستواه المعيشي.

لم تنل الشعارات الاشتراكية ولا المفاهيم الاحمدية اية اهتمام من الشعب بل قابلها بالهزء والسخرية، فتحمس الشعب للاسلام وانـضوىٰ تحت القـيادات الاسـلامية ولم تزعزع الشعارات الشيوعية ولا الدعوة الاحمدية القاديانية من عقيدتهم شيئاً لان كلتا الفرقتين عميلة للاستعمار، والاستعمار مكروه ومنبوذ.

وهكذا فشلت كل الحركات المناوئة للاسلام، واستمر المسـلمون في جـهادهم المتواصل بدون توقف بل وتصاعد الكفاح ضد الاستعمارر الهولندي حتىٰ نال الشعب استقلاله التام الذي اعلنه الرئيس أحمد سوكرنو ونائبه الدكتور محمد حتي في صباح يوم ١٧ أغسطس عام ١٩٤٥. وبذلك تم للشعب الاندونيسي ان يتمتع باسلامه وحريته.

اساليب محاربة المسلمين

لا تختلف اساليب الاستعمار الغربي عن اساليب الاستعباد الشرقي في محاربة المسلمين، فالاستعمار ملة واحدة، وعدو الاستعمار المشترك هو الاسلام، يمكن الاستعمار ان يهادن البوذية أو الهندوكية أو المجوسية ولكن الاستعمار لن يهادن المسلمين، فالمسلمون هم الاعداء اللدودون في نظر الاستعمار.

ومن اجل ذلك اتبع الاستعمار كل اسلوب لمحاربة المسلمين، من خداع وتمويه وايجاد بلبلة في الافكار وفي العقائد ثم التشكيك في الدين أو على الاقل التهاون والاستخفاف به مما يضعف الروح المعنوية لدى المسلمين. وهذه الاساليب لم تكن عفوية وانما هي مبنية على دراسة قام بها المتخصصون من المستشرقين للأُمور التالية:

الاول: اسباب تغلغل الاسلام في نفوس الشعب.

الثاني: ما مدى تأثير التربية الدينية؟

الثالث: هل تساعد العادات والطقوس على تركيز المفاهيم الاسلامية؟

الرابع: ما هي طموحات المسلمين؟

درسوا هذه النقاط دراسة عميقة من جميع جوانبها واستخلصوا منها تلك النظرية التي وضعوها لمحاربة المسلمين، لا بالسلاح البتار ولكن باضعاف الروح المعنوية ثم الاستخفاف بما هو روح الاسلام والنظر الى الدين نظر عدم اهتمام ثم تعظيم كل ما هو غربي، ثم ربطوا ذلك بالامور الاجتماعية والسياسية وتوصلوا الى هذه الامور:

١ ـ تحطيم مفاهيم وقيم العقائد الدينية في نفوس المسلمين وشبابهم بشكل خاص لابعادهم عن الروح الاسلامية.

٢ ـ الهزء والسخرية بكل فكرة دينية، واتهام المسلمين بالتطرف والمغالاة

وتصويرهم بقلة زنة العقل والتعصب والعيش في عالم الخيالات، ولاجل ذلك فالمسلمون فاشلون في حياتهم.

٣ـ حصر تعريف مفهوم الدين والمتدين بالخمول والخامل.

طبق الاستعمار هذه الاساليب في المدارس، ولقن الطلبة هذه الفكرة وغرسها في عقولهم وافكارهم حتىٰ صارت كأنها عقيدتهم وخرجوا من مدارسهم وهم يحملون هذه العقيدة وينظرون الىٰ قومهم بنظرة الاستخفاف والاحتقار وربما قاوموا المتدينين وعادوهم وحاربوهم، فكان من هذا الانشقاق في الصفوف والتمزق في الوحدة.

هذه الامور كلها واقعة في البلدان الاسلامية، وواضحة المعالم لمن القى البصر وكان علىٰ بصيرة.

وامام هذه الاوضاع الاستعمارية، كان للسيد ابن شهاب اسلوبه في مواجهة تلك الاساليب وزعزعة اركانها:

اولا: باعداد كوادر من الشباب المثقف المتنور وتغذيته بالروح الدينية.

ثانياً: تغذية الشباب بروح الكفاح للدفاع عن الحق.

ثالثاً: علىٰ الكوادر الناجحين انشاء كوادر اخرىٰ ليكونوا سلسلة متماسكة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً في مواجهة الاساليب الاستعمارية.

رابعاً: الاتصال المباشر بجميع طبقات الشعب ومستوياته وتوعية الجميع باللغة والاسلوب الذي يسهل لهم ادراكه وفهمه وتقبله واثارة حماسهم.

خامساً: الاكثار من عقد الندوات والمحاضرات بالاسلوب الذي يدركه كل علىٰ قدر ادراكه ومستوىٰ عقليته، والاستشهاد بالقصائد الحمينية الدارجة، وضرب الامثال وسرد القصص المثيرة، حتىٰ يتمكن السامعون من نقلها واعادة روايتها لغيرهم بنفس الطريقة.

سادساً: تجنيد كل القوى الشعبية من العامل والفلاح والموظف والطالب والتاجر

والصياد وغيرهم في كل محل وكل موقع.

سابعاً: اتباع اسلوب الانشاد الحماسي لاثارة الحمية وغرس روح الوعي لمخططات الاستعمار حتىٰ يتناقل السامعون تلك القصائد المنشدة التي تزيدهم كلما سمعوها حماسة وكراهية للمستعمر، فترىٰ العامل في معمله والفلاح في حقله والطالب في مدرسته والموظف في مكتبه والمعلم امام تلامذته كلهم يتناقلون ما سمعوه من اقاصيص وقصائد مما علق في اذهانهم وتقبلته مشاعرهم فاخذوا يتغنون بها مغتبطين.

ثامناً: نقل هذه الامور من مدينة الىٰ اخرىٰ ومن قرية الىٰ قرية بواسطة الكوادر المتشبعين بهذه الموهبة، حتىٰ تدور بين ألسن الجميع في احاديثهم في سمراتهم وسهراتهم.

تاسعاً: تجنيد الخطباء والكتاب لمجابهة حيل الاستعمار وتعريتها وفضحها وتصويرها بانها الشيطان الخبيث والعدو اللدود للاسلام والمسلمين وتحطيم الاصنام الاستعمارية وعملائها.

نجح السيد ابن شهاب في منهجه هذا، واصبح الكل يتغنىٰ بالقصائد الحمينية النبطية في المجالس والسمرات ويردد القصاصون تلك الاقاصيص المثيرة امام السامعين الذين يسمعون بكثير من الحماس والكراهية للمستعمر، وتعرض الاستعمار في المهجر الشرقي لسخرية الشعب المليئة بالكراهية والبغض له، وحاول الاستعمار تلافي الاوضاع المتدهورة ودراسة اسبابها ومعرفة من هم وراء هذه الاعمال التي عرقلت سير الاستعمار.

الشعر الحميني النبطي الذي يتناقله السمّار في احاديثهم واغانيهم المليئة بالتهكم والسخرية بالاستعمار واذناب الاستعمار من العملاء، هو الذي اثار غضب المستعمر، فأخذ يتتبع الشعراء الحمينيين ليعرف من هم وماذا قالوه في المستعمر، ولكثرة القصائد وتعدد مراميها واتجاهاتها واسلوب قائلها واختلاف عباراتها صعب علىٰ المستعمر واعوانه معرفة شخصية القائل، وفاتهم ان جل تلك القصائد الحمينية النبطية من نظم السيد ابن شهاب إلّا ان البعض من العملاء الذين لهم المام بعبارات السيد ابن شهاب قال

انه لا يستبعد ان تلك القصائد الحماسية من نظم السيد ابن شهاب لانها مليئة باساليب الضرب علىٰ الوتر السياسي الحساس وبالآراء والافكار الحرة واثارة شعور وحماس الشعب.

لقد مضىٰ علىٰ تلك الحوادث الىٰ اليوم ما يقرب من قرن من الزمن، ولكن الحفاظ والقصاصين لا يزالون يحفظونها عن ظهر قلب ويعيدون قراءتها وروايتها في كثير من المناسبات خصوصاً في السمرات الغنائية، وقد تطور الزمن ولكن القصة لا تزال باقية حية.

ان وسائل الاعلام في ذلك الوقت كانت محدودة المعالم وفي نطاق ضيق محصور لم تبلغ مابلغته اليوم، فلا صحف كبيرة واسعة وانما يطبع منها عدد محدود لا يتعدى عدة الآف نسخة، ولم يكن المذياع ولا التلفاز معروفين في ذلك الوقت.

وسائل الاعلام في ذلك الوقت لا تتعدىٰ الصحف المحدودة كما ذكرناه، أو الاجتماعات في المساجد أو في بعض الساحات، ليستمع الحاضرون الىٰ ما يلقي الخطيب عليهم في الموضوع المقرر إما لاثارة حمية أو إلقاء قصيدة أو استعراض نشرة.

ومن هذا المجال المحدود الضيق استطاع السيد ابن شهاب زعزعة قوىٰ الاستعمار واركانه، وعلىٰ رغم هذا النجاح كان علىٰ السيد ابن شهاب ان يدفع الثمن باهضاً، حيث استطاعت هولندا مؤخرا ابعاد السيد ابن شهاب من مستعمراتها بعد ان مكث فيها اربع سنوات متتالية في مدينة سورابايا واغلاق مشاريعه الاقتصادية بالمصادرة والتأميم، ولكن هولندا لم تستطع ان تزعزع قيد شعرة من مشروعه في النهضة الاصلاحية التي ظلت تنمو وتتوسع وتكبر وتتعاظم حتىٰ انتهت بعد سنوات الىٰ ازالة الاستعمار الهولندي من الاراضي التي استعمرها وإخراجه منها خاسئاً.

علمت بعد التحري الدقيق ان القيادات المسيحية العليا في مخططاتها العالمية بجميع مذاهبها واتجاهاتها من كاثوليكية وبروتستانتية وغيرها لا تريد من المسلمين خصوصا

من الفقراء والجهلة ان يكونوا نصارى، إذ لا فائدة من تنصرهم للنظام المسيحي في شيء، وانما سيكونون العبء الثقيل علىٰ كاهل النظام المسيحي، يكفي ان يكونوا مسلمين بالاسم لا بالروح والعقيدة، مسلمين غير مثقفين مسالمين متسامحين بدون روح اسلامية ضعفاء في اوضاعهم ممزقين في افكارهم وبذلك يعجزون عن القيام بالعمل الجدي الايجابي، ويكونون ضعفاء دائماً، والضعيف لا يمكن ان يقوم بعمل وهو يخشىٰ القوي ويحاذره ويخطب وده ويخشىٰ سطوته ويطلب حمايته. ان النظام المسيحي يريد من المسلمين ان يبقوا علىٰ اسلامهم ينظرون الىٰ الحضارة الغربية ومدنيتها بالكراهية ويحكمون عليها بالتحريم، وينظرون الىٰ المذياع والتلفاز وآلة التصوير وعلم الجغرافيا والفلسفة وكروية الارض والفنون والوصول الىٰ القمر أنها بدع محرمة إذ لم توجد في ايام الرسول ﷺ. هذه النظرية تجد سنداً قويا لها من النظام المسيحي.

وفرقة اخرىٰ من المسلمين تنظر الىٰ الغرب بالتعظيم والاجلال والاعجاب والدليل علىٰ ان النظام المسيحي لا يريد من المسلمين ان يتنصروا، بل يبقوا علىٰ جهالتهم، هو ان في الشارع الموازي للشارع الذي اسكن فيه توجد مدرسة مسيحية ومن البيت الذي اسكنه نسمع صوت المعلم عندما يلقي دروسه ونسمع التلاميذ حينما يقرأون دروسهم، وفي يوم الجمعة من كل اسبوع يجتمع التلامذة المسلمون في قسم واحد لتلقى عليهم دروس من القرآن الكريم، وكنا نسمع بوضوح تام كيف يقرأ التلاميذ سورا قصيرة من جزء عمّ ثم يتلون قنوت صلاة الصبح، واطمأن الناس ان المدرسة المسيحية تدرس الاسلام للتلاميذ المسلمين. وما علم المسلمون ان وراء هذه المناورة غاية اخرىٰ لفائدة المسيحية:

اولاً: ليطمئن آباء التلامذة ان ابناءهم يتلقون دروسا اسلامية، وانهم لن يتنصروا.

ثانياً: ان تلك الدروس انما تعطىٰ للتلاميذ حفظا لا عقيدة، لتكون للتلاميذ مجرد

طقوس.

ثالثاً: ينظر التلميذ المسلم الىٰ زميله المسيحي وهو يتلق دروسه بشيء من الاعجاب والتسامح، حتىٰ ينشأ ويترعرع علىٰ تلك النظرة.

والخلاصة انهم يريدون ان نكون جهلة متأخرين متزمتين متناحرين لا فائدة منا. وهل يتعظ المسلمون ويعون؟

المتزمتون:

المتزمتون والمتعصبون تحكمهم عقلية تقاليدهم الموروثة وانتمائهم الىٰ عقائد واساطير مزدوجة بالية وتقاليد جاهلية نشأوا وترعرعوا عليها، وطقوس رعناء تطبعوا بها، ومفاهيم عكسية تربوا عليها، وانتقشت في اذهانهم وقلوبهم حتىٰ اصبحت جزءاً من الايمان الذي يؤمنونه، يعيشون معها وفي كنفها طوال حياتهم، فانعزلوا تمام الانعزال عن الافكار الصحيحة النيرة والتقدم العلمي والتطورات المستحدثة، والحياة الاجتماعية المزدهرة، فاصبحوا بحتمية انعزالهم جامدين كالصخور الصلدة متزمتين.

توجد مثل هذه الجماعات فرق شتىٰ متنوعة النزعات، مختلفة المشارب في تزمتها وعقولها المتحجرة، ووجود تلك الفئات بهذه الحالة كونت في العالم المتنور صورة قاتمة للمسلمين في نظر الغير، فشوهت سمعة الاسلام وعكست عنه منظرا سيئاً مزرياً.

كيف يمكن لامة تعيش في عصر العلم من القرن الخامس عشر الهجري أو القرن العشرين الميلادي ان تؤمن بمفاهيم بدائية وتعتقد بأن الارض مسطحة ساكنة في مكانها، ثابته ثبوت الجبال الراسخات، لا تدور ولا تتحرك، والقائلون بكروية الارض في نظر تلك الفئة بغاة كفار، وان واختراق اجواء الفضاء من هراء الكفرة والزنادقة، والتصديق بوصول الانسان الىٰ القمر كفر وارتداد عن الاسلام. وان كل شيء غير موجود في عصر النبوة فهو بدعة وضلالة في عرفها واعتقادها، ومن آمن بالبدع فمقره جهنم.

المذياع والتلفاز وآلة التصوير كلها محرمة تحريماً قطعياً وكل ما يأتي من الكفار لا يمكن تصديقه ولا اتباعه، والعلوم مثل الفلسفة وعلم النفس وعلم الطبيعة وغيرها تعتبر لدىٰ هذه الفئة من الكبائر المحرمة تحريماً قطعياً، وتلقي تلك العلوم ودراستها يجران الىٰ الكفر والالحاد.

ان وجود اناس من امثال تلك الفئة بين كل امة في اي عصر من العصور أمر مألوف غير مستغرب. فكم يحدثنا التاريخ بالشيء الكثير عن امثال تلك الفئات في الشرق والغرب.

ولننظر هنا الىٰ بعض فتاوىٰ المتزمتين باختصار، حتىٰ يتضح للقارئ مبلغ عقليتهم وسخافة مستواهم ونذالة اقوالهم واحاديثهم التافهة الفارغة.

١ ـ كفر من يعتقد بكروية الارض أو دورانها، لتعارضها مع الآية الكريمة من قوله تعالىٰ: ﴿ وإلىٰ الارض كيف سطحت ﴾.

٢ ـ القول باختراق الانسان الفضاء ووصوله الىٰ القمر هراء وكذب صريح، وتصديقه كفر، لان في ذلك تعالياً علىٰ قدرة الله.

٣ ـ السينما والتلفاز والتصوير كلها محرمة قطعياً.

٤ ـ تحريم اكل ذبائح من انتسب الىٰ الاسلام وهو يتوسل بالنبي أو يزور القبور أو يقيم حفلات ذكرى مولد الرسول ﷺ أو الاحتفال بالمعراج. فهؤلاء في حكم هذه الفئة المتزمتة كفار مشركون زنادقة اخس من الوثنيين والمجوس، ولاجل ذلك تحرم اكل ذبائحهم، لارتدادهم عن الاسلام.

٥ ـ يحرم النطق بالنية في كل الاعمال، والتلفظ بها من المبطلات.

٦ ـ تعليم المرأة حرام لقول الشيخ خير الله نعمان بذلك.

٧ ـ زيارة القبور كفر واشراك بالله.

٨ ـ الدعاء للاموات من البدع والفسوق.

٩ ـ الفلسفة محرمة لانها من تعليم الكفرة والزنادقة.

١٠ ـ رواد الفلسفة مثل ابن سينا والفارابي وابن خلدون والغزالي والكندي وغيرهم كلهم كفار وملاحدة.

١١ ـ لا يجوز تلقين الميت ومن فعله فقد كفر.

١٢ ـ السفر الىٰ ديار الكفر حرام.

١٣ ـ المحافظة علىٰ الآثار التاريخية حكمها كعبادة الاوثان والاصنام.

١٤ ـ زيارة المتاحف محرمة، لما فيها من تعظيم لغير الله وهو شرك محض.

هذه بعض فتاويهم وغيرها كثير، من امثال تلك الترهات. ومن الطبيعي ان يرى المتعلم والمثقف والمتنور تلك الفتاوىٰ التي يطلق عليها (الاحكام الاسلامية) أنه لا يمكن ان يقبلها عقل سليم لمناقضتها للنواميس الطبيعية وبعدها عن العلم ومخالفتها لتعاليم الاسلام الصحيحة، ومن العجب العجاب ان تلك الفئة تقول عن نفسها انها داعية للامر بالمعروف والنهي عن المنكر وأنها تدعو شعوب العالم الىٰ الاسلام، بينما هم سخفاء في التفكير وأجلاف في التعبير ولهم خشونة في المعاملة وقساوة في الكلام، مما يعطي الانطباع السيئ عن الاسلام، لانهم يتكلمون باسم الاسلام.

ان وجود هذه الفئات بين المجتمعات الاسلامية اليوم قد عرقلت اعمال الدعاة المصلحين وأساءت إلىٰ سمعتهم. فمن الطبيعي المحتوم ان يكون رد الفعل من المتنورين بنور العلم شديدا علىٰ تلك الفئة حاملي الافكار البالية، وتكونت بطبيعة الحال جبهتان: جبهة المتنورين المتعلمين وجبهة الفئة المتزمتة، ولكل من الجبهتين اتباع ومؤيدون.

ان الاسلام هو الاسلام من اليوم الذي صدع به النبي محمدﷺ حتىٰ آخر الزمن. الاسلام دين رباني بوحي الاله، وهو دين خالد لا يبلى ولا يتغير ولا يتبدل، والاسلام في اعلىٰ عليين، ولكن المسلمين هم الذين فسدوا وهم الذين زاغوا عن الجادة وعن المحجة المثلىٰ.

التزمت والتعصب في نظر العلم هو عقم الفكر وتحجر العقل، لان العلم نور يضيء في حياة الفرد الانساني وهو الذي يعطي سعة الافق وبعد النظر وسداد الرؤية ويدفعه ليطلب المزيد بالتفكر بكل ما خلقه الله وما اودعه في هـذا الكـون. وبـعكسه يكـون المتزمتون والمتعصبون الجامدون حيث يعيشون في ازمة من الفكر والتطلع فينساقون إلىٰ التصديق بالاساطير الملفقة والحكايات الخيالية، فلم يأبهوا بالعلم وحرموا من نور العلم والدين الحنيف الذي يحث علىٰ الاستعانة بالعقل لاكتساب المزيد من المعرفة وبعد النظر.

التزمت والتعصب يعمي البصيرة لا البصر، ويلوث النـفس، ويجـعل الانسـان يرفض كل شيء حتىٰ الاصلاح، ويخشى كل جديد صالح مفيد، ولإصراره علىٰ جموده وعناده، يرىٰ الباطل حقا ويتعصب له ويرىٰ الحق باطلا فيحاربه.

ان العقل الذي كرم الله به الانسان لينتفع به ويميزه عن غيره من سائر المخلوقات، استفاد منه الواعون وحرمه المتزمتون، فخسروا كل شيء حتىٰ عقولهم، خسروا اعظم ما منحه الله لعباده من البشر، هذه النعمة الكبيرة، وهي العقل.

في هذا الاطار الضيق من التزمت والتعصب وعلىٰ اساسه نشأت وترعرعت فئة المتزمتين، وتربىٰ تلامذتهم علىٰ ما عاشوا ونشأوا عليه والفوه في حياتهم وحرصوا عليه كل الحرص لينشأ ابناؤهم وتلامذتهم مؤمنين بما آمنوا به ولم يكتفوا بحصر عقيدتهم في سلالاتهم وتلامذتهم واتباعهم، فحاولوا جهد طاقتهم فرض عقائدهم علىٰ الغير فرضاً بالاكراه والدعوة الىٰ طريقهم بالالزام والقوة ومن رفض قبول دعوتهم اتهموه بـالكفر والشرك. وقد ينخدع الجاهل والمغرور الذي لا يفهم شيئاً فينساق الىٰ دعوة المتزمتين خوفاً من الوقوع في الكفر والشرك.

يقول العلامة الاستاذ محمد جواد مغنية[1]:

ان الاسلام دين عمل حقا وواقعا، العمل من اجل حياه افضل في شتىٰ الميادين.

---

(١) في ظلال نهج البلاغة، الجزء الاول صفحة ١٩٨. الطبعة الثانية.

ومن هنا أيضاً يبارك الاسلام الخصب والرخاء ويحرص علىٰ الامن والعدل، ويستنكر الفقر والتخلف، ويلعن الاستعباد والاستغلال، ويثور علىٰ الظلم والعدوان، وهـذا هـو الاسلام واضح وبسيط ومقنع في جميع تعاليمه التي تمثل الاحساس بمعاني الحياة ومطالبها ومسؤوليتها. ولا مشاكل للاسلام ولا فيه إلا مشكلة واحدة تسربت إليه من اساءة الفهم الخاطيء الجائر من الذين يدعونه ويمجدونه علىٰ اساس انه عواطف ومجاهيل، وشعائر وتقاليد وكفىٰ.

ثم يتهمون كل من يعرف الاسلام علىٰ حقيقته ويرمونه بما شاء لهم من الجـهل والغرض. ولو ابتعد الادعياء أو ابعدوا من الدين ووظائفه لدخل الشباب في ديـن الله افواجا، ونبذوا التيارات الشائعة في هذا العصر.

هذا قول العلامة الاستاذ الجليل محمد جواد مغنية، انها النظرة الصائبة الحقة التي جاءت في موضعها الصحيح. وبعبارة اخرىٰ ان ادعياء الدين هم حجر عثرة في طريق نشر الاسلام الصحيح، هؤلاء الفئة المتزمتة هم المنفّرون للناس من الاسـلام بـافعالهم واقوالهم، التي يستميتون من اجلها خصوصا إذا كانت لهم فيها مصالح مادية.

ليس من السهل لمصلح أو لرائد اصلاح كالسيد ابن شهاب في نهضته الاصلاحية ان يطور وضع هذا المجتمع الفاسد بإيقاظ عـقول الجـامدين ومحـو مـفاهيم المـتزمتين المتحجرة أو صقلها واصلاحها. السيد ابـن شهـاب لم يـيأس رغـم كـل ذلك ورغـم المقاومات والاعتراضات، بل استمر مكافحا في جهاده مواصلا اعماله حتىٰ توفق ونجح بعد مقاساته المتاعب وتعرضه للمصاعب واستطاع ان يـقلب المـوازيـن والاوضـاع ويصلح الفاسد منها وينوّر الافكار. ولولا مقاومة المتزمتين والمتعصبين بشكل مباشر وغير مباشر لنهضة السيد ابن شهاب، لما احرز السيد ابن شهاب النجاح، فالمتزمتون هم الذين مهدوا السبيل من حـيث لا يـعلمون، لان مـقاومة المـتزمتين ومـعارضتهم له وصدودهم عن سبيله ومساعيه الاصلاحية احدثت رد فعل اشد واقوىٰ فشاع وذاع

ذكره وكثر المهتمون به وبقضيته حتىٰ اصبح اسم السيد ابن شهاب حديث المجالس من محبيه ومن مبغضيه وتتبع الكل اخباره ومنجزات اعماله باهتمام عظيم، وبتمعن زائد للوقوف علىٰ مدىٰ سير التطور الحقيقي في دعوته التي يدعو اليها.

اما المعارضون وهم المتزمتون التي طبعت نفوسهم علىٰ المعارضة لكل اصلاح ومعاداة كل مصلح لحقدهم وجهلهم وسوء نيتهم، فقد اثارت معارضتهم للحركة الاصلاحية حماس الشباب المتنور ودفعتهم للتقرب الىٰ السيد ابن شهاب فافادت حركة النهضة الاصلاحية وجعلتها تضاعف كفاحها، وتضاعف رصيد الثقة بالسيد ابن شهاب فنال التقدير والاجلال. بل كثير ممن كانوا في زمرة المتزمتين استرعت انتباههم حركة النهضة الاصلاحية فنظروا اليها بتمعن وبدأوا يتقصّون حقائق الامور بتدبر وامعان وشاهدوا التطورات الاصلاحية وتجردوا عن الاهواء ببصيرة عقولهم التي كانت جامدة، فكفروا بتزمت المتزمتين وارتدوا عن عقائدهم البالية وانظموا الىٰ حركة النهضة الاصلاحية بعد ان استبان لهم ان الباطل كان مسيطراً علىٰ العقول والافكار والنفوس وقد اصبح عقيدة وايماناً.

قد تنتشر في كل مجتمع وبين كل امة مثال هذه الامراض والآفات، وهو امر مألوف وعادي غير مستغرب. تظهر تلك الامراض لدىٰ كل امة متخلفة حضارياً وفكرياً، أو في عصر يهيمن عليه الركود الاقتصادي الذي يسبب التخبط وفقدان الاتزان في الحياة فتضيع الآمال، فإن المرء اذا فقد روح الامل وانحسرت لديه المعنوية انفسح المجال لاقوال المتزمتين في نفسه، فتسيطر تلك الاقوال علىٰ نفسه وهي فارغة، وتلك من الامراض الاجتماعية التي تنتاب الشعوب والامم من غابر الازمنة.

عندما يشتد المرض الاجتماعي ويعم الفساد بين الامة يظهر حتميا من يصلح ذلك الفساد وقد شاع من قديم الزمن انه يظهر في كل قرن مصلح، وظهور المصلح غير متوقف علىٰ قرن أو يكون في كل قرن، ولكن في كل وقت أو زمن عند ما تصاب الامة

بامثال تلك الامراض والآفات الاجتماعية يظهر مصلح حتماً لمعالجة الامراض المتفشية مثل تلك الآفات المستعصية فمن سنه الله في الكون انه لا فساد إلّا وله مصلح.

قد يخشىٰ المريض من المعالجة العملية، ويحسب المريض ان العملية ليست في صالحه واولىٰ له العلاج بالطرق المتوارثة، ولكن متىٰ شفي المريض من مرضه بالعملية الجراحية واستئصلت جذور مرضه، حينذاك يعرف قدر الطبيب المعالج الذي عالجه وسبب له الشفاء والعافية، بعد ان اساء الظن بالطبيب وحسبه عدوا له.

المتزمتون في نظر السيد ابن شهاب أُولئك الذين يدعون العلم ويتظاهرون بالتقوىٰ والصلاح وهم بعيدون عن العلم والتقوىٰ والصلاح، ضيقو الافق عمي البصائر يتعصبون لاقوال وآراء وافكار خيالية وخرافات بالية يصرون علىٰ انها الحق.

لنسمع ما يقوله السيد ابن شهاب في وصفه لتلك الفئة المتزمتة المغالية:

فرقة بالغرور والطيش ساروا ... في فجاج الضلال سيرا حثيثا
جسموا شبهوا وبالاين قالوا ... لوثوا اصل دينهم تلويثا
من يعظم شعائر الله قالوا ... انه كان مشركا وخبيثا
ولهم بعد ذاك خبط وتهويـ ... ـس تولى بجدهم والمريثا

الىٰ ان يقول:

اعرضوا عن سوا الحقيقة يبغو ... ن بما يدّعون مهدا اثيثا
وتعاموا عن التجوز في الاسـ ... ـناد عمدا فيبحثون البحوثا
أو ليس المجاز في محكم الذكـ ... ـر اتانا مكررا مبثوثا
والىٰ الخلق اسند الخلق والرز ... ق وبر العهود والتحنيثا
ليت شعري من الذي يقبل الحق ... جليا ويستهل الغيوثا
إذ هم اليوم حزب جهل فاذكا ... هم يميز التذكيروالتانيثا
ويظنون ثعلب الحمق والغي ... يداني لدى النزال الليوثا

ليس يــدرون انهــم ليس يـدرو ... ن بــل الجــهل عــمهم تــوريثا
وتســموا اهــل الحــديث وهــاهم ... لا يكـــادون يــفقهون حــديثا

وفي هذا المعنىٰ والمقصد يقول شاعر المهجر الشرقي السيد أحمد السقاف:

فكـم غـرنا بـالنسك خب لسـانه ... يــردد ذكــر الله والسـيف يـقطر
يمــهد للـــمستعمرين مســـالك الــ ... ــغنى وبــاثواب التــق يـتستر
فــي يـده اليمـنىٰ كـتاب وسـبحة ... تــغر وفي يـــسراه كأس ومـــزهر

موقف السيد ابن شهاب من المتزمتين المتعصبين، موقف واضح، فهو يـسـميهم (حرب جهل) لا عقل لهم، وتتبعهم اينما حلوا، وفضح امرهم وكشف نواياهم ومكرهم وهم الذين لا يفهمون حديثا. ويقول في قصيدة اخرىٰ مشابهة لهذا المعنىٰ إن الجاهل لا يمكن له ان يدعي العلم:

العـــلم والمجـــد رضـــيعا لبـــان ... والجـــهل يـــرمي ربـــه بـــالهوان
لا يـــدعي العــلم امــرؤ جـاهل ... يخـــاف ان يــفضحه الامــتحان

قال احد الاخوة الكرام المحامي محمد محبوب احد اقطاب الحزب الوطـني الاندونيسي واحد مؤسسي الجمهورية الاندونيسية:

ان زعماء المسلمين واقعون اليوم في دوامة عاطفية فانشغلوا بها وتشبثوا بالقشور وتركوا اللب فتفرقت بهم الاهواء الىٰ كتل شتىٰ واحزاب متنوعة المشارب، وكل حزب يدعي انه المحق وغيره علىٰ ضلال، واندفع كل منهم بحماس ليلقن الناس عقيدته، واستمروا في مهاوي الخلافات التي لا قعر ولا نهاية لها.

لا جرم ان يستغل ذوو الاغراض من دول اخرىٰ هذه الفرصة السانحة لاعداء الاسلام فانتهزوها لوضع مخطط مستفيدين من وجود هذه الخلافات بين المسلمين، وهذه الخلافات هي اداة وركيزة لتحطيم المسلمين وتفريق شملهم وتشتيت افكارهم واعمالهم وتوهين كلمتهم وتحطيم قوتهم، فدعمت تلك الدول هذه الفئات وتـلك الاحـزاب في

مقابل ما تستفيده هي من تلك الخلافات بين زعماء المسلمين. ولم تكن هـذه الامـور بخافية علىٰ ذي بصيرة ولا ينكرها إلّا ذو عقل سقيم مأفون اعمىٰ البصيرة.

كانت المسائل الفرعية بؤرة الخلاف بين ائمة الفقهاء في العصور الماضية واصبحت المرتع الخصب لارباب المصالح من الحكام فتبنوها بل اثاروها وروجوها دعماً لمراكزهم وترسيخا لمكانتهم وتقوية لسلطتهم فاستغلوا أُولئك الفقهاء والهوا الشعب بـالترهات الفارغة والمسائل الزائفة التي لا قعر ولا نهاية لها، وبقيت رواسبها ملموسة ماثلة امامنا الىٰ اليوم.

ان الواقع المؤلم للمسلمين في العالم انهم ابتلوا بزعماء متزمتين من ادعياء العـلم وعبدة الدرهم والدينار ومنهم عملاء للاستعمار وممهدو سبل لاعـداء الاسـلام وهـم يصلون ويصومون.

اخذت تلك القضايا مجراها فاحتلت دورها البارز وراجت في اسـواق المجـتمع طيلة الازمنة.

وما دام المتزمتون موجودين فالخلافات موجودة، وقد تتفاقم حينا وتخف حينا آخر تبعا للعرض والطلب أو كمد البحر وجزره تهدأ وتثور وقد تتفاقم إذا لزم الامر الىٰ خصام ومناوشات واحيانا الىٰ اراقة دماء لا تفيد سوىٰ الاعداء.

ان صفحات التاريخ مليئة بتلك الحوادث المؤلمة المخزية. يحاكم الفقير المعدم الذي لا يجد قطعة رغيف يسد به جوعه ورمقه ويساق بالسياط الىٰ المحكمة فيحكم الحاكم عليه بدون سؤال لانه لا يمكن له ان يتكلم بشيء، والحكم هو قطع يده اليمنىٰ. اما ذلك الحاكم الذي ينهب اموال البلاد والعباد علنا لينفقها علىٰ ملذاته فيعتبر الحاكم المـثالي الذي يخدم الاسلام والمسلمين ويوصف بالالقاب والنعوت الجلالية. انه الحاكم العادل الذي تجب طاعته وامتثال اوامره والابتعاد عن نواهيه.

فالاول مجرم اثيم والثاني حاكم صالح، ومتىٰ حلت الهمجية فقدت العدالة.

تجار اديان:

تجار الاديان هم الذين يتاجرون بالدين من اصحاب الاهواء لاهداف مادية أو طلبا لمركز أو منصب، وهم متدينون في ظاهرهم ومجردون عن روح الاسلام في واقعهم الحقيقي. يتلاعبون بالدين، يتقمصون مهنة الدعوة الاسلامية حسب الظروف والمصالح. جعلوا من المسائل الخلافية رأس مال لهم ومادة دسمة يستغلونها في كل فرصة سانحة للاتجار بها وعرضها كالسلع في الاسواق يثيرون من اجلها العواطف الدينية. يعرفون كيف يستنزفون اموال الشعب. يمالئون الحكام وارباب السلطات بشتىٰ وسائل المكر والخداع. اعمالهم مقنعة بقناع النفاق يتوسلون بها للوصول الىٰ هدفهم وهو جمع المال والربح المادي، بكل الطرق وشتىٰ الوسائل بالخطب المثيرة والكلمات المليئة بالوعد والوعيد لارهاب الناس بهول عذاب الآخرة والتهديد من الانزلاق الىٰ الشرك الخفي والكفر، فان جزاء ذلك عذاب جهنم. عندما يسمع الساذج اساليبهم الخطابية، يعتريه الخوف والرهبة وتهتز فرائصه خوفا وخشية من الوقوع في عذاب جهنم بسبب وقوعه في البدع التي تجر الىٰ الكفر والارتداد، ويعيش طول حياته مرتابا قلقا خائفا.

وباسم الدين يتزلف تجار الاديان الىٰ الحكام والسلاطين يتوددون الىٰ ارباب الاموال وذوي المناصب ليكسبوا الثقة، ويسهل لهم استدرار الاموال. هؤلاء هم تجار الاديان يخادعون الله ويمكرون بالناس، فلا ذمم لهم ولا شرف ولا وجدان، لانهم باعوها من اجل المادة. وفيهم يقول السيد احمد السقاف شاعر المهجر الشرقي من قصيدة له:

وبهم ومنهم تشترى الذمم الرخـ   ـيصة كي تزين للورىٰ اعمالها

يتسترون بالتقوىٰ والصلاح ويتظاهرون بلباس الايمان والعفة وحسن السلوك. يصفهم الاستاذ الافغاني الشاعر في رباعيته بقوله:

خدعت بناس قد ظننت بانهم   ملائكة الرحمن تمشي علىٰ الارض
وصَلّوا وصاموا فاغتررت بنسكهم   فذقت الاسىٰ بالطول منهم وبالعرض

والفــيت تـقواهـم سـتارا مـزينا   فلا نسكهم صدق ولا فعلهم يرضي
إذا الدين لم يردعك عن كل مـنكر   فانت بدرب غير درب الهدىٰ تمضي

ويقول الاستاذ الافغاني أيضاً عن هذه الفئة: علماء القـصور، وبـطانة الحكـام. يمكرون بالشعب ليكون طوع اوامر الحكام. انهم دجالون منافقون لا خلاق لهم. واسمعه يقول:

واقبح الناس دجـالون قـد مـرودا   علىٰ النـفاق لاهـل الجـاه والرتب
بئست حياة رجـال لاخـلاق لهـم   يـــنافقون بــلا حــق ولا ادب

ثم يصفهم الاستاذ الافغاني بأنهم يتلونون كالحرباء، ففي كل يوم لهم لون حسب المصالح، وانهم هم المرض والوباء علىٰ الامة. يقول:

في كل يـوم لهـم لون فـلو حسـبوا   الوان خســتهم لم يحــصها عــدد
لا اكــثر الله مــنهم بــين امــتنا   فــهم وبــاء وبـيل اينما وجـدوا

فهذه الفئة من تجار الاديان التي يصفها الاستاذ الافغاني بانها الداء الوبـيل في جسم الامة، تعيش في نعيم الحياة في ترف وقصور مشيدة بين الرياش والطنافس وبين الخدم والحشم، لان كل ذلك أقصىٰ املهم من الحياة.

حدثني الاستاذ كنعان بعلبكي بما سأرويه لك. قال الاستاذ بعلبكي وهو يحدثني قائلا:

جرت لي حادثة مرة مع رجل من الدعاة بعد ان القى موعظته امام المصلين بعد صلاة العصر في المسجد وكنا إذ ذاك في شهر رمضان وكلنا صيام، وعند الخروج شعرت بمن ربت علىٰ كتفي مسلما علي وهز بيدي مرحباً ترحيبا حارا بالقبلات والاحضان. كنت اعرفه خطيباً وواعظاً وهو يعرفني اكثر أني رجل اقتصادي، لم يفلت يدي من قـبضته وقال لي: كم كنت اتمنى ان تشرفني في بيتي في هذه الأُمسية وانها مناسبة طيبة وفرصة سارة، ارجو ان لا تمانع أو تعتذر أو ترد رجائي. ودعاني لقبول دعوته لتناول الافطار

علىٰ مائدته. اعتذرت فاصرّ علىٰ قبول الدعوة وقال: انها دعوة اخوية محضة لا تكلف فيها، وهي مفاجأة سارة، تأكل معنا وتشاركنا في طعامنا من غذائنا اليومي. بقيت علىٰ اصراري في الاعتذار، وبقي هو مصراً علىٰ ان اشاركه في طعامه برهنة علىٰ الاخاء والمودة والصداقة، فاضطررت لتلبية رجائه ودعوته، لئلا يتهمني بالكبرياء والترفع. عجبت من الحاحه الشديد ولم يدر بخلدي ان له مراماً من وراء هذا التشبث.

قضينا وقتا ونحن لا نزال امام المسجد، وشاركنا في الحديث من خرج من المسجد من المصلين، ثم اخذني للتوجه الىٰ منزله وهو يمسك بيدي ولسانه لا يفتر عن الترحيب بي والشكر المزيد لقبولي دعوته المفاجئة، لان ذلك دليل الاحترام له. وإذا بي امام قصر منيف من القصور التي لا يسكنها إلّا الامراء والملوك والحكام واصحاب الجاه العريض، وشاهدت فيها من التحف فوق حد الوصف، وكأني في قصر الامير محمد علي بالقاهرة قبل الاطاحة بالملك فاروق.

حان موعد المغرب فدعاني وادخلني الىٰ قاعة كبرىٰ فيها من الرياش والطنافس ما يحير العقل، وإذا بي امام سفرة طويلة كانها اعدت لجمع من المدعويين، فيها انواع الطعام واشكال الحلويات وشتىٰ الفواكه الموسمية، ولم ار غيري سواه وزوجته الشابة التي عرفني بانها زوجته. كنا نحن الثلاثة فقط.

وسالته: اين المدعوون؟

قال: انت تساوي الكل، يكفيني ان تكون ضيفي، فلي كل الشرف بك، لم ادع احداً، فانت الكل في الكل.

قلت له: ولمن هذا الطعام الكثير؟

قال: هذا طعامنا اليومي وهو من باب الشكر واظهار النعم والتحدث بها. فلم اتمالك نفسي، وقلت له: كيف تدعو الناس في مواعظك الىٰ التقشف وترك متاع الدنيا وتمجد الفقر والفقراء الذين سيدخلون الجنة قبل غيرهم بخمسمائة عام، وتدعو الناس إلىٰ

الانفاق وبذل الاحسان، وتقول: من كان موسرا فلينفق بسخاء من امواله، لان السخي هو المقرب الىٰ الله والىٰ الخير. الست انت الذي تقول ذلك؟

قال: هذا من باب اظهار النعم والتحدث بها والشكر لله فيما انعم.

قلت له: هذا اسراف، والفقراء حول قصرك يئنون من الجوع.

قال: هذا جزاؤهم، لانهم كسالى لا يريدون العمل، فكان ذلك جزاءهم فان الله لا ينزل خبزا ولا يمطر ذهباً، ومن لم يعمل فهو عالة علىٰ نفسه.

قلت له: لقد حباك الله بهذه النعم الوافرة، فلماذا لا تكون قدوة خير لغيرك وتتصدق وتنفق كما تدعو الناس للانفاق والرأفة بالمساكين المحرومين؟

قال: نحن دعاة خير وندعو الناس للخير ونذكرهم بالوعد والوعيد واجرنا علىٰ الله.

واستطرد الاستاذ كنعان في حديثه قائلا:

جرىٰ هذا الحوار بيننا ونحن علىٰ مائدة الافطار في قصره الفاخر. وماذا نقول في عقلية هذا الداعي الذي لا شعور له ولا يحس بالمسؤولية وليس لديه وازع اخلاقي ولا انساني سوىٰ الانانية، ولا يهمه إلّا مصالحه الذاتية.

ومن اجل المادة صلىٰ وصام وغر الناس بخطبه.

هذا ما حدثني به الاستاذ كنعان بعلبكي. اما السيد ابن شهاب فله اقوال وآراء ونظريات حول تلك الفئات التي تظهر الاعتصام بالدين وهم يتاجرون به. ان وجودهم شر للمجتمع، وبطون التاريخ مليئة بقضاياهم واخبارهم، ولا يخلو من وجودهم كل عصر من العصور، وآيات المنافقين كثيرة في القرآن الكريم ولذا نجد في زماننا الحاضر بل في الازمنة القادمة امثال اولئك المتملقين الذين يحسنون تنسيق الكلام ولهم براعة في المكر ومقدرة في اثارة العواطف. هؤلاء هم علماء القصور وبطانة الحكام الذين يخدعون الشعوب بالترهات ويمكرون باسم الدين ويخدرون الشعوب لتكون اداة مطواعة، وكم

في الكون من امثالهم. يقول فيهم شاعر المهجر الشرقي السيد احمد السقاف:

قد شاب رأسي وشاب القلب من بشر | معبودهم قبل رب العرش دينار

كان الاستاذ الافغاني الاديب المعروف قد نشر رباعياته في جريدة الدستور اليومية التي تصدر من مدينة عمان عاصمة الاردن، ويتأوه هذا الاديب الشاعر ويشكو بمرارة من هذه الفئة التي يعاصرها، فاسمعه يقول:

داء النفاق غدا في الناس منتشرا | وليس احقر في الدنيا من الدجل
فاين سرت فسح الجوخ مزدهر | بين الجميع من العصفور للجمل
كل يسبح للدينار يعبده | فلا تزك ولا تستثن من رجل
فكن من الناس في شك وفي حذر | واشطب بنعل علىٰ الأخلاق والمثل

ويقول الاستاذ الافغاني في رباعياته الاخرىٰ:

دجّل علىٰ الناس دجّل ما استطعت فما | يسود في عصرنا إلّا ذوو الدجل
واتقن اليوم مسح الجوخ ان له | سوقا عظيما فكن فيه من الاول
ولا تقل لي اخلاقي وتربيتي | قد كان مثلك قبل اليوم في خطل
فما المثالي في هذي الحياة سوى | مغفل ساذج يحيا علىٰ المثل

في رأي الاستاذ الافغاني ان هؤلاء هم المنافقون الذين يعبدون الدينار وهم المتاجرون بالدين الذين لا يليق بهم إلّا مسح الاجواخ . ومن الغريب حقا ان القانون الوضعي لا يعتبرهم مجرمين، بل يضعهم في صفوف العلماء العاملين أو في مرتبة الابطال المكافحين لان اعمالهم مما يفيد الاستعمار واعداء الدين. ولو كان للعدالة حق النفوذ، لسيقوا الىٰ محاكم العدالة وسئلوا عما كانوا يفعلون.

قال بعض الكتاب: ان سبب انحراف الانسان هو الفشل في حياته، وعدم قدرته علىٰ سلوك الطريق الصحيح السليم، ففقد التوازن وانحرف عن الجادة. ويبرر آخرون انه إذا انسد امام الانسان طرق المعيشة السليمة دفعه العوز والحاجة الىٰ ارتكاب المخالفات

الاخلاقية، ومن كان ممن لهم المام بالدين لا يتورع من اتخاذ الدين وسيلة للحياة، حتىٰ إذا طبعوا علىٰ ذلك لم يردعهم رادع عن المكر والحيلة والغدر، ولذلك فان المخلصين يتعرضون كثيرا للمشاكل والمصاعب بسبب تلك الزمرة، واصبحت لكلمة (رجل دين) صورة قاتمة في مدلولها، إذ تصور ذلك الشيخ ذو اللحية الكثة المرسلة الذي يرتدى المشلح وعلىٰ راسه طاقية وغطرة، متزمت ضيق الافق، احمق، يكره كل شيء لا يألفه ولا يماشي هواه، يمقت المتعلم ويكره المثقف، حديثه يدور دائماً في حلقة محدودة المعالم لا يتجاوز المسائل المكررة التي ملّتها الاسماع ومجّتها النفوس، في امور تافهة، وحول التلفظ بالنية وبدعة الاحتفال بذكرىٰ المولد النبوي الشريف، والمعراج وكلها بدع وكفر.

اما في المدلول البعيد فتصور كلمة رجل دين، ذلك الرجل المتقمص هيئة العلماء من الذين يتاجرون بالدين. يخضع لمساومات العرض والطلب، ولا ضير إذا اقتضى الامر أن يقوم بتحريم الحلال وتحليل الحرام طبقا لسوق العرض والطلب المفيدة لمصالح واتباع الرغبات.

ولا غرابة إذا انتهز الاعداء هذه الظاهرة المتفشية في المجموعات الاسلامية فاتخذوها ذريعة لتنفيذ مخططاتها الموصلة لمصالحهم، بتركيزهم لهذا الواقع في المجتمعات الاسلامية، بالتاييد لهذه الفئة ليزداد الفساد فسادا. يقومون بدعم فئة ضد اخرىٰ، وكلما احتدم النزاع وتفاقمت الخلافات بين المسلمين، كان الربح اعظم للاعداء. ولا يريد الاعداء ان يتنصر المسلمون، ولكنهم يريدون ان يبقى المسلمون في متاهاتهم هائمين.

ولنسمع الآن ما يقوله السيد ابن شهاب عن هذه الفئة وكيف وصفها وصور واقعها ومثل رجالها بأنهم ذئاب في صورة بشر، بل إن ذئاب البشر الد واطغىٰ لأنهم خونة ومخاتلون:

هل للغرائب من حكيم عاقل — أو عالم يقضي بحكم فاصل
امن الذئاب المعط صنف ناطق — في صورة البشر السوى الكامل

أأقـــول كـــلا والعـــيان مكـــذبي ... كـــلا بـــل المـــفتي اسير الســائل
معط الذئــاب النــاطقات هــم الأُلىٰ ... جـعلوا التـصوف صـنعة للـداجـل
فـــترسموا بـــرسومه كـــي يحسبوا ... صـــوفية مـــثل الفـضيل الفـاضل
يـــضعون للـــتمويه والتـــغرير في ... مشكـــاة نــور الحـــق نــار البـاطل
لبســـوا العـبايا والمســابح والحـبىٰ ... والطـــيلسان يــدار فــوق الكــاهل
والمـــــظهرون البر والتـــقوىٰ واد ... مـــان التـــنسك خـــدعة للـجافل
وإذا خلوا عكــفوا عــلىٰ شهــواتهــم ... مـــن لاعب أو شـــارب أو آكـــل
هـــجروا كـــتاب الله واســتغنوا بألـ ... ـــحان السماع ورقـــصة المـتداول
زعـــما بـــان الطـــار والمـزمار والا ... وتـــار تـــنعش كـل قـلب ذا هــل
ايـــقوم ديـــن الله بـــالسفهاء مــن ... ذي مـــــزهر أو زامــــر أو طـــابل
بـئس الطـوائـف لا مـرام لهـم ولا ... مرمى ســوى جمــع الحـطام الزائـل
ولهـــم حـــبائل لاجـــتلاب المــال لم ... تـــدرك غـــوائـــلها لغـير الفـاتل
ويـــطوف اطـراف البـلاد دعــاتهم ... ودهـــاتهم مــن كــل صــل صــائل
بمـــــن يــبيع ولا يــبالي ديــنه ... بـــيع المـــزاد ولو بشـــاة شـــائل
في كـــل واد لا تـــطيش سهــامهم ... مـــع كـل حـــاف يحـفدون ونـاعل
ويذيع كل ما افترى من نعت شيخـ ... ـــهم الغـــوي ولو خـــرافة هـــازل
مـــن صـــومه وصـــلاته وقـــيامه ... جـنح الظـلام وزهـده في العـاجل
يروون عـنه خـوارقـا للـرسل مـا ... وقـــعت ولا اتـــفقت لســاحر بـابل
ولأجـــل نـــفي الريب مـهما حـدثوا ... حـــلفوا لســـامع افكـهم والقـابل
وهـــنالك الاســـتاذ يجـــهد فكـره ... في ســـلب ثـــروة كــل غــر غــافل
يـــترقب الفـرص التي فـيها قـطيـ ... ـــع الصـــيد يـبدو مكـثبا للـنابل
يـــثني عـــلىٰ اهـــل الثراء مـصوبا ... افـــعالهم مســـتدرجـــا للـــفاعل

زيد ربيع ندى وعمرو في مقا م كذا وبكر في الرعيل الواصل
ويشير رمزا في الحديث بأن ما يحكيه من إلهام غيب نازل
حتىٰ إذا اعتقدوا علو مقامه ومشت عليهم حيلة المتحايل
غمروه جودا واستزادوه التما سا للتبرك في المقر العائلي
ولمسحه رأس الصغير ووضعه يده الكريمة فوق بطن الحامل
ومتىٰ تحكم مصلحا في حاله جعل البخيل فريسة للباذل
وتراه يصدع بالمواعظ خاطبا في القوم بهرة كل جمع حافل
يملي زخارف زوره متأوها متباكيا ليرق قلب الناكل
طورا يرغّب في الثواب وتارة اخرى يندد باللئيم الباخل
وإذا رأى في الجمع من اكياسه ملأىٰ من التبر الوفير الطائل
اوحىٰ الىٰ احد الشياطين الأُلىٰ منهم تعوذ كل غول غائل
فيقول يا مسكين زر شيخ الشيـ ـوخ تنل به اقصى اماني الآمل
وإذا اتىٰ الفناه في المحراب في جد وشغل بالعبادة شاغل
ويقال بعد الانتظار هنيهة ادخل فانت اليوم اسعد داخل
ولك البشارة ان رزقت ولاءه بالانتشال من الحضيض السافل
فإذا تقدم قال شيخ السوء اهـ ـلا يا بني ومرحبا بالواصل
اني لرؤيتك ابتهجت ولست اد ري سر هذا الابتهاج الحاصل
فلعل في لوح السوابق بيننا سر اتصال بالاواصر واغل
ولعل حالك في امور الدين والد نيا علىٰ دعة ولطف شامل
ان كنت محتاجا فخذ ما تبتغي تقوىٰ به وتقيم ميل المائل
لا تخش املاقا علي ولا عليـ ـك فنحن في كنف الرسول الكافل
اعلمت اني بعد ختم وظيفتي سحرا عرتني غفوة المتثاقل

فـرأيـته صـلىٰ عـليه الله مبـ ـتسماً يـقول وكـان اصـدق قـائل
ابـشر فـانت وتـابعوك بـذمتي ورعـايتي لمـقيمكم والراحـل
نب عـن نـبيك في مـواسـاة العـفا ة المـعوزين وفي عـظاة الجـاهل
جد بالنوافل ما استطعت علىٰ اليـتا مـى والايـامى والفـقير العـائل
خذ ما تشاء من امرئٌ سبقت له الـ ـحسنى ولم يـعبأ بـعذل العـاذل
وانـا الضـمين لمـن يـعينك بـالغنى طـول الحـياة وفي الجـنان مخـاللي
فـيصدق المسكـين كـاذب قـصة ممـزوجة بـذعاف سم قـاتل
فـيشاطر الاسـتاذ خـالص تـبره لسـداد ذي عـوز ورفـد ارامـل
ولكم لهـم في السر غـامض حـيلة ابـليس لم يـطمع لهـا بمـائل
ولهم مـع الجـنس اللـطيف لطـائف ابت المـروأة شرحـها للـناقل
لكـن عـلىٰ الازواج عـار المـرسلا ت فـهم اشـد بـلادة مـن بـاقل
هـذي طـرائـفهم وهـذا شأنهـم تـعسا لهـم مـن خـائن ومخـاتل
افـهكذا كـانت طـريق مشـايخ الا سـلام اربـاب السـلوك العـادل
كـالتستري وكـالسرى وكـالجنيد الحـبر والشـبلي أو كـالشاذلي
كلا وحاشى بل هـم عـمد الهـدى وسـحائب الفـيض العـميم الهـاطل
الزاهـدون المـتقون العـارفون بـربهم مـن كـل بـر عـامل
وهـم البراء مـن الالىٰ كـذبوا عـلىٰ حضراتهـم وخـصومهم في الآجـل
فـإليك ربي المشـتكىٰ وبك العـيا ذ مـن انـتقامك والعـذاب الهـائل
واسمح بـإرشاد الجـميع الىٰ طـريق الحق واصفح عن خـطايا الخـاطل
وتـغش بـالرحمـات روح المـصطفىٰ والمـرتضى تـعداد طش الوابـل
ضاعف صـلاتك والسـلام عـليهما وبـنيهما مـدد الوجـود الشـامل
والصحب من بسيوفهم ثـلت عـرو ش الشرك واندرست رسوم الباطل

مـــا تـــاب ذو خـطأ وآب مـفرّط　　　وانـــاب عـــبد في العـــتيم الحـائل

يكفي هذا الوصف الدقيق والبيان الواضح الذي وصفهم به السيد ابن شهاب في شعره الوصفي القصصي هذا، إذ ان كل بيت من تلك الابيات في هذه القـصيدة يـنطق بالحقائق ويصور الواقع.

سبق ان ذكرنا ما يشكو منه السيد ابن شهاب من تلك الفئة الغوغائية التي يراها السيد ذئاباً ناطقة في صورة بشر، واسمعه يقول:

نشكـــو الىٰ الرحمـــن مـن هـذه الـ　　　ـغوغاء شكوىٰ مـن رمـاه الزمـان

وله قصائد مطولة وقصيرة في وصف هذه الفئة، تارة يشكو منها وحـينا آخـر يهاجمها ويهجوها، لانها في نظره المرض الزؤام في جسم الامـة ولن تـصلح الامـة إلّا باستئصال هذا المرض من جذوره وبتره بتراً كاملاً، واسمعه في قوله عن هذه الفئة:

اف لقـــوم همــــهم كـــيدهم　　　وجمـــعهم للـمال مـن حـيث كـان

بـــالمال تـــلقاهم سكـــارىٰ كـــما　　　يسكـر مـن يـشرب خمـر الدنـان

ان احســـن الظـــن بـــتلبيسهم　　　مـــثر رأوا تـــطهيره بـــالختان

من كـل مـا الانسـان يخشـاه مـن　　　مســـتقبل الداريـــن يـعطي الضمان

وكـــم وكـــم قـــد مـــوهوا زائـــفا　　　فـــظنه البـــله ثمـين الجـمان

إلىٰ ان يقول:

ونـــزه الاســـلام عـــن غش اهـــ　　　ـــل المكـر والتـدليس كـيلا يهـان

لم يكن السيد ابن شهاب وحده الذي يشكو غوائل تلك الفئات، ولكن الشكوىٰ طغت وعمت ولم تنحصر في البلدان الاسلامية فقط لانها المرتع الخصب للاتجار بالدين، بل تخطت الشكاوىٰ حتىٰ من البلدان غير الاسلامية حيث توجد التجمعات الاسلامية مثل اوروبا وامريكا واستراليا، وغدت الشكاوىٰ تترى مما يرتكبه هؤلاء المرتزقة تجار الاديان. والحوادث كثيرة اكثر من ان تحصىٰ ونكتفي بايراد ما نشره اتحاد الطلبة المسلمين

في اوروبا في النشرة الداخلية العدد ٢٦ الصادر في شهر شوال عام ١٤٠٠ الموافق لشهر آب / اغسطس عام ١٩٨٠ تحت عنوان (دور علماء السوء) جاء في المقال ما يلي:

«من ما ابتلي به المسلمون في هذه الايام، عبودية بعض العلماء للدنيا، ممن اصبح عملهم مهنة قد ترتبط مصالحهم فيها بمصالح الحكام، فتجعلهم من حيث يعلمون أو لا يعلمون عبيدا لهم وهؤلاء يلعبون دوراً كبيراً في تضليل الشعوب وتمييع قضية الحكم الذي انزله الله والوسائل الشرعية لاقامة الحياة الاسلامية والحكم الاسلامي. ويوجد من يشارك في الحكم الفاسد أو يهادنه بطريقة أو باخرى طمعا في مكاسب أو منافع بدعوىٰ عدم ترك المجال للشيوعيين والملحدين، ثم يجلسون علىٰ موائد النظام والباطل».

إذا كان المسلمون حتىٰ في اوروبا يشتكون من اعمال تجار الاديان الوافدين فكيف باعمالهم في البلدان الاسلامية حيث لا رادع ولا وازع؟

يقول الاستاذ السيد أحمد السقاف شاعر المهجر الشرقي وأحد تلامذة السيد ابن شهاب في ابيات يصف فيها تلك الفئة بالمكر والحيل نقتطف منها مايلي:

فهم الالىٰ اتخذوا التنسك حيلة ... كم مخلص اضحىٰ بها مغرورا

وفي قصيدة اخرىٰ يقول:

فـي يـده اليمنىٰ كتاب وسبحة ... تغر وفي يسراه كأس ومزهر

ثم اسمعه ماذا يقول هذا الشاعر:

ولاجلها صلى وصام فغرنا ... تسبيحه وصلاته وصيامه

ويصفهم الشاعر بانهم بشر في الثياب فقط ولكنهم ذئاب:

وتحسبهم بشرا في الثياب ... ولكنه الذئب في نهمته

اننا نرىٰ ونشاهد عيانا اولئك الذين يدعون الناس في خطبهم للتقوىٰ والصلاح والىٰ المثل العليا ويحثون الناس للتخلق بالفضائل الحسنة والتجرد عن هذه الدنيا الفانية، والتسابق لاعمال البر الخيرية بالانفاق والصدقات مستشهدين بآيات من القرآن الكريم

وباقوال الرسول الاعظم سيدنا محمّد ﷺ، حتىٰ ليحسب السامع ان التقوىٰ والورع والصلاح قد تجسد في اولئك فكانوا الانموذج المثالي للمسلم الورع المخلص لدينه، ويندهش الانسان عندما يعلم انهم يمارسون الفواحش والاعمال الرذيلة، مستهترين بمخالفة الدين وعدم المبالاة بالقيم الانسانية والاخلاقية. فالتناقض واضح فيما يقولون وفيما يفعلون، يعملون عكس اقوالهم. يدعون الناس للخير باقولهم وهم ابعد الناس عن الخير. لا يخجلون ان يسموا انفسهم علماء ودعاة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وانهم حماة الدين.

وهل يُؤمل منهم ومن امثالهم الخير؟

والخلاصة ان اتخاذ الدين تجارة هو عمل مربح، مهما يحاربه الشرف والعقل السليم وتتقزز منه النفوس الابية، ولا يرتكب تلك الاعمال الرذيلة إلّا المأفون الفاقد للشرف فلا يخشىٰ ولا يستحيي من شيء فلا يردعه الحق ولا يرهبه النقد، لاستخفافه بالقيم.

العقل ينشد الحق، والتزمت يتشبث بالعواطف البالية، ضدان لا يجتمعان، الحرية والاستعباد. فالمتزمتون هم الجامدون اصحاب العقول المتحجرة وهم حواشي البغاة، طريقتهم الوحيدة اخضاع الشعب وارهابهم باسم الدين للتواكل والصبر.

وللاستاذ الاديب الشاعر هاشم بن يحيىٰ ابيات في هذا الموضوع آثرنا اثباتها هنا لصلتها بموضوع تجار الاديان، والاستاذ هاشم بن يحيىٰ من شعراء الطليعة وله مجموعة قصائد في مواضيع كثيرة وله ديوان لا يزال مخطوطا.

التورّع الكاذب

تبّت يدا رجلٍ يُريـ ـك تورّعاً والقلب فاجر
لا من مُروّته ولا من دينهِ ناهٍ وزاجر
إنّ التظاهُرَ بالتو رُّعِ شأنُ ختّالٍ وماكر

لا يُعجِبَنَّك ما تَرى حتىٰ تَبينَ لك السرائر

ثرثار مغرور

يا صاحب الوجه الصفيـ ـق وصاحب النفس المصابه
لا تغضبن إذا رمتـ ـك بسخطِها هذى العصابه
ملّوا كلامك إذ أطلـ ـت ولست من أهل الخطابه
الصوت منك كأنّه صوت الحمار ولا غرابه
والقول منك كأنه جلمود صخر في الصلابه
فاقعد مكانك يا ثقيـ ـل الروح يا رمز الكآبه
يا ويحه اتخذ التنـ ـسك برقعا يخفي خلابه
ليهون أن يبتزّ من مالٍ وما ينوي استلابه
والمرء ليس بتاركٍ ما قد تعوَّد واستطابه
يا صاح قد برح الخفا ء فخف من المولى عقابه
وإذا أبيت فدم حيا تك للفكاهة والدعابه
أفٍ لمن نزع الحيا عن وجهه ورمىٰ حجابه
لا يتقي شيئاً ولو عاراً فلا يأبىٰ ارتكابه
والقوم يرعون السلا لة حقها فرعوا انتسابه
جعل الجدودَ ذريعةً لينالَ ما رام اجتلابه
عظُمتْ جنايتُه علىٰ شرفِ الأرومةِ والقرابه

هذه القصيدة للاستاذ الاديب شاعر الشباب السيد هاشم بن علي بن يحيىٰ، وهو من المثقفين البارزين وله الباع الطويل في عالم التربية والتعليم، له ديوان مخطوط.

لماذا نجح الدعاة السابقون؟

لا مراء ان الدعاة من المسلمين السابقين ادوا رسالتهم وخدموها باخلاص وادّوا الامانة احسن تأدية، فنجحوا وبلغوا الهدف. وإذا درسنا واستعرضنا اساليب الدعوة التي مشوا عليها وطبقوها في عصرهم واسباب النجاح التي نالوها ثم قارناها باساليب الدعوة في عصرنا الحاضر، وجدنا الفرق عظيما والبون شاسعاً من كل النواحي. ولمعرفة تفاصيل نجاح سير الدعوة في العصور الماضية بالطبع ستحتاج الىٰ دراسة لمعرفة سير الدعوة وطرقها، من خلال المصادر الموثوقة وقد لا تكون متيسرة الآن، ولكن من النظرة الاجمالية نجد نتيجة النجاح واضحة ملموسة ونرىٰ ذلك جليا مما نشاهده الآن امام اعيننا من مبلغ هذا النجاح الباهر في كل مكان وطئته اقدام الدعاة، فقد وصلوا الىٰ اماكن من بقاع العالم نائية متعددة. فلا نجد بقعة من بقاع العالم إلّا ونجد فيها مسلمين قلّوا أو كثروا، حتىٰ في الدول التي تحارب الاسلام الآن نجد فيها مسلمين.

استطاع اولئك الدعاة هدي هذه المجموعة الهائلة من البشر فاسلموا واعتنقوا الدين الاسلامي عن ادراك وقناعة وفهم وايمان، وهاهم المسلمون بايمانهم الصادق القوي امام تلك الاديان والمذاهب الفكرية الحديثة، ظلوا متمسكين بعقائدهم باخلاص بلا جلبة ولا ضوضاء. وهاهم المسلمون الذين نراهم في مشارق الارض ومغاربها هم من سلالات الذين هداهم الدعاة الاقدمون.

لم يكن امر الدعوة سهلا، وهذا امر مسلّم ومفروغ منه، لقد تعرض هؤلاء الدعاة لمشاكل عويصة ومتاعب كثيرة، ولكنهم يرونها أمراً سهلاً هينا في سبيل الله وسبيل الاسلام وللاسلام وحده. لا يطلبون من وراء ذلك حطام الدنيا ولا يعملون طمعا في سلطة ولا املا في الوصول الىٰ الحكم، فإن طمعهم الوحيد هو تأدية الرسالة والفوز برضا المولىٰ العلي القدير وحده.

لا يوجد في تلك الاحقاب من وسائل النقل الحالية شيء عندما بدأت حملة الدعوة الاسلامية عام ٣١٧هـ بقيادة المهاجر احمد بن عيسى حيث ترك وطنه البصرة باقليم العراق، وكانت وجهته جنوب الجزيرة في اتجاه جزر الاقيانوس بجنوب شرقي آسيا، والمسالك وعرة برا، فالمسافات القريبة كانت تكلف اياماً ولا تقطع إلّا بشق الانفس، إذ لا شوارع معبدة ولا سبل ممهدة ولا طرق سهلة، انهم قطعوا تلك المسافات الشاسعة برا من البصرة الىٰ جنوب الجزيرة عن طريق اليمن ثم واصلت هذه المجموعة من الدعاة الميامين بقيادة المهاجر احمد بن عيسىٰ متجشمين المصاعب لقطع عشرات الآلاف من الاميال علىٰ ظهور البغال ومتون الجمال اياما وليالي عبر الصحارى الجرداء التي لا ماء فيها ولا كلأ، فاجتازوا تلك الفيافي الجرداء الواسعة مواصلين مسيرتهم الىٰ الهدف حتىٰ وصلوا الىٰ قرية صغيرة اشبه بضيعة تعرف باسم الحسيسية، فاستقر فيها الامام المهاجر احمد بن عيسىٰ، وواصل ابناؤه وذريته وبنو عمومته المسيرة فخاضوا عباب البحار وعبروا المحيطات بزوارق شراعية ليس فيها من الامكانيات ما يكفل سلامة الراكب، فربما حدث حادث أو اعترضتهم الامواج التي تقذف بالزوارق يمينا وشمالاً، فهم يعانون تلك المشقات لا يذوقون فيها راحة، ولا يستسيغون طعاما ولا يحلو لهم شراب، حتىٰ إذا كتب الله لهم السلامة ووصلوا الىٰ البر سالمين الىٰ البلد الذي يقصدونه في جزر جنوب آسيا والشرق الاقصىٰ وجزر المحيط شكروا الله علىٰ عنايته بهم. انهم وجدوا في تلك الاماكن التي بلغوها شعوبا جديدة بالنسبة لهم، يختلفون عنهم في الدين واللغة والمأكل والمشرب والملبس والعادات، رأوا فيها معالم لم يكونوا يعرفونها من قبل. هنا استقر بهم المقام بين هذه الشعوب والامم الكافرة، كان هدف هؤلاء الدعاة دعوة تلك الشعوب الىٰ الاسلام وهديها الىٰ الصراط المستقيم. لقد كان ذلك في اوائل القرن الخامس الهجري، وتم علىٰ ايديهم هداية الضالين من ارباب الاديان والمعتقدات الاخرىٰ من بوذيين وهندوكيين وبرهمين ومجوس وملحدين ومسيحيين وعبدة اوثان

واشجار واحجار، فبلّغوهم الدعوة الاسلامية التي لم يسمعوا بها من قبل.

استوطن هؤلاء الدعاة في تلك البلدان وبين تلك الشعوب واندمجوا باهلها وشعوبها حتىٰ صاروا منها غير عابئين ولا مكترثين بالمتاعب القاسية وتحملوا معانات المصائب الشديدة وتعرضوا بسببها لمشاكل كثيرة.

هاجر اولئك الدعاة تاركين وطنهم، لان ثقتهم بالله عظيمة، معتمدين عليه ومخلصين له والايمان به رائدهم، فلا حكومات تصرف عليهم ولا هيئات تمولهم وتمونهم، لكنهم استطاعوا التغلب علىٰ كل ما يعترضهم من المصاعب المحفوفة بالمشاكل، يواصلون تأدية رسالة الدعوة الاسلامية مواصلة مستمرة طول حياتهم، قلوبهم مفعمة بالايمان ونفوسهم واثقة بالمولىٰ عزّوجلّ.

هذه الملايين من البشر الذين يدينون بدين الاسلام والمنتشرون في هذه الارجاء الواسعة من العالم، وهذه الأُلوف المؤلفة من المساجد بمآذنها الشامخة يدوي من اعاليها خمس مرات يوميا ذكر اسم الله، وانه لا اله إلّا الله وان محمداً رسول الله. يتقاطر المسلمون الىٰ المساجد ملبين الدعوة للصلاة.

ها هي المعاهد العلمية التي اسسها وشيد بنيانها أُولئك الدعاة قد اخرجت للعالم الاسلامي فطاحل العلماء وكبار الادباء وعظماء القادة والساسة والمجاهدين، فهي فضل من أفضالهم وأثر من آثارهم في جهادهم السلمي. ان تاريخهم خالد واعمالهم ناطقة تشهد لهم الاجيال معترفة بمآثرهم ومكبرة لاعمالهم الجبارة وخطواتهم الكبيرة في نشر الدين الاسلامي وتعاليمه ومبادئه، وفي كيفية تحويل قلوب تلك الشعوب والامم من معتقداتهم التي يعتقدونها بها ومن اديانهم التي يدينون بها، ونشأوا وترعرعوا عليها الىٰ اعتناقهم وتدينهم بالدين الاسلامي عن رضاً ووعي وادراك.

كان الدعاة السابقون هم مثال الصلاح والتقوىٰ وحسن الخلق والقدوة الحسنة، رآهم الجميع فاكبروهم وعظموهم فقلدوهم لانهم الاسوة الطيبة. اما الدعوة الاسلامية

في الوقت الحاضر فتختلف تمام الاختلاف إذا قورنت وقيست بالدعوة الاسلامية في العصور الماضية في طرقها واساليبها، وليس الاختلاف في واقع الزمن أو الاوضاع التي تسود المجتمعات في زمننا هذا، بسبب التقدم الصناعي والعلمي، ولكن الفرق عظيم في اسس الدعوة ومن يقوم بالدعوة قديماً وحالياً. فالدعاة السابقون ينشدون هدفاً معيناً سامياً بعقيدة راسخة وايمان قوي يشعرون بالمسؤولية، فهم يجاهدون بارواحهم واهبين انفسهم لله تعالىٰ آملين مرضاته، اما الدعاة الحاليون فهم مبعوثون من قبل حكومات أو هيئات تمونهم وتنفق عليهم الاموال، وجلهم يجعلون من هذه المهنة وسيلة لجمع مال أو نيل مركز أو استفادة جاه. وهم لا يتحركون إلّا إذا وقفت لهم الاموال، بحيث اصبحت الدعوة عندهم عبارة عن تجارة رابحة. وللوصول الىٰ تلك الغاية لا يهم أحدهم إلّا هدفه الخاص، فيستخف بقيم الدين. فالفرق بين الدعاة السابقين ودعاة اليوم واضح بين.

ثم ان اصطلاح الدعوة اليوم يعني وعظ المسلمين في مساجد المسلمين لاتباع المذهب الذي بعثته الهيئة او الدولة من اجله، أو لتأييد سلطة حاكم. والاحرىٰ ان يقال انها دعايات لمصالح وجهات معينة، فلم اسمع بمن ذهب ليدعو البوذيين أو الهندوكيين أو الملحدين أو المجوس أو النصارى في عقر ديارهم الىٰ الاسلام.

نجد كثيرا من هذه الامثلة في عصرنا هذا ممن يطلق عليهم اسم الدعاة أو رجال الدعوة، وهم في حقيقتهم لا يتعدون أن يكونوا دعاة لهيئة معينة أو سلطان ممن يهيئ له وسائل راحته، ويصرف له الاموال، ويكفل له كامل نفقاته، وتتاح له اجود الوسائل لحله وترحاله، يأكل اشهىٰ الاطعمة والذها ويشرب اطيب الاشربة ويستقبله الناس علىٰ حسن ظن به، ويقابل بالاجلال والاكرام، وتقام من اجله الحفلات وتمد له الموائد وتفرش من اجله السمط ويكال له المدح والاطراء المتكلف، لانه في نظر المستقبلين ممن يخدم الاسلام. وقد يتظاهر الداعي بالارهاق والتعب شاكياً من تراكم الاعمال ومتاعب السفر والتنقلات المضنية، للفت انظار المستقبلين ليزدادوا تعظيما له، خصوصاً إذا كان من

رجال الحديث.

امثال هؤلاء الدعاة ممن يتسمَّون بأهل الحديث، يصفهم السيد ابن شهاب في قصيدة له، نقتطف منها هذه الابيات:

فـرقة بـالغرور والطـيش ساروا ... في فـجاج الضـلال سـيرا حـثيثا
جسَّـموا شـبَّهوا وبـالأين قـالوا ... لوَّثـوا اصـل ديـنهم تـلويثا
مـن يـعظم شـعائر الله قـالوا ... انـه كـان مـشركا وخـبيثا
ولهـم بـعد ذاك خـبط وتهـويـ ... ـس تـولى بجـدهم والمـريثا

الىٰ ان يقول:

ليت شعري من الذي يـقبل الحـق ... جـليا ويسـتهل الغـيوثا
إذ هم اليوم حـزب جـهل فـاذكـا ... هـم يمـيز التـذكير والتـانيثا
ويـظنون ثـعلب الحـمق والغـي ... يـداني لدى النزال اللـيوثا
ليس يـدرون انهـم ليس يـدرو ... ن بـل الجـهل عـمهم تـوريثا
وتسـموا اهـل الحـديث وهـاهم ... لا يكـادون يـفقهون حـديثا

ان امثال هذا النوع من البشر المغرور بنفسه والذي لا ذمة له لا يخجلون ان يجوبوا المدن باسم (الدعوة الاسلامية) وهم ليسوا إلّا دعاة لمصالح حكام وهـيئات مـعروفة وعملهم دعاية للحكام وتبرير لاعمالهم ودعاية لهيئات معروفة.

حدثني حميد وبللو من نيجيريا وهو يصف امثال اولئك الذين يثيرون البـلبلة بقوله: يصل الىٰ بعض بلدان افريقيا بعض من اولئك وتكون وجهتم الاولىٰ المساجد حيث يجتمع المسلمون لاداء الصلوات أو لحضور وسماع محاضرة دينية أو لمناسبة اخرىٰ من احتفاء بذكرىٰ المولد النبوي الشريف أو احتفال بالاسراء والمعراج في شهر رجب من كل سنة، ولا يتورع ان يقوم خطيباً امام هذا الجمع الغـفير مـن المسـلمين الذيـن اجتمعوا لاحياء ذكرىٰ ميلاد الرسول الاعظم ﷺ فيؤنبهم ويعاتبهم في كل اعمالهم

ويبدأ في خطبته بقوله: ان كل شيء غير موجود في زمن الرسول فهو امـر مسـتحدث وبدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار، ولم يحتفل النبي بمولده ولم يحتفل بمعراجه، فلقد ارتكبتم ذنبا كبيرا واوجدتم امرا غير موجود في زمن الرسول، فلقد ضللتم ومرقتم عن الاسلام، فعليكم اليوم الاستتابة وتجريد اسلامكم من تلك البدع الضالة المـضلة، وإلّا فانتم مشركون. وانتم تتوسلون بالرسول، والرسول قد مات وهو بشر كغيره مـن البشر، لا ينفع ولا يضر، التوسل والدعاء والطلب من الله وحده، ومن توسل بغير الله فقد اشرك، والعياذ بالله، فانتم تعيشون في ضلال.

اما الاستاذ بكرو جومي فيقول: ان امثال اولئك إذا وصلوا الىٰ بلادنا نستقبلهم بالاكرام ضيوفاً كراماً، ولكنهم لم يفتأوا يثيرون مسائل غريبة لم يسمعها المسلمون من قبل، وباختصار فنحن المسلمون في نظرهم كفار ومشركون لا ياكلون ذبائحنا، بحجة اننا عبّاد القبور، وعباد القبور هم مشركون، وقد اضطررنا يوما ان نعيدهم من حيث اتوا، وإذا بدأ احدهم القاء كلمته علىٰ المسلمين، يخرجون المسلمون من المسجد، حيث لا يبقىٰ إلّا الشيوخ العجزة والصبية الصغار الذين لا يفهمون ماذا يقول الخطيب بلهجته العربية المحلية.

أمثل هؤلاء يمكن لهم ان ينشروا الاسلام بين اقوام غير مسلمين، وهم يثيرون البلبلة في افكار المسلمين؟

هذه صورة من صور دعاة المسلمين في عصرنا الحـاضر. لم يـتكلموا يـوما في التآلف والتكاتف بين المسلمين، فكيف لهم ان يـدعوا اربـاب الاديـان الاخـرىٰ الىٰ الاسلام؟

لا ريب انهم قد انتفعوا من اعمالهم ماديا ونالوا اغراضهم الخاصة. وشاع وذاع بين الاوساط العليمة ان هؤلاء المبعوثين لا يتورعون عن ارتكاب الفواحش في معاقرة الخمر واتيان الغلمان وممارسة الفجور، بل ان بعض الحوادث شاعت حتىٰ بين الاوساط

غير الاسلامية. والغريب ان هذا المبعوث الديني يعود في اليوم الثاني الىٰ المسجد ليلقي علىٰ المسلمين تعاليمه مبتدئاً بمحاربة البدع وتكفير المسلمين لانهم قد اشركوا، بكلمات تافهة مكررة تمجها الاسماع.

يصف السيد ابن شهاب هؤلاء القوم في قصيدة له طويلة نقتطف منها ما يلي:

والمظهرون البر والتقوىٰ واد ... مان التنسك خدعة للجافل

وإذا خلوا عكفوا علىٰ شهواتهم ... من لاعب أو شارب أو آكل

ثم يقول:

بئس الطوائف لا مرام لهم ولا ... مرمىٰ سوى جمع الحطام الزائل

ولهم حبائل لاجتلاب المال لم ... تدرك غوائلها لغير الفاتل

ويطوف اطراف البلاد دعاتهم ... ودهاتهم من كل صل صائل

ممن يبيع ولا يبالي دينه ... بين المزاد ولو بشاة شائل

والقصيدة طويلة كما قلنا وهي مكونة من ٦٩ بيتا. وهؤلاء البشر هم الذين يسيئون الىٰ سمعة الدعاة المسلمين المخلصين، ويحطون من قدر الاتقياء ويلوثون صورة الصالحين، ولا غرابة ان ينفر منهم المتعلمون والمثقفون المسلمون.

هؤلاء هم الذين يشكلون اصل الفساد والافساد ببث الخزعبلات، ولا باس هنا من اضافة ما حدثنا به الاستاذ ابراهيمو احمدو، وهي حادثة من تلك الحوادث المأساوية التي تحدث في افريقيا مما يقوم به اولئك الدعاة المبعوثون من قبل هيئات معينة، وكان الاستاذ ابراهيمو يحدثنا وعلىٰ وجهه دلائل الاستياء ومن نبرات كلامه يتفجر الاسىٰ من حالة اولئك الذين يتسمون باسم (دعاة الاسلام) وقد بعثتهم هيئات ومؤسسات بتأييد من حكام بلادهم، هذه الزمرة تجوب البلدان الافريقية للاتصال بالمسلمين والاجتماع بالشعوب الاسلامية، يستقبلهم المسلمون بالترحيب والتكريم باعتبارهم دعاة للاسلام، ولكن المؤسف حقا انهم لا يدعون غير المسلمين من النصارى والبوذيين

ومن لا دين لهم الىٰ الاسلام كما نفعل، فوجهتهم الاولىٰ الذهاب الىٰ مساجد المسلمين، لا لالقاء المواعظ والتعاليم الدينية، وإنما لاعلامنا باننا مشركون وكفرة ولابدّ من تجديد اسلامنا. انهم يدعوننا للتوبة من الشرك، ويعبر احدهم عن نفسه انه الداعي الاسلامي المشرع الذي يامر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر.

ويستطرد الاستاذ ابراهيمو حميدو بقوله: ان اعمالهم واقوالهم منفرة ومفرقة لكلمة المسلمين، خطبهم مملة لا تدور إلّا في محور واحد وهو تكفير المسلمين والكفر سببه عندهم هي البدع التي منها:

بدعة القنوت في صلاة الصبح.

بدعة قراءة البسملة عند الصلاة وعند قراءة القرآن لانها ليست آية.

بدعة الاحتفال بذكرىٰ مولد الرسول.

بدعة الاحتفال بمعراج النبي.

إلىٰ آخر امثال تلك الاقاويل والترهات التي يجعلونها من كبائر البدع. فمن قنت في صلاته أو قرأ البسملة في صلاته أو احتفل بذكرىٰ مولد الرسول أو معراجه فقد حاد عن الاسلام وكفر ويجب استتابته فان لم يتب وجب قتله. ان كل من كان علىٰ غير ملتهم كافر، وجزاء من لم يتب جهنم، وهذا من انواع الارهاب العقائدي.

تلك هي الاعمال التي تجر المسلمين الىٰ الخلافات بينهم في افريقيا، ولكن والحمد لله ليس فينا من تاثر بتلك الترهات. لا اعلم لماذا اتخذوا تلك الاساليب، ربما كانوا يحسبون ان الافارقة سذج جهلة لا يفهمون شيئاً.

ان اعمالهم شلت حركة الدعوة الاسلامية، وحاربت الاسلام باسم الاسلام وشوهت معنىٰ الدعوة، فكان العمل مدبراً عن قصد لتشوية حقيقة معالم الاسلام فهل كانت تلك الاعمال الهادفة مدبرة بموجب مخطط مدروس؟ والحقيقة التي لا ريب فيها ان اعداء الاسلام لهم مكائد يستترون ورائها يديرون الدفة لمحاربة الاسلام وتشويه معنىٰ

الاسلام باستخدام اولئك النفر ليكونوا اداة ينفذون الخطط خلالها لمحاربة الاسلام باسم الاسلام باسائة تفسير التعاليم الاسلامية.

ان سياسة ضرب المسلمين بالمسلمين باسم الدين امر معروف لشل كل حركة اسلامية بناءة، وتحطيم كل تحرك اسلامي صحيح، حتىٰ لا تستفحل الحركة الاسلامية ويتكتل المسلمون في جبهة واحدة، ان كلمة الاسلام مهما كانت فهي مكروهة لدىٰ دول الاستعمار الغربي والشرقي بما في ذلك الكتلة الشيوعية ومن ورائها الصهيونية اليهودية.

ويستطرد محدثي بقوله: اننا معاشر المسلمين الافارقة امة واحدة تجمعنا كلمة الاسلام ويسود بيننا شعور الاخوة والتعاون، ونحل قضايانا ومشاكلنا بانفسنا، ونعيش متآخين متآزرين، ولا نريد ان يعكر صفونا ويثير بيننا الفتن والقلق هؤلاء الدعاة النحسون في بلدنا وبين قومنا، لقد رفض العقلاء ان يقلقوا الامة باولئك الدخلاء الموفدين الىٰ بلادنا وان يرتادوا مساجدنا لالقاء الخطب، فإن فعلوا طلب منهم مغادرة البلاد، ثم ابرق الىٰ الهيئة التي بعثت اولئك الناس واخبرت ان وجودهم بيننا مما يعكر صفو حياتنا، لانهم السبب الاول في نشر المشاكل بين الامة ونحن في غنى عنهم.

ان اعداءنا يحومون حولنا من اليهود والنصارىٰ وغيرهم من الذين يحاولون استنزاف قوانا، ويريدون هلاكنا، فاننا لا نريد ان نزداد علينا مشاكل جديدة باسم الاسلام. ان اعداءنا نعرفهم علنا، اما اولئك المتقمصون برداء الاسلام وباسم الاسلام فهم اشد خطرا علينا لانهم متلبسون باسم الاسلام.

يقول الاستاذ عمر عبيد في تقديمه لكتاب (الدعوة الاسلامية) من تاليف الاستاذ الدكتور يوسف القرضاوي[1] ما يلي.

لا شك ان الاسلام دين التوسط والاعتدال، وان الغلو والتطرف والانحراف امر مرفوض شرعا مهما كانت الاسباب والمسوغات وليس من الاسلام في شيء، والغلو في

---

(١) في صفحة ٨.

الدين ظاهرة اصيب بها اتباع الاديان السابقة وكانت سبب هلاكهم ودمارهم. الخ.

ويقول الاستاذ يوسف القرضاوي مؤلف الكتاب:

اننا نطالب الشباب بالاعتدال والحكمة والعدول عن التطرف والتشدد ونطالب الشيوخ الكبار ان يطهروا انفسهم من النفاق والسنتهم من الكذب وحياتهم من الغش واعمالهم من التناقض.

نحن ندعي الاسلام ولا نعمل به، ونقرأ القرآن ولا نطبق احكامه، ونـزعم حب الرسول ﷺ ولا نتبع سنته، ونسجل في دساتيرنا ان دين الدولة هو الاسلام ولكننا لا نعطيه حقه في الحكم والتشريع والتوحيد(١).

اما الاستاذ محمد الغزالي فيذكر في كتابه (مشكلات في طريق الحياة الاسلامية) مايلي:

ان امتنا، عفا الله عنها، قصرت كثيرا، فما انصفت الدين الذي ورثته، ولا قدمت من نفسها نموذجا حسنا للعمل به، ولا هي احسنت تقديمه للعقول الباحثة والنفوس المستكشفة. اكاد اقول: انها خذلت الحق وعرقلت سيره، ومكنت الباطل كثيراً ان ينطلق ويتحدىٰ المجتمعات الاسلامية التي تحيا في متناقضات غريبة، وهناك تقاليد صحراوية تحتقر الصناعة والاحتراف وهذا من مثالب العرب.

والمسلمون لم يظلموا عندما هزموا في سباق الحياة، لانهم شوهوا معنىٰ الدين فانهزموا بجدارة.

ان دين الله لا يقدر علىٰ حمله ولا علىٰ حمايته الفاشلون في مجالات الحضارة الانسانية، الثرثارون في عالم الغيب الخرس في عالم الشهادة. فان تبجح الجهال بمالديهم من معارف مغشوشة أو قاصرة امر لا يطاق وإذا لم نوضح لامتنا الحق كله تعرضت وتعرضنا معها للهلاك.

---

(١) الدعوة الاسلامية، ص٨.

انني اعتقد ان انتشار الكفر في العالم يقع نصف اوزاره علىٰ متدينين بغّضوا الله الىٰ خلقه بسوء كلامهم وسوء صنيعهم.

ان هناك علماء دين لا يعرفون شيئا من حقوق الانسانية ولا يعرفون شيئاً عن الدساتير التي ارست العلاقات بين الدولة والشعب ولا يعرفون شيئاً عن التطور الذي بلغته الدول.

والانكى انهم لا يعرفون وضع مجموعة الدول الاسلامية بين غيرها من المجموعات.

ماذا ننتظر من رجل طبيعته شرسة إلّا الوعظ بقوارص الكلم وسيئ العبارات، وهذا النوع من الناس آفة الاديان كلها[1].

واحسب ان ما ذكره الاستاذ محمد الغزالي كان واضحاً وكافياً، وهذا هو الفرق بين الدعاة السابقين والدعاة اليوم الذين يتبجحون بسلفيتهم.

الامية الحضارية:

ليست الامية مجرد الجهل بالاحرف الابجدية، ولكن الامية قد تتجاوز وتشمل الجهالات الاخرىٰ، مثل جهل اللغات، جهل العادات، جهل المدنيات، جهل الحضارات جهل العلوم الطبيعية، جهل الهندسة، الىٰ غير ذلك. هذا العنوان لمقالة كتبت حول الدعوة والدعاة المسلمين الذين يجوبون البلدان الاوروبية والاميركية باسم الدعوة الىٰ الاسلام، فاكثر اولئك الدعاة يتقمصون الدعوة الاسلامية لا يملكون القدرة الكافية في مجال الدعوة، ولا يملكون الكفاءة العلمية في كيفية تطبيق الدعوة الاسلامية كما يجب ويلزم، واتضح من احاديثهم انهم مرسلون من جهات معلومة لمجرد الدعاية للدول الحاكمة لكسب تأييد المسلمين لتلك الدول، وبما ان تلك الدول لها اتجاهات خاصة في مفهوم

---

(١) المصدر السابق.

الدين، فكان اولئك الدعاة مجرد بوق لتلك الدول ومفاهيمها الفقهية الفرعية الخلافية، وانشغل اولئك الدعاة بالخصومات في الخلافات الفقهية في مساجد المسلمين في اوروبا واميركا امام الملأ من المسلمين، فظهروا بالمظهر المزري المخزي، فأضرّوا باعمالهم بسمعة الاسلام، ذلك لان الدعاة كانوا مجرد بوق لأُميين في الحضارات.

يفد امثال اولئك الدعاة من عدة دول وكل داعٍ يمثل دولته ولا يمثل الاسلام في شيء سوىٰ الاسم فقط، هؤلاء عاجزون عن محاورة الشعب الاوروبي أو الاميركي مباشرة ووجها لوجه، لا يستطيعون ارواء غليل السائل ويعجزون عن الاجابة إذا قدمت اليهم اسئلة علمية باللغة التي يفهمونها، وكيف يمكن للسائل ان يقتنع والداعي امي حضارة؟

حقا ان المسلمين اغنياء، قديماً وحديثاً، فالمسلمون الاقدمون الذين سبقونا هم حقا اغنياء بايمانهم وعقائدهم، يؤثرون علىٰ انفسهم لكسب رضا الله، فكانت المشاكل امامهم هينة فتخطوا كل المشاكل بنجاح، اما المسلمون اليوم فهم اغنياء باموالهم وبتروهم لكنهم فقراء في نفوسهم يهرعون ويتسابقون وراء المادة وحطام الدنيا ومع كل ذلك فهم فرحون باحوالهم واوضاعهم. وكان احد دعاتهم يتبجح ويقول في احدىٰ خطبه بعد صلاة المغرب امام المصلين بالحرف الواحد:

اننا نحن المسلمين قد بلغنا من الرقي والتقدم الحضاري والمدني مالم يبلغه اي شعب من شعوب العالم اليوم، لقد بلغنا من العلو والارتفاع ما لم ترق إليه امة من البشر، ذلك لان الاسلام دين تقدم وحضارة ومدنية.

بهذه العبارة كان يخطب متبجحاً، والحمدلله انه لم يخطب في احدىٰ الجامعات امام الطلاب ورجال العلم بمثل تلك الخطبة، وكيف له ان يعرف نفسه وهو المغرور بنفسه المتخلف عقلياً والمتحجر فكرياً والامي حضارياً.

جاءتني رسالة مطولة من السيد احمد عيدروس شهاب من الجزيرة العربية

تعرض لما يشاهده من المآسي في البلدان العربية التي جلها يطوى ولا يروى إلّا فيما يعلمه الجميع فهو يئن حزنا ويشتكي مر الشكوىٰ مما يراه ويشاهده من الاوضاع المأساوية، جاء في رسالته تلك:

ان تاريخنا اليوم تاريخ أسود حالك، وليس لدينا وجه. كيف نقابل حبيبنا المصطفىٰ محمداً ﷺ؟ المسلمون الذين سبقونا ادوا امانة الرسالة وجعلوا كلمة الله هي العليا في البلدان التي دخلوها وهم دعاة الاسلام فحرروا الانسان من العبودية ربما كانوا فقراء في المادة لكنهم اغنياء بالايمان وقوة العقيدة اما المسلمون اليوم فهم اغنياء بالمادة لكنهم فقراء من الايمان فالمادة رانت علىٰ قلوبهم فجبلوا علىٰ الجبن والخوف والفزع وراحوا يطلبون العون والحماية من دول غربية وشرقية حامية اسرائيل، فورطت تلك الدول الحامية، الدول العربية في الشحناء والبغضاء والتطاحن الذي عم جميع الاقطار العربية والاسلامية فسيطر اليهود علىٰ اولىٰ القبلتين واستعبد فلسطين. ومنذ سنوات والمسجد الاقصىٰ يئن تحت الاحتلال اليهودي وينادي ويصيح ويستغيث يا عرب يا مسلمين. الخ.

كيف لا يئن ويشكو السيد احمد عيدروس شهاب وهو يعيش مع تلك المحن المأساوية ويشاهد ويسمع كل يوم ما يؤلم، ويسمع ويرىٰ كما يسمع ويرىٰ غيره تطاحن الدول العربية بعضها مع بعض وتتبادل السباب والشتم والتهم بكلمات خائن، كافر، فاجر، مشرك، زنديق، مجرم، جاسوس، مخرب، صهيوني، مجهول، النسب، حقير، سفيه، ابن زنا، الىٰ غيرها من كلمات السباب التي جمعت من القواميس، والتي ما كنا نسمع بها فكيف صدرت من ألسنة رجال الدولة؟ لقد اصبحت تلك الكلمات البذيئة من الكلمات المألوفة علىٰ الالسن بل ربما يتلذذ بها قائلها فلا تعافها الاسماع. بل ان بعض الخطباء يعجب بنفسه مفتخراً عندما يخطب ويسطر تلك الكلمات ويعتبرها شجاعة. اما في الاحاديث اليومية فقد اصبحت تلك الكلمات سليقة مألوفة.

ومثالاً علىٰ تلك الحوادث المأساوية نذكر ما حدث لبعض الدول العربية من سوء تفاهم بسبب امر بسيط هين لكنه يمس السلطات الحاكمة، وجر هذا الامر البسيط الىٰ عداء ثم الىٰ خصام والىٰ مهاترات في التصريحات وسباب في الاذاعات وتهم علىٰ صفحات الصحف، علىٰ رغم ما يجمع بين الدولتين العربيتين من وحدة العنصر والقومية واللغة والثقافة والدين، وقد كانتا في وقت مضىٰ متآخيتين، ولكن اختلاف مصالح الجهات العليا بين حكام الدولتين لا بين الشعبين ادىٰ الىٰ ان تخاصمت الدولتان واصبحتا متعاديتين، الواحدة تعتبر الاخرىٰ الد اعدائها، وكل واحدة منهما تتهم الاخرىٰ بالخيانة العظمىٰ والصهيونية والعمالة لاسرائيل وحدث السباب والشتم والتهم بين الجانبين، حتىٰ يحار السامع اي الدولتين هي الخائنة والعميلة لاسرائيل.

اليست تلك من المآسي المؤلمة؟

مكانة السيد ابن شهاب الادبية:

الحنا قبل هذا الىٰ مكانة السيد ابن شهاب ونبوغه وذكائه وأنّ ابحاثه ومؤلفاته في مختلف العلوم النقلية والعقلية مما دبجه يراعه من انتاجاته العلمية تشهد له علىٰ ذلك، لقد كان مجاهداً بلسانه وقلمه لترسيخ دعائم الاسلام، فقاد حملة النهضة الاصلاحية حاملا مشعل الولاء لآل البيت النبوي الكرام ﷺ.

فني الادب هو اديب كبير وشاعر مفلق وهو من الشعراء المرموقين وهو الصورة المشرقة للادب العربي في المهجر الشرقي. يمتاز نثره بالايجاز وقوة الاعجاز ومتانة التركيب وسلاسة العبارة. اما شعره فهو هبة جبارة يمتاز بالرقة، مليء بالحكمة البالغة، وله القدرة الفائقة في انتقاء ارق الكلمات واعذب الالفاظ حينا واجزلها تارة. عباراته نابعة من اعماق احساساته وشعوره العميق، لذا نجد قصائده كرنين الوتر ذات انغام موسيقية حساسة، تتاثر بها الارواح وتستقطب النفوس لسماعها، وتطرب الآذان المرهفة لروعتها

ولمستواها في الاجادة وما فيها من براعة البيان. نفثات شعره آيات فنية من الابداع وحسن التعبير والتنسيق والقدرة الفائقة علىٰ الصياغة في قالب ممتع، واسلوب متين واضح لا تعقيد ولا حشو فيه حتىٰ سرت في مختلف الاوساط.

طرق شاعرنا الاديب السيد ابن شهاب انواعا من ابواب الشعر، رثاء وفخرا ومديحا ووصفا وحماسا وتغزلا، كما امتاز اكثره بالثناء علىٰ الرسول الاعظم سيدنا ونبينا محمدﷺ وآل بيتهﷺ والولاء لهم النابع من عمق احساساته التي تبلورت في غرر قصائده. يكثر في قصائده من الغزل باجادة تامة، ويفتتح كل قصيدة مهما كان اتجاهها بالغزل علىٰ الاساليب الكلاسيكية المعروفة حتىٰ يستعذبه القارئ ويطرب له السامع.

يقول السيد العلامة ابن عقيل صاحب المؤلفات الكثيرة والمواقف الحاسمة وهو يصف ادب السيد ابن شهاب:

انه من المستميتين في حب آل البيت الطاهر وانه اعلم علماء الشرق وان طالب الادب سيجد في قصائد السيد ابن شهاب ما شاء من معنى رائق، واسلوب فائق، ولفظ جزل، وممتنع سهل وقصائد تسيل رقة... مع وضوح العبارة وخلوص الاشارة.

إذا كان العرب في القرن العشرين الميلادي يفتخرون بالمستوىٰ الرفيع من الادب العربي في المهجر الغربي الاميركيتين واوروبا لمن نبغ هناك امثال جبران خليل جبران والاخطل الصغير وايليا ابو ماضي وغيرهم ممن لف لفهم فان الادب العربي في المهجر الشرقي لا يقل وزنا ولا نضوجا عما بلغه ادباء العرب في المهجر الغربي.

لماذا عرف العرب الادب العربي وادباءه في المهجر الغربي وغاب عنهم الادب والادباء في المهجر الشرقي؟ ذلك لان للصحافة ودور النشر في العالم العربي دوراً فعالاً في ذلك الزمن كلبنان وسوريا ومصر، وبحكم صلاتها بالمهاجرين في المهجر الغربي كانت بطبيعة الحال تنشر عنهم الشيء الكثير.

ولم تكن لهذه الصحف العربية صلة أو علاقة بالادباء والشعراء في المهجر الشرقي

فغاب عنها وعن العرب ما بلغ إليه الادب العربي في تلك المهاجر الشرقية التي تضم الكثرة من الادباء والشعراء ممن لا يمكن حصرهم في هذه العجالة، انه يحتاج الىٰ جهد خاص في هذا الصدد. بلغني ان الشاعر الاديب السيد عبد الله بن يحيىٰ العلوي[1] بصدد وضع كتاب شامل عن الشعراء في المهجر الشرقي وهذا جهد مشكور يجب تقديره ودعمه، نسال المولىٰ ان يكلل جهده بالنجاح ويوفقه لطبع كتابه هذا في القريب العاجل.

اما ديوان السيد ابن شهاب فقد طبع في مدينة بوقور باندونيسيا طبعا متقنا عام ١٩٢٤ / ١٣٤٢هـ بعد وفاة المرحوم بعام واحد، وليس في الديوان المطبوع كل قصائده ولكن ما تيسر جمعه بعد وفاته ما عدا القصائد التي اوصىٰ بها، والمعروف ان له قصائد اخرىٰ كثيرة متناثرة لم يتسنَّ لجامعي قصائده جمعها ولعلّ البعض منها فقد.

يقول السيد محمّد بن عقيل: إن الكثير من قصائد ابن شهاب استولت عليها ايدي الضياع وذهبت مع الايام.

حدثني الشيخ محمد بلعمش احد وجهاء الحضارم انه شاهد في مكتبة لندن عند زيارته لها مجموعة خطية من قصائد السيد ابن شهاب السياسية لمكافحة الاستعمار البريطاني.

اجمع ادباء المهجر الشرقي وجنوب الجزيرة العربية علىٰ ان السيد ابن شهاب نابغة شعراء المهجر الشرقي وجنوب الجزيرة وهو لم يكن شاعرا واديبا فحسب ولكنه أيضاً عالم ومصلح ومفكر وباعث النهضة الفكرية الاصلاحية.

عندما يقرأ القارئ قصائد شعر السيد يجد نفسه وكأنه يعيش في العصور الذهبية السالفة حين بلغ الادب العربي مستواه العالي.

الشعراء في المهجر الشرقي وجنوب الجزيرة أو الذين عرفوا واطلعوا علىٰ مؤلفات

---

(١) السيد عبد الله بن يحيىٰ العلوي احد شعراء المهجر الشرقي ورئيس النادي العربي بسنغافورا، ثم رحل الىٰ القاهرة للاقامة فيها، ولكنه اختار الاستيطان في الولايات المتحدة واتخذ من مدينة سياتل مسكنا له ولاسرته.

أو قصائد السيد ابن شهاب كانوا يكيلون له التقدير ويطنبون في إطرائه ومديحه نثراً وشعراً في حياته ثم رثوه عندما وافاه الاجل بالمراثي المطولة اعترافا منهم له بالفضل، واكرموه حيا وبكوه ميتا.

في عهد السيد ابن شهاب لم تكن دور النشر كما هي عليه الآن من تقدم في فن الطباعة وحسن الاخراج وقدرة التسويق مع سهولة المواصلات البرية والجوية، فالمطابع التي تطبع الصحف والكتب في المهجر الشرقي كانت محدودة لا تتجاوز محورها في سوق العرض والطلب، ولذلك فان الانتاج لا يصل الىٰ البلدان العربية والاسلامية فضلا عن المهجر الغربي. ولو كان المجال كما هو الآن لعرف العالم العربي اجمع وادباء المهجر الغربي المستوىٰ الرفيع للادب العربي في المهجر الشرقي.

يقول الاستاذ الاديب العلامة السيد محمد احمد الشاطري:

ان السيد ابن شهاب هو استاذ المدرسة الشعرية والادبية بل العلمية في اواخر القرن الثالث عشر واوائل القرن الرابع عشر الهجري الموافقين لاواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين الميلادي، ليس في حضرموت، وحدها، لا في اليمن وحدها كما يصفه ناشر ديوانه بانه شاعر اليمن ومفخرة الزمن، وانما هو شاعر الجزيرة العربية باسرها كما يتجلىٰ ذلك إذا قارنا بين اشعاره واشعار زملائه من فحول الشعراء، في الجزيرة، وهو الىٰ ذلك في طليعة زعمائها وعلمائها ومفكريها والمصلحين الاجتماعيين بها[1].

ومن الطبيعي ان يكون شعره شعراً سامياً ممتازاً كحياته السامية الممتازة عن حياة كثير من زملائه من شعراء وعلماء وزعماء.

وفي شعر ابن شهاب كما رايت بعضه هنا عدة مظاهر منها الرقة والبلاغة والطلاوة

---

(١) ادوار التاريخ الحضرمي، الجزء الثاني، الصفحة ٢٣٩، الطبعة الاولىٰ، والاستاذ العلامة السيد محمد احمد الشاطري هو احد الادباء والشعراء، له عدة مؤلفات وله ديوان مطبوع، وكان مدرسا للادب العربي في سنغافورا احدىٰ مدن المهجر الشرقي، وقد سلم من اغتيال الشيوعيين في جنوب الجزيرة عند احتلال الشيوعية لها.

والفن، واكثر شعره جيد وجيد جدا والقليل منه فقط ليس كذلك.

وهو كفحول الشعراء في الادب العربي الذين قبله منذ قرون عديدة وكالشعراء الذين في عصره يبدأون مدائحهم بالغزل التقليدي ويعنون بالمديح ولكنه لا يتكلفه، وهو حين يمدح انما يمدح من اجل الفن ومن اجل تقديم شعره ليذاع وتضم اشعاره الى المكتبة الادبية، لا ركضا وراء الدنيا كما يقول بعض المتسرعين ممن لم يدرسوا حقيقة هذا الشاعر العظيم دراسة وافية، ولم يدرسوا غيره من شعراء حضرموت وجنوب الجزيرة وينصفوا اشعارهم التي لا تقل روعة وفنا عن امثالها في عالم الشعر والادب. فابن شهاب حين يثني على الخديوي توفيق بقصائد رنانة في معارضة الارتقيات لم يقدمها له، ولو قدمها لكانت من اجل ان يضاهي بها شعراء عصره في مصر ويتحداهم ويعرفهم بمكانته ومقدرته الفنية. وأي شاعر لا تعجبه هذه القصيدة في خمرياته المعروفة؟ ومطلعها:

روق الخمرة صرفا وادر   واسقنيها في الظلام المعتكر

وهذا هو السحر الحلال الذي يأخذ بمجامع القلوب، ولو قارنت بين هذا البيت وهو:

رق مرآها ومرأى جامها   فهي والجام ضمير مستتر

وبين قول البهاء زهير:

رق الزجاج ورقت الخمر   فتشاكلا وتشابه الامر

فكأنما خمر ولا قدح   وكأنما قدح ولا خمر

إذا قارنت تجد بيت ابن شهاب متفوقا من عدة اوجه، وبهذا يبرز لون من الوان الشعر الذي اتصف به كثير من فحول الشعراء الاقدمين كالكميت ودعبل والفرزدق ثم الشريف الرضي ومهيار وصفي الدين الحلي ومن بعدهم الى اليوم، مما قل ان يخلو عنه شعر شاعر.

الشعر الحر:

لم يكن الشعر الحر أو الشعر المنثور كما يطلق عليه معروفاً أو مألوفا في عهد السيد ابن شهاب، وربما كان له رأي فيه لو كان موجوداً في عصره، لكن المفهوم السائد ان الشعر هو الايحاء الروحي الذي يأتي في جمل بليغة من الكلمات الرقيقة التي صيغت في قالب موزون ومقفى يعبر عن الشعور والاحساس في نبرات موسيقية تثير المشاعر، وقد كفانا الكتاب من الادباء هذا الموضوع بحثاً ودرسا وتقصيا وتمحيصا.

في السنوات الاخيرة من عصرنا ظهر الى الوجود الشعر الحر بكثرة متناهية حتى بار وكسد، ونجده بوفرة كبيرة في الصحف اليومية والمجلات. وللادباء المعاصرين آراء واحكام في الشعر الحر أو كما يطلقون عليه أيضاً الشعر المنثور.

يقول الاستاذ الاديب جهاد فاضل في هذا الصدد مميزا بين التجديد الاصيل والتجديد المقتبس من الشكل الاوروبي ما يلي:

الشعر العربي المعاصر ظاهره خلط الشعر بالنثر ووصول عامة القراء الى مرتبة الشعراء.

ويتابع الاستاذ جهاد فاضل بحثه مدليا برأيه وموقفه من الشعر الحر أو (قصيدة الشعر وقصيدة النثر) بقوله:

من الصعب ان نستخرج من النقد السائد الآن في لبنان وفي سواه من الاقطار العربية من هو الشاعر فعلاً ومن هو غير الشاعر، فلا يوجد شخص يقترب من منطقة الشعر، ولو ادنى اقتراب، إلّا ويعثر على ناقد يهبه من النياشين والبراءات ما يرفعه الى سدة الشعراء الكبار.

وفي فوضى الاشكال الشعرية التي تشهدها الساحة الادبية العربية منذ اكثر من ربع قرن تسرب الى منطقة الشعر ما لا يحصى ممن هم على هامش الشعر، فحسبوا على

الشعر وبخاصة علىٰ الحداثة فيه، اما قبل هذه المرحلة فقد كانت الشروط الشكلية المعروفة تقف حجر عثرة امام عملية الدخول بدون كلفة. ليست هذه الشروط الشكلية بالطبع كافية لحصول هذا الفتىٰ أو ذاك علىٰ لقب شاعر، وليست حجة دامغة علىٰ الشاعرية، ولكنها كانت علىٰ الاقل قرينة وجود هذه الشاعرية وان تكن قرينة غير نهائية، فقد كانت العرب تميز بين الشاعر والناظم، لكن عندما لم يعد لهذه الشروط الشكلية اهميتها السابقة، فقد الشعر العربي خطّه الدفاعي الاول. وهبطت نغمة من السماء (قصيدة النثر) تلقفها اول من تلقفها من كان مرفوضا في الماضي في امتحان الشروط الشكلية ولكن بدل ان يقنع هذا بحظه في نادي الشعر اصيب بالخيلاء وبات يعتبر ان الموسيقىٰ في الشعر تحول دون الشعر، وان الشعر لا يتحقق إلّا بالنثر واكثر من ذلك. لقد اعتبر ان جذور قصيدة النثر موجودة في التراث العربي وهي تمتد الىٰ العصر الجاهلي. فسجع الكهان في الجاهلية قصائد نثر، وآيات القرآن الكريم قصائد نثر، وكذلك خطب الامام في نهج البلاغة وشطحات المتصوفة. مثل هذا النظر لا يستقيم بالطبع مع الحقائق التاريخية والموضوعية معا، قصيدة النثر إذا اريد معرفة جذورها، فهذه الجذور موجودة في التراث الشعري الاوروبي لا في التراث الشعري أو الادب العربي. انها موجودة في كتابات رامبو وبودلير ولوتريامون وسواهم، اما اللغة العربية فلم تعرف في تاريخها مثل هذا النمط من التعبير، فكلاهما اما نثر واما شعر وليس الشعر بالضرورة هو اجود الكلام واكرمه واجمله واسماه، فقد يكون في قطعة نثر من الجمال والبهاء اللغوي والفني ما لا يعثر عليه المرء حتىٰ في اجود الشعر، ولكنها قطعة نثر. فهل من عيب في ذلك؟ وما الذي يضيرها لو وصفت بانها نثر لا شعر، لا يعني كل ما تقدم تقديس اوزان الخليل ابن احمد الفراهيدي، فان هذه الاوزان لم تبق بعد الخليل بمنجاة من التغيير والاجتهاد وفي الوقت الحاضر لا يقول حتىٰ غلاة المحافظين بقداسة اوزان الخليل وبان باب الاجتهاد قد اقفل دونها. فاوزان الخليل نهج لا عقيدة، وبامكان الشعراء المعاصرين ان يخلقوا ايقاعاتهم

العصرية الجديدة إذا وجدوا ان ايقاعات صاحب (العين) ايقاعات زمان مضى. على ان كل ما ينبغي التاكيد عليه هو بقاء الشعر رقصاً، كما كان يقول فاليري، لا ان يتحول الى مشي مخثر بليد. ويدلي شعراء قصيدة النثر عادة بانهم استبدلوا الموسيقى الخارجية بالموسيقى الداخلية، وأن ما يعولون عليه هو الايقاع الذي يسرى في داخل القصيدة، ولكن هذا الادلاء قد اعوزه البرهان دائماً إذ كيف يثبت هؤلاء ان منشوراتهم (الشعرية) هذه تحتوي فعلا موسيقى داخلية كما يثبت الشاعر موسيقاه الخارجية؟

اننا نعلم ان حياة الكائن الحي قائمة على الايقاع الداخلي، ولكن ذلك لم يمنع ان يصاغ الشكل الخارجي أيضاً في (احسن تقويم) كما جاء في القرآن الكريم عن خلق الانسان. ايتعارض أن يكون هناك ايقاع داخلي ووزن خارجي؟ اهو مستحيل عند العقل ان يجتمع الجانبان معاً؟

كلا ليس ذلك مستحيلاً. بل انه هو الذي حدث في كل قصيدة من الشعر الجيد في كل آداب العالم جميعاً.

ورغم الحبر الكثير الذي اريق منذ ربع قرن حول علاقة قصيدة النثر بالشعر، فما زالت قصيدة النثر العربية غير شرعية وغير مقنعة. انها صنو العجز ومرادف الخيبة، ومازال مكانها الصحيح هو النثر لا الشعر.

انني لم اقتنع حتى الساعة بان الشعر العربي مريض حتى الموت وان اوزانه عقبة امام تجديده، وان الشفاء يتمثل بقصيدة النثر. ألا يعتبر شعر بدر شاكر السياب وشعر جيله والجيل الذي لحقه شعرا؟ كما انني لم اقتنع بان خلق ايقاعات شعرية جديدة عملية مستحيلة.

ان ما جرى الاصطلاح على تسميته بقصيدة النثر له الحق طبعاً بان يوجد، إذ ماذا نسمي مثلاً كتابات طلاب البكالوريا الوجدانية العاطفية في تلك المرحلة الادبية المراهقة إلّا قصائد نثر. إلّا ان العسف يبدأ عندما يراد هدم قلاع الشعر العربي لبناء مدن الخشب

الشعبية مكانها. أي اعتبار قصيدة النثر هي الشكل الجديد للشعر العربي وعندها يصح القول: (رحم الله شكلا عرف حده فوقف عنده)[1].

التجديد في الشعر على نوعين:

الاول: التجديد الهش الهامشي بتقليد الشكل، كما اصبح الشعر العربي شعراً اوروبياً مكتوبا بلغة نثرية عربية.

الثاني: تجديد ثوري اصيل يراعي في الشعر العربي تطوره ضمن قوانينه الموضوعية الخاصة، واول هذه القوانين ان يحمل الشعر العربي الجديد خصائصه الكيانية الاصيلة، أي الايقاع والقافية، وكان من رأينا وباستمرار ان قصيدة النثر هرطقة شعرية وعجز وقصور، واشتهاء للشعر بدون قدرة عليه. ولا ندري لماذا لا يسلّم منشئوا هذا اللون من التعبير بان انتاجهم نوع من انواع النثر؟ اليس النثر ادبا؟

الشعر المنظوم الموزون المقفىٰ غير النثر المسجع، ويتذوق ذلك الشاعر الرقيق الاحساس، فكما ان للشعر المنظوم الموزون فناً، فللنثر أيضاً فن.

اما العلامة الاستاذ الشيخ محمد الغزالي فله كلمة ظريفة في هذا الموضوع عن الشعر الحر أو المرسل كما يسميه الاستاذ الغزالي، ويقول:

ظل العرب اقل من عشرين قرنا يصوغون شعرهم حسب البحور المأثورة عنهم حتىٰ جاء هذا العصر الانكد بما يسمىٰ الشعر المرسل محاكاة للشعر الاوروبي كما يقولون. واكرهتني الايام علىٰ سماع هذا اللغو من بعض الاذاعات، أو قراءته في بعض المجلات فماذا وجدت؟ تقطعا عقليا في الفكرة المعروضة، كانها اضغاث احلام، وخيالات سكران، ثم يصب هذا الهذيان في الفاظ يختلط هزلها وجدها، وقريبها وغريبها وتراكيب يقيدها السجع حينا، وتهرب من قيوده احيانا، ثم يوصف المشرف علىٰ هذا المخلوط الكيماوي

---

(١) الاستاذ جهاد فاضل، مجلة الحوادث عدد ١٢٤٢ الصادرة بتاريخ ٢٢ آب / اغسطس عام ١٩٨٠.

المشوش بانه شاعر.

فني الشعر الاجنبي ـ المرسل ـ صورة ذهنية أو عاطفية ظاهرة علىٰ النحو الذي سقنا شواهده اول الحديث. اما التقليد العربي له فشيء غريب حقا. واسمع هذا الكلام الذي نشرته صحيفة الراية في ملحقها الاسبوعي رقم ٥٦٧:

وصاعدا فصاعدا

نابت عن خريطة الليمون والحوانيت الخفيفة حجر من النهر اصطفاني، فارتعدت!

الثور والحمير تجرى فوق اكوام الغلال!!

وحاجتي لمعطف التبرك

ابتداء فجر صحن بيتنا ـ السحارة العتيقة

آن الاوان

لاروح في السيجا قوى الجاش

لاروح تحت البواكي املاء السيجا مرابيع النجوم

قوس الجنازة الذي

يمتد في قوس البيوت الواطئة

الصاغة المتلثمون والحلب.. النسوة الحبالى قلبي الذي يحول ...الخ

من من الناس في الدنيا أو في الاخرة يفهم هذا المجون؟ كأن جامع الحروف التقط كلمات من علىٰ الارض، ورصها كيفما اتفق وزيادة في التهويل والتزوير جاء الرسام فوضع حولها بعض الزخارف الغامضة وتحت عنوان (وشم العاشق) سمي هذا الخليط الكيماوي شعراً.

ثم قال الشيخ الغزالي مستطردا في هذا الموضوع عن الشعر الحر أو المرسل:

ذلكم صنيع الاستعمار الثقافي بنا، وبلغتنا وتراثنا الادبي، وخصائصنا الفنية.

وقد راقبت انتاج ذوي الاسماء اللامعة في هذا الميدان المبتدع، فوجدت السمة الغالبة علىٰ هذا اللغو المسمىٰ شعرا لا تختلف ابدا عن التفكير المشوش أو اللا تفكير، والتعبير الذي يجمع الالفاظ بالاكراه من هنا ومن هناك ويحاول وضعها في اماكنها، وتحاول هي الفرار من هذه الاماكن.

والسؤال الذي يتردد باستمرار، لماذا ايها القوم تسمون انفسكم شعراء، إذا كنتم لا تحسنون قرض الشعر وبناء القصيدة؟ لماذا لا تحاولون ان تكونوا ناثرين بعد استكمال القدرة العقلية واللغوية؟

ومن العجائب ان هذا العجز الادبي يلبس ثياب البطولة، فعند ما مات صلاح عبد الصبور غفر الله له، نشر الرسامون صورة لتمثال اقيم له وقد نقشت في قاعدته هذه العبارة (فارس الكلمة). أي فروسية؟ انها طريقة المصريين أو العرب احيانا ـ في تسمية الاعمىٰ: ابا بصير، وتسمية الأقرع شعراوي. كذلك العاجز عن نظم الكلم: فارس الكلمة.

كتب الاستاذ الاديب الشاعر السيد صالح الحامد[1] سلسة مقالات عن السيد ابن شهاب بمناسبة ذكرىٰ ميلاده نشرتها بمجلة النهضة الحضرمية في اعدادها من التاسع الىٰ الحادي عشر في ١٩٣٦ التي تصدر من سنغافورا، ولكني لم اعثر إلّا علىٰ العددين التاسع والحادي عشر فقط. ولما في المقالة من الاهمية آثرت نقلها برمتها من العددين المذكورين، وهاهي:

كم كان يجول بخاطري ـ منذ نشأت مجلة «النهضة الحضرمية» ـ أن أكتب عن حياة هذا النابغة العبقري والشاعر المطبوع، الذي يعد من أكبر الشخصيات التي لم تنجب

(١) السيد صالح الحامد هو علامة وشاعر واديب له عدة مؤلفات منها: تاريخ حضرموت طبع عدة طبعات في بيروت في جزءين، كما ان له عدة دواوين شعرية مطبوعة منها نسمات الربيع، توفي بمدينة سيون من جنوب الجزيرة في اليمن الجنوبي عام ١٣٨٧هـ.

(حضرموت) أجل منهم ـ لو لا اعتراض العوائق وتجدد الشواغل.

غير أنني بمناسبة ذكرىٰ وفاته، أرىٰ الفرصة سانحة لأن أستَلّ ساعة من بين ساعات الأشغال أسطر فيها عن هذا الشاعر الفحل ما يسمح به القلم العجول، ويسعد به الخاطر المرتطم.

في مثل هذا الشهر، شهر جمادى الأولىٰ سنة ١٣٤١، انكدر من سماء الأدب الحضرمي هذا الكوكب النير، وطار عن أوكاره هذا البلبل الفريد، الذي طالما غذى الالباب بشدوه وملأها بنسمات شعره وسحره، وكادت الآداب بعده تحول خاوية ذاوية؛ لو لا أن قيض الله لها من أبناء القطر شعراء وأدباء ناشئين كانوا له نعم الخلف، فكان فيهم جميل العزاء.

فيهمنا الآن بمناسبة ذكرىٰ وفاة هذا الشاعر أن نزف للقراء دراسة لهٰذه الشخصية العظيمة التي لم يعرف تاريخ حضرموت شخصية شاعر مثلها في العصور الاسلامية. وليس السيد ابن شهاب بالرجل المغمور الذكر؛ أو المجهول التاريخ، فنقول: اننا أتينا لننشر ذكره ونرمم اثره، كلا! ولكنه تلك الشخصية العظيمة التي درجت وبقيت لها سيرتها وتاريخها، وخلدت لها آثارها المجيدة واعمالها الجبارة باقية ما بقي الدهر.

ولكنا نتحف قراء الأدب الحضرمي بفذلكة يسيرة عن هذا الرجل العظيم ونرسم لهم صورة مصغرة عن حياة هذا النابغة ولكن من ناحية فقط وهي ناحية كونه شاعراً، أما من ناحية كونه علامة ومصلحا فهذا ما يستدعي إفراده بالتصنيف.

وغرضنا ان نحيي بذلك ذكرىٰ أكبر الناهضين بالادب في قطرنا المحبوب والنافخين فيه روح الحياة والانتعاش، لاعتقادنا ان ذلك غاية ما تهفو إليه قلوب الشغوفين بدرس أدب هذا القطر والاطلاع علىٰ ادواره وأطواره.

الأدب الحضرمي قبل عهد ابن شهاب:

يجدر بنا قبل إدلائنا بذكر شيء عن حياة هذا النابغة وثورته الأدبية أن نذكر كيف كانت حالة الأدب الحضرمي قبل ظهوره وكيف كانت منزلة هذا القطر من الشعر وقرضه في تلك العصور السالفة؟

لقد كانت حالة الأدب في تلك الآونة ضئيلة جداً بالقياس بغيره من الفنون وذلك لإكباب الطلاب على العلوم الدينية البحتة والارتواء من حياضها ثم انقطاعهم إلى العبادة والزهد فكانت النفوس إذ ذاك مغمورة بجلال العبادة، غارقة في تيار الزهادة، سابحة في سبحات من التصوف والروحانيات، صادفة عن كل ما يشغلها عن المضي فيما تراه البد اللازم بتأثير ظاهر قوله جل وعلا: ﴿وما خلقت الجن والانس إلّا ليعبدون﴾.

وأكاد أقول: إن سراج الأدب في هذا العصر قد أوشك أن يخبو بهذا القطر لولا ذبالة ضعيفة من شعر التصوف والوعظ كانت تشع له ما بين حين وآخر. كان القادح لزنادها ذاك العلامة الكبير والشاعر الصوفي السيد عبدالله الحداد العلوي، فكانت هي المثل الأعلى للشعر في نظر النابهين من الطلاب والمشايخ يحتذون مثالها وينسجون على منوالها.

وعلى كل حال فقد أعادت للشعر بعض حياته غير أنه منذ ذلك الحين لم يعد يعدو شعر التصوف أو مدح المشايخ ورثائهم. ومهما كان الأمر فانه كان النواة الأولى لغرس الأدب في هذا العصر وأول دور له من سلسلة أدوار لما تنقض حتى الآن، يرجع بعض الفضل فيها لباعثها الواضع لأول حلقة من حلقاتها السيد عبدالله الحداد.

ثم جاء بعد الشاعر ابن مصطفى العيدروس العلوي وتقدم بالأدب شوطاً وفتح له باب الشعر العربي وتفنّن في البديع وأتى بنوع من السهل الممتنع والتوشيحات، حقيق بأن يدخل فيما يسمى الآن بالشعر الغنائي. وترسم أثره ـ مع قلة إنتاج ـ جماعة لا نجحدهم

فضلهم غير أنهم لم يزيدوا علىٰ سابقهم ما يستوجب نظمهم في سلك أقطاب تطور الأدب الحضرمي وأبطاله الفاتحين.

غير أن تاثر الأدب الحضرمي بشعر ابن مصطفىٰ كان يسيرا وقد يرجع ذلك لكثرة ولوعه بالاستعارات وصناعة البديع فكان ذلك حائلاً دون التأثر بأدبه وكثيرا ما يبعث الاكثار من ذلك في نفوس القراء السآمة والملل.

لذلك لبثت سوق الأدب راكدة زمنا ليس بالقصير إلىٰ أن أتىٰ عهد ابن شهاب فما كاد شعره يبلغ مداه من الذيوع في وادي الأحقاف حتىٰ هشت له النفوس ورقصت له القلوب لبلاغته وأسلوبه السهل... وموسيقاه العذبة، وما مضت برهة حتىٰ نهض هذا النابغة بالشعر الحضرمي واقتحم به ميادينه الواسعة وقرع به أبواب الاجتماع والتاريخ والحماسة والوصف، بل أخذ يتصرف به فيقارع به الخصوم مجهزاً بالبراهين القاطعة والحجج الناصعة بأسلوب شعري جزل، يدل علىٰ غزر شاعريته وقوة عارضته مما سيرى القارئ أمثلته في آخر هذا المقال.

شعره:

يمتاز شعر ابن شهاب بميزات بينة، تجعل له طابعاً خاصاً كالانسجام وصفاء الديباجة وجمال الاسلوب العربي القح؛ مع رقة في المعاني، وتخير في الالفاظ، في سلاسة تجعل القارئ يطل علىٰ القافية من أول كلمة من البيت من شعره، ويسابق ذهنه لسانه الىٰ تناول المعنىٰ.

يرثي وينسب ويتواجد، فيرسل عاطفته حية نابضة في شعره، تمثل لنا حزنه وسروره ووجدانه وشعوره في خيال حي وشاعرية فياضة. وله طريقة في شعره الاجتماعي غالبا، يرسل فيها عواطفه متدفقة، مع سهولة ورقة تبعث علىٰ ان تتأثر لها النفوس وتتكهرب لها القلوب حماساً وغيرة، حرية بأن نسميها بالاسلوب الخطابي.

وبالجملة فلشاعرنا طابعه الخاص الذي يميزه عن غيره.

ويجب ـ للحقيقة والانصاف ـ بيان انه مما قيد من شاعرية شاعرنا ـ من أن تنيله المكانة السامية من الشهرة بين شعراء الاقطار العربية ـ شدة محافظته علىٰ الاساليب العربية، والتجاؤه الىٰ انتهاج الطرق الصناعية، ويرجع ذلك اولاً الىٰ بيئته وثقافته، وعدم تأثرهما بمؤثرات العصر أو بأدب اللغات الاجنبية الحية، وثانياً بمجاراة للعامة في مجتمعه وحرصاً علىٰ ألّا يخرج عما يتفق وأذواقهم، فلا غرو ان كان لثقافته وبيئته في شعره أثرهما البارز.

وقد يعد بعض المجددين ـ في عصرنا ـ هذا النوع من الشعر تقليدياً أو (كلاسيكيا) علىٰ حد ما يعبر الشاعر المجدد أبو شادي، بيد أن هذا لا يغض من قدر شاعرنا، ولا يجحد له فضل تجديده النسبي في الادب الحضرمي وتلقيحه بروح الادب الحي التي لم يتشربها بكل معانيها قبل.

ولا شك ان شاعرنا عاش في عصر البارودي وصبري وحافظ أيضاً وإذا أصبح هؤلاء عند مجددي عصرنا مقلدين فهو منهم. ومع ذلك فلا يجوز لنا غمط حقهم وجحد ما اثّروا علىٰ الشعر العربي. وحسبهم ـ إن لم يكونوا مجددين ـ أن كانوا حلقة اتصال للشعر بين القديم والجديد.

شعره الوجداني:

الشعر الوجداني هو أصدق أنواع الشعر تصويرا لما يعتلج بخاطر الشاعر وما يهجس بضميره، إذ هو الشعر الصادر عن رشح العاطفة ووحي النفس، فهو أبعد من ان يتسرب إليه الرياء أو تخالطه المصانعة. فأحر به ان يكون المقياس الصادق لسبر غور الشاعر واستكناه إحساساته ونزواته، والمرآة الصافية التي تنعكس عليها نفس الشاعر وتبدو بها عواطفه ملموسة نابضة.

وأنت إذا القيت نظرة علىٰ شعر ابن شهاب في شكوى الفراق تراه ينبض شوقا ويسيل دموعا لفراق وطنه ونزوحه عن أحبابه، فتراه كيف يرسل الصيحات شجية داوية، ويبعث الأنات مشجية، توقع بنغمة ملؤها الشكوىٰ والحنين، تهز أوتار القلوب وما ذلك إلّا لانه قضى ثلاثين سنة نائيا عن وطنه، شاحطا عن اقرانه واحبابه فاسمعه كيف يبكي ويحن الىٰ وطنه (تريم):

اهكذا ليت شعري كل ذي كرم   يصبيه تذكاره المأوى ويقلقه
يا أيها الرائح الغادي الىٰ بلد   جرعاؤه خصبة المرعى وابرقه
ناشدتك الله والود القديم إذا   ما بان من بان ذاك السفح مورقه
وشاهدت عينك الغناء غادرها   مخضلة بالحيا الوسمي مغدقه
أن تستهل صريخا بالتحية من   باك من البعد كاد الدمع يغرقه
يثير أشجانه فوح الصبا سحرا   وساجع الورق بالذكرىٰ يؤرقه
له فؤاد نزوع لا يفارقه   حر الغرام وجفن ليس يطبقه
بالهند ناءٍ أخي وجد يحن الىٰ   أوطانه وسهام البين ترشقه
الىٰ العرانين من أقرانهم والى   حديثهم عبرات الشوق تخنقه
وللظباء بهاتيك السفوح له   تأله برقيق الشعر ينطقه
لم يسل عنهم ولم ينس العهود ولم   ينقض وان طالت الأيام موثقه

وهذا شعر يكاد يسيل رقة فكانما نسج من النسيم أو استخرج من التسنيم، ولكنه كلام أملاه عليه الشعور الصادق وأفاضته العاطفة الكامنة، فهلهل شاكيا البعاد ناسيا لحقيقة الاسباب التي ألجأته لان يخرج متأففا من وطنه غاضبا، إذ قال من قصيدته التي أولها:

ودع سعاد وألق حبل قيادها   واصدر على ظمأ لدى ميرادها

يقول فيها:

هل في القضية أن أقيم ببلدة | يخشىٰ الكرام بها أذى أوغادها
في الارض متسع لحر نفسه | عصماء يأمن مستحيل كسادها
فلتثكل الغنا حلولي دورها | وعلي فلتلبس ثياب حدادها
فسنام اي الارض اذهب منزلي | ولي الندامى الغر من أمجادها
وتريم تعلم والمدائن حولها | أني لدى اللأواء من اجوادها
وإذا جرت خيل الكرام الىٰ مدىً | فمن المجلي في كرام جيادها
ولطالما أجهدت نفسي ساعيا | في لمّ فرقتها ودرء فسادها
كم فتنة فيها اكفهرّ وبالها | حمد الانام سراي في إخمادها
اني لتكرمني الاسود بارضها | لشريف منزلتي وعظم مفادها
وتسومني بكم ثعالب ارضكم | سوءا ويأبى الله نيل مُرادها

الاتراه كيف يتذمر ويتبرم من بلاده ويفضل لها أن تثكله وتلبس عليه ثياب الحداد؟ غنيا بان اسنى البلاد موطنه وغر أمجادها ندامى وخلان له، ولكن عاطفته الوطنية تأبى له بعد الا أن يصرح بما يكنه من مراده، ويبث ما أضمره عقله الباطن من شوقه الطبعي لوطنه فيقول انه:

بالهند ناءٍ أخي وجد. الخ. الىٰ العرانين من أقرانه. الخ.

فقد عتب ابن شهاب علىٰ نفسه ووبخها لصرفها الشاعرية احيانا عن التعبير عن الخيال والوجدان الىٰ المجاملة والمديح وكبتها لعاطفته المائلة الىٰ الغزل والنسيب في قصيدته التي اولها:

ذهبت من الغريب بكل مذهب | وملت عن النسيب وكان أنسب
ركبت من الحماسة كل صعب | ولم تجنح الىٰ كنس وربرب
كأنك لم تكن تهوىٰ قديما | ولم تعكف علىٰ طرب فتطرب

تـريد تـصبرا فـتضيق ذرعـا   ومـا أنسـاك ان الطـبع أغـلب
فكـم قـد أوقـفتك يـد التـنائي   ذليـلا حـيثما العـبرات تسكب
أتـذكر إذ هـصرت بـفود سـلمىٰ   وكـان مـن عـقاب الجـو اصـعب
فـمالت مـثل بـدر في ظـلام   عـلىٰ غـصن عـلىٰ رمـل مكـثب
ورمت عـناقها فـبكت دلالا   وكـفكف دمـعها الكـف المخـضب
ولم تـلبث بأن أدنت جـناها   وأولتك المـؤزر والمـنقب
وبت ضـجيعها في وسـط أنس   وأمـن لا تـلام ولا تـؤنب
فـتلثم مـن شهـي الورد طـورا   وطـورا تـرشف الراح المحـبب
وقد عـلقت بـثوبك مـن شـذاهـا   روائـح مـن فـتيت المسك أطـيب
تـنازعك الحـديث عـلى خـفاء   وقـد غـفل الرقـيب فـما تـرقب
تـقص عـليك مـا الواشـون قـالوا   وتـعتب أن تـذيع ولات مـعتب

إلىٰ ان يقول:

بهـا وبمـثلها فـالهج وعـرض   وعـنها فـانظم الدر المـثقب
وفي سـير الحسـان تـغن واطـرب   فـذكرك غـيرهن هـوى مـركب
فكم مـن مـدحة ذهـبت ضـياعا   سـبكت نـضارها واليك تـنسب
كـما ظـلمت عـقود مـن جمـان   إذا مـا عـلقت في جـيد ارنب

وكلها جميل... يعبر عن شدة ندمه علىٰ نسجه طرائف المديح فيمن لا يستحق ممن شرع في مدحهم قبل اختبارهم. ومن سلس قصائدة الصافية الديباجة مما يدخل في هذا الباب قصيدته التي ضمنها رسالته المسماة ضرب الذلة علىٰ جريدة النحلة التي مطلعها:

علىٰ رسلكم رسـل المحـابر والقـلم   رويدا فمن شم الذرى تحسن الشيم

يقول فيها:

ولا عـجب بـنت اللـئيم لئـيمة   إذ اللؤم خال وابن خال لهـا وعـم

شعره في الفخر:

لم يداخل فخر شاعرنا شيء من الغلو والمجازفة كما هي عادة الشعراء في الفخر والحماسة، إذ كان اكثرهم يرىٰ أن الفخر هو أن يحشد الشاعر ما يعلمه من مكارم الاخلاق، وشتىٰ الماادح وينظمها ناسباً اياها لنفسه وإن أبت الحقيقة وأرغم أنف الصدق وكان (جنابه) خلوا منها.

أما شاعرنا فكان يتوخىٰ الحقيقة، ولا يفتخر إلّا بما يتلبس به ويتصف. واكثر ما يلوك فخره الجدال والمناظرة، فيكون رد فعل لماراة أو تنقيص من جانب خصيمه كقوله في بعض مناوئيه:

ومن هم وما هم لو عجمت قناتهم ... سوىٰ كل سباب سفيه وصخاب
سأضرب عنهم لا لعجز وانما ... ارىٰ الكف عن صيد الثعالب اولىٰ بي
الم ترَ أن الليث يحمي عرينهُ ... ويفرق من انيابه كل ذي ناب
ويعرض ان نقت ضفادع غابه ... ولو ملأت اصواتها أفق الغاب

ومن فخرياته:

سلي تعرفي ان المروءة ملبسي ... وأني بجلباب الفتوة مكتسي
سمت بي الىٰ العلياء نفسي وهمتي ... وفي ريّق المجد المؤشل مغرسي

إلىٰ آخر ما في هذه القصيدة من فخر... وهذا علىٰ حسنه ليس فيه شيء من المبالغة ولا الاغراق في الفخر. ومما يشهد أنه لا يتعدى الحقيقة في فخره فخريته التي نظمها حينما ولي التدريس بمدرسة دار العلوم «بحيدر آباد» فهو يقول فيها:

كم همام ذي همة وقصارى ... همه أن يكون من أمثالي

ثم إنه في أثنائها شكا حاله مع من لا يعرف الفضل ولا يقدر العلم قائلا:

ذهبت حكمتي ضياعا وشمسي ... في غروب وعزتي في ابتذال
فيهم قد قضيت سبعة اعوا ... م أذابت نفيس عمري ومالي

شعره الغزلي:

تغلب علىٰ شعر ابن شهاب ـ كما قلنا آنفا ـ السلاسة والرقة وصفاء الديباجة فشعره دائماً يمتاز بخلوه عن التصنع وبعده عن التكلف، ووضع الألفاظ في غير مواضعها أو إثقالها بمعاني قد تنوء بها ولا تتحملها الىٰ غير ذلك مما هو نتيجة الفقر اللغوي أو ضعف الطبع الشعري. بل كانت تؤاتيه الألفاظ سهلة لينة في رقة وانسجام حتىٰ في لزومياته التي عارض بها الارتقيات مع ان التزام ما لا يلزم مظنة التكلف والتصنع.

وأكثر ما تتجلىٰ هذه الظاهرة في شعره الغزلي السهل اللائق بأن يدخل فيما يسميه البعض اليوم (بالشعر الغنائي) فغزله كله من السهل الممتنع يخلب برنين ألفاظه ورقة أسلوبه قبل استجلاء معانيه علىٰ صناعة فيه وبديع غير متكلف، وذلك مادعا الجمهور الىٰ الاعجاب به والعكوف عليه والارتواء من سلسبيله الصافي وسكرهم به ولا سكر الندامى بالراح حتىٰ لقد استظهره وتداوله المنشدون والمطربون بحضرموت وغيرها.

وأكثر ما كان ابن شهاب يتحرىٰ السذاجة والسهولة في مطالع قصائده ثم يحلق بعد الىٰ المعاني، وهي طريقة جميلة لتشويق القارئ وتدريج فكره إلىٰ المعاني الشعرية. خذ لك مثلا مطلع قصيدته التي أرسلها الىٰ العلامة السيد محسن بن علوي السقاف:

علىٰ سلمىٰ وان نأت الخيامُ ‏ ‏ ‏ ‏ من المضنىٰ التحية والسلامُ

أو مطلع قصيدته في الإمام العلامة أحمد المحضار:

خليليّ رفقا فالهوادي وكورها ‏ ‏ ‏ ‏ اضرّ بها إدلاجها وبكورها

وهذه في نهاية السذاجة والرقة. ومن بديع مطالعه من معارضات الارتقيات قوله:

تعللنا بذكرهم الحداةُ ‏ ‏ ‏ ‏ وتهدينا النسائم أين باتوا

وما أبدع قوله منها:

تصنّع كيف شئت فمالمثلي ومثلك عن هواهن انفلات
تبيت مسهدا قلقا وشوقا وهن على الأرائك نائمات

ومعنى البيت الاول من البيتين هو عين ما في قصيدته البائية السابق ذكرها. وما أبدع البيت الثاني إذ وصف فيه حالة العاشق الواله مع حبيبه الخلي الذي يتغافل أو يغفل عن حاله ولا يهتم أو لا يعلم بشأنه.

وبالجملة فغزل ابن شهاب كله مشوق وجميل لا سيما في موسيقاه ورنينه وفيه روائع تبوئه المكانة العالية بين الشعر العربي، كقصيدته (روّق الخمرة) و(هو الحي إن بلغته) وغيرها. وغزله مشهور ويطول بنا استقصاء محاسنه وروائعه. ولنورد هذه القطعة فقط مما قاله في شيخوخته نموذجاً للقارئ من غزله:

بهزك غصن القد ماذا تريدينا وماذا بلغز العين في السر تعنينا
وهل أنت زحزحت الخمار أم الصبا أطارته حتى سبح الله سالينا
أتسبينني من نظرة وابتسامة وتصبينني من بعد خمس وخمسينا
بلى إن بذر الحب في القلب كامن وإن طمست آثار سورته فينا
سينبته مرآك غضا وناضرا وينعشه ما تصنعين وتبدينا
فرب تصاب في الهوى يفضل الصبا وكم في الصبا من جهلة تثلم الدينا
ومرحى إذا داعي الهوى ضم شملنا ودارت على الأعطاف منا أيادينا
وإن قضيت ما بين ذاك لبانة فتلك شكاة لا تضير المحبينا

ألا ترى في هذا صورة رجل قد جاز الكهولة واستمر يقطع دور الشيخوخة رأى الجمال فراعه وبهره فرجع يسائل نفسه: كيف سطا الجمال على قلبه في لحظة واحدة؟ وكيف سبته هذه الحسناء بنظرة وابتسامة؟ ثم كيف نفذت سهام الحب الى شغاف قلبه وأصبته هذه الفاتنة وهو في سن الشيخوخة؟ و... وقد جاز الخمس والخمسين من عمره

ثم يرجع الىٰ نفسه قائلا: بلى إن بذر الحب في القلب ما زال دفينا وإن ناره لم تبرح كامنة وإن طمست في الظاهر آثارها وخفيت للعيان أعلامها. ثم يقول لها: إن مرآك أيتها الحسناء سينبت ذلك البذر غضا ناضرا وسينعش نباته ما تصنعين من إحسان وما تبدين من عطف وحنان، أو ما تصنعين من تغنج ودلال وحركات يراها المحب فيهتز لها قلبه ويتكهرب لبه وما تبدين من محاسنك الباهرة. ولا غرو فرب تصاب في أيام الكبر أفضل منه في عهد الصبا لطهارته ورزانته إزاء طيش الصبا وجماحه، فكم في الصبا من جهلة ومن إثم ينثلم له سياج الدين.

شعره الرثائي:

والرثاء مظهر من مظاهر العاطفة ومجلىً من مجالي الوجدان، فهو نشيد الحزن وقيثارة الحنون. ورثاء شاعرنا الصادق كله دموع مترقرقة وأنفاس حرى، ترن قوافيه بالحزن وتنبض ألفاظه بالاسى في انسجام ورقة، ترغم القارئ علىٰ مشاركته له في مصابه ومشاطرته في ألمه. وهاك مثلاً من مرثيته في زوجته أم اولاده وقد أتاه نعيها وهو بمصر:

أسىً وافى بحادثه البريد ... وحزن دائم وجوىً يزيد
مصاب هد من جلدي وصبري ... بكارث خطبه الركن الشديد
كأن ضئيلة لسعت فؤادي ... فحمّ بسمها الجسم الجليد
فكل مصيبة جلل سواها ... لديَّ وكل ذي خطر زهيد

وهي طويلة كلها يفيض أسى ودموعا فليراجعها المستزيد في ديوانه.

وبعد فليكن هذا آخر ما يسطره القلم في هذه الفرصة عن هذا الشاعر الفحل بل العلامة الحكيم، وهو منتهىٰ دراستنا المتواضعة لحياته وشعره، خالية عن التعمق والتفلسف اللذين عني بهما بعض الدارسين من أدباء العصر لشعر القدامىٰ فانتقلوا اشعارهم بما تنوء به وحللوها الىٰ ما لم يخطر لقائلها علىٰ بال. واعتذر لقرائي الكرام عن

الاطالة بنقل كثير من شعره بنفس الدافع الذي دفعني لكتابة هذه الصفحات، وهو التعريف بهذا الشاعر لا للحضارم فقط، ولكن لهم وللعالم العربي قاطبة. ولنختم مقالنا هذا علىٰ أن نوافي القراء في موضوع آخر.

صالح بن علي الحامد العلوي

من اطلع علىٰ اطوار حياة السيد ابن شهاب منذ نعومة اظفاره، يعلم انه رقيق الاحساس مرح النزعة وهو سريع التأثر بكل شيء جميل طبيعي أو فني، مما يدل علىٰ أنه حساس الشعور رقيق العواطف قد برأه الله لان يكون شاعرا بالطبع. فكان في ريعان صباه مفتتنا بالاناشيد العامية الدارجة، معجبا بألحانها الساذجة وانغامها البدوية الساحرة فكثيراً ما كان يترنم بها في اوقات استراحته، وعند فتراتٰ دروسه، فقد تحلّق به الهواجس الىٰ سماء الشعر حيث يستوحي هناك من خياله الحي فيلقي قطعا من الشعر العامي تنال اعجاب الجمهور، وهي وان كانت باللغة الدارجة إلّا انها تكاد تسيل لطافة ورقة.

شاء الله ان يتدرج عن ذلك الىٰ اللغة الفصحىٰ إذ لم يجد في اللغة الدارجة متسعاً لاشباع شاعريته وارواء صدى نفسه الحساسة، فانصرف وهو في ابان تعلمه لدرس الادب العربي واستعراض دواوين القدامى من مشاهير الشعراء المجيدين، فانكب عليها حيث وجد فيها ما يغذي فيه الملكة الشعرية ويصقل له السليقة العربية، فلا غرو اذن ان كانت باكورة شعره ممتازة بالجدّة والاحسان، ولم يلبث حتىٰ نهض بالادب ورفع علم الشعر بوادي الاحقاف.

ان نبوغ السيد ابن شهاب وسعة معارفه وغزارة مادته معترف بها، فقد ودوّى صيته في الاقطار وكان ـ وأيم الحق ـ علامة واسع العلوم غزير المعارف، اعترف بفضله الكثير من العلماء في شتىٰ النواحي، وله معهم مجالس ومناظرات. تولىٰ التدريس

بالمدرسة النظامية بحيدرآباد بالهند.

وكان له في ابنائها جميل الاثر، مع ما كان عليه من توقد الذهن وسرعة الحفظ والذكاء النادر، وحسبك انه يعد في عصره علامة حضرموت، وكان في مناظراته قوي الحجة، مع انصافه لمن يباحثه وارشاده للحق بغاية اللين والهدوء ودلالته على ما خفي عليه بمنتهىٰ اللطف.

كان نابغتنا المرحوم مع ما آتاه الله من العلم والذكاء النادر والادب الجم علىٰ جانب كبير من مكارم الاخلاق معروفا بالوداعة ولين الجانب، حتىٰ مع العامة والمساكين. فقد يأتيه احدهم فيبسط له بساط اخلاقه الدمثة ويغمره بلطفه ولين حديثه المناسب لحاله وثقافته، حتىٰ يخرج حامداً شاكراً.

وقد كان مع ما آتاه الله من المواهب والمميزات مائلاً الىٰ الخمول متحاميا للشهرة والظهور، ولعله يرى في ذلك راحة للنفس عن اتعاب الشهرة وكلفها لذلك كان يؤثر السكوت في المجالس إلّا فيما يلزم، حتىٰ يظنه من لا يعرفه رجلا عاميا، ولكن إذا ما جاءه وناقشه تفجرت عليه منه ينابيع الحكمة ودرت شآبيب المعارف، فلا يلبث حتىٰ يمتلئْ به إكباراً ويحني راسه اجلالا.

ان مدرسة السيد ابن شهاب تمثل الطابع الادبي للشعر العربي التقليدي الاصيل باوزانه وقوافيه المعروفة. وقد تخرج من مدرسته جملة كبيرة من الشعراء الذين يعدون من فطاحل الشعراء في العصر الحاضر، ويمتازون كلهم بأنهم شعراء الادب لا شعراء القصور الذين يجعلون من الشعر مهنة لاستدرار الأموال.

قال لي الاستاذ الصحفي محمد بن عقيل:

لم اطر احدا في حياتي وانا شاب يافع، فكيف يمكن لي الآن وانا شيخ كبير ان اطري احدا ولو كان حاكماً، انهم في نظري اقزام. انا لا اميل إلّا الىٰ النقد، ولذا تجد الصحف التي اصدرتها كلها مليئة بالنقد اللاذع، وعرفت لدى الجميع بالنقاد، فليس في

صحيفتي بل لم يخط قلمي قط كلمة مدح أو اطراء، فلا المال مطلبي ولا المركز املي ولا المنصب هدفي. ولكني اجل السيد ابن شهاب فهو بحق الرجل العظيم.

ذهب الكثير من الادباء والشعراء الىٰ جوار ربهم في المهجر الشرقي، فعليهم من الله الرحمة والمغفرة. ولا يزال البعض منهم علىٰ قيد الحياة ومن الجيل الصاعد في المهجر الشرقي شعراء وادباء امثال:

الاستاذ عبد الله بن نوح

هاشم بن يحيىٰ

محمد علوي العطاس

حامد الكاف

عبدالله الكاف

السيد عبدالله بن يحيىٰ العلوي

علي عقيل مطهر

شيخ المساوي

عيدروس الجفري

زيد عيديد

وغيرهم ممن لا اذكر أسماءهم الآن، وهؤلاء كلهم من المتمسكين بالطابع الشعري العربي القديم والمتشبثين باوزان الخليل الفراهيدي ولا يستسيغون الشعر المرسل أو الشعر الحر بل لا يميلون إليه ابدا.

الادب العربي بعد غياب الرعيل الاول في المهجر الشرقي:

ان الادب العربي في المهجر الشرقي تدنّى مستواه وبارسوقه وقل الاقبال عليه ولم يبق من الادباء في الوقت الحاضر سوىٰ الاستاذ عبدالله بن نوح الذي تجاوز الثمانين من

عمره والاستاذ هاشم بن يحيىٰ والاستاذ علوي العطاس والسيد الكاف والسيد عيديد والاستاذ محمد أحمد السقاف. لقد كان المهجر الشرقي مرتعا خصبا للادب العربي نبغ فيه شعراء مرموقون.

من الصدف الطيبة أني التقيت باديب من الحجاز وهو أيضاً من الجيل الماضي، يعيش الآن منعزلاً، جرّ الحديث بيننا الىٰ هذا الموضوع فادلىٰ برأيه قائلا:

ان الاوضاع العالمية بعد الحرب العالمية الثانية اثرت علىٰ شعوب العالم في تفكيرها واخلاقها وحياتها. وكلها تكاد تكون متشابهة وان اختلفت معالمها. وما يشكو منه البعض من الامم والشعوب التي نالت استقلالها السياسي أنه لم تنل بعد حريتها الحقيقية. فالوضع في البلدان العربية خصوصاً من ناحية الادب والادباء والشعر والشعراء، هو نفس الوضع في كل البلدان التي استقلت بالحكم ولم تفلح في الادب. فلم ينبغ في عصرنا هذا ادباء وشعراء ولم يصلوا الىٰ ما وصل إليه من سبقهم امثال شوقي والنجفي وطه حسين والخليلي ومطران وحافظ وغيرهم. التأخر الادبي عام لانجراف الناس وراء المادة التي تكفل لهم متع الحياة وطفقوا يجمعونها ويركضون وراءها بكل الطرق وشتىٰ الوسائل ألهتهم حتىٰ عن القراءة. نرىٰ الطالب يهدف من دراسته إلىٰ الوصول الىٰ عمل يكفل معاش حياته وكذا نجد غيره لا يهمه شيء بقدر ما يهمه ما يوصله الىٰ جمع المال، واصبحت المادة المطلب الاول والهدف الاسمىٰ في حياته لانه في نظر المجتمع ان من لا مال له لا قيمة له. فالعصر عصر مادة صرفة وكيف يؤمل ان ينبغ ادباء وشعراء في مستوىٰ السابقين من عصرنا؟

ان التطور العالمي قد طور كل شيء واثر علىٰ نفسيات البشر وعقولهم لأنه ليس من وراء الادب مادة يجتنيها أو ينتفع بها.

هكذا حدثني الاديب الحجازي مفصحا عن رأيه في الصورة القاتمة كما يراها للادب والادباء في المجتمعات في العصر الحاضر وفي مستهل القرن الخامس عشر

الهجري، ويخالفه في هذا الاديب المورى وهو ضابط في القوات المسلحة لجبهة تحرير مورو من حكم وسيطرة الحاكم المستبد ماركوس، قال:

على رغم ما يقوله البعض ان القرن الرابع عشر أو نهايته كان عصر محنة على المسلمين، قاست فيه الشعوب الاسلامية المتاعب في كثير من بقاع الارض من اضطهاد واستعباد وابادة فإني أعتقد عكس ذلك تماماً إن آخر القرن الرابع عشر هو عصر نهضة وتفتح للمسلمين. فالنهصة والوعي لا يكونان إلّا بعد وجود ضغوط والضغط يثير المقاومة والمقاومه شعور بالوعي، وكلما اشتدت الضغوط تكون المقاومة اشد وهي اول الطريق للنصر. ولنا في التاريخ كله ـ القديم والحديث ـ دلائل كثيرة وانا مؤمن بان نهاية القرن الخامس عشر هي عصر النصر والفلاح للمسلمين[1].

---

(١) للمزيد في هذا الموضوع يمكن مراجعة كتاب جولة في ربوع جزر مورو، طبع بيرت عام ١٩٧٩.

الارتقيات

قد يعجب القارئ المتصفح لديوان السيد ابن شهاب من معارضته للارتقيات، والارتقيات في اصلها قصائد نظمها الشاعر صفي الدين الحلي في مدح المنصور ارتق بن ابلغاي، على عدد حروف الهجاء أي ٢٩ قصيدة، والتزم فيها ان يجعل حروف اوائل الابيات كحروف اواخرها، فاذا كانت القافية همزية كانت اوائل الابيات كذلك، كقوله:

ابت الوصال مخافة الرقباء　　　واتتك تحت مدارع الظلماء

اصفتك من بعد الصدود مودة　　　وكذا الدواء يكون بعد الداء

وإذا كانت القافية بائية، كانت اوائل الابيات كذلك بائية، كقوله:

بدت لنا الراح في تاج من الحبب　　　فمزقت حلة الظلماء باللهب

بكر إذا زوجت بالماء اولدها　　　أطفال در على مهد من الذهب

وإذا كانت القافية تائية، كانت اوائل الابيات تائية أيضاً، كقوله:

تاب الزمان من الذنوب فوات　　　واغنم لذيذ العيش قبل فوات

تم السرور بنا فقم يا صحبي　　　نستدرك الماضي بنهب الآتي

وهكذا تنتهي الحروف الهجائية وهي تسعة وعشرون حرفا بتسع وعشرين قصيدة على ان تكون كل قصيدة تسعة وعشرين بيتا وفيها يقول:

تسع وعشرون قد عدت قصائدها　　　ومثلها عدد الابيات في النسق

لم اقتنع بالقوافي في اواخرها　　　حتى لزمت أواليها فلم تعق

وقد سبق صفي الدين الحلي بهذا الضرب من الشعر شاعران آخران هما ابو زيد عبد الرحمن الاندلسي المتوفى سنة ٦٣٧هـ أي قبل ولادة صفي الدين باربعين عاما، ثم ابو عبدالله محمد بن ابي بكر البغدادي المشهور بالوتري المتوفى سنة ٦٢٢هـ في بغداد أي قبل

ولادة صفي الدين بخمسة وخمسين عاما، ولكن الشاعرين لم يشتهرا ولا اشتهر شعرهما. وقد عرف هذا الشعر بعد ذلك باسم الروضة وجاراه كثير من الشعراء.

والارتقيون الذين نسبت اليهم القصائد هم اصحاب الدولة التي اسسها ارتق بن كمك من مماليك ملك شاه الب ارسلان السلجوقي. والارتقيون وان كانوا أتراكاً إلّا انهم كانوا يستجيدون الشعر ويستنشدونه ويطربون للمدائح، لذلك استقبل صفي الدين الحلي في البلاط الارتقي استقبالاً حسنا واحتضنه الملك المنصوري في عاصمته ماردين واكرمه. وانشد صفي الدين الحلي في مدائحه مطولات ومنها الارتقيات.

وفي هذا الصدد هل تمسك السيد ابن شهاب في ارتقياته بالشروط المتفق عليها والمعمول بها علىٰ ان تكون كل قصيدة تتكون من ٢٩ بيتا، ام له طريقة اخرىٰ؟

عارض السيد ابن شهاب الارتقيات وكانت معارضته من خيرة قصائده بلغت من سمو المعنىٰ ودقة التعبير ما يدل علىٰ عبقريته الادبية الفذة، وقد بدأ في معارضته للارتقيات التسعة والعشرين ملتزما في أول كل بيت من قصيدته بنفس الحرف في القافية، ولم يتقيد بالتمسك علىٰ ان تكون كل قصيدة من تسعة وعشرين بيتا. وقد تزيد عدد ابيات معارضته للارتقيات علىٰ ثلاثين بيتا أو اكثر حسب ما يقتضيه الحال، مبتدئاً بحرف الالف واستمر الىٰ حرف الياء نهاية الاحرف الهجائية وذلك بموجب حتمية الارتقيات والالتزام بها.

ان معارضة الارتقيات ليست من الامور السهلة أو الهينة، إلّا إذا كان للشاعر ملكة خاصة قوية في اللغة، غزير المادة، كامل الذوق، رقيق الاحساس والشعور، حسن التعبير بسلاسة وبدون كلفة، وهو دليل واضح علىٰ عبقرية الشاعر وقيمته الرفيعة ومستواه الادبي.

الاديب الموري

جمعتني الصدف الطيبة في اثناء جولتي في ربوع جزر مورو[1] عام ١٩٧٨ باديب مغمور في تلك البقاع النائية هو قائد حرس الجبهة المجاهدة في تلك المنطقة، وهذا الاديب القائد هو الاستاذ احمد نوري، وعلىٰ رغم بلوغه العقد الخامس من عمره فانه لا يزال يتمتع بصحة جيدة ومعنوية عالية ونفسية فياضة وروح جهادية قوية. علىٰ كتفه سلاح لا يفارقه، يشارك في الكفاح والدفاع ومحاربة الغزاة المعتدين. والاستاذ أو القائد احمد نوري لطيف المعشر حسن الحديث يحب الادب ويميل الىٰ القصائد العربية.

انتهزت هذه الفرصة السانحة الطيبة لاتحدث معه في شؤون الادب العربي في المهجر الشرقي ودور الادباء والشعراء ومكانتهم في المجتمع بصفة عامة.

كان الاستاذ احمد نوري يتحدث بطلاقة وادلى دلوه في الموضوع معرباً ومفصحاً عن رأيه وقال: ان الادباء في الوقت الحاضر بجزر مورو من المسلمين اشغلتهم الحروب الدفاعية الطويلة ضد الطغيان الابادي الكاسح الذي يديره ماركوس الحقود علىٰ الاسلام والمسلمين. كما انشغل بعض الادباء بالسياسة مثل الاستاذ عبد الباقي ابو بكر الذي تولىٰ مقاليد العلاقات الخارجية مع جملة من الاخوان ويجوب البلدان للدفاع عن قضيتنا في خارج بلادنا. ولكنهم لايخلون ممن جعل من هذا الكفاح والحرب والسياسة مادة دسمة لتنمية مواهبهم الشعرية وانتاجهم الادبي وان كانوا قلة من هذا النوع، لان الاكثرية من ادباء مورو انصرفوا كليا عن الادب الىٰ الجهاد وتورطوا في الحرب، وكم استشهد منهم في هذه الحرب التي ابعدتهم عن الادب. واوقفت انتاجهم الادبي. وهذا وان يكن مؤسفا فإن الظروف ارغمتهم علىٰ حمل السلاح. ونخشىٰ إذا دامت بنا الاحوال ان تبور سوق الادب في بلادنا ونحن نفقد بين آن وآخر اديبا يستشهد في ساحة الوغى،

---

(١) راجع كتابنا (رحلة الىٰ ربوع جزر مورو) طبع دار الشراع بيروت.

ولا ريب ان الخسارة فادحة لا تعوض، خسرناهم شعراء وادباء. ومن ناحية اخرىٰ نواسي انفسنا بان الامة المورية استفادت من نفوذهم ومكانتهم الاجتماعية لجمع الامة لحمل السلاح ودعوتهم للجهاد والدفاع عن الوطن.

سألته: هل في الامكان قدرة الجمع بين حمل السلاح وبين الانشغال بالادب؟

اجاب: لماذا لا يكون ذلك في الامكان؟

قلت: لان لكل من الطرفين اموراً خاصة قد لا تتيح الجمع بينهما.

قال: بل العكس قد يكون حقا، فان ظروف الحرب هي التي تلهم الاديب والشاعر مضاعفة انتاجه الادبي وتعطيه المزيد من دوافع الهاجسية التي تبلور الاحساس المرهف والشعور العميق فتصورها في قالب القصائد المليء بالاحاسيس.

سالته عن الشعر العربي الكلاسيكي والشعر المعاصر أو ما يسمونه بالشعر الحر، وايهما احب إليه.

قال: لكل منهما ميزته الخاصة ومكانته... نعم كثرت في السنوات الاخيرة قصائد الشعر الحر، منها ما دون المستوىٰ، وتكاثرت وكادت تكون مبتذلة، لان البعض يحسب ان الشعر هو مجرد جمع كلمات، والشعر من الشعور وقيل انها ملكلة ولذا نجد حتىٰ في الشعر الحماسي الدارج من المعاني والحكم مبلغاً عاليا.

سألته: هل اطلع علىٰ ديوان السيد ابن شهاب وما هو رايه فيه؟ قال: قرأت ديوان ابن شهاب بل حفظت بعضا من قصائده، وعندما اقرأ قصيدة من قصائده اشعر انني امام شخصية قوية، ولمست من اقواله وعباراته تلك الروح العالية ووجدت له ذاتية خاصة ممتازة ونادرة تفرد بها، وعلىٰ رغم ان ابن شهاب عاصر النهضة الصناعية الاوروبية التي اثرت علىٰ الافكار واستحوذت علىٰ العقول، واحدثت ثورات في كل المجالات خصوصا في عالمنا الاسلامي، حتىٰ انجرف الكثير مع هذه التيارات الجديدة، تلك التيارات التي اوجدت انواعا من المذاهب الفكرية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية، فاني مع كل

ذلك لم اجد في شعر ابن شهاب شيئاً يدل علىٰ تأثره بتلك الموجة الجديدة، كما تأثر بها كثير منا بما فينا من ادباء وساسة فانجرفوا مع التيار الغربي وارتموا في احضانه، تلك التيارات الفكرية العارمة التي اجتثت اخلاقنا وآدابنا بل حتىٰ عقائدنا. وجدت للسيد ابن شهاب قصيدة عن الحرب العالمية الاولىٰ التي عاصرها فذكر اسبابها وعواقبها ومطلعها:

شؤم السنين الاربع الخاليات هاجت به ريح الشقا والشتات

السيد ابن شهاب من المتمسكين بالادب العربي الكلاسيكي، فقد ارتبط شعره بنفس النهج والاسلوب الذي سار عليه الشعراء العرب الاقدمون، ولذا نجد قصائده تسلك نفس الاسلوب التقليدي المتبع في القصائد الحكمية القديمة، ويخيل لنا عندما نقرأ قصائد ابن شهاب الغزليات كأننا نعيش في عصر ابن ابي ربيعة، أو الشريف الرضي أو المتنبي في حكمه. ولا جرم ان للسيد ابن شهاب الفضل الاكبر في احياء النهضة الادبية والفكرية في المهجر الشرقي، إذ كانت مدرسته نواة طيبة لاحياء الادب والتراث العربي وانعاشه هناك.

إذا افتخر المهاجرون العرب بازدهار الادب العربي في المهجر الغربي والاميركيتين افلا يحق لنا ان نفتخر بازدهار الادب العربي وانتعاشه في المهجر الشرقي؟ ولنسمع مثلاً هذه القصيدة التي مطلعها:

بهزك غصن البان ماذا تريدينا وماذا بلغز العين في السر تعنينا

ومن لا تطربه هذه القصيدة؟ أو القصيدة الاخرىٰ التي مطلعها:

فتنتك حين بدت بوجه مسفر ورنت مسلمة بطرف احور

وعلق الاستاذ احمد نوري علىٰ قصائد ابن شهاب بقوله: للسيد ابن شهاب عدة قصائد يمكن ان نقول عنها كلها غرر بلغت من الجودة والمتانة ما قد يرتاب السامع انها قيلت في العصر الحاضر وفي المهجر الشرقي، وماذا نقول في هذه القصيدة؟ التي مطلعها:

احــــدثي عــــمن احب واعشـــق   زدني فـــي لهــم اشـتياق مـقلق
واعـــد حـــديثهم عـلي فـلي بهـم   نـــفس مـــتيمة وقـــلب يخـــفق

ويستطرد محدثي الاستاذ احمد نوري في حديثه قائلا: لقد اثيرت مشاعري عندما قرأت قصيدة السيد ابن شهاب الميمية إذ يقول فيها:

ممــــــنعة مـــدت بمـــمتلئ الجـــام   ورامت به من بين صحبي إكـرامـي
وابدت بـرفع الكـف نحـو جـبينها   اشـــارات ود في تحـــيات إعـظام
ومـــا لبـــثت ان غـازلتني بـاعين   لها في الحشا ما يفعل المرهف الظامي
ومـــن عـجب اني بـاسهم لحـظها   مصاب واني اشهد الفضل للـرامـي

يقول الاستاذ احمد نوري: ماذا اقول في ابن شهاب؟! فاللسان عاجز عن التعبير والوصف لملكته الشعرية، وما للسامع إلّا ان يسمع كيف يصف المتيم الم الفراق:

داء الفـــراق اضر مـــا نكـبت بـه   اهـــل الهـــوىٰ واشـــده ازعـاجا

افلا يهتز شعورنا عندما نسمع رنة تلك القصائد التي تضرب علىٰ الوتر الحساس في اعماق شعور الانسان؟ لقد رايت المعجبين المنتشين المـتذوقين لتـلك القـصائد التي امتازت بعدة مميزات خاصة ونزعة التحرر الفكري مـن رواسب العـهد البـائد ومـن مؤثرات العصور الماضية القاتمة التي انطوت بروح الخمول والمسكنة والتواكل، هنا ومن هذا المجتمع برز السيد ابن شهاب فهز المجتمع وايقظ المتواكل ونبه الغافل الخامل.

سألت الاستاذ احمد نوري: كيف حصلت علىٰ ديوان ابن شهاب؟

قال: ان والده المرحوم اشترى ديوان ابن شهاب المطبوع من احـدىٰ مكـاتب سنغافورا عند زيارته لها عام ١٩٢٦ وكان والده من المعجبين بابن شهـاب، ولا يـزال الديوان محفوظاً ضمن الكتب الاخرىٰ في المكتبة الىٰ الآن.

ثم استطرد الاستاذ احمد نوري في حديثه قائلا: ان الديوان الذي بين ايدينا هو من الطبعة الاولىٰ عام ١٩٢٤ باندونيسيا وقد طبع طبعاً متقنا وهو من الدواويـن التراثـية

القيمة، وهو الآن نادر الوجود، ولا اعلم هل جدد طبعه ام لا، فان لم يجدد فالواجب يحتم اعادة طبع هذا التراث الادبي الجليل حتىٰ يتمكن ادباء العرب في العالم العربي من الاطلاع علىٰ ما بلغ مستوىٰ الادب العربي في المهجر الشرقي.

سألته عن وجهة نظره في الشعر الحر.

قال: تطرقت في معرض حديثي إلى الشعر الحر، وبناء علىٰ السؤال الموجه الي اضيف أن الشعر الحر لم يحتل مكانته في عالم الادب، كما ان الاقبال عليه محدود ومقدروه محدودون أيضاً، والشعراء والادباء في الشعر الحر بين مؤيد ورافض. اما وجهة نظري الخاص في الشعر الحر، فان شعوري واحساساتي وذوقي يميل ويطرب الىٰ الشعر النابع من الشعور والاحساس المرهف الذي نجده في الشعر الكلاسيكي الموزون المقفىٰ حيث اجد فيه نشوة النغمة الموسيقية الرقيقة التي تضرب علىٰ اوتار الشعور وبها تنتعش الارواح لما في كلماتها ومعانيها من دقة التعبير وسمو المعنىٰ، اما الشعر الحر فهو اقرب الىٰ العبارات والجمل المسجعة، ولا نعلم ماذا يقول الشعراء الاقدمون لو عاشوا وعاصروا هذه الموجات الجديدة من الشعر الحر، فربما كان لهم فيه رأي آخر. ولم يظهر الشعر الحر إلّا في الآونة الاخيرة، ولا يزال الكثير من الادباء في العالم العربي وفي المهاجر الغربية والشرقية يفضلون الشعر المقفى الموزون بل ويتشبثون به لعدم استساغتهم للشعر الحر، فلنقرأ هنا خمريات ابن شهاب الدقيقة الوصف والحسنة التعبير حيث يقول:

روق الخمرة صرفا وادر — واسقنيها في الظلام المعتكر
روح الارواح بالروح فما — ذاق طيب العيش إلّا من سكر
رقية الحزن يرىٰ شاربها — نفسه مثل مليك مقتدر
رق مرآها ومرآىٰ جامها — فهي والجام ضمير مستتر
رقصت في جبهة الكأس لدى — صبها حور الحباب المعتور

الىٰ آخر القصيدة وهي طويلة وقد التزم فيها ابن شهاب أن جعل اوائل حروف

الابيات من هذه القصيدة بنفس الحرف في القافية الىٰ آخر القصيدة، فبدأ كل بيت بحرف الراء الذي هو القافية نفسها . ولاخواننا الشعراء والادباء آراء ووجهات نظر في هذه الخمرية، ويقارنونها بالخمريات من قصائد الشعراء المتقدمين والمعاصرين ولكل منهم رأيه الخاص من حيث سمو المعنىٰ وسلاسة التعبير ودقة صياغة الاسلوب. اما قصائد ابن شهاب الفخرية فهي وان كانت غير كثيرة كما اعلم وكما هو موجود في الديوان، فإن من ذلك القليل ما يعطي القارئ صورا واضحة عن فخرياته وحماسته ونأتي هنا منها بقوله:

كان قدحي مع الكرام المعلىٰ ... ولدى الرمي لا تطيش نصالي
ومقامي لدى الملوك يباهي ... رفعة البدر في بروج الكمال
جائل في البلاد في حلة العز ... وبرد التعظيم والاجلال
كم همام ذي همة وقصارى ... همه ان يكون من امثالي

فلنقارن هذه الخمرية وهذه الفخرية من الشعر المقفىٰ بالشعر الحر، كم نجد الفرق بينهما شاسعا. والذوق السليم هو الحكم. وللسيد ابن شهاب قصيدة فخرية اخرىٰ يعتز فيها بنفسه عندما حاول بعض مناوئيه التطاول علىٰ مقامه وهو إذ ذاك في عز شبابه قبل هجرته، إذ يقول:

هل في القضية ان اقيم ببلدة ... يخشىٰ الكرام بها اذى اوغادها
في الارض متسع لحر نفسه ... عصماء يأمن مستحيل كسادها
فلتثكل الغنا حلولي دورها ... وعليّ فلتلبس ثياب حدادها
فسنام اي الارض اذهب منزلي ... ولي الندامى الغر من امجادها

ثم يقول السيد ابن شهاب في نفس القصيدة:

اني لتكرمني الاسود بارضها ... لشريف منزلتي وعظم مفادها
وتسومني بكم ثعالب ارضكم ... سوءاً ويأبى الله نيل مرادها

طال الحديث بيني وبين الاستاذ احمد نوري الموري وختم حديثه بقوله:

إذا راجعنا مليا كتابات السيد ابن شهاب وابحاثه نجد قدرته الفائقة في معالجة القضايا الفكرية العويصة، هنا يتجلىٰ بعد نظره وسداد رأيه مع ثباته علىٰ مبدئه الذي يؤمن به، ولا ريب فهو من افذاذ رجال الفكر البارزين وان كانت مجهوداته وثمرات اعماله محصورة في المهجر الشرقي وجنوب الجزيرة.

هذا حديث الاستاذ احمد نوري عن السيد ابن شهاب، وقد اطلع علىٰ هذا الحديث الاستاذ عبد الباقي ابو بكر مدير العلاقات الخارجية لجبهة تحرير مورو، وهو أيضاً من الكتاب الادباء في اللغة العربية ووعد ان يكتب فصلاً عن السيد ابن شهاب حول النهضة الاصلاحية، علىٰ أن الاستاذ عبد الباقي منشغل بالجهاد والسياسة وكثرة التنقلات والاسفار للاتصال برجال الدول وزعماء الاحزاب والمنظمات العالمية حول قضية شعبه للاستقلال، ارجو ان لا يلهيه ذلك عن الوفاء بكتابة فصل عن السيد ابن شهاب.

لم يكن للسيد ابن شهاب سمعة واسعة في العالم العربي أو في المهاجر الاميركية والاوروبية إلّا لمن لهم صلة برجال المهجر الشرقي، وذلك يرجع لعدة عوامل اهمها أن وسائل الاعلام في المهجر الشرقي من صحافة وغيرها محصورة في اطار محدود لا تتجاوز المهجر الشرقي وجنوب الجزيرة إلّا فيما ندر فلم تخترق العالم العربي ولا المهجر الغربي أو الاميركي، والفرق كبير إذا ما قورن بين ما وصلت إليه وسائل الاعلام المصري والشامي التي اخترقت العالم الاسلامي ووسائل الاعلام في المهجر الاميركي أو الاوروبي، ثم ان المهاجرين العرب الىٰ اوروبا واميركا هم من اللبنانيين والسوريين ومن هذا المنطلق كانت الصلات بين العالم العربي والمهجر الغربي وثيقة.

الصحافة العربية عرفت أول مرة في المهجر الشرقي عام ١٩٠٩ عندما تطور فن الطباعة، وصدرت اول صحيفة اسمها «الاصلاح» ثم صدرت بعدها صحيفة الوطن وكلتا الصحيفتين تصدر من سنغافورا، ثم صدرت جريدة الاقبال من مدينة سورابايا

باندونيسيا عام ١٩١٠ تحت قيادة واشراف الاستاذ محمد بن سالم بارجاء، ثم صدرت صحيفة البشير من مدينة فالمبانغ بجزيرة سومطرا باندونيسيا تحت اشراف الاستاذ محمد بن هاشم، ثم تعاقب بعد ذلك صدور عدة جرائد ومجلات عربية منها جريدة حضرموت الواسعة الانتشار وهي ارقى الصحف العربية في المهجر الشرقي لصاحب امتيازها السيد عيدروس المشهور، صدر اول عددها منها عام ١٩٢٤ من مدينة سورابايا واستمرت في الصدور بدون توقف حتىٰ نشوب الحرب العالمية الثانية واحتلال اليابان بلدان جنوب شرقي آسيا في شهر مارس عام ١٩٤٢.

والخلاصة ان الادب العربي في المهجر الشرقي كان يتمتع بمكانة عالية مـرموقة واسعة، وظهرت شخصيات كبيرة من الادباء والصحفيين والشعراء والعلماء الذين لهم وزنهم وقيمتهم في عالم الادب والصحافة، دعموا اركان الثقافة والادب العربي في المهجر الشرقي واسسوا المعاهد العلمية وشيدوا المدارس.

بلغني اليوم ٣ شعبان ١٣٩٩ الموافق ٢٨ حزيران / يونيو ١٩٧٩ بمـزيد الاسى والحزن استشهاد الاستاذ المكافح المجاهد الاديب المغفور له احمد نوري في ساحة القتال، حيث التقت قواته بقوات مهاجمة لماركوس تدعمها القوات الجـوية بـقنابلها السـامة. استشهد في هذه المعركة الضارية كثير من جنود جبهة تحرير مورو بقيادة الزعيم نـور مسوارى، وتكبد جنود ماركوس خسائر فادحة في الارواح والعتاد.

لقد آلمني هذا النبأ المفجع باستشهاد المغفور له الاستاذ احمد نوري. رحمه الله رحمة الابرار واسكنه فسيح جناته.

المرأة في ميزان ابن شهاب:

من غرائب ما يصادف القارئ عندما يستعرض ادوار حياه السيد ابن شهـاب موقفه من المرأة أو المرأة في ميزانه، إذ يجد القارئ ويتراءىٰ له ان موقفه من المرأة موقفا

شاذا أو اقرب الىٰ التناقض، حيث يعارض قوله بقوله ويعاكس كلمته بكلمته، يجد القارئ ذلك في عدة مواضع. فمثلاً بينا نجد نظرته نحو المرأة نظرة تقدير واجلال وتعظيم ودفاع عنها وعن حقوقها المهضومة، إذ بنا نراه في موضع آخر من كتاباته وقصائده علىٰ عكس ما كان عليه مطلقاً، شديداً علىٰ المرأة قاسياً عليها لا يثق وبها يهاجمها بضراوة ولا يثني عليها، ويصفها باشنع الاوصاف. فهل يمكن ان يطلق علىٰ هذه الحالة في الرجل اسم النفسية المزدوجة؟

قال احد الاخوان من الادباء: إن خيال السيد بلغ من السعة ما فاق الواقع، فبلور احاسيسه حتىٰ العفوية وغير المتكلفة بتلك الكلمات الرقيقة العذبة المصوغة بـاسلوب اخاذ، يرن في اذن السامع ويستقر في مشاعر قلبه.

إذا كان الامر كذلك كما وصفه هذا الاخ من ان اقوال السيد انما هي محض خيال من افقه الواسع وقدرته التعبيرية علىٰ صوغ العبارات حتىٰ جاءت كانها الواقع الحقيقي، فمعنىٰ ذلك ان دفاعه عن المرأة واجلاله لها وغزلياته كانت كلها محض خيال مصطنع وليست حقيقة.

ان من الامور الطبيعية المعروفة ان كل متصنع او متكلف فيه يفقد روعته الخلابة وروحه الحية، فلا يستعذب ولا يستساغ، فتمجه النفس. وللادباء موازين واذواق مرهفة واحساسات دقيقة يعرفون بها الفرق بين الاصيل والدخيل وبين النابع من عمق الاحاسيس والشعور وبين الشيء المتكلف فيه.

ولو فرضنا جدلا ما ذهب إليه الادباء فيا يقول السيد ابن شهاب عن المرأة من أنه لم يكن مصطنعا أو متكلفا وانه نابع من شعوره الحقيقي الذي يؤمن به فكيف يمكن لنا تعليل قساوته وحملاته علىٰ المرأة؟ هل يمكن تعليل حملاته علىٰ المرأة بـانها مصطنعة أيضاً؟ لم تقتصر حملاته علىٰ المرأة فحسب بل هاجم الرجال الذين يثقون بالمرأة.

وإذا تقصينا اقوال السيد وهو في مقتبل عمره الىٰ ان تجاوز العقد السادس منه

تراءت لنا هذه المتناقضات واضحة. وعلىٰ سبيل المثال نأتي بنوع من قصائده التي قالها وهو في عنفوان شبابه حيث لم يبلغ العشرين من عمره متغزلاً بحبيبته:

يـــا حـــبيب القــلب صــلني   في الدجـــــىٰ وقت الظـــلام

لا تـــــعذبني فـــــإنني   فـــيك حـــرمت المـــنام

ليـــــــتني لم اعـــرف العشـ   ـــــــق ولم ادر الغـــــرام

هذا ما قاله في عنفوان شبابه، وعندما تجاوزه واكتملت رجولته كانت اقواله في قصائده الغزلية اشد وقعا مما كان يقوله في اوائل عمره، ومنها القصيدة التي مطلعها:

احـــدثي عـــمن احب واعشـــق   زدني فـــي لهـــم اشـتياق مـقلق

وله مثل هذه القصيدة يصف فيها الحسناء الفاتنة بقدها وخصرها الميـاس، إذ يقول في مطلع القصيدة:

فـتنتك حـين بـدت بـوجه مسـفر   ورنت مســـلمة بـطرف احــور

واسـتقبلتك فكـاد ضـوء جـبينها   وشـعاعه يـغتال عـين المـبصر

وتخوفت مـن ان تـضار فـاسبلت   مـن فـرعها اذيـال ليـل مـغدر

الىٰ آخر القصيدة. كذلك قصيدته الاخرىٰ التي يصور فيها هيامه بغادة ملكت قلبه، وانه ان مات في سبيل حبها فهو شهيد، ومطلعها:

مـن غـرامـي بـقرطها والقـلاده   ان امت مـغرما فـوتي شهـاده

غـادة حـل حـبها فى السـويدا   ورمـى سهـمها الفـؤاد فـصاده

الىٰ ان يقول:

زارني طـيفها ومـــنّ بـوعد   هل تـرى الطـيف مـنجزا مـيعاده

ما اكثر قصائده الغزلية التي يذكر فيها الوشاة ويصف الحداة والنسائم التي لا يشعر بها إلّا المستهام الذي يعيش فيها:

تـــعللنا بـــذكرهم الحـــداة   وتهـدينا النسـائم ايـن بـاتوا

تـؤم بـنا الركـائب حـي عـرب　　　لهـم في كـل نـائبة ثـبات

ومرة يتغزل بحبيبته ويصور حالتها وهي تشير إليه مسلمة علىٰ رغم صعوبة الموقف ووجود الرقباء، فانها لم تحفل بكل ذلك واقدمت بلباقة وسلمت عليه بحواجبها. اسمعه يصف الحالة والموقف:

بهـند كـدت عشـقاً ان تـذوبا　　　اتحسب كـل غـانية عـروبا

الىٰ أن يقول:

بـروحي مـن بحاجبها اشـارت　　　مسـلمة ولم تخش الرقـيبا

ولمـا ودعت رفـعت الىٰ مـا　　　يـلي سـيناتها كـفا خـضيبا

لم تنحصر هذه الغزليات في وقت من الاوقات او في زمن معين من حياة عمره فقد قالها في صباه كما قالها في فتوته وريعان شبابه بل حتىٰ بعد تجاوزه العقد الخامس من عمره، بل إن له في هذه المرحلة قصائد ارق واعذب واروع، واسمع ما يـقوله وهـو في الخامسة والخمسين من عمره:

بهـزك غـصن القـد مـاذا تـريدينا　　　وماذا بـلغز العـين في السر تـعنينا

وهل انت زحزحت الخمار ام الصبا　　　اطـارته حـتىٰ سبح الله سـالينا

اتسـبيني مـن نـظرة وابـتسامة　　　وتصبيني من بعد خمس وخمسينا

بلىٰ ان بذر الحب في القـلب كـامن　　　وان طـمست اثـار سـورته فـينا

سـينبته مـرآك غـضا ونـاضرا　　　ويـنعشه مـا تـصنعين وتـبدينا

فرب تصاب في الهوىٰ يفضل الصبا　　　فكم في الصبا من جهلة تثلم الدينا

هـلمي بـنا نـله ونـلعب ونجـتني　　　ثمـار الامـاني والقـيان تـغنينا

عرف عن السيد ابن شهاب في جميع الاوساط بانه نصير المرأة والمكافح دفاعاً عن حقوقها المهضومة وكرامتها ومكانتها المسلوبه من الذين تعدوا عـليها وعـاملوها معاملة الاماء، يعتبرون المرأة امة تباع وتشترى، تباع بالطلاق وتشترى بعقد النكاح

وبهر، ليس لها من الامر شيء حتىٰ في نفسها وحياتها، فالمرأة في نظر أُولئك القوم لا تصلح لشيء إلّا لنهمة الرجل والبقاء في المطبخ.

يحارب السيد ابن شهاب هذا الوضع الاعرج الشاذ الضال، فالمرأة والرجل كلاهما مخلوق لله وله حقه الذي لا يمكن ان يهضم. ولكن الرجال هم الذين أساؤوا التصرف لانانيتهم وحب ذواتهم تجاه هذا المخلوق الالهي، فظلموا المرأة وهضموا حقوقها وهدروا كرامتها فاستعبدوها واتخذوا الدين مطية لتبرير اعمالهم، فاساؤوا الىٰ كرامة الدين.

هنا وفي هذه المرحلة هاجمهم السيد ابن شهاب بضراوة وشدة بقوله:

واهـــا لمـــا يـــلق البـــنا ت مـــن امـــتهان واقـــتراح
يـــتحكم الرجـــل المشـــوّ ه في الصـــبيات الصـــباح

الىٰ أن يقول:

اف لشـــــخص حـــقهن لديـــه مـــهضوم مـــطاح
مـــا للـــرجـــال وظـــنهم عـــجز النســـاء عـــن الكـــفاح

المرأة غير عاجزة فهي كالرجل لها قدرة التفكير وقدرة طلب العلم ولها القدرة التامة علىٰ الكفاح. وانما نظرة الرجل المحدودة والخاطئة جعلته يحسب ان المرأة مخلوقة عاجزة وهي ليست لها القدرة علىٰ شيء فضلاً عن الكفاح، ظن مبني علىٰ جهل بل علىٰ العواطف الخاطئة، والحقائق تبطل تلك الظنون.

هذا هو موقف السيد ابن شهاب نحو المرأة، الموقف الباهر الصريح الذي اخذ علىٰ عاتقه مسؤولية الدفاع، وتعرض السيد ابن شهاب لمعارضة المتزمتين ومقاومتهم واتهموه بالخروج من الملة لانه يدعو الىٰ تعليم المرأة وفتح ابواب المعاهد العلمية للبنات كما تفتح للاولاد، فتعليم البنات والاولاد واجب علىٰ حد سواء بدون تفرقة أو ميزة، وحجتهم قولهم: لا تعلموا النساء القراءة أو الكتابة فان علمتموهن فسدن، وتعليم المرأة

القراءة والكتابة محرم تحريماً قطعياً. وباختصار هم يعتبرون دعوة النهضة الاصلاحية التي يدعو اليها السيد ابن شهاب احدى الجرائم الشنعاء والفساد الذي طغىٰ علىٰ العباد، فمقاومتها ومحاربتها واجبة حتما، فلم يعبأ بهم وبصياحهم وعربدتهم بل استمر في عمله، وفتحت ابواب المعاهد العلمية والمدارس للبنات، وتقاطرن لطلب العلم.

هذا هو موقف السيد ابن شهاب في الدفاع عن المرأة وعن حقوقها المهضومة فما هو موقفه المعاكس الذي قيل عنه؟ فلنلق نظرة ونلتفت الآن الىٰ تلك الناحية غير المتفق عليها. ومتىٰ راجعنا اقواله نثراً أو شعراً في جميع ادوار حياته من سن مراهقته الىٰ شيخوخته فقد يتراءىٰ للقارئ في اول وهلة ناحية التناقض، فواحدة ضد اخرىٰ وموقفان متعاكسان، موقف للدفاع عن المرأة وحقوقها وآخر ضد المرأة علىٰ طول الخط، يهاجم المرأة وكانه في موقفه هذا من المتزمتين الذين يقولون: ان المرأة عنصر الفساد فهي العدوة اللدود.

كيف يمكن تعليل هذين الموقفين المتعاكسين المتضادين؟ واختلف الادباء في ذلك ونسأل هنا: هل كانت أقواله تلك في المرأة وهجومه عليها عن عقيدة يؤمن بها، وهل كان كل ذلك عن حقد عليها، أو ان هناك دوافع اخرىٰ جعلته يتجه نحو هذا الاتجاه المعاكس؟ ان كان الامر كذلك، فما هي اسبابه؟

يعلل بعض الاخوة انه ربما اكتوىٰ بنار امرأة اثرت علىٰ نفسه فهاجمها بلا هوادة. وآخرون يعللون أنه ربما كان هناك امور اخرىٰ أو خلفيات اثرت في مجرىٰ حياته، كان السبب هي المرأة.

واسمعه يقول:

احسن الىٰ الانثىٰ مدىٰ عمرها ... فغرس إحسانك لا يثمر
ان اظهرت بالقول حمداً فلا ... تحمد في السر ولا تشكر
وان تسئ يوماً اليها وتسـ ... ـتغفر فذاك الذنب لا يغفر

تـنسى جمـيل الفـعل لكـنها		لكـــل امــر ســاءها تــذكر
يــعود مــثل الزفت في صـدرها		عـــبير احســـانك والعــنبر
جـــبلة فـــيهن مـــوروثة		تـــفصيل جــزئياتها يــعسر
فاظفر بذات الدين فـالدين عـن		جمــــاحهن الوازع الاكـــبر

ان المتمعن المدقق يرىٰ بكل وضوح موقف السيد ابن شهاب الصريح، إذا تأمل فيما جاء في البيت الاخير من هذه الابيات، أي انه قسم المرأة الىٰ صالحة وطـالحة، الىٰ متزنة وعابثة، فالصالحة والمتزنه هي طبعاً متنورة فاهمة دارسة تعرف كيف تمـيز بـين الحسن والقبح وبين الحق والباطل وبين الخلق الحسن والسفاهة والنذالة. اما الجاهلة فهي عاطفية وكيف لها ان تفرق أو تميز بين شيئين متضادين وهي عاطفية وجاهلة وامية.

هل في ذلك من تناقض؟

إذا تفجر غيظاً علىٰ المرأة، فهو يقصد تلك المرأة التي لا يردعها الديـن لجـهلها بالدين ولانها لم تتعلم لتكون مهذبة وذات دين، وهل في هذا ضير؟ وهل اخطأ الحجة؟

وكما توجد في المرأة الصفات الرذيلة من كيد وكذب وحيل ومكر وغيرها توجد أيضاً هذه الصفات النكراء لدىٰ الرجال، وهي لدىٰ الكثير منهم اكبر واسوأ. ولنسمع الآن هذه الابيات التي عرف فيها الحمق والاحمق وحصرها في تسعة نفر ولم تـنفرد المـرأة وحدها بهذه الصفة، بل الثمانية الانفار ممن يوصفون بالحمقىٰ هم من الرجال دون المرأة:

ان كـنت لا تـعرف بـين الورىٰ		حمـقىٰ وهـم في صـفة العـاقل
فـانظر الىٰ تسـعة رهـط هـم		حـــقيقة احمـق مـن بـاقل
مـن صـدق المـرأة فـيما مضىٰ		أو الذي يـــضمر للـــقابل
ومـــن بـــلا عـــلم ولا حـــجة		يــدفع قـول العـارف الكـامل
ومـن تـصدىٰ حـاكما وهـو لا		يمــيز الحــق مــن البـاطل
والمـــرتجي الثروة عــفوا بــلا		ســعي يخـال الدر في السـاحل

والعـائب الامـر عـلىٰ غـيره وهـو بـه مـلتحف الكـاهل
والعـالم الآنـف عـن قـول لا اعـلم في مـعضلة السـائل
والمـبتغي بـالكيمياء الغـنىٰ بـشره بـالافلاس في العـاجل
والشـائب المخـتال زهـوا لكـي تهـواه حـور المـلعب الحـافل
والتـاجر الراغب في الربـح لا يـضبط قـدر الخـارج الداخـل

هؤلاء هم الحمقىٰ، وهم تسعة وكلهم من الرجال، ولم يأت ذكر كلمة المـرأة إلّا حاشية من الحواشي، والمقصود به الرجل الذي يصدق المرأة أي ان الرجل هو الهـدف وليست المرأة، والتي لا يمكن الوثوق بها هي المرأة التي جاء وصفها في الابيات السابقة.

ولنسترسل ونتابع في هذا الموضوع الحساس عن المرأة. وفي هذه المرة نتعرض الىٰ موضوع حساس جدا، وهو دور المرأة في زعزعة الاسر والعوائل وتـفريقها الىٰ كـتل متناحرة شتىٰ، وهو ما يحدث علىٰ جميع المستويات، من المستوىٰ الشعبي حتىٰ مستوىٰ الدول والحكام واسر الملوك والامراء والسلاطين، وجل حالات التنافس علىٰ الهـيمنة يمتزج فيها الحقد والكراهية، ومن يستقص التاريخ القديم والحديث يجد تلك الحوادث بارزة في كل العصور فتدهورت دول واغتيل حكام وفنيت امارات، ومنشأ ذلك هـو الحقد، وكان دور المرأة فيه هو الدور البارز، لانها تندفع مع عواطفها التي تعمي بصيرتها، وهي بسبب دوافع الحقد لا تشتفي مالم تصل الىٰ هدفها. وعلىٰ هذا ينطبق قول السيد وهو أن الذي يصدق بالمرأة وينساق لقولها، هو الاحمق بحق كما جاء في الابيات السابقة. ماذا يقول السيد في تلك المرأة؟

إذا نشأت بـين الاقـارب فـتنة بها اشتعلت نار الضـغائن والحـقد
وحار اولو الالبـاب فـيما استفزهم إلى نقض مـيثاق الاخـوة والعـهد
ففتش تجد اصـل البـلاء نسـاءهم بما اسطعن من بذر التـنافر والبـعد
جبلن علىٰ وضع القذىٰ حيث يعظم الا ذىٰ وعلىٰ التـفريق بـين ذوي الود

كـواذب يسـلبن الفـحول عـقولهم ... بألســنة ممــزوجة الهــزل بـالجد

ضعاف فـلا قـضب لديهـن أو قـنا ... يـصلن بهـا فـوق المـطهمة الجـرد

ولكن سلاح المكر والكـيد فـاتك ... بمن شأنه فـتك الاسـاود والاسـد

فخذ ايها المخدوع حذرك واحـتفظ ... بسرك عن ليلىٰ وسعدى وعن دعد

وبعد ما قدمناه من اقوال السيد نعود لنجد الحل في هذا المجال، إذا عاتب الاب ابنه المخالف لاصول الادب أو المرتكب لما لا يليق بمقام الاسرة، ليردعه عما ارتكب من مخالفة ثم زكىٰ ابنه الآخر المطيع للاوامر، فهل يمكن ان يقال: ان الاب ذو مزاج مزدوج لانه عاتب الاول وزكىٰ الثاني، ام كان محقا في تربية اولادة بمعاتبة المخطئ وتزكية المحق؟

وكذا نرى الاستاذ الذي يعاتب تلميذه المتهاون في دروسه لا يمكن ان نقول ان هذا الاستاذ عدو لذلك التلميذ، ولكن الاستاذ يريد له الخير وان يسلك الطريق السوي. وكذلك عندما يبارك الاستاذ تلميذه لنجاحه في دراسته، انما يـريد الاسـتاذ تشـجيع التلميذ ليواصل نجاحة، فليس في الامر من تناقض أو ازدواجية.

وهل يمكن ان نقول: ان الحاكم العادل الذي يحكم علىٰ المجـرم بـالسجن جـزاء اجرامه، ثم يحكم علىٰ البريء بالبراءة، نقول: إن هذا الحاكم ذو شخصية مـزدوجة، إذ كيف يحكم بالسجن علىٰ الاول ويبرئ الآخر؟ ربما يرىٰ القائل النتيجة ولا يلتفت إلى الاسباب، والامر الذي لا مراء فيه ان الحاكم هو حاكم عادل فلا شخصية مزدوجة ولا غيرها.

وكذا السيد ابن شهاب عندما يهاجم، انما يهاجم المخطئ لخطئه، ويؤيد المحق لانه كـان محقا، فليس اذن في الامر من ازدواجية أو تناقض. فهو عندما يدافع عن المرأة ويحامي عنها فلان الواجب يحتم ذلك، ولكن عندما يهاجمها فلأنها ضلت المحجة واتبعت شهواتها واندفعت مع عواطفها، فهاجمها لترتدع غيرها وتكون هي عظة لها.

ولنختم هذا الفصل بايراد قصيدة للسيد يتجلىٰ فيها موقفه الصريح مع المرأة، وهي

في رثائه لزوجته وابنة عمه.

اسىً وافىٰ بحـــــادثه البريـــــد وحـــــزن دائم وجـــوىً يـــزيد
مصاب هد مـن جـلدي وصـبري بكـــارث خـــطبه الركـن المشـيد
فكـــل مـــصيبة جـــلل سـواهـا لدي وكـــل ذي خـــطر زهـــيد
فـــقدت بـــفقده الدنـــيا جمـــيعاً بـــروحي ذلك الالف الفـــقيد
فـــلا عـــيشي يـطيب ولا شرابي يـــروق ولا كـــرى جـفني يـعود
ومـــالي في الحـــياة هـوىً ولكـن قـــضىٰ بـبقائي ذو العـرش المجـيد

الىٰ آخر القصيدة وهي طويلة.

وللاخوة الادباء آراء في هذا الموضوع من تـاويلات وتـبريرات ذهـبوا فـيها مذاهب شتىٰ، منها ان غزلياته انما هي تمليح للمقصد كما يفعله الشعراء الاقدمون، وذلك لاسترواق اسماع السامعين ولفت انظارهم حتىٰ إذا طربوا جاءهم الشاعر ببيت القصيد. ومنهم من يقول غير ذلك.

رأي ربات الخدور

في المرأة في ميزان ابن شهاب

جمعتني الصدف الطيبة في احدى المناسبات الممتازة في ندوة خاصة بمجموعة من الاديبات المثقفات من اللاتي لهن المكانة المرموقة في المجتمع. وكان الموضوع المتداول هو موقف السيد ابن شهاب من المرأة ونظرته لها. وقد ادلت كل واحدة منهن برأيها الحـر. وكانت الدكتورة زينب احمد شهاب[1] ممن شاركن في الحديث قائلة:

لم اكن اعرف السيد ابن شهاب شخصياً، لانه انتقل الى رحمة الله ولم اخلق بعد، ولكني عرفته من مطالعاتي لمؤلفاته ومنها ديوانه المطبوع، فعرفته نـابغة مـن النـوابـغ ومصلحا عظيماً من العظماء وشاعراً فذا من فحول الشعراء، وهو قمة في الادب العربي في اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين الميلادي، وديوانه اكبر شـاهد عـلى عبقريته الفذة مهما حاول البعض قائلاً: ان في بعض قصائده هنات وليست من الجـيد الممتاز. ولكن ذلك القول لا يسقط من قدره شيئاً ولا ينقص من نبوغه، فهو عظيم وزعيم النهضة الاصلاحية وقد بلغ من السمو في الادب العربي مبلغاً عالياً، غير ان العالم العربي قد لا يعرف عنه بصفة واسعة، فسمعتُه تكاد تكون محصورة في نطاق محـدود بجـنوب الجزيرة وجزر جنوب شرقي آسيا باعتباره المهجر الشرقي لابناء جنوب الجزيرة.

ثم استطردت الدكتورة زينب قائلة:

قبل ان نطرق هذا الموضوع وقبل كل شيء علينا ان نؤمن اولاً بان للمرأة كرامة كما ان لها حقوقاً وواجبات، فلها وعليها ماللرجل وعليه سواء بسواء.

---

(١) الدكتورة زينب احمد شهاب طبيبة جراحة في الامراض الباطنية.

فالرجل والمرأة متساويان امام القضاء والعدالة علىٰ رغم الخلق الجسماني لهيكل الجنسين. وتختلف نظرة الرجل نحو المرأة بين شعوب العالم قديماً وحديثاً طبقا لتطور السنن الاجتماعية بين عصر مضى عهده وبين زمن يعيش فيه الناس في العص الحاضر، كما تختلف نظرة المتزمت الجامد ونظرة الفاهم المتعلم المدرك لحقائق الامور، كما تختلف النظرات نحو المرأة باختلاف البيئة والوسط والمجتمع والمناخ والتربية، كاختلاف نفوذ سلطان مستبد جائر وحاكم عادل. وإذا القينا نظرة علىٰ الوضع في الجزيرة العربية الآن وبين الاقطار العربية الاخرىٰ، نجد البون شاسعا والاختلاف بارزا، فلبعض الرجال نظرة غير سليمة نحو المرأة من انتقاص حقوقها وامتهان كرامتها وان كنا نحن الآن في القرن العشرين عصر النهضة العلمية. واسباب ذلك كلها عائدة الىٰ مخلفات ورواسب الماضي، كما اختلط الامر علىٰ بعض الرجال فاصبحوا متناقضين في نظرتهم نحو المرأة، وليس بغريب وجود هذا التناقض لدى بعض الرجال لانه نابع من تصورات وانعكاسات من تاثير التطورات والتعليم التي تربوا وترعرعوا عليها، وفي الوقت نفسه بقيت رواسب الماضي عالقة في اذهانهم ونفوسهم فتبلورت في نفوسهم وافكارهم واحساساتهم وشعورهم من هذه وتلك، فسبب عندهم هذا التناقض الفكري، وربما كان السيد ابن شهاب من هذا الرعيل، بل هو ليس باول قائل في هذا الموضوع فقد سبقه غيره كثيرون ممن يحملون هذه النظرات المتناقضة.

قد يبالغ البعض ممن يقسون علىٰ المرأة هجوا واستخفافا وسخرية سواء اكانوا زعماء أو ادباء أو علماء علىٰ رغم عدم استغنائهم عنها. ونجد من الرجال من يرون المرأة روحاً وريحاناً والزهرة الشذية وهي في نظرهم متاع للتمتع ولاشباع نهمهم الجنسي فقط، فيتغزلون ويتشببون بها، وهذه عقلية عقيمة محضة حيوانية صرفة لا وزن لها ولا قيمة.

المرأة هي شريكة الرجل لها كرامتها وفضلها بل لا تتم السعادة إلّا بائتلاف

الرجل والمرأة، فالرجل جزء لا يتجزأ من المرأة كما ان المرأة أيضاً جـزء لا تـتجزأ مـن الرجل، وكلاهما بشر من بني آدم لهما كرامتهما. وهذه امور وقضايا مألوفة مما ذكرناه من قديم الزمن الىٰ يومنا هذا وستستمر الىٰ العصور القـادمة، ويكـفي ان كـتب القـصص والروايات ودواوين الشعراء والتاريخ مليئة بهذه الشواهد السلبية والايجابية في جـميع المجالات والاحوال والمستويات، اقر به الرجل أو انكره، صدق به أو كذبه. فالرجل لن يستغني عن المرأة، فهي ام لأولاده وهي امه وهي اخته الخ. للمرأة الفـضل الاكـبر في انجاب السلالة والذرية وتهيئة الجيل الصاعد وتربيته تربية صالحة.

ان الناموس الالهي والحتميات الطبيعية تقتضي ان الرجل هو الذي يبذل جهده للحصول علىٰ المرأة وتقديم المهور لها، فالرجل طالب والمرأة مخـطوبة ومـطلوبة وكـل مطلوب عزيز، وليس بالعكس. وقضت الشرائع السماوية ذلك حفظا لسـلامة الاسرة لتكوين امة فاضلة ومجتمع فاضل.

حاول آخرون انكار الشرائع السماوية وعدم الاعتراف بها وسنوا اسلوباً جديداً مغايرا ومعاكسا تماما وهو المعروف بالاختلاط الحر والانجاب الحر. متىٰ شاء اجتمع بها ومتىٰ شاء تركها وهي كذلك حرة في اختيار من تشاء ومتىٰ شاءت ليكون خدينها بلا قيد ولا شرط.

وقد يتجاوز البعض منهم في استهتاراته التي جعلته يتردى الىٰ حضيض المفاسد انصياعاً لهوىٰ نفسه الامارة حتىٰ لا يرتاح إلّا بـارتياد المـواخـير ومـعاشرة البـغايا العاهرات ظنا منه انه بعمله قد كسب السعادة كل السعادة، اذن يجب ان يوزن الرجـل بهذا الميزان، مهما علا مركزه ومهما ناءت الصناديق بامواله أو تقمص الكهنوتية.

فليس في كل ما قلته من عجب في هذه الحياة، ألا يحسن بنا أن نوجه السؤال الآن الىٰ الرجال ليقولوا الحق؟

هل حكم المجتمع عادل؟

نرىٰ علىٰ طول الزمن ومرور التاريخ ان حكم المجتمع لم يكن دائما عادلا، فقد يجعل الباطل حقا والحق باطلا، وعلىٰ هذا الاساس فهو ينصر الرجل ضد المرأة مهما ارتكب من جرائم خلقية قد يفخر بها بل يعدها البعض سمة الرجولة، ويا ويل المرأة ان حادت عن الجادة حيث يتهمها المجتمع باسوأ التهم وتبقى مجرمة طيلة حياتها، مع ان اسباب جريمتها هو الرجل الذي اغراها حتىٰ وثقت به فوقعت في حبائله وسلمت نفسها منصاعة إليه وهي لا تعلم انها مخدوعة. ان ذلك ناشئ من ضعفها وحسن ظنها بالرجل ونزاهتها وبراءة طويتها التي جرتها الىٰ الانزلاق. والعار يلصق بها ولا يلصق بالرجل. هل لان الرجال هم المسيطرون علىٰ المجتمع فكان الحكم لهم لا عليهم؟ يغوي الرجل ضالته فان اغواها قال: اني بريء منها. اليس الحكم جائرا؟ ذلك لان حكم المجتمع مبني علىٰ عواطف الرجال.

من هذا المنطلق يتبين ان الرجل اناني يرى الحق له وحده وكل شيء يجوز له لا يجوز للمرأة.

هل يذكر الناس هذه الآية القرآنية الشريفة ﴿ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو انثىٰ وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا﴾ النساء: ١٢٤.

فالىٰ أي الفرق يمكن ان يكون انتماء السيد ابن شهاب؟ ارىٰ وجوب استقصاء القضيه حتىٰ نصل الىٰ واقع النتيجة المطلوبة، حتىٰ لا نقع في متاهات. كما يحسب البعض ان السيد ابن شهاب ذا نفسية مزدوجة متناقظة بسبب تأثره بالبيئة التي عاش فيها. وحقيقة الامر خلاف ذلك فانه لم يتأثر قط بالبيئة التي نشأ فيها ولا المجتمع الذي عاش فيه، بل انه قاوم قومه لاصلاحهم فكرياً وعقائدياً، ولو كان متأثراً بقومه أو بمجتمعه لكان معهم في افكارهم، وبسبب دعوته الاصلاحية قاومه قومه وعادوه، فقال من قصيدة

طويلة.

وقد مسني من اهل بيتي وبلدتي   اذىً وكثير منهم اكثروا العدوا

فهو اذن ثائر علىٰ الفساد واصحاب العقول الآسنة ومصلح للامة في افكارها وعقائدها. فان نظرة السيد ابن شهاب نحو المرأة مبنية علىٰ منطق الحق، لانه يقول للباطل: انت باطل وللحق: انت حق، بلا محاباة ولا مجاملة ولا خوف، ويقول في العقيلات الصالحات خير الاقوال والاوصاف ولكنه لا يتردد ان يقول للطاغيات اسوأ النعوت ويضعهن في المحل اللائق بهن. وهذا يدل انه يعطي لكل حقه ولا يبخس احدا، انه يعظم الصالحات ويذم الشريرات الطالحات كما انه يفرق بين الحق والباطل وبين الخير والشر، فهو غير متشائم ولا متحامل علىٰ احد حتىٰ علىٰ من يعاديه.

وفي هذا الموضوع أود أن اسال الرجال هل هناك من له الشجاعة الكافية ويقول الحق ولو علىٰ نفسه، ويعترف مصارحة انه رجل شهم لم يرتكب المنكر في حياته ولا سيئة. ان ارذل انسان هو ذلك الذي يرتكب المنكر ثم يتظاهر بالصلاح والتقوىٰ أو يامر الناس بالتدين ويخوفهم من نار الجحيم، ليستر نفسه بستار الدين ويغطي سيئات اعماله.

ويصف السيد ابن شهاب هذا النوع من البشر في قصيدته التي نختار منها هذه الابيات:

هل للغرائب من حكيم عاقل   او عالم يقضي بحكم فاضل
امن الذئاب المعط صنف ناطق   في صورة البشر السوي الكامل
أأقول كلا والعيان مكذبي   كلا بل المفتي اسير السائل
معط الذئاب الناطقات هم الأُلىٰ   جعلوا التصوف صنعة للداجل
ولاجل نفي الريب مهما حدثوا   حلفوا لسامع افكهم والقابل
ولكم لهم في السر غامض حيلة   ابليس لم يطمع لها بمماثل
ولهم مع الجنس اللطيف لطائف   ابت المروأة شرحها للناقل

هــذي طــرائـقهم وهـذا شأنهـم　　تــعسا لهـم مـن خـائن ومخـاتل

وللسيد ابن شهاب قصائد اخرى في هذا الموضوع منها هذا البيت:

وتحســـــبه بــــــشرا في الشــياب　　ولكـــــــنه الذئب في نهـــــمته

اما الاستاذ الاديب الافغاني فيقول في هذا الموضوع:

داء النفاق غدا في النـاس مـنتشرا　　وليس احقر في الدنيا مـن الدجـل

فكن من الناس في شك وفي حـذر　　واشطب بنعل على الاخلاق والمثل

ولا شك ان الذي يعنيهم السيد ابن شهاب والافغاني هم مـن الرجـال لا مـن النسوة.

ان السيد ابن شهاب يجل المرأة الصالحة والجاهدة ويهجو المسيئة والسيئة والعابثة الحاقدة، وحياته العائلية والاسرية حياة مثالية ملؤها الغبطة، يشهد بذلك من عرفوه وعاشروه وقصائده مليئة بهذه الشواهد الخلابة التي يغبطه عليها غيره.

والخلاصة ان السيد ابن شهاب هو رائد الاصلاح ومن مناصري المرأة والمدافعين عن حقوقها وكرامتها، فصورة المرأة الصالحة الجاهدة متجسمة في السيدة خديجة زوجة الرسول الاعظم ﷺ وبنته فاطمة الزهراء المرأة العظيمة المثالية في الاعـمال المـرضية، واسمع قصيدته الطويلة حيث يذكر فيها الزهراء:

وفــاطمة الطــهر التي المجـد كـله　　محــيط بهـا مـن خـلفها وامـامها

فالامر واضح وجلي.

هذا راى الدكتورة زينب شهاب.

الرجال وموقف السيد ابن شهاب من المرأة

بعد استعراضنا اقوال وآراء ربات الخدور في هذا الموضوع يحسن بنا ان نرىٰ أيضاً آراء الرجال واقوالهم، نقدم هنا نظرة الشاعر الاديب السيد صالح الحامد، ورأيه ان السيد ابن شهاب كان متوسطاً في نظرته إلىٰ المرأة، فأبن شهاب مع ما كان يرمي إليه من اصلاحها وتهذيبها واحلالها من العلم بالمكانة اللائقة بها للتربية وشؤون المنزل، كان متمسكا بوجوب بقائها علىٰ الحجاب الشرعي وعدم اطلاقها كل الاطلاق، مع انكاره لبعض ما تلقاه المرأة من التقيد وما تقاسيه احيانا من العنت والارهاق. فأبن شهاب يقول مصوراً ما تلقاه من ارهاق من لا ينصفها في قصيدة له دفاعاً عنها من طغيان الرجل:

واهـــا لمـــا يـلـقى البـنـا ... ت مـــن امـتهان واقـتراح
يـــتحكم الرجـــل المشـو ... ه في الصـــبيات الصـــباح
ويســـلط الفـظ الغـليـــ ... ـــظ علىٰ المهفهفة الرداح
ســـيان قـــدرا عـــنده ... رأس البهـــيمة والوشـــاح
فكـــانها مـــلك اليمـيـــ ... ـــن يسـوقها سـوق اللـقاح
ويســـومها شـــططاً ويـر ... غـــمها عـــلىٰ طـلب السماح
والخـــوف يخـــنقها ويمـــ ... ـــنعها التـبرم والصـياح
تـــرجـــو السـلامة حـيث لم ... تـــنبس بـآه او بـــآح

ويعلق السيد الحامد علىٰ هذه الابيات بقوله: كم في هذا من تصوير لحالة المرأة مع بعض جفاة الرجال وما تلقىٰ لديهم من عسف وامتهان.

ويقول السيد ابن شهاب متسائلاً مستفهماً: الىٰ متىٰ تدوم بالمرأة تلك الحالة؟

حـــتام يـــصبرن النســـا ء عـــلىٰ الهـــوان والاطـــراح
او لســـن زيـــنة هـــذه الد نـــيا واطـــيب مـــا يـــراح
هـــن الريـــاض بهـــا شميـــــــــم الورد يسـطع والاقـاح
يشـــفى الســـقيم بـقربهن إذا الشـــذى مـــنهن فـــاح
ابـــغيرهن العـــيش يـــصـــــــــفو والهـــموم بمـــن تـــزاح

ويستطرد السيد الحامد في تعليقه بقوله: ولا يقول هذا إلّا من عرف قدر المرأة واعتبر لها المكانة اللائقة بها من العلم والحرية، ثم تراه بعد ذلك يقول:

اف لشـــــخص حـــقهن لديـــه مـــهضوم مـــطاح
مـــا للـــرجـــال وظـــنهم عـــجز النســـاء عـــن الكـــفاح

رحم الله السيد ابن شهاب وموقفه الصريح ونظرته البعيدة ودفاعه عن المرأة في الوقت الذي يرىٰ بعض الرجال ان النساء لسـن سـوىٰ سـلعة بـائرة تـباع في سـوق النخاسين، لا حرمة ولا قدر لها في الحياة، لانهن اصل البلاء والشر.

اما السيد الحامد فيقول: والسيد ابن شهاب مع ذلك يتشاءم من غائلة النسـاء ويحذر من كيدهن، وكم اشار الىٰ ذلك كما في قوله:

ان كـــان عـــندهم الصـــوا فـــن والصـــوارم والرمـــاح
فـــلنا مـــن الكـــيد العـظيـــــــم لقهرهم امـضى سـلاح
ونـــصال ســـحر لاتشـــا هـــد أو تـــركب في قـــداح

ثم ترىٰ السيد ابن شهاب يصف قوة المرأة ومـقدرتها وشـجاعتها وتـفوقها في السياسة وكيف تسيطر المرأة علىٰ العقول بدهائها ومقدرتها علىٰ سير الامور، واسمعه يقول:

تـــسبي العـــقول بمـــا تـــزخـــــرفه وتسكـــر كـــل صـــاح
سكـــــرا يـــلذ لهـــم ولا سكـــر الغـــبوق والاصـــطباح

نـــــبدى الوداد والانـــــقيا   د وفي ضمائــــرنا الجـــماح
ونـــــريهم المــــشي الهـــويـ   ـــــنىٰ في المجـــيء وفي المـــراح
مـــــن ديـــــننا المـــوروث ان   دم المــــغيظ لنـــــا مــــباح
نـــــغتال قـــــواد الجـــــيو   ش ولا نهـــاب شـــبا الصـــفاح
نســــقي الغـــضنفر حـــتفه   فـــــيخاله العـــذب القـــراح
بـــــالموت نـــــغريهم كـــــما   تـــغرى الكباش علىٰ النـطاح

وهذا اعظم تقدير للمرأة واعتراف بما لها من دهاء خارق تطأ به هامات الرجال وإذا كان الرجال يعتمدون في كفاحهم علىٰ السيوف المهندة والمواضي البتارة فإن المرأة تعتمد علىٰ عقلها وبصيرتها وبصرها بدهائها في كل الحالات نعم، ان المرأة داهية حقا.

ثم يعرب السيد ابن شهاب عن رأيه في المرأة، كما يقول السيد الحامد:

بـــين الفـــريقين اقـــض حكـــ   ـــــما مـــن تـــقلده اســـتراح
خـــــذ مــــــن كـــتاب الله در   ســـا والاحـــاديث الصـــحاح

يقول السيد صالح الحامد: ان السيد ابن شهاب يريد بهذا الالتزام ما امر الله وما شرعه في شرائعه فيما يتعلق بحق المرأة، فلا تـضييق يـؤدي الىٰ ارهـاق، ولا اطـلاق يـنتهي الى الاهمال، مع تهذيبها وتعليمها كل ما يليق بها، لا سيما في فنون التربية وشؤون المنزل. وقد استوعب كل ما يليق بها تعلمه وما يجب لها وعليها من حقوق في منظومته في آداب النساء، وصرح السيد ابن شهاب بانه يرى الخير كل الخير لها في ملازمتها الحجاب والشر كل الشر في القائها له، وصور المرأة المسلمة المحجبة ابدع تصوير، قائلاً في منظومته:

هـــذا وكـــم كـــريمة مـــصونه   في بـــــيتها كـــدرة مكـــنونه
بـــعيدة عـــن مجـــلس الرجـــال   لا تخـــطر الفـــحشا لهـــا ببـــال
وان بـــدت في محـــفل النســـاء   فـــــدرة تـــضيء في حـــصباء

ويعلق السيد الحامد علىٰ هذه المنظومة بقوله: ألا ترىٰ ان السيد ابن شهاب مثّل

المرأة المحجبة بملاك في زي بشر ووصفها وصفا خياليا شعريا؟ فشاعرنا يأبى إلّا ان يكون شاعراً في كل ما يصنع. ولا شك ان اصدق ما يستدل به على رأى الشاعر أو عقيدته ما يقوله في حالة هدوء وصحو فكر. واكثر ما يكون ذلك في الشعر الاجتماعي والفلسفي، وإلّا فللشاعر نزوات جامحة قد يأتي فيها بما لا يعتقد أو يناقض له رايا.

وما ذلك إلّا لانها صادرة في حالة ثورة أو تحت حكم تاثيرات خاصة، والشعراء من اسرع الناس تاثرا بالطوارئ، لرقة شعورهم، ولطف احساساتهم وانما تؤخذ آراؤهم من ثمرات ساعات هدوئهم وصحو شعورهم.

والا فشاعرنا هو القائل في المرأة المحجبة:

محجوبة عذراء لو اسفرت ... لافتتن الشيخ بها والفتى
ناديتها يا ربة الحسن كم ... في الحسن من حق فحتى متى
قالت انا البدر ولكنني ... مسلوبة النفع كبدر الشتا

يستطرد السيد الحامد عن موقف السيد ابن شهاب ونظرته حول المرأة بقوله: وكم في تشبيه السيد ابن شهاب للحسناء ببدر الشتا. من حسن وروعة.

اما السيد العلّامة محمد احمد الشاطري فله نظرة اخرى في هذا الموضوع، فانه يقول: ان السيد ابن شهاب تناول في شعره المرأة وموقفه العام معها موقف عدالة وانصاف فيما لها وعليها بمقتضى النظم التي سنها الاسلام في المجتمع. وقد اجمل ذلك في قصيدته الحائية التي تتضمن مساجلة بينه وبين سيدة، ومطلعها:

امن الفتوة ان تباح ... طرف الظريفات الملاح
قالوا نعم ان لم تكن ... فحشا فليس بذا جُناح

يعلق السيد الشاطري على هذين البيتين بقوله: يقول بعض من الادباء الذين تثقفوا ثقافة غربية عن موقف السيد ابن شهاب نحو المرأة بانه كان متاثرا بفلسفة الفيلسوف الالماني فريدريك نيتشه المولود عام ١٨٤٤ والمتوفى عام ١٩٠٠ في مواقفه نحو

المرأة، وأن نظرة السيد ابن شهاب للمرأة هي نظرة الفيلسوف نيتشه نفسها، وكان نيتشه يعيش مع الاحاسيس والاجواء النفسية المرتبطة بالظروف التي تعرضها البيئة عـليه. وهنا تظهر الازدواجية المتناقضة في تفكيره، فقد عاش نيتشه مثلا حياة مستهام متيم بالمرأة ولكنه في الوقت نفسه يقول في كلمته المعروفه: اذهب الىٰ المرأة ولا تنس السوط معك. فقد استهام واحب فتاة روسية اسمها لوفون سالوبي، غير ان امه واخته اليزابيت فودستر لم تكونا راضيتين ولا مرتاحتين لهذه العلاقة، وسعيا لاحباطها. فكان فريدريك نيتشه مضطرباً بين واجب البر والطاعة لوالدته التي يكرمها ويجلها ويبرها وبين عاطفة الحب والغرام لحبيبته لوفون.

ومن هذا المنطلق يقول السيد الشاطري: نجد ان نظرة السيد ابن شهاب نحو المرأة هي نفس افكار ونظرة نيتشه، وربما كان متأثراً بها، لكثرة التشابه في افكاره وآرائه مع ما يقوله نيتشه. فقد عاصر نيتشه السيد ابن شهاب وتوفي عام ١٩٠٠، وكان عمر السيد انذاك ٥٩ عاما.

هذه نظرة السيد الشاطري، وربما يظهر أولاً انها اقرب للواقع والحقيقة، لكني ارىٰ عكس ما يراه السيد الشاطري، إذ ليس كل من عاصر احدا تأثر به، ولماذا لا يكـون العكس فيتأثر فريدريك نيتشه بالسيد ابن شهاب.

من المعلوم ان السيد ابن شهاب لم يتأثر في حياته باحد فضلاً عن نيتشه، وليس من السهل عليه التاثر بفكرة طارئة، وهو ذو الشخصية القوية الذي لا يتاثر باحد ولكن الناس يتأثرون به. اما موقفه من المرأة وما يظهر فيه من تناقض، فهو في الواقـع غـير متناقض، ففي التاريخ نساء شريرات ونساء بلغن من التقوىٰ والصلاح والايثار والجهاد مبلغا عظيما، ففي السيدة خديجة وفاطمة الزهراء خير مثال. اما عذر السيد الحامد ان ذلك من هوية الشعراء فله في ذلك وجهة نظره الخاصة.

اما السيد حسين الحبشي مدير المعهد الاسلامي فقد ادلى بدلوه في الموضوع قائلاً:

عندما تصبح المرأة جزءا من دورتنا الدموية ومن قهوتنا الصباحية وجزءا من حركات الدقائق والثواني ونبضات القلب والحس فلا يمكن هجرها، لان هجرها يساوي هجر الحياة ويعادل الانتحار البطيء.

المرأة في هذه الحياة الجوفية في داخلنا والتي تنتظر الفرصه لتنفجر كالطوفان من اعماق الارض المالحة. المرأة هي هذه الطبقة السميكة من ملح البحر التي نغطي به اجسادنا حتىٰ لا تتعفن. المرأة هي البوصلة التي يستعملها الانسان في هذه البحار الخضمة ليصل بها الىٰ نوافير المياه وبساتين النخيل.

هذه كلمات السيد حسين ولا اعلم ماذا يقصد، وربما يفهم القارئ ما يقصده الاستاذ السيد حسين.

لم اكتف بكل هذا بل حاولت أن اجد المزيد من النظرات الاخرىٰ، فاتصلت بمن اعرفهم من تلامذته واقرانه وزملائه ومن عرفوه، فسألتهم ووجدت الكل يكادون يجمعون علىٰ ان الكثيرين اختلفوا في فهم وجهة السيد ابن شهاب، انهم فهموا الناحية النظرية الشعرية، واختلافهم لا يضير موقف السيد ابن شهاب، ويكفي ان نعلم الواقع في حياته العائلية فهو رب اسرة مثالي، يرحم البائس والمسكين ويساعد المعوزين يدافع عن المظلومين والمستضعفين والمحرومين يؤدي لكل حقه، وانه رائد الاصلاح وزعيم النهضة فهو المثل الاسمى لسمو الاخلاق والخلق الكريم.

وتذكرت ونحن في هذه المناسبة ما كان يحدثنا به الاستاذ عبد الله بن نوح عن الازدواج النفسي في جلسة ضمت بعض الزملاء وامثال تلك التناقضات في حياة البشر، واستشهد الاستاذ عبدالله بن نوح بحياة الكاتب الاديب الاستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي المصري الذي يجمع بينهما رابطة الادب فقال الاستاذ عبدالله بن نوح: ان من يقرأ مؤلفات المنفلوطي يجد أنها كلها احزان ومآسٍ وآلام وآهات وبكاء تقطر دموعا تذيب القلوب القاسية وقد يحسب القارئ ان المنفلوطي يعيش بين المآسي والآلام والاحزان وانه كان

بائسا شقيا في حياته حتى تبلورت ناطقة في كتاباته وفي كل سطر من سطور عباراته الرقيقة المؤثرة باسلوبه الخاص المعروف. وقد يحار الانسان إذا عرف كيف يعيش المنفلوطي عيش ترف مليء بالهناء مرتاحا وهو صاحب نكات يضحك دائما حتى لتسمع قهقهته في الشارع، ثم كيف يمكن الجمع بين عيش الترف وبين المآسي؟ فهل هو نفس ذلك الانسان الذي يجمع المتناقضات؟ وكيف يمكن الجمع بين المآسي وبين المرح؟ بين ما تخطه انامله وبين المرح؟

هل لنا ان نجد وجه شبه بين المنفلوطي والسيد ابن شهاب في هذه المتناقضات؟ لا ريب ان لعلماء النفس تعليلات ومبررات في هذه القضية التي يسمونها بالازدواج النفسي ولهم في هذا الموضوع بحوث قيمة.

الحمينيات

الحمينيات قصائد باللهجة الدارجة الشعبية. وقد تبلغ تلك القصائد مستوىً عالياً من الذوق الرفيع. وللسيد ابن شهاب قصائد معروفة في هذا اللون من الشعر. وجل حمينياته أو كلها قالها وهو في شرخ شبابه ومقتبل عمره. إذ تتجلىٰ فيها روح الشباب الحر المرح. ويحفظ الشعب بعض تلك الحمينيات، ويتغنىٰ المطربون بها في السمرات والحفلات العامة والسهرات الخاصة.

لم تجمع هذه القصائد الحمينية فظلت متفرقة هنا وهناك. وقد اتصلت ببعض الاخوان ممن اتوسم فيهم المعرفة بوجود هذه القصائد الحمينية، والتمست منهم تزويدي بها حينما يجدونها. وقد رد علي السيد احمد ضياء شهاب برسالة قال فيها انه سيسعىٰ لجمع ما يمكن جمعه من هذه الحمينيات الموجودة في الجنوب العربي. كما ان السيد احمد عيدروس شهاب المقيم حالياً بالديار الحجازية زودني بما لديه وما حصل عليه من تلك القصائد.

ذكر السيد احمد ضياء شهاب في رسالته اليّ أنه سبق ان اطلع علىٰ مخطوط قديم، شاهده بعينه ولمسه بيده وقرأه وتصفحه صفحة صفحة، لكنه لم يهتم به ولم يدر بباله استنساخه ولكنه ما زال يذكر بعضا من تلك القصائد الكثيرة التي مرت عليه وقرأها ولا تزال بعض ابياتها بذهنه.

وفيما يتعلق بموضوع مخطوطات السيد ابن شهاب، فقد اتصل بالسيد عمر بن علوي بن شهاب الذي هو احد حفدة المترجم له ووجد عنده اوراقا مبعثرة مهلهلة فيها بعض من قصائده الحمينية غير مكتملة، لكن تبين ان جلها قد ذهبت به ايدي الاهمال وضاع. والبعض الآخر اخذها الاستاذ رحيم بافضل وباعها للمستشرق البريطاني سرجنت

«SERGANT» وهو الآن مدير دار الكتب البريطانية في المتحف البريطاني بلندن.

لم يكن لدى بافضل شيء متبقٍ من حمينيات ابن شهاب والمتبقي منها هـو مـا يتناوله المطربون والذي لا يتعدىٰ بضع قصائد.

منها مطلع القصيدة الاولى «قال المتيم»، ومطلع الثانية «يا مالك الاملاك».

استمر السيد احمد ضياء في تقصّيه وذهب الىٰ اولاد بافضل بعد ان بلغه ان بافضل باع اصل القصائد وابقىٰ عنده النقل الذي كتبه بيده، فعلم منهم ان تلك القصائد الحمينية موجودة لدىٰ سبط بافضل، اضافة الىٰ القصائد الحكمية الاخرىٰ التي لم تطبع في ديوانه المطبوع. فاتصل بالسبط فلم يعثر علىٰ شيء من ذلك. وذهبت مساعيه سـدىً. وربمـا يطول به الوقت في البحث، خصوصا أن الاوضاع هناك صعبة والاماكن متباعدة والجو مشحون بكابوس المخابرات.

واصل جهده وذهب الىٰ سيون لتقصي الحقيقة، واتصل بشخصياتها ممن يحسب الخير لديه واجتمع بالشيخ عمر محمد باكثير، احد رجال القلم في شبابه الذي شارك مع السيد صالح الحامد بتحرير المقالات في مجلة النهضة الحضرمية التي تصدر من سنغافورا، ولكن الشيخ الآن اصبح طاعناً في السن وقد تجاوز ٧٥ عاما من عمره، ولم يعد يذكر شيئاً إلّا ما كتبه السيد صالح الحامد، المنشور في اعداد متوالية في مجلة النهضة الحضرمية، ثم قدم له الاعداد الموجودة لديه، وهي اعداد ناقصة، متفرقة وغير منتظمة، فراجـعها وبحث عن المقاله المقصودة فلم يعثر عليها[1].

المتيم:

هذه احدىٰ قصائد السيد ابن شهاب الحمينية المعروفة بالمتيم. قالها عندما كان في

---

(١) عثرت علىٰ المجلة كاملة ومجلدة لدىٰ السيد حسن بن محمد بن سالم العطاس في سنغافورا وفي مكتبة المغفور له السيد هاشم بن شيخان السقاف مقدسي وتفضلا مشكورين بتصويرها.

سنغافورا وهو في شرخ شبابه حيث استقر به المقام فيها لفترة. جاشت مشاعره بهـذه القصيدة. ثم بعثها الىٰ زوجته شريكة حياته الشريفة سيدة بنت علي بن شهاب وهي ام ولده علي وهي من المثقفات الاديبات وقد توفي ابنه علي في حياة شاعرنا الاديب، وله منها بنتان تزوجت احداهما من اسرة آل العيدروس والاخرىٰ من اسرة بيت آل الحداد، وتوفيت زوجته في حياته وهو آنذاك في القاهرة. اما البنتان فقد اختارهما الله إليه منذ امد بعيد.

يقول احد الادباء: ان حمينيات السيد ابن شهاب فيها بعض المبالغات في الوصف والتشبيه، وهو معذور ولا يلام فهو شاب يافع فارق ذويه ونار الشوق الىٰ اهله شغلت فكرته وذهنه. والشاعر يقول:

لا يعرف الشوق الّا من يكـابده ولا الصـبابة إلّا مـن يـعانيها

وبما ان الحمينيات قصائد باللهجة الدارجة، ففيها كلمات قد تـغيب عـن ذهـن القارئ وقد حاولت جهدي تفسيرها ووضع معانيها في الهامش حتىٰ يتسنىٰ للـقارئ متابعة القصيدة وفهم معناها الحقيقي المقصود به أو رموزها النابية.

القصيدة المذكورة هي:

قـال المـتيم بـن شهـاب الفـهيم ابـو عـلي حـامي عـذوره[١]
غزلان في سـفوح المـدينة تـريم يـقطفن مـن قـلبي زهـوره
يرتعن من عيديد[٢] الىٰ دال ميم[٣] وقت المـسرة والمسـوره[٤]
مـثل الغـصون المـائله بـالنسيم إذا سـق الوسمـى[٥] ذبـوره[٦]

---

(١) عذوره: حامي اهله.

(٢) عيديد: اسم ضيعة بواد غربي تريم.

(٣) دال ميم: اشاره الىٰ الحرفين الاولين من اسم مدينة دمون موقعها شمال مدينة تريم في واد خصب.

(٤) المسره: الافراح.

(٥) الوسمي: مطر الربيع.

(٦) ذبوره: جمع ذبر هي الارض الزراعيه الواسعة.

بالسفح من شعب النعير[1] الوسيم ... علىٰ مجاري الماء قصوره
بالجانب النجدي[2] حبيبي مقيم ... يا حبذا النجدي وجوره[3]
يشرف علىٰ بستان ينعم نعيم ... باوصاف[4] محبوبي طيوره
خرعوب[5] في الزينات ماله قسيم ... وتستعير الشمس نوره
القلب في وديان عشقه يهيم ... والجسم بين الناس صوره
باهت به الغناء[6] جنات النعيم ... حتىٰ سخط رضوان حوره

---

(١) النعير: اسم احدىٰ جبال اودية تريم من الناحية الغربية.

(٢) نجد: باصطلاح لغة الجنوب يعني الشمال. ويطلقون علىٰ الغرب اسم قبلة والجنوب اسم بحري اما الشرق فكما هو شرق.

(٣) وحوره: حوره العين.

(٤) باوصاف يحذف: الالف نطقا وليس كتابة. وكثير ما ياتي في اللغة الدارجة من حذف واسقاط بعض الحروف وتحريف بعض الكلمات العربية الاصيلة غير انها غيوانها لا تخلو عن كونها عربية الاصل. ولمن اراد التوسع في هذا الموضوع مراجعة ما كتبه الاديب الاستاذ محمد بن هاشم والاستاذ عبد القادر بامطرف والاستاذ عبد القادر الصبان فى مؤلفاتهم، وكتاب الامثلة والحكم الدارجه.. بحضرموت للسيد احمد ضياء شهاب. بعض هذه الكتب لا يزال مخطوطاً والبعض الآخر تم طبعه.

(٥) خرعوب: المرأة الجميلة.

(٦) الغناء: كلمة تطلق على مدينة تريم. وشاعرنا السيد ابن شهاب كثيرا ما يذكر هذا اللقب في قصائده. ففي قصيدته الحكمية التي مطلعها:

ودع سعاد وألق حبل قيادها ... واصدر علىٰ ظمأ لدى ميرادها

يقول عن الغناء مايلي:

فلتشكل الغنا حلولي دورها ... وعلي فلتلبس ثياب حدادها

وفي قصيده اخرىٰ مطلعها:

بشراك هذا منار الحي ترمقه ... وهذه دور من تهوى وتعشقه

يقول حول الغناء:

ناشدتك الله والود القديم اذا ... ما بان ن بان ذاك السفح مورقه
وشاهدت عينك الغناء عادرها ... نصلة بالحيا الوسمي مغدقه

في حضرموت من الجنوب العربي يطلق علىٰ بعض المدن فيها اسماء مثل شبام العالية، سيون الطويلة. دمون الميمون. ■

مسكي روادفه[1] الحرير الظليم[2] والشامه[3] الخضراء نوره
لك تسعة اعشار الحلا بالرحيم والحور تتقاسم عشوره
راضي بما يفعل ولو هو غشيم سرور قلبي من سروره
انت الدواء للقلب وانت الحليم العبد لحقته الضروره
ان الاشارة كافية للحليم شف فرحه الصائم فطوره
عجل بوصلك للمتيم وقيم[4] شمس الشهابي في حجوره
واحذر تواصل كل من هو شيم[5] لاجل تسلم من شروره
من لا يحب الزين عده[6] بهيم حمار يصلح للجدوره
كمن بالمتيم بالختم رحيم مملوك لك في سنقافوره
يالله بعوده الى بلدنا تريم يوفي بها الناوي نذوره
والفين صلوا ما تحرك نسيم وما قرا القاري سطوره
والختم صلى الله دائم مديم على النبي لي[7] شاع نوره

= تريم الغناء. الى غيرها.

(١) الروادف: جمع ردف وهو الخلف، عجز المرأة. ويقصد منه شعر محبوبته المعطر بالمسك والناعم مثل الحرير الذي يصل الى اردافها.

(٢) الظليم: الاسوأ من الظلمة.

(٣) الشامة: الخال.

(٤) وقيم: منظر ثابت.

(٥) شيم: من الشؤم.

(٦) عده: احسبه. هذا البيت من هذه القصيدة اصبح من الامثال السائره التي يستشهد بها الشعب. ومعناه ان كل من لا يحب الجميل احسبه حماراً لا يصلح إلّا لجر وحمل الاثقال.

(٧) لي: كلمه حضرمية بمعنى الذي وينطق الحضرمي اسم الموصول بهذه الطريقة.

رب يا مالك الاملاك

من روائع حمينيات قصائد السيد ابن شهاب هذه القصيدة من قصائده الكثيرة.
حفظ بعض ابياتها المطربون ولحن الملحنون نتفا منها. وأصل القصيدة تفرق هنا وهناك، وقد جمعت وجاءت مسلسلة كما هي في اصل القصيدة:

رب يا مـالك الامـلاك مـن غـير تـفريط
عـــــبدك اذنب وفـــــرط

ضـــيع العـمر عـبدك في مـعاصي وتخليط
خـــــالف امـــــرك وخلط سترك

اســبله مــاشي حب تحت المســابيط[1]
مـــا مـــعي شي عـــمل قـــط

حين مـايربطونه وسـط لكـفان[2] تـربيط
ســـاعة الشـــل والحـــط[3]

والشهابي يقول افراط[4] في البيض تفريط
العـــــنق[5] مـــا هــــو البـــط

(١) المسابيط: جمع مسباط وهو عود يستعمله المزارع لدق السنابل وفرز حب الذره منها.

(٢) لكفان: تنطق بحذف ال والالف الثانية من الكلمة. واصل الكلمة الاكفان جمع كفن.

(٣) الحط: وضع الشيء في محله.

(٤) افراط: اجناس. انواع.

(٥) العنق: بفتح العين وسكون القاف اسم طائر شبيه الحمام. وهو لا يشابه البط والوز.

ما البنادق سواء بعض البنادق مخابيط[١]

في خزانته مسرط[٢]

كالمسوح الغوالي كم وكم دوم[٣] له سيط[٤]

صرفها اربع[٥] مقسط

ما تعدي على من يلتبسه المشاريط

من سرح[٦] به تبسط

آه يابوي في كبدي من لبيض تحقيط

احس قلبي محقط

من سميط[٧] من الخيل الجياد المزاعيط[٨]

تبات في الداجي تفحط

مهرة الصين[٩] تتعتر وفي الرجل تقميط[١٠]

حى ذاك المقمط

ريت بوبكر يعطيها ثلاثه مشاويط[١١]

من على سرجها نط[١٢]

---

(١) مخابيط: جمع مخباط وهو الذخيرة التي توضع في البندقية.

(٢) مسرط: مبتلع من كلمة بلع .

(٣)المسوح والدوم: اسم من اسماء البنادق معروفه في الجنوب العربي.

(٤) سيط: ذكر شائع أو صيت.

(٥) اربع: اسم عملة متداولة.

(٦) سرح: ذهب.

(٧) سميط: الحسناء.

(٨) مزاعيط: مقاومات.

(٩) الصين: محرفه اصلوا [illegible]

(١٠) تقميط: تقييد.

(١١) مشاويط: ضربات.

(١٢) نط: قفز من سرجها.

حـقطت[1] قـلبي المـفتون بـالبعد تحـفيط
آه عـــظـــمي محـــطـــحط[2]

اسـبلت[3] جـعد بـالعنبر تمشـطه تمشـيط
بـــالشمطـــري[4] مخـــلـــط

ســحرها في لواحـظها وفي الاذن تـقريط
بـــالجـــواهـــر مـــقـــرط

ريقها مـن عسـل يـاخير والله تـلغيط[5]
مـــنـــه لو كـــنت بـالغـط[6]

بـالخضاب الذي في كـفها فـيه تـنقيط
والحـــلا فـــي المـــنقـط

ريت لي بـين حب اللـيم مـوته وتحـنيط
بـــيـــنـــهن بـــاتصطـــط[7]

حـين تبكي تقول اوحـيت في النـحر تشبيط
حـــســـن غـــري مشـــبـــط

ريت لي في الطويله[8] مرتع الخود[9] الغيط
بـــيـــت عـــالـــي مـقلـــط

---

(١) حقطت: دققت.

(٢) محطحط: مدقق.

(٣) اسبلت: ارخت.

(٤) شمطري: نوع من العطور.

(٥) تلغيط: بلع يبلع تبليعا.

(٦) غط: نام.

(٧) باتصطط: امتد.

(٨) الطويلة: كلمة تطلق على مدينة سيون.

(٩) الخود: المرأة الجميلة الحسناء.

ريتها تبتني بحري حصون الشعاميط[1]
شهـــر يـــوخذ مسمط
لاجل بادر بها بالواقعة حيطها حيط
حـــين تـــرضى وتسخط
ما علي من هواها من عيال الشعاميط[2]
مستـــمع قـــولهم قـــط
والله اني عطيتها شيطها والشماليط
والقـــلــم فـــيــه مـاخـط
مذهبي في الهوىٰ واسع ولي فيه تضبيط
بـــالشـــريعـــة مــضبـط
همـــتى عـاليه لقط من البيض تلقيط
مـــا اوكـــل[3] إلّا المـلقـط
ابذل القرش ماحسب في رضاهاالقراريط
فـــي المحـــبـه مـــغلـط
مـا اصحب الغسل لي يهوى وصال
العضاريط[4] ريت له ميت[5] مسقط
ختمها بالنبي سلطه باريه تسليط
فـــي حـــروبه مسلـط

---

(١) شماميط: الارذال السفهاء.

(٢) شيط وشمليط: كلمتان دارجتان معناها انه فرقها وذهب بها الىٰ ابعد الحدود وتعني البذل والرمي يمينا وشمالاً بدون مبالاة.

(٣) ما اوكل: بوصل الميم الاول مع الواو معناه لا اكل.

(٤) عضاريط: جمع عضروط وهو القصير الدميم اليابس.

(٥) ميت: بمعنىٰ مائة تنطق بالتحريف.

والصلاة علىٰ من حـوط الدين تحـويط

والـــــورى بــــــه تحـــوط

مده الدهر مـا مـر النسـيم في العـناقيط[1]

اوجـــرى الســيـــل فـــي الشــط[2]

(١) عناقيط: عناقيد الاشجار.

(٢) الشط: الحافة.

بني مغراه

هذه من احدىٰ قصائده الحمينية المعروفة التي يتغنى بها المطربون عند السهرات ويردد المستمعون بعض ابياتها طربا. يحفظها كثير من شعراء وادباء البادية. واحسب انها غير مكتملة، فيها سقوط في بعض ابياتها. والقصيدة هي:

بني مغراه[1] نومي زعل والليل غلس[2]
وقالي وقت في ذي السنه لارقد ولو انعس
خذنا الضيم من فرقة اصحابي تنهس[3]
مشتت في الغرب ممتحن لم لي تمرس
وعندي عيدلي غتراف الفنى ونسنس
على مدروف وان حد حضرمحفوف روس
تريم السعد يا من بنا فيها مومسوس
ولالا الخوف قلنا هي الوادي المقدس
خرج ذا فصل والبارح الهاجس
ولايلتام[4] بحر الهوى عنده معكس

(١) بني مغراه: اسم قبيلة.

(٢) غلس الليل : دخل.

(٣) تنهس: تنفس الصعداء.

(٤) لا يلتام: لا يلام.

تذكر حسن زين الهياكل المهسهس[1]
صفير ابن عزلان غالي لابس اطلس
حرير اخضر ومرجان من سيره[2]مبنكس
مطل قاسي علىٰ قتل خولتنين[3] قوس
بقامه روم بوسلسله صرفه مقيس
على امتانه مكتب بحاليله مبنكس[4]
قضيب البان يلعب به البحري اوانس
وخذ مني ثمن لوتبا شيبه مدبس[5]
مشط جعده بعنبر ويزدي بعدما غمس
كحيل الطرف والخشم جبينه تلحس[6]
سكر من ذاق ريقه وفي سكرته كيس
وبه نهدين والله لو عاش بهن مس[7]
شبيه اللـيم بحدي عليهن لي تلمس
حزامه شبر صافي على خصره مقلس[8]

---

(١) مهسهس: الهيفاء.

(٢) سيره: مشيته.

(٣) خولتنين: اخ لاثنين.

(٤) بحاليله: شعره الجعد

(٥) شبيه: هذه الكلمة تستعمل للعدد. الف من العملة النقدية.

(٦) غمس: ادخله في شيء مائع. تلحس: تلعق.

(٧) كيس: مؤدب، مس: لمس.

(٨) اللـيم: الليمون.

وقلبي زاغ من فخذه المدروج لملس

وسمت القوت وليش عاد لوشفته مخلوس[1]

حلا ياقرع مخراف باللوز الملبس

تعطف يامنى القلب كبدي تمرس[2]

فضيلة القهابت معي ليلة وقل بس

ولو تبق الكتب لي معي في كل مدرس

والحمراء في الحجيل البركة من خير مغرس

فداك الحال والمال سيدي والمعلس[3]

قفاك اليوم شف بن شهاب الدين كسكس

ولا بنساك لونا في اكفاني مكلوس[4]

ولا لي عذر موخذك في عكر المتحمس

ويوم الحشر والنشر منك باتحسس

وصلىٰ الله على من به الدين اسس

محمد واهل بيته عود ما الليل غلس

يقول الاستاذ المؤرخ الاديب محمد احمد الشاطري: ان للسيد ابن شهاب اشعاراً دارجة كثيرة بعضها قاله في عنفوان شبابه. وكما نشرت كتبه واراؤه فقد سجلت قصائد. له حكمية ودارجة في مناسبات عديدة.

لم يبق منها إلّا القليل يتناقلها رجال الفن والادب وانصارهما.

ويحدث السيد علوي بن شهاب حفيد شاعرنا الاديب عن والده بان السيد ابن

---

(١) مخلوس: بدون ثياب.

(٢) مخراف: اسم نوع من النخل.

(٣) الحجيل: اسم ضيعة صغيرة شرقي مدينة تريم، معلس: العمل.

(٤) كسكس: اغمض عينيه. والمعنىٰ انه يتكل دون مبالاة بما يدور حوله من كلام العذال.

شهاب عندما تصفح بمجموعة قصائده المخطوطة الحمينية والحكمية واطلع عليها قال لوالد السيد علوي ان هناك بعض قصائد قالها في عنفوان شبابه مثل بعض قصائده الحمينية قد يظهر فيها نزق الشباب الذي لا يستسيغه إلّا الشباب.

وهنا نكتفي بايراد تلك القصائد من حمينيات السيد ابن شهاب مثالاً لمستواه في الشعر الحميني.

ملحق

كنت دائما اطلب المزيد من المراجع والمصادر فيما يتعلق بالسيد ابن شهاب فزادت اتصالاتي الكثيرة بالاخوان ليمدوني بما لديهم. لبّ بعض الاخوان الكرام عندما بلغهم اني مكب علىٰ وضع كتاب عن السيد ابي المرتضىٰ بن شهاب. جاءني السيد عمر بن علوي بن شهاب احد حفدة السيد المترجم له ابن شهاب مرحباً بـالفكرة وأبـدىٰ انـه عـلىٰ استعداد لتقديم كل ما لديه عن جده، كما تفضل السيد احمد ضياء شهاب بتقديم ما عثر عليه من قصائد السيد ابن شهاب غير المثبتة في ديوانه المطبوع ثم تعليقه عليها وذلك في رسالته الي بتاريخ ٨ شعبان ١٤٠٢هـ وتلك القصائد هي:

اصــالت دمــوعي مــن مـدامعها بجـرا
عــلىٰ صــفحات الوجــنتين قــد احمـرا

اكــابد مــن دهــري شـجونا وحـسرة
لمــا قــد رأيت اليــوم في الحـرة الزهـرا

فــا في تــريم الخــير قــاض مـصرح
بمــا في كــتاب الله والســنة الغــرا

قــديماً عــلىٰ الغــناء اطــلق مـادهى
ولم لا وقــد كــانت مـعظمة قـدرا

إذا جــئت مـنها مجـلسا لم تجـد بـه
ســوى ذاكــر لله او قــارئ يــقرا

ألا ليت شــعري هـل يـعودنّ مـا مـضىٰ
وهـل تُـرجـع الايـام مـا اخـذت قـسرا

إذا لم يصبها وابل صيب الندى
فطل به تحيا من الموتة الكبرىٰ
فقم يا ابا المنصور فيها بعطفة
عليها تحوز العز والفوز والاجرا
اقيموا لهذا الشأن عدلاً مهذباً
اميناً لهذا الامر هل به احرىٰ
وقوموا لدين الله قومة ماجد
وان نظرت عين البغا لكم شزرا
واياك والأعذار اياك هل ترى
بيوم التنادي من يقيم لك العذرا
فقد من مولاكم عليكم وخصكم
بما اختاره منكم واولاكم الامرا
وملك تريم منتهىٰ الفخر والعلىٰ
فلا تغبطوا ملك النجاشي اوكسرىٰ
مهابط اهل البيت والعترة التي
هم وارثوا المختار والفتية الغرا
فهم نعمة المولىٰ علىٰ اهل ارضه
وهم سادة الدنيا وهم سادة الاخرىٰ

* * *

وهذه قصيده اخرىٰ غير مثبتة في الديوان

صال الزمان على الفؤاد الخافق نكبات دهري والحبيب مفارقي
فالدهر حرب للكرام اولي النهى سلم لكل مخادع ومحاذق
ايطيب عيش واللئام تسوؤني حسداً وبغضاً لا ورب الغاسق
فيم المقام بارض ذل بين من من شانهم انكار فضل السابق
وكأن قول الزور فيما بينهم حلّ وذلك شأن كل منافق
حاشا جنابك ايها الفطن الجر ب ان تصيخ الى مقالة فاسق
واقف القضية ان اتتك قضية فإذا انجلت فاقطع يمين السارق
واصدع بامر مستعينا بالذي خلق ابن آدم من مهين دافق
وبه فثق فالكون منقاد لمن يمسي ويصبح واثقا بالواثق
ثم الصلاة علىٰ النبي وآله ما بل دمع من مدامع عاشق

* * *

عندما صدر كتاب «قرة العيون المبصرة في تلخيص كتاب التبصره» ارخه السيد ابن شهاب بهذه القصيدة، وهذه ايضاً من القصائد غير المثبتة في الديوان.

ما وصل ذات الخفر المصون ولا اقتناء اللؤلؤ المكنون
ولا ارتشاف الراح يجلو نورها غيم الصدا في خاطر المحزون
ولا ركوب المرء سرج سابح يختال في يوم الشباب الجوني
يوما يساوي اويداني نشرها تحيي القلوب من علوم الدين
ومن دقائق المواعظ التي بها النجاة من طوامي الهون
وخيرما تنحو القلوب نحوه من معرب فيها ومن ملحون
لقاري «قرة العيون» حبذا سفر يقيل صفقة المغبون

حـلت مـعاني لفـظه فـوائـداً مـن لفـظه في غـاية التمكـين
تسـقي حـدائـق القـلوب سـلسلا يخـضر مـنه ذابـل الغـصون
كم مـن غـوي مـن سماعـه اقـتدى فـقام بـالفرض وبـالمسنون
وكـم انـاب مـسرف لمـا وعـى تـذكيره المشـجون بـالفنون
يـا حـبذا الاصـل الذي بمـثله مـا جـاءنا الحـافي ولا ذا النـون[1]
وحـبذا اخـتصاره الذي اتى مـطابقا مـعناه للـمضمون
وحـيث كـان بـالمثابة التي بهـا يـفك مـغلق الرهـون
سما الى تكـثيره بـطبعه ونـبش قـبر كـنزه المـدفون
نـعم الكـريمين الذيـن اصـبحا للـمجد زيـن فـلكه المشـحون
لا بـرحـا في فـلك الاقـبال في اوج العـلا مـقطوعي القـرين
وحـين تم طـبعه ارخـته في بـيت شـعر رجـز مـوزون
جـاء بـعون الله جـل وافـيا طـبع كـتاب «قـرة العـيون»

١٣٠٥/هـ

---

(١) بشر الحافي وذا النون المصري شخصيتان من كبار رجال التصوف المشهورين.

تعليق السيد احمد ضياء شهاب

اعتقد ان شاعرنا لم يكن يريد اثبات هذه القصائد في ديوانه لما فيها من الركة في التعبير كما هو ظاهر فيها وخاصة القصيدة الاخيرة وبيتها الأخير الذي فيه الحساب بالجمل لتاريخ طبع كتاب «قرة العيون» اذ لم يطابق الصحيح. كما ان في القصيدة تعبيرات غير جيدة يدركها القاريء الحصيف. ومثلها القصيدة الآتية التي مطلعها «كرم الشريف بمقتضى اقباله» وهي أيضاً لم تثبت في الديوان. قال هذه القصيدة بمناسبة تشييد قصر السقاف بمكة المكرمة والذي اصبح قصراً لملوك آل سعود و مقراً لهم بعد استيلائهم على الحجاز. يوجد في هذه القصيدة عبارات غير جيدة ولا تطابق التاريخ بالجمل. ربما كان عدم اثبات هذه القصائد في الديوان قد تم بموافقة منه. والقصيدة التي قالها عن قصر السقاف هي:

كرم الشريف بمقتضى اقباله ... ودليل فضل المرء حسن فعاله
وسمو نفس المرء عدل مشاهد ... يقضي لصاحبه على استكماله
أو ما رايت المجد يابن محمد ... عمر الشجاع اناخ جنب رحاله
السيد السقاف ذو العلم الذي ... عن وصفه يغنيك شاهد حاله
زاكي النجار مهذب الاخلاق لا ... ينفك يرفل في حميد خصاله
مقري الضيوف كانهم شركاء فـ ... ـيما تشتهيه نفوسهم من ماله
حسن المآثر كم له في جدة ... من رتبة عزت على امثاله
وبه تبسمت الثغور مسرة ... لما اشاد هناك بيت جلاله
بيت تود قصور كسرى انها ... عكفت هناك على وريف ظلاله
طوبى لساكنه فنجم سعوده ... باد وبشرى وافدي نزاله

بـيت كسـاه العـز ثـوب جمـاله وأتىٰ الزمــان مــهنئا بــكماله

هناك ابيات سقطت من قصيدته المعروفة «ودع سعاد» المثبتة في ديوانه المطبوع.

فبعد هذا البيت:

فـيها مـنار الحـق عـال و الهـوى وبـنوه في ربـض الثرى ووهـادها

تأتي هذه الابيات:

فركضتموا ركض المجان وعن رضى لم تزجـروها عـن قـبيح طـرادهـا
واسـتحسنوا سمـعا الى نـبح الكـلا ب السود اذ نبحت عـلى اسـيادها
هــل غــركم مـنها الحـطام فـانما بــنصالها الاســياف لا اغــمادها
فـئة سـجيتها سـباب اولي النهـى واذيــة العــلماء مــن مـعتادها
البخل شيمتها وجمع السـحت مـذ هــبها وبـطر الحـق عـند عـنادها
يستحسن المـذموم مـن عـاداتهـا حتى تـظن النـاس مـن حسـادها
افٍ لها مـن فـتية جـبلت عـلى الـ ـــبغضاء والشـنآن مـن مـيلادها
ان تــزجـروها تحـمدوا وتـؤمروا اولا فــبشراكــم بسـوء مـعادها
وتـرقبوا فـلكم كـريم مـزمع عــنها الرحـيل مشـمر لجـهادها

* * *

وفي رسالته الاخرى الخاصة اليّ بتاريخ ٢٨ شعبان ١٤٠٢ يقول السيد احمد ضياء شهاب انه خلال اتصاله بالسيد عمر بن شهاب وجد لديه بعض مؤلفات جده، ومنها كتاب «الشجرة» الذي لا يزال مخطوطا. واصل الكتاب ان السيد عمر أخا المترجم له بدأ يؤلف كتاباً مختصراً في الانساب العلوية ولم تسعفه الظروف لاتمامه فجاء السيد ابـن شهاب فاكمله وتوسع فيه ونظمه حتى أصبح الكتاب كبير الحجم، وقد اتبع فيه طريقة

سهلة وكتبه بالوان مختلفة ووضع له رموزا. وطريقة كتابته تختلف كثيرا عن غيره من كتب الانساب. بدأ بنفسه وانتهى في آخر المطاف الى آدم أبي البشر، ثم ترك لمن بعده فراغا ليتسنى لهم الحاق اسمائهم وانسابهم وتراجمهم فيه. إلا انه لم يكتب احد من بعده فيه شيئاً.

وللسيد ابن شهاب ديوان آخر غير المطبوع، لا يزال مخطوطا. والمؤسف جدا انه بعد المراجعة تبين انه لم يكن كاملا، لان بعضه قد فقد ويتجلى ذلك من ارقام الصفحات غير المتسلسلة، والمتبقي اكلته الارضة ويعسر على المتتبع معرفة الابيات لعدم المحافظة عليه والاعتناء به وبغيره من الكتب. والذي يحز في القلب ان الكتاب من التراث القيم ولا يزال مخطوطا، ولم يجد من يراجعه ويحققه خدمه للعلم وتمهيدا للطبع في المستقبل اذا سنحت الظروف، فالمتبقي الموجود هو النزر اليسير جداً ونخشى ان تستمر الارضة في التهامه.

اما الاجازات الشائعة فلها اصل موجود وهي في حقيقتها ليست اجازات كما هو معروف وانما هي عبارة عن ذكر اسماء لبعض اشخاص من الذين تلق واخذ عنهم في جميع بقاع الارض والذين اخذوا عنه تلقيا ودراسة. وقد رأيت من بين الذين درسوا عنده واخذوا عنه الجد المغفور له علي بن احمد بن شهاب.

اما مؤلفاته ومذكراته التي لا تزال مخطوطة فقد عثرت من بينها على كتاب بعنوان «عظة وذكرى» راجعته فوجدته اوراقا مهلهلة لقدمها اولا وعدم الاعتناء بها ثانيا ومن اسم الكتاب يتضح فحواه، واحسب انه كتبه وصية لمن بعده. كما وجد ديوان شعر لوالد المترجم له فيه من الشعر الحكمي والحميني وهي في منتهى الروعة في عباراته ومعانيه مما يدل على علو مستوى الادب والشعر في ذلك العصر. ولد عام ١٢١١هـ ووفاته عام ١٢٩٠هـ.

احمد ضياء شهاب

في مذكرات السيد ابن شهاب ذكر بعض اسماء مشايخه الذين تلقى عنهم واجازوه ومن هؤلاء:

١ ـ والده العارف بالله عبدالرحمن بن محمد بن شهاب.

٢ ـ العلّامة الحبيب عبدالله بن علي بن شهاب عن السيد احمد بن حسن الحداد.

٣ ـ الحبيب علي بن شيخ بن شهاب.

٤ ـ العلّامة عبدالله ابن الحسين بلفقيه.

٥ ـ العلّامة القاضي محمد بن علي الشوكاني اليمني.

٦ ـ العلّامة احمد باسودان الحضرمي.

٧ ـ الحبيب حسين بن احمد الحداد.

٨ ـ الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي.

٩ ـ الحبيب احمد بن محمد المحضار.

١٠ ـ الحبيب عبدالقادر بن احمد بن طاهر وبه حصل الاتصال باسناد.

١١ ـ العلامة طاهر بن الحسين بن طاهر.

١٢ ـ العلّامة عبدالله بن الحسين بن طاهر.

١٣ ـ السيد عمر بن عبدالرحمن بن شهاب اخو المترجم له وواضع كتاب الشجرة.

١٤ ـ الشيخ محمد بن عبدالله باسودان الحضرمي.

١٥ ـ العلّامة احمد زيني دحلان المكي.

١٦ ـ العلّامة العارف بالله حامد بن عمر بافرج.

١٧ ـ الشيخ احمد المكي. وله منه اجازة واسعة في اسانيد طرق الحديث والتصوف ومصنفات المتأخرين.

١٨ ـ السيد ابو الهدى الصيادي الرفاعي في الطريقة الرفاعية.

١٩ ـ الحبيب العارف بالله ابو بكر بن عبدالله العطاس في الطريقة العلوية.

وغير هؤلاء كثيرون ممن نالته بركاتهم ونفعته دعواتهم وسرت اليه افادتهم واسرارهم.

اما تلامذته الذين اخذوا عنه تلقيا ودراسة فقد اجازهم اجازة عامة في رواية جميع مصنفاته ومروياته باسانيدها المعتبرة كما هي من كتب الحديث والتفسير والاصول والفقه والتاريخ والمنقولات والادب والاوراد المتداولة الواردة من ساداتنا ائمة الصوفية، والعمل بما استطاعوا من الطرق المشهورة لكبار ساداتنا العلويين، واقتفاء مناهجهم بمقتضياتها وقوانينها كما اجازه في ذلك جميع مشايخه المتقدمين المشهورين. ومن الذين يجلهم والده العارف بالله عبدالرحمن بن محمد بن شهاب كما اجازه بجميع ما ذكر مشايخه الاعلام، فقد اذن لمريديه ان يرووا عنه ما شاؤا فيما حوته اثباتات أُولئك الفضلاء وان يعملوا بما يستطيعون وبما يرغبون فيه من اوراد طرقهم ووظائف سلوكهم ولهم ان يجيزوا من شاؤوا فيما يشاؤون.

وممن ذكرهم السيد ابن شهاب من تلامذته:

١ ـ احمد بن عمر بن يحيى.

٢ ـ عمر بن احمد بن علي بافقيه.

٣ ـ محمد بن عقيل بن عبدالله بن يحيى.

٤ ـ عبدالله بن محمد صدقة زيني دحلان.

٥ ـ محمد بن عبدالرحمن بن علي بن شهاب.

٦ ـ علي بن عبدالرحمن الحبشي.

٧ ـ ابو بكر بن علي بن شهاب.

٨ ـ علي بن احمد بن محمد بن شهاب.

٩ ـ عقيل بن عثمان بن يحيى.

١٠ ـ عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف.

١١ ـ حسن بن عبدالله بن عبدالرحمن الكاف.

١٢ ـ عبدالله بن حامد الصافي.

١٣ ـ عبدالله بن عمر بن احمد الشاطري.

١٤ ـ عيدروس بن محمد بن هارون بن شهاب.

١٥ ـ محمد بن عبدالله بن عبدالرحمن بن شهاب.

١٦ ـ عبدالرحمن بن عبدالله بن عبدالرحمن بن شهاب.

١٧ ـ مرتضى بن ابي بكر بن شهاب.

١٨ ـ احمد بن عمر بن عوض الشاطري.

١٩ ـ حسن بن عمر بن عوض الشاطري.

٢٠ ـ محمد احمد الخطيب.

٢١ ـ ابو بكر بن احمد الخطيب.

٢٢ ـ عيسى بن محمد بن عقيل بن يحيى.

٢٣ ـ حمزة بن محمد بن عقيل بن يحيى.

٢٤ ـ علي بن محمد بن عقيل بن يحيى.

٢٥ ـ عباس بن محمد بن عقيل بن يحيى.

٢٦ ـ محمد بن احمد بن عمر بن يحيى.

٢٧ ـ عبدالله بن احمد بن عمر بن يحيى.

٢٨ ـ حسين بن مرتضى بن شهاب.

بعد ذكر هذه الاسماء لبعض تلامذته ومريديه الذين اخذوا عنه دراسة وتلقيا، اوصاهم السيد ابن شهاب بالتقوى لله عزوجل في السر والعلن لانها السبب الاقوى الموصل الى خيرات الدنيا والاخرى. وان يتخلقوا بالاخلاق الحسنة ويتخلوا عن

اضدادها وذكرهم جميعا ان لا ينسوه من صالح دعواتهم في حياته وبعد مماته فانه الى ذلك شديد الاحتياج. وهو لهم داع مادام على قيد الحياة في هذه الدار.

وخـ وصيته هذه بقوله:

«وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين. وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين واصحابه المهتدين وتابعهم الى يوم الدين وعلينا معهم وفيهم. آمين. آمين».

كتبت هذه الوصية بقلم السيد ابن شهاب بتاريخ ٣ من شهر محرم الحرام عام ١٣٣٧هـ.

* * *

هذه خلاصة وصية السيد ابن شهاب التي عرف عنها أنها اجازته لمن ذكر اسماءهم من بعض تلامذته ومريديه نقلت باختصار عن الاصل الموجود لدى حفيد المترجم له السيد عمر بن علوي بن شهاب، وقد نقلها عن الاصل احمد ضياء شهاب في ٢٨ شعبان ١٤٠٢ هـ.

مناوئوه:

بُلي السيد ابن شهاب بمكر الاستعمار الانجليزي والاستعمار الهولندي الحقود، وابتُلي بعملاء الاستعمار المرتزقة ممن يتخذون الدين مطية لاغراضهم ومصالحهم الخاصة، كما ابتلي بالمتزمتين اصحاب العقول المتحجرة. كل هؤلاء اتفقوا على محاربة السيد ابن شهاب ومقاومته بشتى الطرق ومختلف اساليب المكر لاجتثاث مشروع حركة النهضة الاصلاحية من جذوره، ولكن هل نجحوا؟ وما هو برنامجه؟

البرنامج الاول لمشروع النهضة الاصلاحية هو البرنامج الاصلاحي العام، الذي يشمل نشر العلم والتوعية وتطوير المجتمع الى مستوى افضل وازالة المفاهيم البالية.

وعلى هذا الاساس يمكن تلخيصه بالنقاط التالية:

١ ـ نشر التعليم بفتح المدارس والمعاهد العلمية.

٢ ـ اعداد جيل واعٍ من الشباب المثقف.

٣ ـ تكوين نواة من الجيل الواعي ليرعى الجيل من بعده.

٤ ـ ترك المتزمتين اصحاب العقول المتحجرة التي لا امل منها وتنحيتها من الصف.

٥ ـ بعث روح التحرر والوعي والشعور بالمسؤولية.

٦ ـ ان يشعر كل فرد من افراد المجتمع بمسؤوليته نحو قومه ووطنه ودينه وان لا يكون عالة.

٧ ـ غرس حب الجهاد في الفرد لاصلاح المفاسد والايثار لرعاية المصالح العامة.

٨ ـ الاستعمار بشتى اوضاعه هو العدو الاول ويجب مقاومته.

من اجل تحقيق نجاح هذا البرنامج جندت الطاقات وبذلت الجهود، وليس من السهل تحقيقه في مدة وجيزة بين امة لا تزال ترى الخير شرا والباطل حقا والتزمت فيها مستحوذ على العقول ثم بين اعداء يرون ان مصالحهم في احباط هذا المشروع الاصلاحي.

يعرف دهاة الاستعمار خطر هذا المشروع على مصالحهم لأنه يمكن ان يزعزع اقدامهم ويقلق مضجعهم، فقرروا هدم هذا المشروع من اساسه قبل استفحاله فحاكوا المؤامرات الماكرة ضد السيد ابن شهاب بصفة غير مباشرة لانه هو العقلية المدبرة والرأس المفكر، لينهار المشروع من اساسه، وفات على دهاة المستعمرين ان وراء المشروع شخصيات قوية ورجالاً بلغوا القمة من الدهاء.

كان المستعمر يتحاشى المجابهة المباشرة خوفاً من التورط في مشاكل داخلية عويصة معقدة، وبموجب نصائح المستشارين من المستشرقين اصبح في الامكان تحاشي

تلك المشاكل باتخاذ طرق اخرى من سياسة اللف والدوران لتحطيم شخصية السيد ابن شهاب نفسه، ففي المرحلة الاولى تمت اثارة حفيظة المتزمتين ثم اثارة المسائل الدينية الخلافية بين المسلمين واتهام السيد ابن شهاب انه اوجد عقائد جديدة مستحدثة ليست من الاسلام في شيء.

وجد المستعمر من عملائه تجاوبا حارا، وكان هذا التجاوب هو الارض الخصبة الصالحة لاثارة الفتن وبلبلة الافكار، فاشعلوا نارها والهبوا اوارها، واذا بالمستعمر يرى بوادر الخلافات وتفرق المسلمين وان لكل فرقة اعواناً، واذا بالمستعمر يكتشف بعد لأي ان الذين يناصرون مشروع النهضة الاصلاحية ويعضدونه ويعينونه هم رجال لهم مستواهم الراقي في المجتمع وشخصيات مخلصة و بارة للسيد ابن شهاب، بينما لم يكن للمتزمتين والعملاء حيلة إلا الاعتماد في كل شيء على المستعمر، فضاعف المستعمر بذل المال لاذكاء نار الخلافات حتىٰ تبقى مشتعلة لا تنطفئ ولا تهدأ.

لا ريب ان السيد ابن شهاب قد تعرض كما تعرض غيره من الزعماء المصلحين للاذىٰ والعدوان والتقول عليه زورا وبهتانا، ومعاداته ظلما وطغيانا. فأوجد العملاء الفتن العمياء لحقد منهم عليه او لتزلفهم الى المستعمر. اتهموه بالتخريب ونبزوه بالمروق من الدين وبالزندقة ونشر البدع الضالة، كالوا عليه السب والشتم بالالفاظ المستهجنة وبانه مبتدع ضال ومضلل، وانه جاء بمستحدثات الآراء والافكار النابية التي لم تكن معروفة ومألوفة، وانه صار مخالفا لطريقتهم ومعاكسا لمسالكهم وطقوسهم التي نشأوا عليها، وكان منطقهم ان كل شيء لا يألفونه فهو بدعة وزندقة وهو المروق من الدين وهو الكفر والشرك بعينه، الذي يجب أن يجرىٰ على مقترفه حكم القتل.

في هذا الجو الموبوء بالامراض الفكرية والمشحون بفساد العقائد الدينية، صدع السيد ابن شهاب بدعوته الاصلاحية لتركيز حقيقة المفاهيم الاسلامية الصحيحة. فالنتيجة الحتمية لكل دعوة اصلاحية ان تقابلها مقاومة معاكسة من ذوي الاهواء

واصحاب المصالح الذاتية وارباب الاغراض، ممن يسمون انفسهم زعماء وقادة ومن ورائهم من بيدهم السلطة والسطوة الذين يحافظون على مكانتهم ويخشون فقدانها.

فمن الطبيعي ان يتعرض السيد ابن شهاب لمتاعب جمة، فعانىٰ ما عاناه من مكر الاستعمار ومقاومة المناوئين وخبث العملاء، ليصدوه عن عمله، ولكنه تخطى العراقيل وتحمل مشاق العبور ولم ييأس من عنف المقاومة ولم تضق به الارض ذرعا مما لاقاه ويلاقيه وظل صابراً. وقد ذكر ذلك في بعض قصائده اذ يقول:

ايطيب عيش واللئام تسوؤني حسدا وبغضا ولا ورب الخالق
فيم المقام بارض ذل بين من من شانهم انكار فضل السابق

عرف عن السيد ابن شهاب الصبر والاناة والقناعة والحكمة وعدم التسرع في اي عمل يقوم به، وعلى الرغم من ذلك فقد ضاقت به الارض ولم يتمالك نفسه عندما تشرف بزيارة الرسول الاعظم النبي محمدﷺ ووقوفه امام الروضة المقدسة والمقصورة النبوية الطاهرة بالمدينة المنورة. شكا للنبيﷺ قساوة معاملة بني قومه له، فجاشت نفسه بقصيدة من اعماق قلبه انشدها جهارا امام الضريح المقدس الشريف بكل احساساته وروحه نقتطف منها ما يلي:

وقد مسني من اهل بيتي وبلدتي اذى فكثير منهم اكثروا العدوا
فكن منصفي فالصبر ضاق نطاقه وخذ لي بحقي يا بن ساكنة الابوا

رحمه الله لقد قاسىٰ الامرين من عداوة بني قومه الذين ناصبوه العداء وقاوموه مقاومة باعمال دنيئة سافلة وباساليب ساقطة فاحشة. كان المفروض منهم ان يعتزوا به، فهو الذي سعى لخيرهم ونفعهم ودافع عنهم وعن حقوقهم وخدمهم وكان يريد لهم الخير العميم، ولكن كان جزاؤه الجحود والانكار.

فكيف يمكن لشريف ان يعيش مقيماً بين اناس جبلوا على الشر. دابهم نهش الاعراض الشريفة وبذر بذور الفتن واختراع الاقاويل وتلفيق التهم الباطلة. وقد

وصفهم بقصيدة له حيث يتجلى موقنه وهو يتحداهم. نقتطف منها ما يلي:

هــل في القــضية ان اقـيم بـبلدة ... يخـشى الكـرام بهـا اذى اوغـادها
في الارض مـــتسع لحـــر نــفسه ... عـصماء يأمـن مسـتحيل كسـادها
فــلتتكل الغـــنا حــلولي دورهــا ... وعـلي فـلتلبس ثـياب حـدادهـا
فســنام اي الارض اذهب مـنزلي ... ولي النــدامـى الغـر مـن امجـادها
اني لتكــرمني الاســـود بـارضها ... لشريـف مـنزلتي وعـظم مـفادها

علم قومه الذين يناصبونه العداء انه التي قصيدته امام المقصورة النبوية الطاهرة، وتناقلت الالسن هذا الحادث فذاع وشاع الخبر أن السيد ابن شهاب هجا قومه وهاجمهم عند زيارته لضريح الرسول الاعظم، وامام الملأ من الزائرين. أُصيب البعض من قـومه بالخوف والرجفة والوجل، بينما استمر الآخرون متمادين في عداوتهم له.

ان الاحمق اللئيم الذي لا طاقة له في مجابهة رجال الحق ولا دراية له ولا عـلم. يلتجيء دائما الى السباب والشـ والقذف بكلمات مستهجنة والفـاظ بـذيئة مـن وراء الحجاب، وهو سلاح العاجز السافل.

والسيد كان يسخر من اولئك القوم ويضحك من عقولهم لانهم لا يرون الحق مهما كان واضحا جليا. يقول السيد فيهم:

ومن المضحك الغريب اقـتحام البـ ... ـــغل بــين الفـــوارس المـضمارا

ويقول في قصيدة اخرى له ما يقرب من هذا المعنى أي عدم إطاقة العيش بـين المنافقين:

علام التمـادي في مكـابدة البـلوى ... وحتام ادمان التجافي عـن المـاوى
ومـــن عـــجب اني نـــزيل بـبلدة ... شمائـل اهـليها الحـماقة والدعـوى
يخـــالون مـن فـرط الغـباوة انهـم ... من المهيع المحمود بـالغاية القـصوى
يـــعيبون مـــا لو ادركـوا مـنه ذرة ... لتاهو بـه عـجبا وسـاروا له حـبوا

يرون من العار الفصاحة بالفتى — وليس بعار منهم اللحن والإقوا
يقولون مهما جئت بالحق ان ذا — اخو جدل يستوجب السب والهجوا
غنيون عن كسب العلىٰ برسومهم — وبالبصل اعتاضوا عن المن والسلوى
اماني سوء سولتها نفوسهم — يزيّنها الشيخ الذي شأنه الإغوا
ومهما سبرت الشخص منهم وجدته — على كبره صفرا من العلم والتقوى
فمن شرفات الفضل لما تزيلوا — الى دركات الجهل اهوتهم الاهوا
إلىٰ الله اشكو غربتي بينهم فما — الى غيره من مثلهم تنفع الشكوى

في كل بيت من هذه القصيدة بل وفي كل كلمة من كلماتها يشعر القارئ ويلمس مدى الشكوى والاذىٰ مما يكابده السيد من بني قومه، وعليه فانه يحث الشريف ان يرحل من بلد اهلها يذلوه ويعاكسه قومه والكريم لن يرضى تحمل الضيم.

واذا ما الكريم آنس ذلا — في بلاد فليعن بالارتحال

ثم يصف السيد هؤلاء الحمق المغرورين المعجبين بانفسهم الرافضين الحق بغير علم ولا بصيرة بهذه الابيات:

ارايت احمق من جهول يدعي — ما ليس فيه ويعقد الايمانا
ينهى ويامر وهو يحسب غيّه — رشدا وسيئ فعله احسانا
عبثا يناظر زاعما رجحانه — يهذي به فيضاعف الخسرانا
لم يرض قول نبيه فيما قضى — اشياخه حكما ولا القرآنا
يسعى بغير بصيرة فيزيده — طلب المزيد بسعيه نقصانا
ركب الاتان وظن ان اتانه — يوم الرهان تسابق الفرسانا
يملي على اسماع زمرة باقل — هذرا فيعتقدونه عرفانا
ويتيه متخذا اولاك البله ان — شهدوا له بخرافة برهانا
ويعيب كل فضيلة لم ترضه — كفواً ويكفر حسنها الفتانا

والنقص يبذر في القلوب عداوة   لذوي الكمال ويورث الشنآنا
واذا امرؤ لا عقل يرشده ولا   ادب فكيف نعده انسانا

هذه الابيات من جملة قصائد السيد الكثيرة في هذا الموضوع وكأنه يصور الحمق والمغرورين الذين يناوئونه وينصبون له العداء بريشة الرسام الحاذق، فهل يمكن ان نعد هؤلاء من البشر؟

ان امثال تلك الفئة هي التي يستغلها المستعمر ويستخدمها لتنفيذ مخططاته، وتعددت المؤامرات على السيد بل حاول العملاء مرات اغتياله غدرا ولكنهم في كل مرة فشلوا وباؤوا بالخسران، وهم الذين يثيرون الكذب على السيد وينبزونه بالمروق من الدين.

كان هدف المستعمر من وراء تلك البلبلة الهاء السيد ابن شهاب واشغاله باولئك المناوئين وادخال الرعب عليه وتوريطه في الجدال والمناظرة التي لا نهاية لها وحتى لا يتمكن من التفكير الجدي في اعماله او مواصلة كفاحه لتنفيذ مشروع النهضة الاصلاحية.

هل نجح المستعمر في مخططاته؟

لقد فشل المستعمر في جميع طرقه التي سلكها والمخططات التي رسمها، اذ لم يمض على تلك المخططات نصف قرن من ذلك الحادث حتىٰ اندثر الاستعمار الهولندي وامحىٰ اثره من المهجر الشرقي كليا ولم يبق له إلّا سوء السمعة من الشنار والعار تتبعها لعنات الشعب عليه وعلى اتباعه، بينما ظل اسم السيد ابن شهاب وسمعته الحسنة في الاسماع، يذكره الجيل بعد الجيل بالرضا والترحم عليه يقرنون اسمه بالتعظيم والاجلال، اقواله تعاد وتقرأ، وقصائده تدرس وتتلى في المناسبات، يستشهد الناس باقواله ويتغنون

بشعره، كتبه معتمدة وحديثه حجة[1].

هذه المكانة المرموقة في حياة السيد ابن شهاب وبعد وفاته التي تبوأها عن جدارة واستحقاق، جعلت اعداء العلم يحسدونه ويناوئونه.

يتكون مناوئوا السيد ابن شهاب من عدة فصائل، النواصب والمتزمتون وعملاء الاستعمار وكانوا يتخذون اساليب مختلفة منها نبزه بالرفض[2] والزندقة في جميع المجالس العامة والخاصة في خطبهم واحاديثهم. ولكن ماذا يقول السيد ابن شهاب في اولئك الخراصين الذين يثيرون حوله الفتن العمياء والقلاقل؟ يقول السيد:

تخال الهدى والحق فيما تأولت	غرورا وترميني سفاها بذامها
وتنبزني بالرفض والزيغ ان صبا	اليك فؤادي في غضون كلامها
تلوم ويابى الله والدين الحجا	وحرمة آبائي استماع ملامها
فاني على علم وصدق بصيرة	من الامر لم انقد بغير زمامها

ويستمر السيد في الرد على تهم واقاويل المناوئين البغاة واهل الزيغ وادعياء العلم واعداء الحق الحمق الذين يناصبونه العداء، فيقول باعتزاز واعتداد وهدوء:

قال لي بعض مدعي العلم ممن	اضرم الحمق بين جنبيه نارا
هل ترفضت قلت لم ادر ما الرفـ	ـض لديكم حقيقة واعتبارا

(١) شرح السيد محمد الهاشمي التونسي الذي اتخذ المهجر الشرقي موطنا له فعاش وتوفي فيه، واصدر جريدة بوروبودور باللغة العربية وهو كاتب ومؤلف، شرح في كتابه بعنوان (ربع قرن في المهجر الشرقي) الحوادث التي عاصرها باسهاب مدعومة بالوثائق الرسمية والحجج، كما ان نقيب العرب الشيخ عوض شحبل في مدينة الصولو وهو احد زعماء الجالية الاسلامية وأحد قادة الحركة الاستقلالية جمع الوثائق وألف كتابا عن الحركات الاستقلالية والنهضة الاصلاحية بريادة السيد ابن شهاب فصله تفصيلا، وشرح مكر الاستعمار الهولندي وما للاستعمار من عملاء خونة. وكلا الكتابين لا يزال مخطوطاً.

(٢) الرفض كلمة يطلقها النواصب والبغاة على كل محب وموال لآل البيت النبوي الطاهر عليهم السلام. وللنواصب ومن لف لفهم او من على شاكلتهم واتباعهم اقوال غريبة كلها اكاذيب ملفقة للحط والاهانة والازدراء لآل النبي الاعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

فـــرفيع مـــقام قـــومي وســـام ان يجـــاروا الســفيه والمــهذارا

غـير ان الضرورة اقـتضت الايـ ـضاح فـالصمت يـوهم الاقـرارا

فــاستمع مــا اقــوله ثم قـل مـا شـئت بـعد اعـتذارا او انكـارا

ان لي مـــن تمسكـي بكـتاب الله مــــا اتـــقي بـــه الاخـــطارا

ولمـا صـح مـن حـديث ابي القـا سم انـــقاد راضـــيا مخـــتارا

مذهبي مـذهب الوصي ابي السبـ ـطين فــالحق دائـر حـيث دارا

اعـــلم الصـــحب للـــمدينة بـاب كـــم بـــه الله ارغــم الكــفارا

وتمسكت بــــــالشهيدين اني ســائر في عــقيدتي حـيث سـارا

اشرف العـــالمين امـــا وجـــدا اطـــيب النـــاس عـــنصرا ونجـارا

ويسترسل السيد في قصيدته هذه الى ان يقول:

انــــنا ايهــــا المــــغفل نــقفو هــــؤلاء الائمـــة الاطـــهارا

اعـــلم النـاس بـالكتاب وبـالسنـ ـة حـيث الهدى هـناك استنارا

هـــؤلاء الاعـــلام اشرف بـيت في الورى بـيتهم واعـلىٰ مـنارا

ان يــطوفوا نـطف ونسـتلم الركـ ـن ونـرمي كـما رمـوها الجمارا

لا بد لنا هنا من وقفة ولو قصيرة مع معنى ومفهوم كلمة (العلويين). العلويون هم السالكون طريقة آل البيت النبوي ﷺ يوالون من والاهم ويعادون من عاداهم، على نهج ائمتهم واسلافهم، وهو الاعتصام بالكتاب والسنة النبوية الصحيحة، والوصي هو الامام علي ابن ابي طالب ؑ سماه النبي محمد ﷺ بذلك وأنه خليفته من بعده.

وقول السيد ابن شهاب: هؤلاء الاعلام اشرف بيت، الى آخره، لانهم من اهل بيت النبي محمد رسول الله ﷺ وكفاهم بذلك فضلا مع ما لهم من جليل الفضائل والمناقب والمكارم التي لا يحصيها قلم كاتب ولا عدّ حاسب.

يستطرد السيد ابن شهاب في قصيدته ويوجه سؤاله الى ذلك السائل فيقول:

ايها الغمر هل سؤالك ايا ... ي لجهل ام خفة واغترارا
ان تقل ما به يدينون رفض ... فهو ديني عقيدة وائتمارا
او تقل اخطأوا المحجة فاذهب ... خاسئا لا تعود الا حمارا
اعلى الحق تجتري ام عليهم ... كيف تسري سرىٰ النسور الحبارى
عن ابيهم اتى الهدى ثم عنهم ... يستلق ويودع الاسفارا
فهو في دورهم وفيهم عريق ... ولدى غيرهم يرىٰ مستعارا
ما من الشام جاء او ارض طوس ... او سمرقند او اتى من بخارىٰ
ديننا حب اهل بيت رسول ... الله حبا يكفر الاوزارا
هذه السنة التي امر الله ... بها الناس صبية وكبارا
ونهاهم عن التولي لمن نا ... فق او جد في الفساد وجارا
ما تريدون بعد انا شرحنا ... ما الصدور انطوت عليه مرارا
هل تسوموننا انتقاص علي ... فنغيظ المهيمن القهارا
او على ابنيه نجتري وسخيف ... من يعيب الشموس والاقمارا
ام تريدون ان نحب ابن هند ... وعن النص مثلكم نتوارى
لم تجد مؤمنا كما اخبر الله ... محبا من حارب الجبارا
وحديث النبي اقوى عرى الايـ ... ـمان في الله بغضنا الاشرارا
حارب المرتضى وسم سبط الـ ... ـمصطفى بئس ما ارتضاه قرارا
يقتل الصالحين صبرا كحجر ... يأكل الفيء يلعن الكرارا
فهو باغ ولا كرامة للبا ... غي ومن ناره الشرار استطارا
وتمادى يعيث فيهم فسادا ... وعلوا في الارض واستكبارا
خاض لج الضلال عشرين عاما ... ثم ولى يزيده الخمارا
وتقولون باجتهاد مثاب ... يا لهذا معرة وشنارا

لو يكـون الذي زعـمه صـوابـا لارعــوى بـعد قـتله عـمارا

وللامام محمد بن ادريس الشافعي اقوال تضمنتها قصائده عن مواقفه وعقيدته الصريحة يعرفها الكل ما عدا المكابر فمن قوله:

ولما رأيت الناس قـد ذهـبت بهـم مـذاهـبهم في ابحـر الغـي والجـهل
ركبت على اسم الله في سفن النـجا وهم اهل بيت المصطفى خاتم الرسل
وامسكت حبل الله وهـو ولاؤهـم كـما قـد امـرنا بـالتمسك بـالحبل
اذا افترقت في الدين سبعون فـرقة ونيف كما قد جاء في محكـم النـقل
ولم يك نـاج مـنهم غـير فـرقة فقل لي بها ياذا الرجـاحة والعـقل
افي الفـرق الهـلاك آل محـمد ام الفرقة اللاتي نجت مـنهم قـل لي
فان قلت في الناجين فالقول واحـد وان قلت في الهلاك حفت عن العدل
اذا كان مـولى القـوم مـنهم فـإنني رضيت بهم لا زال في ظـلهم ظـلي
فـخل عـليا لي امـاما ونسـله وانت من البـاقين في اوسـع الحـل

ويقول الشافعي ايضا:

يا راكباً قـف بـالمحصب مـن مـنىٰ واهـتف بـقاعد خـيفها والنـاهض
سحراً إذا فـاض الحـجيج إلى مـنىٰ فـيضاً كـملتطم الفـرات الفـائض
ان كـان رفـضاً حب آل محـمد فـليشهد الثـقلان اني رافـضي

ويقول الشافعي ايضا:

قـالوا تـرفضت قـلت كـلا مـا الرفـض ديـني ولا اعـتقادي
لكـن تـوليت دون شك خـير امـام وخـير هـادي
ان كـان حب الوصي رفـضا فـإنني أرفـض العـباد

ويقول الشافعي ايضا:

احسـن مـن عـود ومـن ضـارب ومـن فـتاة نـاهد كـاعب

ومـــــن مـــدام في قـــواريـــرها　　　يـسـعى بهـا الـسـاقي الى الشـارب

ومـــن صهـيـل الخـيل في مـعمع　　　وضــارب يـسـطو عـلى ضـارب

احســـن مـــن هـــذا وهـــذا وذا　　　حب عـــــلي ابـــن ابي طـــالب

لو فـــتشوا قـــلبي اصـــابوا بـــه　　　ســـطرين قـــد خـطا بـلا كـاتب

العـــدل والتـــوحيد في جـــانب　　　وحب اهـــل البـيت في جـــانب

ومن ابيات الشافعي المعروفة المتداولة بين الجميع قوله:

يـــا آل بـــيت رسـول الله حـبكم　　　فـــرض مـن الله في القـرآن انـزله

يكـفيكم مـن عـظيم القـدر انكـم　　　مـن لم يـصل عـليكم لا صـلاة له

وله ايضاً:

اذا في مجـــــلس ذكـــــروا عــــليا　　　وســـــبطيه وفـــــاطمة الزكـــيه

يـــقال تجـــاوزوا يـــا قـــوم هـذا　　　فـــهذا مـــن حـــديث الرافـــضيه

بـــرئت الى المـــهيمن مـن انـاس　　　يـــرون الرفـــض حب الفـــاطميه

ثم فصل السيد ابن شهاب الاوضاع الارهابية في ذلك الحقب الذي ادعوا كذبا وزورا أنه خير الاحقاب وخير عصور المسلمين، فقد بدلت الاحكام الشرعية الالهية الى احكام طغيانية، كتغييرهم اساس الحكومة الاسلامية فنقلوها مـن الشـورى الى الاستبداد ومن الخلافة الى الملك، وتغييرهم احكام الاسلام في الشؤون المالية فجعلوا بيت المال ملكا لهم يتصرفون فيه كما شاؤوا بعد ان كانت وقفا على المسلمين حتى صار نصفها اقطاعات بايديهم في مشارق الارض ومغاربها، كما قال عمر بـن عـبدالعـزيز، وكاستيلائهم على الخمس فاحتجزوه دون ذوي القربى واليـتامى والمسـاكـين وابـن السبيل، وكتبديلهم بعض احكام الحج والصلاة، فكانوا يصلون الجمعة قـبل الغـروب وكتركهم الجهر بالتكبير ونظائر ذلك مما يطول شرحه وطغوا عـلى خـيار الامـة قـتلا وتطريداً وذلك مصداق حديث حذيفه: «لا تقوم الساعة حتى تقتلوا امامكم وتجتلدوا باسيافكم ويرث دنياكم شراركم وهم بنو امية واتباعهم». وحديث: «ما اختلفت امة

بعد نبيها الا ظهر اهل باطلها على اهل حقها».

لا فرق بين من غيّر الاحكام الاسلامية وبين من يجعل من الاسلام وسيلة وكلهم حاربوا الاسلام وافسدوا وطغوا وبغوا وتمادوا في الفساد والافساد. يقول السيد ابن شهاب:

غيروا بدلوا طغوا وتعامى   حاملوا العلم خيفة واضطرارا
الف شهر تمتعوا ثم حقت   نقمة الله فاستحقوا الدمارا

يتساءل السيد ابن شهاب عن أُولئك الزمرة الذين جبلوا على حب الفساد حاملين علم الباطل بفخر وافتخار:

هل ترى عالم الخفيات يرضى   ما صنه ويقبل الاعذارا
ومن الخجل احتجاج اناس   باحاديث تشبه الاسمارا
ساقهم نصبهم اليها افتراها   ورواها من يعبد الدينارا
ولهم كم مقلد رام ربحا   لم يزده التقليد الا خسارا
اين ربح الذي يرى القار مسكاً   يقتني او يرى النحاس نضارا

واختم السيد قصيدته هذه التي اخترت منها تلك الابيات لعلاقتها بالموضوع، بقوله:

ربنا افتح بين الجميع بحق   وارفع الخلف بيننا والشجارا
واهدنا اقوم السبيل ولا تحـ   ـمل علينا اصرا ولا اصرارا
وارفع الضنك عن عبادك والبأ   ساء وارحم وارخص الاسعارا
وصلاة على نبيك طه   اعظم الرسل رتبة وفخارا
وعلى العترة الكرام امان الا   رض من ان تميد او تنهارا
وعلى الصحب من لنصر رسول   الله ساموا النفيس والاعمارا
وعلى التابعين ما غرد القمـ   ـري او ناوح الحمام الهزارا

مع المناوئين وجها لوجه

اذا حضر السيد ابن شهاب مجلسا من المجالس او مجتمعا من المجتمعات كان هو قطب الرحا، واذا تحدث سيطر على الجلسة، والجمع حوله يستمعون له استماعا باصغاء لئلا تفوتهم كلمة، فلا تسمع كلاما غير كلامه ولا صوتا الا صوته، ولا يستطيع احد ان يهمس لمن بجانبه. تتضاءل كل الشخصيات امام شخصيته، ولا يجرؤ احد حتىٰ مناوئوه علىٰ اعتراض حديثه امامه. وعلى رغم تلك الشخصية القوية فقد عرف عنه الحلم واللطف وسعة الصدر وحسن المعاشرة.

حدثني العلامة والبحاثة المحقق السيد عبدالله مدحج في حيدر آباد عند اجتماعي به في منزل المغفور له السيد ابن شهاب وامام جمع من الحاضرين، وهو من جلساء السيد ابن شهاب والملازمين له، حدثنا عن السيد ابن شهاب قائلا:

شاهدت في احدى جلسات العامة زمرة من المناوئين، ما كان احد منهم يحضر جلسات السيد من قبل. رأيتهم قلقين غير هادئين وفي حالة نفسية من الاضطراب وحركاتهم غريبة وفي وضع غير طبيعي، ربما كان في انفسهم شيء يضمرونه، فاقتربت منهم وسمعت احدهم يتحدث بصوت مسموع وهو يقول: الآن سنغيض ونجرح اعصاب الرافضي ونريه وجهه امام هذا الجمع. واجابه الآخر: بل سنجعل اليوم مكانته هي السفلى. رأيت المتكلم يتحدث وهو يرتعد وقد اصفر لونه ولكنه يتوعد ويهدد، وقلت في نفسي: ان امراً هاماً سيحدث. وبينما نحن كذلك اذا السيد ابن شهاب يصل ويدخل القاعة الغاصة ويسلم على الحاضرين وارتفع صوت رد التحية من الحاضرين وارتجت القاعة، ونظرت الى اولئك المناوئين وقد اخذهم الخوف والرجفة واصبحوا في حالة من الاضطراب.

هدأت القاعة فجأة بعد رد التحية من الحاضرين فاسرعت واقتربت من السيد ابن شهاب قبل ان يلقي محاضرته عليهم، فهمست في اذنه بما رأيت وسمعت، خشية من حدوث أمر لا بد من اتخاذ الاحتياطات اللازمة لدرئه، فاجابني السيد بقوله: كن مطمئنا وخذ مقعدك في مجلسك، واخذ السيد ابن شهاب محله الاعتيادي وبدأ يلقي محاضرته وهو في غاية الهدوء كعادته. دامت المحاضرة ما يقرب من ساعتين، وبعد انتهاء المحاضرة قدم اليه بعض الحاضرين اسئلة فأجابهم عليها.

بعد انفضاض الجلسة خرج القوم وتفرقوا، ورأيت الزمرة المناوئة يتشاجرون فيما بينهم وكل واحد منهم يلقي المسؤولية ويتهم الآخر بالجبن والخوف والمراوغة وعلا صوتهم، مما لفت السيد وهو يشعر بامر غريب غير مألوف فدعاهم السيد ليقتربوا اليه، فجاؤوه صاغرين خجلين. سألهم السيد بعد الترحيب بهم وتحدث معهم لكنهم ظلوا صامتين ورأيتهم يكبون على يدي السيد وخرجوا من عنده منكسرين واخذ كل منهم طريقه، ولا اعلم بماذا كلمهم السيد.

هذه خلاصة حديث السيد المدحج.

عندما يفقد الانسان الجرأة في مواقفه امام خصمه وجها لوجه يلجأ الى الغدر والاحتيال والسب والشم من وراء الستار. فالسيد ابن شهاب تعرض مرات لامثال تلك المقاومة بل حاولوا اغتياله والفتك به مرات، والغريب انه بعد مضي فترة من الوقت يأتي اليه الغادرون صاغرين تائبين يعترفون بما كانوا ينوون عمله ضده من اغتيال وطالبين منه العفو، فيصفح عنهم السيد ويقبل عذرهم.

كانت وثائق الاعترافات تدل دلالة واضحة وتبرهن ان تلك المحاولات كانت بايعاز من السلطة المستعمرة الحاكمة للتخلص من السيد ابن شهاب. فشلت المحاولات وافتضح كيد المستعمر الذي سخر عملاءه لمناوأة السيد بالمخططات لهدر دمه لانه في حسابهم من الكفرة الذين يثيرون الفوضى.

والخلاصه ان السيد ابن شهاب نجح في كفاحه واثمر يانعا، ثم لقي ربه راضيا مرضيا. اما الاستعمار فقد قضي عليه قضاء تاما ابديا وخرج المستعمرون تودعهم الشعوب باللعنات. ومات مناوئو السيد حاملين معهم عارهم وشنارهم وخلفوا من بعدهم تاريخا قاتما، اما المتزمتون والنواصب والعملاء فلا زالت سلالاتهم تواصل اعمال اسلافهم وربما أخس مما كانوا يعملون من الخبث والحقد والضغينة. لقد كان هؤلاء آلة بيد الاستعمار البريطاني والهولندي لتنفيذ مخططاته، واستمرت هذه الحالة وصارت سلالاتهم اليوم آلة وعملاء لدول وسلطنات من اذناب الدول الكبرى الاوروبية واميركا. تلك الدول التي تدعي الاسلام تبنت المتزمتين والنواصب ليكونوا اداة ودعاة لتلك الدول.

رحم الله السيد أبا المرتضى بن شهاب فقد ادى الرسالة وخدم الامة وترك وراءه تاريخا ابيض ناصعا والكل يترحم عليه عند ذكر اسمه.

اطلعني العلامة السيد حسين بن حامد المحضار[١] علىٰ كتابه عن السيد ابن شهاب الذي تطرق فيه الى ذكر المناوئين والمعاكسين للمشروع الاصلاحي الذي قام به السيد ابن شهاب، ويسمي السيد المحضار هؤلاء المناوئين باعداء العلم، وننقل هنا حرفيا جملا بسيطة من كتاب السيد المحضار عن المناوئين:

... انهم حالوا بذلك بينه وبين ما كان يعتزم الدعوة اليه والقيام به من الاصلاحات العامة. وكان اهلا لان ينهض باعباء مطالب تريم[٢] العمرانية والثقافية

---

(١) السيد حسين بن حامد المحضار هو احد العلماء الاعلام، له عدة مؤلفات قيمة وهو بحاثة له عدة تعليقات على كثير من المؤلفات، اتخذ مدينة جدة بالحجار مقرا له. الف كتابا عن السيد ابن شهاب وهو من مريديه والمتفانين في حبه والدفاع عنه، والكتاب لا يزال مخطوطا.

(٢) تريم اسم مدينة في اليمن الجنوبي، وهي مدينة شهيرة بالعلم ووفرة العلماء وفيها معاهد علمية واربطة، وهي شبيهة بالنجف الاشرف بحوزاتها العلمية وقد قضي علىٰ هذه المدينة عندما استولى الشيوعيون على

←

والاجتماعية، ولكن اعداء العلم وقفوا بكل قواهم في طريقه وبمساندة ولاة الامور حينما خوفهم اعداء مشاريع ابن شهاب الاصلاحية واقنعوهم بانها ستكون في النهاية قاضية على سلطانهم.

ليس بعد هذا شك ان المناوئين المفسدين اعداء العلم بذلوا جهدهم لقطع طريق دعوة السيد ابن شهاب الاصلاحية، بكل سبل الخداع والمكر والتملق للتأثير على افكار الحكام ضد الاصلاح، باتخاذ القذف والتهم لتشويه سمعة السيد الحسنة واتهامه بالابتداع في الدين والمغالاة في آل البيت، وهذا ذنب لا يغتفر.

في مثل هذا الوضع الفاسد لا بد وان يظهر المصلحون لمحاربة الفساد والشر والفوضى، وقد ينجحون أو يفشلون لظروف معينة فيكونون ضحية كفاحهم.

المصلحون هم قلاع الحق وحماة بواسل ضد الباطل، إن نجحوا او فشلوا فهم عمالقة في حياتهم أو بعد مماتهم. اما المفسدون فخلقهم الغدر.

حدثني أحد جلساء السيد ابن شهاب الذين يعرفونه معرفة جيدة وهو الاستاذ محمد بن هاشم بقوله:

جاء شاب في السابعة والعشرين من عمره مفتول الاعضاء يتوقد حماسة، جاء هذا الشاب يطلب مقابلة السيد ابن شهاب، فقابله السيد بالاكرام وبعد السلام والترحيب قال هذا الشاب المتحمس وهو يوجه خطابه للسيد: ائذن لي ان القي درسا بالغا على اولئك المناوئين الذين يعادونكم ويعرقلون مساعيكم وينشرون الفتن ضدكم ويؤلبون الغوغاء عليكم، انهم يحاولون الفتك بكم واغتيالكم. اريد ان اوقفهم عند حدهم قبل ان يخطوا خطوة واحدة. فهدأ السيد ابن شهاب روع هذا الشاب المتحمس

← زمام الحكم فاغلقت المعاهد العلمية وصودرت دور العلم والاربطة الدينية الاهلية وغيرت المدارس والمكاتب وعوضت بمدارس حكومية لا دينية تدرس فيها الماركسية، فهرب العلماء يطلبون الامن من القتل والتعذيب، فقتل منهم من قتل وتفرق الطلبة وهرب الكثير منهم الى البلدان المجاورة.

الذي يتفجر غيرة وحماسة، ونصحه السيد بالتعقل والصبر والأناة وان لا يقدم على عمل يرتكبه فيتورط في امور اخرى قد تطول وتستفحل، فينتهز الاعداء والمناوئون تلك القضية لتكون في صالحهم لانهم يتهموننا بالمؤامرات الفوضوية، وقال له: اترك هذا الامر لي، وثق انه لن يستطيع احد ان يضرني بشيء ابدا الا بما قد كتبه الله علي ولو اجتمعوا كلهم، فالمولى العلي القدير هو الحافظ. واعاد السيد للشاب كلماته ليهدئه حتى اقتنع، وخرج الشاب صاغيا.

قال محدثي: ما رأيت احدا في الثبات كالسيد الذي عرف عنه الشجاعة والوفاء والكرم. يخرج وحيدا ويمشي منفردا في اغلب ايامه وهو يعلم ان مناوئيه يتربصون به بالمرصاد وقد يلتقي بهم فيحييهم ولا يسيء اليهم، وهذا برهان شجاعة السيد وقوة ايمانه وثقته بالله وما يتصف به من خلق عالٍ فهو رحيم رؤوف وفي. يهـ بامور المعوزين كما يهـ باسرته واهله وذوي قرباه، ويحسن الى الفقراء ويواسي المساكين وينفق على الايتام ويكسوهم ويسأل عنهم وينفق على الارامل.

جاءه يوما احد الشخصيات وقد تورط في دين عليه وحل موعد الوفاء وهو عاجز عن السداد لأنه خالي الوفاض لا يملك شيئاً، وان لم يسدد ما عليه فقد يتعرض للسجن، وسدت امامه الابواب ولم يجد مسلكا الا الالتجاء الى السيد ابن شهاب، فجاءه وهو مكسوف الوجه خجلاً من السيد وخائفا من السجن فرحب به السيد ورأى من وجهه انه يحمل هما دفينا، فافضى الرجل للسيد بحالته السيئة ووضعه المحرج، فما كان من السيد ابن شهاب الا ان دفع اليه المبلغ الذي يحتاجه ليسد به ديونه، واضاف اليه مبلغاً آخر ليقوم بما يحتاجه من مصاريف ونفقات. لم يرد السيد التماسه كما لم يرد التماس غيره، وهو المعروف بالايثار. وخرج الرجل شاكرا والدموع جارية من عينيه من شدة الفرح، وما كان يحسب ان الخير يصله ويتخلص من الخجل اذا لم يسدد المبلغ ويسلم من البلية والشماتة، وما كان احد يعرف بالامر لولا ان الرجل هو الذي تحدث للناس وذكر فضل

السيد عليه الذي انقذه من الورطة.

حوادث نعيش معها في حياتنا مليئة بالعبر، وما اكثر تلك الحوادث، ولكن قل من يعتبر ويتعظ، تمر امامنا تلك الحوادث او نقرأها على صفحات الصحف كما نشاهد السينما، ثم تكون في طي النسيان.

اناس جبلوا على حب الفساد فهم يستميتون للدفاع عن الفساد وحماية الظالم والدفاع عن الطاغي والطغيان، لان غريزتهم الفساد، والفساد متأصل فيهم والوحشية جزء لا يتجزأ من حياتهم، وهناك فريق آخر جبلوا على حب الخير، فهم يكافحون لتعزيز اركان الخير ويحاربون الظلم والطغيان والفساد، فهؤلاء ضدان لا يجتمعان، الخير والفساد والحق والباطل.

ولاجل ذلك كله كان السيد ابن شهاب يدعو الجميع الى الرغبة في طلب العلم وطلب المزيد من الثقافة وعدم التشبث بالقديم البالي والتقليد الاعمى فهو يدعو الناس الى الحق الصريح ويقول:

صحت في صحبي بمجلسهم	بين مثريهم ومفلسهم
جئت بالحق الصريح لهم	واضحا يتلى بمدرسهم
جئت من آى الكتاب ومن	خبر الهادي بمخرسهم
فابوا الا مكابرة	وتمادوا في تغطرسهم
عظموا اعداء خالقهم	وتناسوا خبث مغرسهم
اوّلوا نص الدليل بما	جاء في فتيا مدلسهم
هل كتاب الله تنسخه	نفثات من موسوسهم
او حديث المصطفى تبع	لهواهم في تهوسهم
آفة التقليد مهلكة	تخنق الاسرى بمحبسهم
بيد ان الاكثرين وقد	عرفوا تلويث ملبسهم

سكـــتوا جـــبنا وبـــعضهم حســـدا مـــن عـــند انـــفسهم

ما اكثر القصائد الوصفية والتوجيهية التي يقولها السيد لتلامذته او اصدقائه عن واقع الحال التي يعيش الجميع فيها، وكانت توجيهاته لهم تنم عن اسلوب تربوي قويم حيث يحث الجميع علىٰ الحزم والفطنة واليقظة والحذر من مكائد المناوئين ومكرهم ويجب ان يكونوا دائما اقوياء روحيا واثقين بالله وحده، فالقوي الشجاع لا ترهبه الاراجيف الباطلة ولا يخيفه مكر المناوئين ولا تذهله الاقاويل والفتن التي تحاك حوله والحازم يعرف كيف يتصرف امام مناوئيه واعدائه:

تغافل ولا تـغفل فـما سـاد غـافل وكـــن فـطنا مســتيقظا مـتغافلا
فكيد اعادي المـرء تـبدو رؤوسـه متى خاله الاعداء عـن ذاك ذاهـلا
واي امـــرئ فـوق البسـيطة سـالم من الضد لا يخشىٰ الاذىٰ والغوائلا
وذو الحزم يدري ما يـدبر خـصمه فـــيلبس درعـاً بـالسلامة كـافلا
وان طاش سهم عن ترائب غـافل فاحرى بـثان ان يـصيب المـقاتلا
ورب مسيء نادم تـاب وارعـوى وظـــنك بـــالامر المكـدر جـاهلا
ولو كـــان يـــدري ان هـفوته نمت الى علمك استحيىٰ واصبح راحـلا
فكن حازما في السر تسلم وغافلا عـــلانية تـــظفر بمـــا كـنت آمـلا

ان المتمعن يرى و يلمس ان خلاصة هذه التوجيهات القيمة التي رسمها السيد في قصيدته هذه لتلامذته ومريديه واتباعه الدهاء المتوقد واللباقة الدبلوماسية بحكمة وسداد رأي في مواجهة المناوئين من اصحاب الاهواء وذوي الاغراض وفي كيفية احباط اعمالهم. ولا عجب اذا فشل دعاة الاستعمار البريطاني والهولندي امام حنكة السيد ابن شهاب، وها هو يصف القوم واعمالهم وكيف حالتهم:

تـــباينت المـــذاهب واســـتطالت بهـــا الاهـــواء واحـــتدم النزاع
وضـــلل بـــعضهم بـــعضا وكـــل الى تـــبديع غـــيرهم سراع

قـصارى القـوم نـصر مـقلديهم ... ومحـض الحـق بـينهم مـضاع
الى التأويــل والتـحريف لاذوا ... فـذا كـذباً يـريك وذا خـداع
وخــالوا ان في التمــويه فـوزا ... وان الحـــق يـشرى او يـباع
لئن كــان اقـتفاء كـتاب ربي ... وســنة مـصطفاه والاتـباع
ضـلالا وابـتداعـا ان ديـني ... وان رغـموا الضـلال والابـتداع

لولا قوة عزم السيد ابن شهاب وشعوره بالمسؤولية وثـقته بـالله، لترك العمل والكفاح وتخلى عن قومه وتركهم يتخبطون في دياجير الفوضى والتأخر والفساد كـما يهواه الاستعمار. ولكن ابت نفسه الزكية وروحه الابية الا ان يواصل جهاده حتى نهاية عمره. لقد كان جهاده في جبهتين متوازيتين: الجبهة الاولىٰ امام اعدائه مـن المـناوئين والمتزمتين اعداء العلم، والجبهة الاخرى امام مكر المستعمر وعملائه وحيلهم الخفية من وراء الستار. وكلا الجبهتين متوازيتان لمحاربة السيد بينا السيد في دعوته الاصلاحيه إنما يحارب الجهل والفقر والمرض والجوع التي استحوذت على الشعب، وما دام المقاومون من الجبهتين يحاربون مشروع النهضة الاصلاحية فمعنى ذلك بـعبارة اوضـح ان الجـبهتين تدافعان عن الجهل وتريدان للشعب الفقر والمرض والجوع ليعيشوا في مجتمع فوضوي متأخر.

امام كل نهضة اصلاحية مقاومة، وامام كل حق باطل يحارب الحق، والمكـافح يقاسي مرارة المقاومة، وتضمحل مرارة المقاومة ومرارتها عندما يحوز النصر. وأُعجب كثير ممن قرأ قصيدة السيد ابن شهاب في هذا الموضوع وهي:

اترى زمان السـوء يـسمح لي بمـا ... ارجــو فـتسري بي اليك الأيـنق
لأبــثك الشكــوى وتــعلم انـني ... دنــف وشمــلي بــالبعاد ممــزق
كابدت من الم النوى وضنى الهـوى ... غصصا ضعفت لها وشـاب المـفرق
بــين اللـئام اعـيش الا انــني ... فـرد فـلا عـاش اللـئام ولا بـقوا

من كل ذي حسد بصورة مخلص في وده كـالقط اذ يـتملق
ويـليق بي ان لا اطيل بذكرهم واذا سعدت فما علي اذا شقوا

وما اكثر ما يقوله السيد عن مناوئيه في احاديثه وفي قصائده وهو يصور ويصف اولئك الزمرة في اوضاعهم، اذ يقول:

هـل يسوغ المقام بين الرفاق في اصطباغ من الاذى واعتباق
ليت شعري متى يطيب لنفس الـ ـمؤمن العيش بين اهل النفاق
من جهول طغى به جامع المـا ل الى فـدفد الشـقا والشـقاق
او غـفول بـنفسه ظـن فـضلا يـدعي الفهم وهو طبل العراق
مستحل قطيعة الرحـم المـنـ ـهي عنها وقس عليها البواقي
يحسب العلم في السبالين والشا ش[1] ونـقل الرقى مـن الاوراق
انمـا العـلم بـالتورع والتحـ ـقيق ترك اختلاس ما في الحقاق

نعيش اليوم في عالم التناقضات، فنجد ان التعاليم الاسلامية في جهة ونرى المسلمين في جهة اخرى معاكسة.

الاسلام يدعو للاخوة الاسلامية والمسلمون باعمالهم يتمزقون اربا.

الاسلام يدعو للطريقة المثلى. وهم يمثلون الفوضى والتطاحن.

الاسلام يدعو الى الوحدة وهم متشبثون بمذاهب شتى.

الاسلام يدعو الى عقيدة واحدة وهم يكفر بعضهم بعضا.

الاسلام يدعو لعدم التصديق باليهود والنصارى. وهم يتنافسون لكسب رضى النصارى واليهود وكسب ود الشرق والغرب.

الاسلام يدعو للكفاح والجهاد وهم فضلوا القعود.

الاسلام يدعو للرفق بالانسانية وهم بعيدون عن الانسانية.

---

(١) السبالين والشاش كلمتان دارجتان، وهما اسمان لنوع من الحرير الممتاز.

الاسلام يدعو الى الانفاق وهم حريصون على اموالهم.

الاسلام يدعو للصدقة وهم يموتون من التخمة.

الاسلام يدعو للاعمال الخيرية وهم يصرفون اموالهم للشهوات في اوروبا.

هذه المتناقضات واضحة في احوال المسلمين. المسجد الاقصى في قبضة اليهود، فاين هم المسلمون؟ فلسطين تحت الحكم اليهودي، ماذا فعل المسلمون؟، اطفال يقاومون اليهود بالحجارة فهل قدم المسلمون حجرة واحدة؟ اين قوات المسلمين البرية والبحرية والجوية التي يتشدقون بها؟ لقد اصبحت تلك المعدات لمحاربة اخوانهم المسلمين. اما اليهود فليطمئنوا فلن يصيبهم شيء من تلك المعدات الهائلة، بل ليطمئن الغرب والشرق ان تلك الاسلحة لا تستخدم الا ضد اعدائهم من المسلمين.

العميل بالاصطلاح الحديث والمفهوم الجديد هو ذلك الانسان الذي يخدم مصالح دولة او مخابراتها او ينتمي الى هيئة من هيئاتها في مقابل ما يتسلم من مال وهبات وتعويضات لصالحه الخاص، مع علمه اليقين ان الهيئة التي يعمل لصالحها لم تكن على حق بل على باطل، ولكن المصلحة الذاتية دفعته لأن يعمل ذلك ضد ضميره وشعوره ومصالحه الذاتية الخاصة متعلقة بمصالح تلك الهيئات او الدول او دوائر استخباراتها ومخابراتها او بالاستعمار.

اما المتزمتون فهم مقلدون عمي ضيقو الصدور، تحجرت افكارهم وعقولهم وهم يعتقدون انهم وحدهم على حق وما سواهم كفرة فجار زنادقة مشركون يجب محاربتهم حتى يسلموا وإلّا وجب عليهم حكم القتل.

اما الناصبي فهو الذي يكره آل البيت النبوي ويعاديهم واتباعهم ويسعىٰ لإبادتهم والقضاء عليهم.

استغل الاستعمار هذه الفئات وجندها بطريقة خفية في جبهة واحدة او كل فئة على حدة بموجب الظروف المواتية لمصالحها.

المناوئ العميل

حادثة ظريفة وقعت للسيد ابن شهاب في اثناء القاء محاضرته في جلسته المعتادة في البهو الواسع بحيدر آباد، وكان الحاضرون الذين يواظبون على سماع محاضرته الشهرية هم من الشخصيات البارزة وأعيان البلد وجملة كبيرة من الطلبة الجامعيين ووجهاء الامة بينهم عبدالحق الاعظمي البغدادي وصالح علي اليافعي والجمعدار صلاح احمد الاحمدي وغيرهم، اذ اقبل رجل متبختر ومعه انفار من اتباعه، فاقتحم قاعة المحاضرة الغاصة بالحاضرين فتخطاهم بخشونة وهذا القادم المتبختر هو الشيخ ملا فقير الله، المعروف بتزمته ونصبه ووقف في صدر المجلس امام الحاضرين وصاح بعالي صوته كالثور الهائج رافعا يده، سلام على من اتبع الهدى، وكان السيد اثناء القاء المحاضرة فسكت السيد ليرى ماذا في الامر ووجم الحاضرون برهة ليروا ما يفعل السيد.

رفع السيد رأسه والتفت اليه ووجه اليه بصره بعينيه الحادتين وشخصيته المهابة فعرف ما يضمره الشيخ الملا، فرد السيد عليه باحسن تحية وافضل سلام ودعاه للتكرم بالجلوس، ولكن الشيخ اظهر الاباء استعلاءً واستكبارا بل رفع صوته الاجش وبكلمات متقطعة متلجلجة تساوره رجفة الخوف قائلا: انك تدرس الضلال على الجمهور وتنشر البدع المخالفة للاسلام وعقيدة السلف، فالمحاضر والسامع في هذه الجلسة كلهم في النار، يجب اغلاق هذا المجلس ونفي المحاضر من البلد.

بدأت اصوات الحاضرين تدوي كدوي صوت النحل واخذوا يتململون وأراد بعض الحاضرين الاقتراب من الشيخ ملا لجره من القاعة، ولكن السيد كان يمسك بزمام الجلسة، فهدأ الحاضرين وان ياخذوا حذرهم ويتمالكوا انفسهم بالصبر وحسن الخلق.

بدأ الشيخ ملا يستجمع قواه ويغالب وهنه وصاح بعالي صوته مزبدا ومعربدا وتكلف نطق الكلام بالعربية وهو لا يجيد النطق بها، فسب وشـ وكفر، تركه السيد

ليخرج كل ما في جعبته حتى اضناه التعب ومل من كلامه وبدأ السيد يهدئ روع الشيخ ملا الذي فقد اتزان نفسه وكلما تكلم الشيخ افحمه السيد فارتج ولم يستطع الاسترسال في كلامه واعياه النطق، فتعكر مزاجه وهو امام هذا الجمع الغفير الذين يرمقونه بلحاظاتهم وينظرون اليه بين ضاحك وباسم وساخر. واراد الشيخ الاستعانة بقرائة آية من القرآن فتلجلج لسانه ونسي الآية واراد الاستعانة برافقه فما فلح فازداد خجله وارتجافه وتصبب العرق من جسمه حتى ابتلت ثيابه وامتقع لونه واصفر وجهه، خجلا او خوفا من نقمة الحاضرين وانقضاضهم عليه، وحاول مسرعا يطلب الخروج من القاعة وكان يشعر ان البلاء سينصب عليه، وفيما هو خارج من القاعة صاح باعلى صوته: بئس المجلس مجلسكم، مجلس الكفر والشرك، لا يحضره الا سفلة القوم. سافضحكم واعرف الناس ضلالاتكم ليعرفوا حقيقة امركم، وليطردوكم من البلد. فخرج الشيخ ملا واتباعه معه وتركوا المحل وعادوا من حيث اتوا خاسئين خائبين.

ما كان يجول بخاطر الشيخ ملا الناصبي العميل ان يصيبه هذا الفشل المهين من البداية حتى النهاية بهذه العاقبة الشنعاء وسوء المنقلب، وما كان يتصور شخصية السيد ابن شهاب بهذه القوة التي اردته الى ذلك المصير.

اذ كان الشيخ ملا قد دخل القاعة وهو ممتلئ بروح الهجوم على السيد ابن شهاب كما خطط له المستعمر لاحداث هرج ومرج، فها هو قد خرج من القاعة صغيرا حقيرا مهانا، وفي نفسه من الحقد والكراهية والبغض ما لا حد ولا نهاية له، خصوصا وهو يرى المعاملة الحسنة ولطف الكلام والاستقبال بالترحيب الذي يعتبرها اهانة له امام الحاضرين وسخرية به.

اظلم العالم في وجه الشيخ ملا فقير الله حيث اصبح موضع الازدراء والسخرية من الجميع، واراد ان يزيح عنه ستار العار ليعوض عن نفسه وشخصيته التي فقدها وسمعته التي انهارت وتحطمت ليظهر للناس البراءة، فكتب رسالة صغيرة مليئة بالشـ

والسباب ومحشوة بالكذب والزور والبهتان والترهات والافك التي هي سلاح الجاهل العاجز، ويدعي الشيخ ملا ان تلك الاكاذيب هي رسالة علمية وخلاصة المناظرة.

فما كان من السيد ابن شهاب الا ان رد الكلام بالكلام والكتابة بالكتابة فجاء رد السيد في رسالة لطيفة مختصرة تدل على علو مقامه ودماثة اخلاقه وسعة علمه يأنف مقابلة السباب بالسباب، او التنازل الى مستوى الشيخ ملا الاجير البريطاني، وانما اراد السيد ان يقارن القارئ بين الرسالتين، بين الحق الصريح والباطل الفاسد، وكانت بريطانيا تود اثارة الفتن العمياء بين المسلمين، وكانت النتيجة عكسية تماما، وكانت النتيجة ان كره القوم هذا الشيخ الغر، ولم تنفعه رسالة البراء، ونبذه الجميع حتى اتباعه كانوا يتقززون منه ويستحيون ان يقولوا انهم من اتباعه لانه اتضح اخيرا انه عميل بريطاني. وفر الشيخ ملا من المدينة يلتمس النجاة فلم يجدها وانزوى في اقاصي الهند مختفيا حتى مات.

وفاته

فجعت الهند وارتجت مدينة حيدر آباد الدكن ليلة الجمعة يوم العاشر من شهر جمادى الاولى عام ١٣٤١هالموافق ٢٩كانون الاول / ديسمبر عام ١٩٢٢م. على اثر نبأ مفاجئ مؤلم انتشر بسرعة خاطفة في كل انحاء البلاد، ذلك النبأ هو وفاة المغفور له السيد ابي المرتضى ابن شهاب. فقد هوى من سماء الزعامة العلم الكبير والنبراس النير رائد النهضة الاصلاحية.

هرع الناس في الحال من كل الاماكن في حيدر آباد وضواحيها ومن مدن اخرى من بومباى ونيودلهي وكراتشي ولكهنو وغيرها الى اتجاه واحد وهم يتسابقون للوصول الى منزل المغفور له، وقد ملأ الحزن نفوسهم وخيمت الفجيعة المؤلمة وسالت الدموع من المآقي. فلا يسمع إلا صوتهم ذاكرين الله ورسوله مهللين ومسبحين. اكتظت الشوارع الرئيسية الموصلة الى المنزل بالمعزين الذين توافدوا للتعزية والمشاركة في الم المصاب. ساد البلد الوجوم وعم الحزن، واغلقت على اثر هذا النبأ الاسواق والمتاجر والدكاكين وتوقفت حركة التجارة كليا في ذلك اليوم حتى ان الانسان يصعب عليه ان يجد ما يحتاجه لنفسه.

خرج البلد بجمعه الغفير يوم تشييع جثمان المغفور له الى مثواه الاخير بساحة المسجد السلطاني القعيطي من سلاطين جنوب الجزيرة العربية. وشاركت الحكومة المحلية في تشييع الجثمان بصفة رسمية. وامتلات الشوارع التي مرت فيها الجنازة تتلاقفها ايدي المشيعين وأخذوا يتخاطفونها للمشاركة في حمل النعش. لم تصل الجنازة الى المسجد للصلاة عليه إلا بعد مشقة شديدة. واكتظ المسجد بالمصلين عليه، وتم اجراء مراسيم الدفن بذكر اسم الله وتسبيحه وقراءة الفواتح وآيات من القرآن الكريم على روحه. التي

الكثير من وجهاء وزعماء البلاد كلمات تأبينية مؤثرة وكانت كلماتهم يعتريها التشنج وتتخللها العبرات ممزوجة بالحزن من فداحة الخسارة التي لن تعوض.

انهالت البرقيات خلال ايام التعازي من مقدريه ومعارفه وأصدقائه من ماليزيا وسنغافورا واندونيسيا والهند بجميع ارجائها البعيدة وبورما والسيام وجنوب الجزيرة وبعض البلدان العربية وتركيا. واقيمت له مجالس الفواتح في كل بلد يوجد فيه معارفه وتلامذته.

نعته صحف المهاجر الشرقية وفي مقدمتها جريدة حضرموت التي تصدر من مدينة سورابايا بأندونيسيا وفتحت صفحاتها للكتاب والشعراء الذين تسابقوا مشاركين في التأبين والمراثي. كتبوا سلسلة مقالات في اعداد متوالية ورثاه جميع شعراء المهاجر الشرقية وجنوب الجزيرة منهم العلامة السيد علوي بن طاهر الحداد والسيد عقيل بن زين الجفري والسيد محمد بن حسن بن شهاب والسيد عبدالله بن احمد بن يحيى العلوي والسيد حسن الحبشي والسيد محمد احمد الشاطري والسيد صالح الحامد وغيرهم من الادباء وشعراء المهجر وجنوب الجزيرة الذين يعسر تعدادهم. ولكثرة المراثي نكتفي بايراد هاتين المرثيتين الاولى للاستاذ محمد بن هاشم وهي:

ارونا احتمال الصبر كيف يكون	وكيف به الخطب المهول يهون
تغازلنا الدنيا فنصبو وانـنا	لنعلم حقا انها ستخون
فكم من ذوي الآمال من راح وانتهت	دهور على آماله وقرون
تهد المنايا ما ابتنينا من المنى	وقد شيد منها في الحياة حصون
عجيب لذي الاموال يزهو تعاظما	حيال المنايا والجنون فنون
رمتنا الليالي بالمصاب الذي دهى	فذابت قلوب حوله وعيون
رمتنا بفقد الفخر من شاد للعلى	بناء تناءت عن مداه ظنون
رمتنا فلم نسطع دفاعا وحولنا	غضافرة تلوى العدى فتلين

فليت المنايا يرتشين فنفتدي وهيهات ترضى بالفداء منون
مصاب دهى الاسلام والعلم والتقى فهاجت به في الخافقين شجون
ودك المنى دكا من الدكن الذي سيعروه من عظم المصاب جنون
تولى ابو بكر وما مات من له مآثر في دور العلى وشؤون
تولى ابو بكر فايق اسى له باحشاء طلاب العلوم كمون
قضى ناشرا للعلم تبكي لفقده شروح ابانت فضله ومتون
امام يحل المعضلات بحكمة عليها وقار سائد وسكون
وتجني نوادي العلم منه طرائفا فتفصح عن آثاره وتبين
اذا ما نطقنا بالقريض فما لنا سوى شعره عند القريض معين
وان نحن يممنا (البديع) فني (اقا مة الحجة) العلم العزيز مصون
وسائل اساطين (المواريث) هل هم لغير (الفتوحات) النفيس ركون
ومن يرج في علم (الاصول) تغلغلا يكب على (الترياق) فهو ضمين
وترشد للتوحيد منه (نوافح) بما قد حوت اهل الرشاد تدين
اجل وله في (المنطق) (التحفة) التي تدل لنا منها جنى وغصون
له خدمة في كل فن ومن هنا ستبكي علوم بعده وفنون
فلله انفاس يضوع عبيرها وجوهرها وسط التراب مصون
فيا لك من خطب كأن وقوعه عذاب على هام العباد مهين
فلا جفن الا وهو منه مقرح ولا قلب الا وهو منه حزين
ذهبت ابا بكر والقيت في الحشا اسى تذهب الايام وهو مكين
عليك سلام الله ما دمت خالدا بدار سلام ليس فيه فتون
تحف بك الحور الحسان مهنأ وانت بقرب المرسلين قمين

والمرثية الثانية التي اخترناها للاستاذ احمد بن عبدالله السقاف وهي:

ليس بدعا ان لا نطيق اصطبارا   اذ عدا حده الزمان وجارا
رام ذا الدهر ان يجرب حد الـ   ـصبر منا فجاوز الاختبارا
ورمانا بنكبة تركت منا   ذوي اللب تائهين حيارى
افقدتنا ابصارنا فقدنا   كل شيء بفقدنا الابصارا
افقدتنا وحيد ذا الدهر علما   وصلاحا وفطنة واقتدارا
افقدتنا من في الفضائل والسؤ   دد والمجد والعلى لا يبارى
سلبتنا كنز العلوم ابا بكـ   ـر الذي شاد للعلوم منارا
فافاضت من العيون بحارا   واغاضت من العلوم بحارا
لم يمت بل ابى الحياة احتقارا   فاسألوا أين يمم الآثارا
لم يزل سائراً الى القصد اذ حـ   ـال قضاء فطاوع الاقدارا
اعجز الدهر فهو لا يكبر الخطـ   ـب جسيما او يرهب الاخطارا
عمره ما اهاب بالحظ يوما   شمما اذ يشم منه ازورارا
ذاك ان الزمان يغلط في القسـ   ـمة لا بل يصانع الاغمارا
خطبته اذ لم تجد غيره كفءاً   لها خرد المعالي عذارى
فاراها من نفسه خير كفءٍ   فغدا حبها له استهتارا
ضاق صدر الحياة عما يرجيـ   ـه فلم يستطع بها استقرارا
وجدير ان تزدري عينه الدنـ   ـيا اذا كانت النفوس كبارا
زخرف العيش حانة بابها المـ   ـوت واهل الغرور فيها سكارى
ونعيم الحياة طيف خيال   مفرح كلما انتبهنا توارى
نتشاكى عنا الحياة ولكن   كلنا منه يطلب استكثارا
تعب نستلذه وعذاب   وافتخار بما نراه صغارا

صـاح ان المـنون دون الامـاني فـعلام اتخـذت ذي الدار دارا
وانفضاض الاحياء من مجـمع الدنـ ـيا نـذير يكـرر الإنـذارا
فكـن الكـيّس الذي دان نـفسا واتخـذ غـاية الحـياة اعـتبارا
امس كـان الفـقيد فـينا اذا جـ ـن دجـىً مشكـل عـلينا انـارا
امس كان الاحياء يجنون من حكـ ـته كـلما افـاض ثمـارا
فـتولى بـالرغم مـنا كأم ايـتمتنا ولا نـزال صـغارا
فـلو ان الحـياة تـشرى بـذلنا في فـواق مـن عـمره اعـمارا
ولو ان الحـمام يـبقي عـلى حـي لخـلى سـبيله اكـبارا
ولو ان الحـمام يـرضى بمـن نـعر ض لم يـبق بـيننا بهـا ديـارا
غـير ان الحـمام نـقاد در يـنتق فـيحسن الاخـتيارا
لك يـا حـضرموت اذ انت انجبـ ـته فـضل يكـفّر الاوزارا
فـاهنأي مـنه بـانتساب مـدى الد هـر وبـاهي بـه البلاد افـتخارا
ليس فـخر البـلاد الا بمـن تـنـ ـجب ان تـفضل الديـار الديـارا
غـير ان البـلاد قـد تـنجب الحـ ـر ويأبى هـواؤهـا الاحـرارا
فـيرى في الرحـيل عـنها تـعز ويـلاقي في غـيرها انـصارا
يا بن عـبدالرحمـن ان تهـجر الغنـ ـا قـلىً او لغـيرها ايـثارا[1]
فـلكم قـد سمـعت مـنك حـنينا نحـوها بـعد امـة وادكـارا
ان تجـنت بـعد الفـراق فساع ضرة مـن طـباعها ان تـغارا
لم يكـن للـبلاد ذنب ولكـن لم تـرد ان تـعاشر الاغـرارا
فتية لو بحثت عـن سـبب الطـيش لديهـم وجـدته الديـنارا
حسـدا انكـروا مـقامك في الفـضـ ـل وقـد يـنكر البـصير النهـارا

---

(١) الغنا: لقب تريم بلد المترجم.

رمت خيرا جازوا بشرّ وكم نا ... ل طبيب من العليل انتهارا
كم عطاش ارويت من (رشفة الصـ ... ـادي)[1] وكم(بالعقود) تهنا افتخارا
ولكم (بالترياق) ابرأت سقما ... (والفتوحات) كم بسطت اختصارا
(وبالاسعاف) كم قد اسعفت محتا ... جا وارشدت (بالنظام) حيارى
ولكم (من نوافح الورد) (والور ... د) قطفنا ولم تزل ازهارا
كم جنينا من (الذريعة) (والتحـ ... ـفة) (والكشف) (والشهاب) ثمارا
كم افادت (ارجوزتاك) وكم نـ ... ـوّر منا (تنويرك) الابصارا
ولكم في مسائل الضغط (بالرفـ ... ـع) رأينا عظيم خبط النصارى
ولكم في(التذكير) ذكرى وفي (الحمـ ... ـية) ما نتقي به الاخطارا
هذه قطرة من البحر من آ ... ثاره لم ازد عليها اقتصارا
فهو في النثر ناثر درر الحكـ ... ـم وفي الشعر شاعر لا يجارى
ليس ديوانه سوى روض علم ... نتهادى قطوفه اسرارا
او عقود من لؤلؤ اللفظ لو لم ... اتلها لم اظنها اشعارا
قد تحلت بها غواني معان ... لم اخل امهاتها افكارا
مطرب مرقص بممتنع سهـ ... ـل يزين انسجامه الابتكارا
فيه روح الفقيد تنثر من اعـ ... ـما له في حياته اخبارا
وترينا ما نال في نصرة الحـ ... ـق من الكيد والعناد جهارا
رام اصلاح حضرموت فالقوا ... في السبيل الذي انتحاه عثارا
لان في القول علهم يستفيقوا ... فاصروا واستكبروا استكبارا

---

(١) احد مؤلفاته طبع بمصر وسيعاد طبعه وهو في فضائل اهل البيت وكذلك العقود والترياق والفتوحات والاسعاف والنظام ونوافح الورد جوري والورد القطيف والذريعة والتحفة والكشف والشهاب والتنوير ورفع الخبط في مسائل الضغط والتذكير والحمية كل تلك اسماء مؤلفاته ظمها صاحب القصيدة اهـ.

لو اجابوا رأوا بـاعينهم للـ   ـظلم طـيا وللعلوم انتشارا
لو اجابوا عاشوا هنيئاً واضحى   العسر والضيق بالامان يسارا
واحال العلم البلاقع جنا   ت واجرى خلالها الانهارا
ها هم الآن فرقة تقحم البحـ   ـر واخرى تراقب الاخبارا
ذي اقامت بالربع تحمل اسفا   را وهذي تكابد الاسفارا
هو ذا العار ما اتوه ولكن   جلهم لا يرون ذا العار عارا
ان يكن ما اقول حطا فحسبي   كون ما قلت للفقيد انتصارا
دم قلبي يمد سن يراعي   واحتراق الاحشاء يلقي الشرارا
فلئن شب نار غيظ اعاديـ   ـه فكم اضرم الشرار النارا
ومصابي اذا اسأت الى البعض   عظيم يمهد الاعذارا
كلمات جاءت بغير اختيار   وتراءت لمحت عنها اضطرارا
لم ارد كل حضرمي ولم ارم   بذنب المجاورين الجارا
ان في حضرموت كانوا ولا زا   لوا رجالاً هم الشموس اشتهارا
قد علوا بالعلوم والفضل والاعـ   ـمال والزهد والتقى مقدارا
من مضى منهم مضى بعد ان خـ   ـلد من حسن سعيه آثارا
كان وادي الاحقاف خلوا ولكن   بعد ان حله المهاجر[1] صارا
بقعة غير ذات زرع ولكن   تنبت الصالحين والاخيارا
نعم من أنبتت اولئك آبا   ئي بجيرين من لجا واستجارا

---

(١) المراد به المهاجر الى الله احمد بن عيسى جد السادة الاشراف العلويين بحضرموت وكانت قبله تستعر بنار الخوارج حتى بادوا بسعيه وسعي ذريته واتباعهم وليس لحضرموت في التاريخ ما تمدح به لولا وجودهم بها اما قبل ذلك فامور تطوى ولا تروى ولو لم يكن الا ذبحهم بقية ابناء الانصار والمهاجرين بالمدينة المنورة كأنهم غبطوا آل حرب على وقعة الحرة فالحمد لله الذي طهر حضرموت بالطاهرين عترة سيد المرسلين صلى الله وسلم عليه وعليهم اجمعين اهـ.

فـهم الذخـر إن تـفاقم خـطب ... وهـم الفـخر إن اردنـا افـتخارا
سلكوا مسلكا من الهدي مـن سـا ... ر عـليه اهـتدى بـه واسـتنارا
مـهدوا خـطة لمـن بـعدهم بـيـ ... ـضاء لم يـتركوا عـليها غـبارا
هـذه كـتبهم اذا مـا تـركنا ... هـا اخـتيارا عـدنا اليهـا اضـطرارا
حسـبنا بـالغريب لهـوا وبـالتقـ ... ـليد سهـوا وبـالجديد اغـترارا
ايهـا القـائمون فـينا بـنشر الـ ... ـعلم لا تـقتلوا الزمـان اختبارا
سـوف تأتـون طـالبين لمـا انـ ... ـتم مـولون اليـوم عـنه فـرارا
حـين تـلقون خـلف اكـمة تـقلـ ... ـيداً ربـا مـن كـيدها مـا تـوارى
زاحمـوا في العـلوم لكـن ضـعوا فـ ... ـيما اقـتبس بمـا اسـتزدتم شـعارا
يـا بـني جـلدتي حـذار فـإني ... رائـد فـتنة الجـديد حـذارا
ان مـا تحسـبون مـاءً سراب ... والذي تحسـبونه النـور نـارا
هكـذا كـان مـن فـقدناه يـدعو ... والى الرشـد يـلفت الانـظارا
فـعليه السـلام مـا طـلع الفـجر ... ومـا اعـقب المسـاء النهـارا

نعى العلامة السيد محمد بن عقيل استاذه المجاهد الشعبي المكافح العظيم السيد ابن شهاب بهذا النعي عندما وصله النبأ المؤلم من حيدر آباد بالهند وهو آنذاك كان بعدن كما يلي:

وصل الي تلغراف من حيدر آباد وتأخر بعدن لعدم الراكب فوصل بالامس وفيه الاعلام بوفاة عالم الشرق، البدر المشرق، المناضل عن النبي الامين، والانـزع البـطين، والآل الميامين، وعدو النواصب أجمعين، شيخنا السيد أبي بكر بن عبد الرحمن بن محمد بن شهاب الدين با علوي ـ رحمه الله رحمة الابرار ـ، وألحقه بمن أحـبهم وألحـقنا بهـم في عاقبته، وعظم فيه الاجر وأحسن الخلفه، وانا لله وانا اليه راجعون توفي ليلة الجمعة قبيل

العشاء الساعة ٧ زواليه: ٩ الجاري في حيدر آباد الدكن ودفن بعد صلاة الجمعة. وكانت ولادته سنة ١٢٦٢ ويجمعها حروف (أبو بكر بن عبدالرحمن بن شهاب الدين با علوي ٢٣١، ٢٥، ٤٠٥، ٥٢، ٤٣، ١١٩.

وله مصنفات في الاصلين، والفقه، والانساب، والحساب، والطبيعيات، والادب، والمنطق، وغير ذلك فتاوى جمة. وديوان شعر، وقد نشر في الجرائد كثير من قصائده وبآخر النصائح الكافية له قصيدتان، وأرسلت اليكم عددا منها، وأظن أن أخانا السيد عبدالله دحلان يكتب له ترجمة، وقد أفظعني نعيه (ولله الامر من قبل ومن بعد) وفيه خلف عن كل هالك وهو المستعان.

في ٢٤ جمادى الاولى سنة ١٣٤١.

انهالت برقيات التعازي والرسائل من معارفه ومقدرية وان جاءت متأخرة من مصر والعراق ولبنان والمغرب وتركيا بل ومن كل بلد يوجد فيها مقدّروه.

النصر:

الثبات في الكفاح المرير في الحياة هو اساس النجاح. من هذه الحكمة شق السيد ابن شهاب طريقه بايمان فولاذي صادق وبعزم لا ينثني مجاهدا بثبات وعزم قويين، جاءت المقاومة والمشاكل والمعارضة كلها من قبل افراد من قومه ومن عملاء الاستعمار محاولين بمقاومتهم له تحطيمه، خصوصا في بدء قيامه بالدعوة للنهضة الاصلاحية، ولم يكن آنذاك من تلامذته إلا ما لا يتجاوز عددهم الاصابع وكان هو في عنفوان شبابه، ولم يخجلوا ان يسموه «غرا» كما ان زملاءه الذين يؤيدونه متفرقون في اماكن متعددة وعددهم محدود فلم يكن في استطاعتهم ان يعضدوه بجهادهم خوفا من السلطة والقوة اللتين يتمتع بهما الذين يقاومونه، وكان وحيدا فريدا في حلبة الصراع.

ان الكفاح المرير والجهاد المتواصل والمثابرة المستمرة بدون كلل هي التي تضمن

الوصول الى الهدف. والوصول الى الهدف هو النصر.

تطورت الامور وتكاثر عدد تلامذته ومريديه وتضاعف مناصروه والتف حوله زملاؤه واصدقاؤه وهم يوالونه جهارا ووقفوا معه علنا امام التيارات المعادية على رغم المعارضات مستمرين في سيرهم حتى بلغوا الهدف.

عاش فقيدنا في هذا المجتمع المترهل المنحط من سوء اخلاق وتعصب وجمود وفراغ وكان يرىٰ ذلك كله في الم يحز في نفسه وانقباض يملأ جوانحه مما بلغه هذا المجتمع. ومهما يكن فهؤلاء هم قومه وهو واحد منهم ويعيش بينهم. كان يؤكد علىٰ اصلاح الفرد حتى يصلح المجتمع ولا يصلح المجتمع اذا لم يكن الفرد صالحا واعيا. وكثيرا ما كان يتباحث مع زملائه وخلص اصدقائه في موضوع الاصلاح ويصور لهم حالة قومه الذين يجب انقاذهم من حضيض الجهالة. وليس من السهل اصلاح مجتمع مفكك الاوصال جامد الفكر، يتعرض المصلح فيه لمقاومة ضارية من ذوي الاحقاد الدفينة ولكن فقيدنا ثبت ثبوت الجبال الراسخات منذ اوائل مراحل حياته، وتصدى للمشاكل والمقاومات باللين تارة وبالقوة احيانا إذا اقتضت الحاجة الى ذلك. لقد جاءهم ناصحا بحسن القول ولين الجانب وبارز من يحاول الاساءة للحق. حتى باءت اعمال المناوئين بالفشل الذريع بعد مدة من الزمن وانهارت قوى البغي والعدوان امام الحق الصريح. قضى على المؤامرات كلها ودمرها تدميرا. جاء مناوئوه اليه صاغرين مستسلمين. تسابق القوم من كل حدب وصوب يلتمسون منه ان يكرمهم ولو بزيارة الى تريم الغناء[1] وهي مدينة من مدن

---

(١) انتهى الدور العظيم لهذه المدينة العلمية التي اخرجت المئات من العلماء والادباء والفقهاء كما انتهى دور المدن الاخرى بعد تسليم بريطانيا دفة الحكم في جنوب الجزيرة لزمرة من ابناء البلد الشيوعيين، وهرب الاحرار خوفا من المجازر البشرية ونهبت الاموال كما تدفق عدد كبير من الضباط الروسيين والكوبيين والسلطة الحقيقية بايديهم واصبحت احدى معاقل السوفيت الحربية ففيها قواعد حربية جوية وبحرية في اربع مناطق تشرف على البحر الهندي والخليج والبحر الاحمر وتعرض العلماء للتعذيب والاعتقالات ومصادرة الممتلكات فهرب من هرب منهم.

جنوب الجزيرة العربية، اشتهرت بالاشعاع العلمي والتي انجبت فطاحل العلماء.

وصف السيد ابن شهاب هذه المدينة واهلها الذين ناصبوه العداء وقاوموه فخرج منها الى المهجر الشرقي:

وتريم تعلم والمدائن حولها ... اني لدى اللأواء من اجوادها

فلتثكل الغناء حلولي دورها ... وعلي فلتلبس ثياب حدادها

فسنام اي الارض اذهب منزلي ... ولي الندامى الغر من امجادها

خسرت تريم بذهاب السيد ابن شهاب ولم يخسر هو بتركه المدينة، ولكن جنوب الجزيرة عاش كالمرأة الثكلى معلنة الحداد بفقد اعز الناس اليها. وربح المهجر الشرقي بقدومه فاستقبلوه وعززوه وكرموه على رغم وجود عملاء الاستعمار الذين نصبوا له العداء. فالعظيم عظيم مهما حاول السفهاء الحط من عظمته والبخس من فضله والانتقاص من قدره ومكانته. والعدو العاجز يلتجئ الى المكر والى المؤامرات والى الاغتيالات للتخلص ممن لا يريده ولا يحبه ويخاف منه ويخشاه. ولكن العدالة فوق كل شيء والحساب لا يرحم والمجرم والجاني لا يفر من وجه العدالة يحاسب هنا كما يحاسب يوم الجزاء.

التمس قومه ان يشرفهم ويشرف مدينة تريم ولو بزيارة فأهلها متلهفون اليه يتمنون رؤيته. فاستجاب لطلبهم ولبى دعوتهم وزار تريم وقدم الى عقر ديارهم واذا بالشعب يخرج عن بكرة ابيه لاستقباله بالتكبير والتهليل والتحميد والهتافات الحارة والزغاريد. التفوا حوله فرحين مستبشرين بقدومه. واستقبل استقبال الابطال ودوت طلقات المدافع وعطلت المدارس واغلقت المتاجر والاسواق ورفعت الاعلام واضيئت المدينة بالانوار وكتبت عبارات الترحيب والتأييد، وتوافد القادمون طيلة ايام الاسبوع من المدن القريبة والنائية ومن القرى المجاورة وازدحمت الشوارع والطرقات بهم للمشاركة في الاستقبال والترحيب بمقدمه وعلت الهتافات. ومشت قوافل المستقبلين

يتقدمهم حاملو الاعلام يليهم ارباب الطبول والدفوف ماشين على اقدامهم وهم يحيطون بالسيد ابن شهاب ويحوله هالة كبيرة من كبار العلماء والوجهاء والادباء ورجال الدولة، ومن ورائهم كافة افراد الشعب من الطلبة وارباب الحرف. واكتظ المكان الذي نزل فيه على سعته.

تنافس القوم لتكريمه وإقامة حفلات الاستقبال والمآدب تقديرا واعترافا بفضله ومواقفه. وطيلة فترة اقامته كان موضع احترام وتقدير، والناس يتكاثرون ويتقاطرون يوميا لزيارته والسلام عليه. ففي كل يوم هناك اجتماع، وفي كل يوم تقام له حفلة تكريم تلقى فيها الخطب التقديرية والقصائد ويُكال له المديح يذكرون فضله واعماله الاصلاحية.

لا يملك السيد ابن شهاب اموالا طائلة من القناطير المقنطرة من الذهب ليغري الناس بالمادة ويشتري ضمائرهم ليؤيدوه وليس هو بسلطان من السلاطين يأمر فيطاع امره، ولا هو بملك من الملوك يملك جيشا جراراً واسلحة فتاكة يخشاه الناس ويتحاشون ظلمه وطغيانه، ولا هو بحاكم يرغم الناس للانصياع اليه كرها. ليس هو من هذا ولا ذاك، ولكنه شخص مجاهد مخلص يملك ايمانا صادقا قويا وعزما فولاذيا لا يتزعزع وثقة بالله وهو ثابت في مبدئه راسخ في عقيدته وهو ذو خلق رفيع آلت اليه القيادة والريادة منصاعة.

حق للناس ان يعجبوا من هذا الرجل الاعزل من كل شيء إلا العلم في صدره والاخلاص والايمان في عقيدته كيف استطاع ان يستحوذ على قلوب هذه الامة بعلمائها وكبرائها طلابها وعمالها فقد طور الافكار وقلب اوضاع المجتمع وجعله شعلة من الحماسة بروح عالية. الاعمال الخالصة لوجه الله هي التي تفيد.

ان في تاريخ العظماء رجالاً بلغوا العلى، كانوا عناوين لسمو الاخلاق وأمثلة للانسانية، وهم جديرون ان يكونوا القدوة الحسنة. على الجيل الحاضر ان يعتني بدراسة

تاريخ حياتهم للاقتداء بهم واقتفاء آثارهم والسير على طريقتهم.

فذلكة يسيرة:

هذه فذلكة يسيرة مما تيسر لي جمعه من هنا وهناك عن السيد ابن شهاب، وهو جزء يسير اذا قيس بمدىٰ حياته وكفاحه الطويل، آملا ان اوفق للحصول على المزيد من المعلومات عنه، التي لم اعثر عليها الى الآن، واعتبر ان المجموعة المدونة في هذا الكتاب هي بادرة وخطوة لمن يريد ان يواصل البحث والاستقصاء ودراسة حياة الفقيد وكفاحه طيلة حياته بصفة موسعة.

ان هذه الفذلكة اليسيرة المختصرة يمكن ان تعطي القارئ صورة حقيقية واضحة عن شخصية هذا البطل العملاق الفذ وعن كفاحه المتواصل طيلة حياته التي كانت بين مد وجزر شأن الابطال المكافحين من عظماء رجال التاريخ.

تعرض في حياته لعدة مشاكل، ابتداء من مقاومة عشيرته له حتى انه حينما تشرف بزيارة النبي محمد ﷺ في الحرم النبوي المدني الشريف لم يتمالك نفسه من بث شكواه اليه مما لاقاه وقاساه من معاداة وظلم عشيرته وما مسه منهم من اذى وهو صابر جلد يتحمل مقاومتهم في قصيدته المعروفة:

وقد مسني من اهل بيتي وبلدتي اذى وكثير منهم اكثروا العدوا
فكن منصفي فالصبر ضاق نطاقه وخذ لي بحقي يابن ساكنة الابوا

خرج بعد هذه الزيارة وهو اعظم روحا واقوى عزيمة مما كان قبل ذلك لقد جالت بخاطره وهو في اثناء زيارته للنبي الاعظم محمد ﷺ مواقف الرسول من عشيرته وقومه الذين ناصبوه العداء. فقد الهمته هذه الزيارة روحاً حديدية وعزما قويا وارادة فولاذية، فواصل جهاده وكفاحه حتى كتب له النجاح وافلح وانتصر.

لم يقتصر كفاحه في محيط عشيرته ومجابهة قومه ولكن كان كفاحه اعظم امام

قوى البغي والعدوان، قوى الاحتلال والاستعمار الاجنبي، إذ كان لبريطانيا وهولندا النفوذ والسيطرة التامة على البلدان الاسلامية وشعوبها خصوصا بعد الحرب العالمية الاولى وتقلصت سيطرة دولة الخلافة التي اصبحت لا وجود لها بعد ازاحتها من مسرح الحياة وازالة نفوذها من العالم. والبلدان الاسلامية كانت جلها واقعة تحت الاحتلال الغربي. فجنوب الجزيرة وشبه القارة الهندية وبلدان الملايو وسنغافورا واندونيسيا وبورما كلها واقعة تحت الاحتلال الانجليزي والهولندي. ما عدا جزر مورو التي كانت تحت حماية الولايات المتحدة. ولم تستقل هذه البلدان إلا بعد الحرب العالمية الثانية. ولكن ظل المسلمون في جزر مورو تحت الاحتلال الكاثوليكي، وبورما تحت الاحتلال الاشتراكي.

ليس من السهل العمل امام هذه القوات الكبيرة، والشعب اعزل من كل القوى، ولولا عظمة شخصية السيد ابن شهاب وقوة عزمه في كفاحه هذا الذي اثقل كاهله لما استطاع القيام بنهضته الاصلاحية لانتشال شعب من براثن القوى الاستعمارية الضاربة بمخالبها.

يشكل السيد ابن شهاب بمفرده في حياته قوة هائلة تساوي قوة حزب عظيم في البلدان الحرة. كلمته مسموعة واوامره نافذة وتوجيهاته مقبولة، ونقده يرج الاوساط الاحتلالية والاستعمارية ويزعج رجال الدولة الحاكمة. المجتمع متأثر به والشعب منصاع اليه. الناس يطيعونه لا خشية او خوفا من بطشه فهو لا يبطش ولا يعرف البطش. يدعو قومه للخير ويوجههم بآرائه الى الاعمال الخيرية، آمنوا به لانهم وجدوه صادقا في اقواله مخلصا في اعماله وافعاله، نواياه حسنة، لمسوا فيه انه مع الحق وان الحق معه. احترموه لعلمه، وبجلوه لمكانته وعظموه لإخلاصه ووفائه. رضوا به قائدا ورائدا وانصاعوا اليه فرحين.

عندما يقول قولا يصبح قوله حجة يحتجون به وشعارا يفتخرون به ومنطلقا

يعتمدون عليه.

حطم السدود الزائفة، والاسوار العائقة التي تصد المسيرة فأزالها وحطمها. ومهد لقومه السبيل الامثل والنهج الاقوم ليسيروا عليه مطمئنين. ورفع الغشاوات المهيمنة على العقول فصقلها وعلىٰ الابصار فانارها حتى بصرت. ودعاهم جميعا الى نهضته الاصلاحية، لتحسين ظروفهم الاجتماعية والاقتصادية والثقافية. التف حوله جمع من الشباب المتنور المثقف فدرسوا في مدرسته، انهالوا اليه من جنوب الجزيرة والهند وبلدان جنوب آسيا فكانوا دعما لنهضته، وقوة لتعزيز مركزه مما حفزه لمواصلة كفاحه ودعوته الاصلاحية للوصول الى ما ينشده. قام بتأدية الخدمات لتوفير المتطلبات المتزايدة لرخاء العيش ورغده على رغم وجود الاحتلال البريطاني والهولندي.

ان برنامج نهضته الاصلاحية يهدف الى ايجاد مجتمع واع يشعر بالمسؤولية الملقاة على عاتقه.

عجز المستعمر البريطاني والهولندي عن تحديه وكانت النتيجة عكسية تماما، إذ تحفز القوم لمكافحة الاحتلال بقوة، مما اضطر المستعمر في بعض الحالات الى تقديم تنازلات خشية من تزعزع اركان احتلاله. لعجزه عن مواجهة النهضة الاصلاحية، وشعر ان مشاريعه الاستعمارية سوف تتحطم امام قوة النهضة الاصلاحية، لقدرة السيد ابن شهاب علىٰ ازالة العراقيل والمشاكل التي وضعها المستعمر من امامه.

يرجع نجاح مساعي السيد ابن شهاب الى قدرته الفائقة علىٰ تحطيم مكر المستعمر، واستطاع ان يغير الوضع لصالحه ويعمل على استثمار القوى الكامنة في نفوس شعبه، فتكتلت وتبلورت وانفجرت فحطمت كل القوى المعادية.

ترك السيد ابن شهاب تراثا قيما مما دبجه يراعه والفه من كتب علمية وادبية ومئات من القصائد الحكمية والحمينية جمع بعضها في ديوان وضاع بعضها الآخر، وقد طبع بعض ذلك الموجود وبقي الآخر مخطوطاً. كما ترك وراءه تلامذته المخلصين له وزملاءه

الذين لازموه ودعموه ومشوا على طريقته، فسدوا بعد رحيله الفراغ، فكانوا من رجال الاصلاح المرموقين.

وبعد غياب هذه المجموعة الطيبة تجلى الفراغ وشعر القوم بالخطر. واسبابه كثيرة، إذ بعد غياب تلك المجموعة حدث انفجار الحرب العالمية الثانية التي هزت العالم وتبدل الوضع العالمي، حيث استقلت شعوب وتأسست حكومات ودول اشتراكية تعتز بقوميتها، وتوقفت الهجرة العربية الى جنوب آسيا، فتضعضعت اللغة العربية وافل نجم الادب العربي في هذه المناطق وذبلت المعاهد العربية وصحافتها بعد ان كانت مركزا من مراكز الاشعاع وقد غابت الكفاءات المسؤولة، ولم يبق منهم اليوم الا القليل الذين بلغ بهم سن الكهولة التقاعد عن العمل او الترحم على السابقين الاولين من رواد النهضة الاصلاحية. وجاء جيل بعد الحرب العالمية الثانية من رعيل عام ١٩٤٥ يعتزون بانهم من هذا الجيل يحملون افكارا وطنية او قومية او اشتراكية.

يحتاج كل ما تركه السيد ابن شهاب من عصارة افكاره المدونة في مؤلفاته المطبوعة والمخطوطة الى اهتمام عظيم ورعاية بالغة لدراستها وتقصي محتوياتها لتحقيقها بالاسلوب العلمي الحديث والطريقة الاكاديمية الموضوعية، وشرح ما يحتاج الى الشرح والتعليق حتى يبقى التراث خالدا يستفيد منه الناس ويعم نفعه. اما إذا ترك التراث واهمل فإن النفع ينتفي، وتنعدم الفائدة وتكون الخسارة عامة والرزء عظيماً على العلم والادب. ومن الجحود إهمال التراث حتى يكون عرضة للضياع فيضيع معه تاريخ كبير حافل عن النهضة الاصلاحية التي شملت جنوب شرقي آسيا وشبه القارة الهندية وجنوب الجزيرة، واصبحت مجهولة لفقدان هذه الحلقة الضائعة من سلسلة تاريخ مهم مليء بالجهاد والكفاح بجانب ازدهار الادب العربي فيها[١].

وامثال هذه القضية كثيرة وسببها إهمال الخلف وعدم اقتفائه نهج من سبقه من

---

(١) راجع الادب العربي في المهجر الشرقي للمؤلف.

سلفه. كان هناك رجال خدموا القضايا الاصلاحية المصيرية ولكن النتيجة كانت ان طوي تاريخهم مع الايام وجهلتهم الاجيال التي جاءت بعدهم واصبحوا في عداد المجهولين وضاعوا في لجج الزمان وفنوا مع الايام لا يعلم عنهم احد. وكم اضاع الاهمال وعدم التقدير والجهل قيمة التراث، انه جحود الخلف لفضل السلف.

وهكذا لا نجد الآن وفي عصرنا هذا في المهجر الشرقي من يهـ او يعتني على الاقل بما تركه السابقون، وما دونه الاولون، واخشى ان يكون عرضة للضياع. والخلاصة ان ما وصلت اليه شعوب المهجر الشرقي من تطورات سياسية واقتصادية وما تتمتع به شعوب هذه المناطق الآن كل ذلك عائد الى ما بذله السيد ابن شهاب من جهود ونشره من وعي بين الامة، ثم رعى ذلك من بعده خلفه الذين حافظوا عليه. وجنت شعوب هذه المناطق الخير. ولا مناص من الاعتراف بفضل هذا المجاهد العملاق العظيم.

نسأل الله في كل وقت وحين ان يتغمده بوابل رحمته ويسكنه فسيح جناته ويبعثه مع النبي محمد ﷺ مع زمرة آل البيت الطاهر ﵈ وان يمن الله على هذه الشعوب برجال مخلصين صادقين عاملين مصلحين.

ربنا الطف بالمسلمين وحسن احوالهم واوضاعهم ووفقهم الى الصراط المستقيم يا ارحم الراحمين.

محمد أسد شهاب

مختارات من قصائده

لم اجد ما يصلح لتقديم هذه المختارات من قصائد السيد ابي المرتضىٰ بن شهاب أحسن مما دبجه يراع تلميذه الاستاذ محمد بن هاشم الذي نشرته جريدة (حضرموت) في اعدادها الصادرة بعد صدور الديوان عام ١٣٤٤هـ / ١٩٢٥م بعنوان (صفحة من الادب او ديوان السيد ابن شهاب) ولم يكن الاستاذ محمد بن هاشم هو الوحيد الذي كتب عن السيد ابن شهاب ولكن كتب كثير من اساطين الادب والعلماء وكبار الشعراء في المهجر الشرقي نثرا وشعرا عن هذا الديوان، نذكر منهم على وجه الاختصار:

١ ـ السيد علوي بن طاهر الحداد، مفتي سلطنة جوهور.

٢ ـ الاستاذ احمد السقاف شاعر المهجر الشرقي ورئيس تحرير مجلة الرابطة.

٣ ـ الاديب محمد بن حسن بن شهاب، استاذ الادب العربي في ماليزيا.

٤ ـ الشاعر صالح الحامد، كاتب وصحفي له عدة دواوين مطبوعة.

٥ ـ الاستاذ طه السقاف، صاحب مجلة صوت حضرموت.

٦ ـ السيد حسن الحبشي، شاعر واديب في مدينة الصولو جاوا الوسطى.

٧ ـ محمد احمد مشهور الحداد، كاتب وصحفي معروف.

٨ ـ السيد ابو بكر بن طه السقاف، مدير مدرسة الجنيد الاسلامية سنغافورا.

٩ ـ الاستاذ احمد با فقيف، صاحب مجلة العرب جريدة السلام.

١٠ ـ العلامة الاستاذ عبدالله بن نوح، مدير المعاهد الاسلامية بجاوا الغربية.

١١ ـ العلامة السيد عقيل بن زين الجفري، زعيم اسلامي بارز.

١٢ ـ السيد عيدروس المشهور، صاحب جريدة حضرموت.

١٣ ـ الاستاذ محمد ضياء شهاب، كاتب له عدة مؤلفات مطبوعة.

١٤ ـ الاستاذ ابو بكر اتجية، من رجال النهضة الاستقلالية له عـدة مـؤلفات.

وغيرهم كثيرون.

عند اطلاع القارئ على مجموعة هذه القصائد المطولة والقصيرة سيجد فيها دررا مستساغة من الادب العربي الرفيع التي امتاز بها المهجر الشرقي في القرن العشرين والتي بلغت من الجزالة وسلاسة التعبير مع سمو المعنى مبلغا رفيعا تبرهن على علو المقدرة في التنسيق، حتى ان ادباء العرب من مصر والشام ارتابوا في بادئ الامر كـيف يمكـن ان يصوغ مثل هذه القصائد شعراء من المهجر الشرقي وفي هذا القرن، وبعد حوار طـويل ومساجلات ادبية، آمنوا بالواقع بعد لمسهم الحقائق فاكـبروا شـعراء المـهجر الشرقي، واعترفوا بانهم لا يقلون عن شعراء البلدان العربية وشعراء المهجر الغربي والامريكيتين.

صفحة من الادب
او ديوان السيد ابن شهاب

بقلم الاستاذ محمد بن هاشم

الشعر نفحة قدسية، وشعور سيال، تتفطر به الفطر، وتنغرز عليه الغرائز، وتتكون منه الجوانح، بل هو مناغاة الحقائق للارواح، والجاذبية العامة التي تتماسك بها جواهر الالباب وتتألف بواسطتها نوافر الافئدة.

الشعر ناموس لا يناله الحد، ولا يعتوره التعريف ولا تبلغ الظنون كنه سره ولا حقيقة امره، الا ان تأثيره يستهوي العقول ويستفز الارواح ويقع في النفس وقوعا لا يجحده الجاحد ولا ينكره الحاقد. ولا ينبو عن افهام العامة ولا مدارك الرعاع.

الشعر وجود في الخليقة قبل اتصال الارواح بالاشباح، والمعاني بالالفاظ وقبل ان تعرض الاعاريض وتتفق القوافي ويؤسس الروي. لو كان الشعر هو الكلام المقفى الموزون فقط، لما عمل في الفؤاد عمل البواتر في الاجساد، ولما افاض العيون ونقر على سويدا وات القلوب.

اذا انت لم تعلم سوى الوزن وحده   فإنك وزّان وما انت شاعر

اولئك قريش البطاح ومن جاورهم من جاهلية العرب اوائل الاسلام اذهلهم ما قرع اسماعهم من بلاغة القرآن وشدة تاثيره وحسن ايجازه واطنابه ورشاقة عبائره وفواصله ومن تخليه عن بحور الشعر وقوافيه ورجزه وخببه، فلم يشاؤوا الا ان يقولوا عنه انه شعر تخلب به القلوب، او سحر تضرب به العقول.

الشعر اسمى من ان يقف عند لفظ او تحصره لغة او تنفرد به امة او يستأثر به زمان او يختص به لسان، ولكنه الموهبة العالية التي يأخذ بنصيب منها كل من اوتي من قوة

الخيال وحسن التصور من بني الانسان الاول.

لا تخلو اية امة من الامم الناطقة على سطح هذا الكوكب من رجال تسامت في الشعر كعوبهم ورسخت فيه اقدامهم واحتلوا بين اقوامهم من التعظيم رتباً قعساء تؤبد لهم الفخر، وتوطد لهم حسن الذكر، وتجعل لهم في قلوب شعوبهم فجاجا تتسرب اليها ينابيع الحكمة، وتطرد فيها جداول الموعظة.

غير ان للعرب ـ وهي الامة الشعرية المحضة ـ من ذلك القدح المعلى والنصيب الأعلىٰ، اذ لا يحصى شعرها ولا تحصر شعراؤها ولا تتقيد اغراضها. ولها بعد اللغة الوافية والبحور والموازين المنظمة والقوافي المتناسقة.

لسنا الآن في مقام ننحو فيه البحث في تاريخ الشعر ولا تعداد مزاياه ولا الالماع الى ادواره، وانما قدمنا هذه الفذلكة اليسيرة توطئة لما سنقتطفه اتحافا لقرائنا الكرام من انفاس شاعر اليمن في القرن الرابع عشر بلا منازع، السيد ابي بكر بن عبدالرحمن بن شهاب الدين العلوي.

طبع اليوم ديوانه ولا ريب انه سيكون صيبا نافعا تعتز وتربو به النفوس الادبية، والاذواق السليمة وروضة لنا تسرح فيها اذهان الادباء فتجد بها ما يروي اوامها ويزيح قتامها ويذيقها حلاوة الانشاء ولذة الترنم.

للسيد ابن شهاب شاعرية لا ينضب ماؤها ولا يكل حدها ولا ترتبط برباط يمل الراوي ويضجر السامع، ولكنها شاعرية تعبر عن مختلف الاذواق وتنفذ الى اعماق الافئدة وتطير بالمنشد الى افلاك من الخيال يسبح في فضائها ويتمتع ببهائها ثم يعود من سياحته حامدا شاكرا.

يمتاز شعر السيد ابن شهاب من بين شعر كثير من المعاصرين بمتانة الاسلوب وجزالة التركيب واصابة مقاتل الكلام والتجافي عن حشوه وفضوله، والضرب في كل واد من اوديته. اشبه شيء بشعر المجيدين من شعراء الدول العباسية ابان الحضارة

الاسلامية في قمة مجدها ومستوى سوقها. فهو اذا امثل كلام يقوّم اللسان وينمي الملكة الشعرية ويبسط اديم البلاغة امام القارئ ليخطر عليه ذهابا وايابا بكل طرب وارتياح.

الا ان ديوان السيد ابن شهاب ﷺ قد خلا بتاتا من سمج المعاني وفاحش الكلام والنقط الشائبة التي تخل بالأدب وتجر إلى المعاصي وتطعن في كبد الاخلاق الفاضلة. لم يتكلف السيد ابن شهاب في شعره عمداً بشيء من انواع البديع كما هو شأن اكثر المولدين قبل هذا العصر. اذ في اهتمام الشاعر بالجناس والطباق وغيرها من تلكم الانواع الصناعية شغل شاغل له عن اتقان المعنى وابراز ديباجة الشعر منسجمة الملامح. على انه قد ورد من ذلك شيء في شعر السيد ابن شهاب يظهر انه قاله عفوا من دون تقصد لعدم ظهور اثر الكلفة عليه، ومنه ما قاله تفكها او اختيارا للقريحة واظهارا للبراعة لا غير.

ولقد قرع الناظم كثيرا من الاغراض الشعرية كالنسيب والوصف والمديح والعتاب والوعظ والفخر والرثاء والهجاء وغيرها من الاغراض التي اجاد فيها ايما اجادة، على ان في الديوان والحق يقال من غير الجيد ما لا يخلو عنه كل ديوان شعر.

انت تعلم حفظك الله ان الشعر الغزلي يكون عادة رقيق الحواشي لين الجوانب لطيف الالفاظ، ولكنك تمتلي عجبا حينما ترى متانة التركيب وجزالة الكلم وضخامة العبائر، لا تكاد تفارق شعر السيد ابن شهاب، لا في غزله ولا في غيره، فانك ان تسمع قوله من اثناء قصيدة:

من كل غانية تخال جبينها ... بدرا تألق نوره او كوكبا

عصماء في صدف الحجاب وغادة ... غراء ليس لها التحجب مذهبا

يخيل لك من جزالتها انك لا تسمع الا بيتي حماس او فخر. وهذا لعمري هو الاقتدار الفائق، والعجب العجاب، والبيتان من قصيدة كلها غرر مطلعها.

ضحكت ازاهير الحدائق والربا ... وسرت بريّاها النعامى والصبا

والطير في عذباتها تهدي الى ... اسماعنا السجع الرخيم المطربا

ودنت اوابــــد كــل واد فــالمها والعـصم تـرتع في المـاجر والظـبا
والحور ترقص في الخـدور مـسرة حـــتى حسـبنا كـل خـدر مـلعبا

ذلك لعمر الادب هو السحر الحلال والسهل البعيد المنال، فسبحان الذي يـؤتي فضله من يشاء ومن تغزلاته الجزلة الاسلوب قوله:

خــود مخـــدرة بأسهــم لحــظها تســـبي وتأسر كــل ليث مخـــدر
حـــوراء تخـترم النـفوس ولم تـبل عــــلما بــــان قـــتيلها لم يـــثأر
هـــيفاء قـــدّ كــاد دائــر بندها في الخصر يصلح خاتما في الخنصر
وتنوء ذاك الخصر حــال نهـوضها اعـباء مـا اكـتنفت عـقود المئزر

يقول خصرها النحيل يلاقي عند ارادة قيامها من ثقل الكفل ما يبهظه وينوء به.

وربما اكثر السيد ابن شهاب في ديوانه من المديح، ولا غرو اذ هو هدية الشاعر وطرفة الناظم والتحية التي لا يستطيع تقديم سواها لمن جل في عينه وحل محلا مكينا في فؤاده، ولم يكن التكسب بالمديح هي الغاية التي يتوخاها ابن شهاب كما يقع لكثير من الشعراء، بل ربما اشاد السيدﷺ بعد ان يقضي لبانته من المديح في القصيدة نفسها بما يشعر الممدوح بانه طامح الى حبيبه، فمن ذلك قوله من قصيدة يمدح بها وزير الدكن الاكبر اقبال الدولة بهادر:

بـــــنت فكــــر تــتثنى عــجبا ولهــــا تــعنو فـحول الشـعرا
يــــرقص الطــائي والكــندي لو سمـــــعاها طـــربا والشـنفرى
شأن مـهديها عـفاف النـفس عـن بســـط كــف الذل فـيا حــررا
بــل قــصارى قـصده عـقد الولا وقـــبول العـــذر عـــا قـصرا

وقوله من مديحة اخرى في عماد الدولة بالدكن:

اليك اتت عذراء نـظم مـن امـرئ لهــا بعــقال الشـعر جـزئي المـام
مـنزهة عـن ان يكـون زفـافها اليك لرجوى نيل جـدوى وانـعام

ولكـــنها وافــتك مخــبرة بمـــا لدى ربها من صدق حب واعـظام

وقد كانت قصائده المحبوكات الاطراف والمعارضات للارتقيات كلها مدائـح في خديوي مصر توفيق باشا وهي من امتن الشعر وابلغه، ومع هذا فلم يقدمها له، الأمر الذي يفهم منه عدم حرصه على اقتناء الجوائز واحراز المال من وراء شعره. وله قصائد طنانة بلغت من البلاغة اسماها ومن الجزالة اقصاها، يمتدح بها الجـناب الاعـظمﷺ واهل البيتﷺ فمن دونهم من الصحابة ورجالا من الفضلاء والصالحين الذين لا يؤمل شيئاً من جراء مدحهم الا الاغتراف من فيض بركاتهم والاستمداد من اسرار دعواتهم. ولم يشأ شاعرنا ان يصدف عن الورود الى شرعة السادة الصوفية والجري على طريقة القوم واصطلاحاتهم، فقد تكلم بلسانهم ونطق ببيانهم واعرب عن اذواقهم وابان عن انتشائه بعبير راحتهم، واخذ بصيب من لطيف افراحهم، فمن ذلك قوله معجزا ومصدرا ابيات الشيخ الرفاعي التي مطلعها:

من ذاق طعم شراب القـوم يـدريه ومــن دراه غـــدا بـالروح يـفديه

فقال في اثنائها بحيث لا يفرق السامع بين ما قاله وبين الاصل مشيرا الى الصب:

في ريــه ظـمئ والصـحو يسكـره والمحـــو يـــثبته واللـــوم يـــغريه

يـبدو له السر مـن آفـاق وجـهته فأيـــنما امّ فـــالمحبوب هـــاديه

ومنها:

وكم نوافل جود في الوجـود سرت لله في الكـــون سر لا يـــرى فـــيه

لا شيء في الكون الا وهـو ذو اثـر فـيما يشـــاهد مـن تأثـير مـبديه

ومنها في الموصل الى المحبوب:

اعـدم وجـودك لا تـشهد له اثـرا يمـــيته المـــيتة الاولى ويحـــييه

واجعل مفاتيح بـيت السر في يـده ودعـــه يهـــدمه طـــورا ويـــبنيه

وكل الابيات نفائس تستفز النفوس نحـو قـرع البـاب والطـموح الى مـراتب

الاحباب. يبتهج الناظر في ديوان السيد ابن شهاب حينما تفاجئ سمعه تلك المطالع الرائقة والاستهلالات الشائقة التي تستهوي النفوس حسنا، وتلذها الاذواق حلاوة، وتناجي القارئ اللبيب خلسة بما احتوته ضلوع قصائدها، وما ترمي اليه غـرر ابـياتها، فـهي المديحة التي تحبر في الصوفي مثلا، مع ما يجمعها كلها من الرقة والانسجام. واليك ايها القارئ الكريم امثلة من ذلك، تذيقك حلاوة الشهد الادبي، والتأثير السوي. منها قوله في مطلع قصيدة ضافية يمدح بها النبي ﷺ:

لذي سـلم والبـان لولاك لم اهـوا — ولا ازددت من سلع وجيرانه شجوا

فقد احسن الادب واجاد اللفظ وابدع في المعنى واشار بذكر ذي سـلم والبـان وسلع وجيرانه الى بطل القصيدة ﷺ.

ومن مطالعه الفائقة قوله مستهلا قصيدة يمدح بها صاحب الجوائب احمد فارس الشدياق اللغوي، وقد اثبتت في الجزء الرابع من منتخبات الجوائب، قال:

شجو الهـوى مـا مـازج الأمشـاج — فهل اقـتحمت عـبابه الدجـداجـا
لو كـنت في دعـوى المحـبة صـادقا — لوجدت في سـوق المـنون رواجـا

ومن مطالعه الغراء قوله اول قصيدة تهنئة بعيد جلوس ملك حيدر آباد الدكن، فقال:

بـشراك هـذا مـنار الحـي تـرمقه — وهـذه دور مـن تهـوى وتـعشقه

ومن المطالع التي تهز القلوب وتسبي شعور السامع قوله:

بهـزك غـصن القـد مـاذا تـريدينا — وماذا بـلغز العـين في السر تـعنينا

ونكتفي بما ذكرناه من المطالع إذ لسنا الآن في مقام استقصاء وانما نحن في مقام تمثيل فحسب.

وخاطر السيد ابن شهاب لم يقصر في شعره في استيلاد المـعاني البـديعة التي لم يسبق اليها ولم يطرقها غيره. يجد ذلك قارئ ديوانه بين آونة واخـرىٰ خـلال ابـيات

قصائده، فمن ذلك قوله في تخضيب الشيب وهو معنى غريب:

يقولون خضبت المشيب تصابيا وفيك شهود ان دعوى الصبا افك
فقلت سترت العيب لا الشيب انه من العار شيب ليس يصحبه نسك

ومنه قوله من قصيدة خمرية:

رق مرآها ومرأى جامها فهي والجام ضمير مستتر
رقصت في جبهة الطاس لدى صبها حور الحباب المعتور
رونق الجسم بها منتعش ولها في اللب سحر مستقر

وللسيد في الحماسة والعلميات وغير ذلك من الاغراض مواقف حسنة يصعب علينا استقصاؤها هنا، وعليه فاننا نكتفي بما اقتطفناه ثم نحيل الادباء على الديوان نفسه لينهلوا ويعلوا من رحيقه المختوم رأسا.

والسلام

محمد بن هاشم بن طاهر

سور ابايا ١٩٢٥

الارجوزة

استعان العلامة السيد العلوي ابن سهل المرشد العام والداعية الاسلامي بالسيد ابن شهاب لانشاء ارجوزة فيما يتعلق بالمرأة واخلاقها وتهذيبها وما يجب لها وما عليها، فلبيٰ السيد ابن شهاب طلبه بهذه الارجوزة وقد تم طبعها أول مرة عام ١٢٨٧هـ ثم الحقت بديوانه.

بسمِ اللهِ الرَّحمٰنِ الرَّحيم

قال ابو بكر الفقير المعترف ... نجل الوجيه ابن الشهاب المقترف
العلوي منشربا ومحتدا ... والحضرمي منشأً ومولدا
احمدك اللهم يا من اوجدا ... في كل عصر داعياً الى الهدى
واوصل اللهم روح المصطفى ... صلاة عبد نحوه تلهفا
واهل بيته الكرام الطاهرين ... وصحبه والتابعين اجمعين
وخذ اخي جمان لفظ ينظم ... في بعض ما على النساء يلزمُ
لانه قد شاع في هذا الزمن ... جموحهن عن سوية السنن
ولم اجد من الرجال زاجرا ... بل كان بعضهم لهن ناصرا
حتى محى رسوم ذاك الباطل ... بواضح النصوص والدلائل
فرد الزمان نخبة الاماثل ... طراز كمّ العترة الافاضل
فضل ابن مولانا عباب الفضل ... غوث الانام علوي بن سهل
لا زال للمسترشدين مرشدا ... شهابه للماردين مرصدا
ومذ نزلت سوحه المكرما ... على ثرى اعتابه مسلما

اومــــى الى مـمــلوكه المــقصر   بـــــنظم هــــذا الرجـــز المحـــرر
فـــبادر الفــقير حسب طـاقته   لكـــي يكـــون في ذوي رعـــايته
وجـــاء في ثـــلاثة فـــصول   والله ارجـــو المـــن بـــالقبول

(الفصل الاول في ذم المتبرج والمتبرجة وذكر بعض تلبيساتها)

(وذم من لا يغار)

قد جاء مشحونا كتاب الله جل — وسنة الداعي الى خير الملل
بذم ذات الفحش والتبرج — وآمرأة تخرج للتفرج
وما تركت فتنة بعدي اضر — من النساء بالرجال في الخبر
ومن تكن بين الرجال ماشيه — بالطيب فهي في الحديث زانيه
بحبسهن في البيوت وردا — حديث خير المرسلين احمدا
وعنه انها لعورة ثبت — يستبشر الشيطان مهما خرجت
وانها اقرب ما تكون — لله في بيت لها يصون
وكم احاديث بهذا وارده — وكتب اهل العلم ايضا شاهده
هذا ولو لم يأت في التنزيل — منع ولا زجر عن الرسول
لكان حقا بالحياء والحجا — والدين ايضا منعهن المخرجا
يصدهن ما زكى من الشيم — عن الوقوف في مواقف التهم
اف لكل آمرأة وجاريه — تظل ما بين الرجال جاريه
صارت بهذا عرضة للفسقة — لعرضها بمشيها ممزقه
تلقاهم طرأ يلاحظونا — حسن خضاب الكف والعيونا
فكل خود لم يسعها خدرها — يصغر بين العالمين قدرها
في ألسن الفساق لا تزول — ووصفها لديهم يطول

هــذا يــقول غــادة هــيفاء وذا يــقول عــينها نجــلاءُ

وذا يــقول قــدها رشــيق وذا يــقول لونهــا انــيق

اقــل خــزي تــلفه ومــثلبه ان خــرجت مســتورة بجــلببة

ان يســتبين حــجمها للــناظر ويُــدر حسن كــفها والنــاظر

وربمــا يمــيل قــلبها الى ذي صــورة جمــيلة فــتبتلى

فــيلهن حــاصل مــن النــظر ضرورة اذ ذاك مــن طــبع البشر

فــتتعب العــفيفة المــراقبه في دفــع ذاك الميل خــوف العاقبه

ومــن تكــن بــعكسها تــوصلت بأي ممكــن الى مــن اشــتهت

وربمــا تــضمر بــغض بــعلها وتــظهر الحب له في قــولها

ومــن تــلازم بــيتها وتجــهر بــالصوت فــهو بــالفساد مشــعر

بــل ربمــا وحــبسها في الدار بــالقهر مــن رجــالها الاحــرار

وبــعضهن تــدعي وتــزعم بــانها تــبغض عــما يحــرم

وانهــا في غــاية العــفاف والبــعد عــن رذائــل الاوصــاف

وهــي تــظل في الطــريق راتــعه لا تســتحي ذاهــبة وراجــعه

انى يــصح مــا ادعــته الجــاهله قــول بــلا فــعل ودعــوى بــاطله

وان تــقل مــن ديــنها التــبرج جــل النســاء في الجــموع تخــرج

فــفي الحــديث انهــن اكــثر اهــل الجــحيم هــل عــليها تــصبر

تــقول مــا بــال ابــنة العــالم أو زوجــاته يــفعلن مــا عــنه نهــوا

وذاك عــين الجــهل بــل قــد اشــتهر فســق كــثير مــن نســا قــوم غــرر

وزوجــتا نــوح ولوط كــانتا خــائنتين في الكــتاب قــد اتى

ومــن تكــن تجــالس الفــواجرا فــفي مخــازيهن بــالقرب تــرى

يجــررنها الى الحــضيض الاوهــد اذ بــالمقارن القــرين يــقتدي

بالمنع ام المؤمنين عائشه   افتت مخافة ارتكاب الفاحشه

تبت يدا من للنساء يهمل   يا ليت شعري من له يجندل

ابالنساء يا عزيزي تثق   من يأمن النساء فهو الأحمق

فكيدهن يا اخي عظيم   وفعلهن غالبا ذميم

تغتر من كلامها المرونق   حتى كأن مثلها لم يخلق

من لا يغار قلبه منكوس   بالنص بل ودينه معكوس

وما ظننت قط زوجا او ابا   يرضى بان تخالط الاجانبا

يصير بالإذن لها ديوثا   مستهجنا لدى الورى خبيثا

لم يرض ذو طبع سليم في ابنته   او ذات محرم له او زوجته

في الطرق اذ تزاحم الرجالا   او ان تسلين لهم المقالا

هذا لعمري المنكر المألوف   حتى كأنه هو المعروف

نعوذ بالله من العصيان   ومن فساد الوقت والزمان

(الفصل الثاني في ذكر الحرة العفيفة واوصافها المنيفة)
(والنهي عن الافتخار بالدنيا)

هــــذا وكـــــم كــريمة مــصونه ... في بـــــيتها كـــدرة مكـــــنونه
لا يســـــمع النـــاس لهـــا كـــلاما ... ولا يـــــضيفون لهـــــا مـــــلاما
تــغض طـــرفها عـــن الاجـــانب ... تـــرجـــو حـــلول ارفـــع المـراتب
بـــعيدة عـــن مجـــلس الرجـــال ... لا تخـــــطر الفـــحشا لهـــا بـــبال
عـــلى العـــفاف والحـــياء والتـــق ... مجــــبولة كـــالحور في دار البـــقا
لا تكـــــثر الصـــــعود والتـــطلعا ... ولا تجـــــيب اجـــــنبيا ان دعـــا
مـــا همـــها الا الحـــقوق الواجـــبه ... لربهـــــــا ذاهــــبة وآيــــــبه
بـــــغزل او خـــــياطة محــــترفه ... بكــــــل مـــــا يـــزينها مــتصفه
طـــــائعة لزوجــــــها ممــــــتثله ... لامـــــــره بحــــقه مشــــتغله
تحــــفظه ان غـــاب او في حـضرته ... تـــبذل كـــل الجـــهد في مــسرته
قـــصيرة اللســـان عـــن سب الولد ... ولا تـــــبيح سرهـــــا الى احـــد
لا تـــدخل النســـاء بيت زوجـــها ... ولا تـــرى قـــط بـــغير بـــرجـــها
وان دعـــتها حـــاجة ان تخــرجـــا ... فـــي ثـــياب بـــذلة وقت الدجـــى
قـــاصرة عـــلى الطـــريق طـــرفها ... مســــــتورة ولا يـــــشم عـــرفها
اذا بــــدت في محــــفل النســـــاء ... فـــدرة تـــضيء في حـــصباء
والفــــخر ليس بـــالحرير والذهب ... ولا بـــلبس جـــنفص ولا قـــصب
فـــي نســـاء الفـــرس والنـــصارى ... مـــن الحـــلي مـــا غـــلا مـــقدارا
وكـــله فـــان وان جـــاء الاجـــل ... افـضت الى مـا قـدمت مـن العـمل

وجـــاء في حـــديث طـه الأحمـران　　عـــن الجـــنان للـــنساء مـــلهيان

مـــا الفـــخر الا بـــالعفاف والتـــق　　وفـــعل مـــا بهـــن كـــان أليـــقا

والبـــعد عـــن مجـــامع الفـــضول　　ورفـــض كـــل خـــلق مـــرذول

فـــالاقتداء بـــالبتول الزهـــرا　　وامـــهات المـــؤمنين أحـــرى

وكـــم وكـــم لهـــن مـــن مـــتابعه　　في فـــعلها وقـــولها كـــرابـعه

بـــقول ذي الجـــلال قـــل للـــمؤمنات　　يـــغضضن مـــن ابـــصارهن عـــاملات

بـــالقول لا يخـــضعن كـــيلا يـطمعا　　مـــريض قـــلب بـــالفساد اولعـــا

يـــتركن في الطـــريق لبس الفـــاخر　　كـــيلا يمـــلن قـــلب كـــل فـــاجر

هـــذا ورب البـــيت نـــعم المـــفخر　　وبـــالنجاة في المـــعاد يـــثمر

(الفصل الثالث في بعض نصائح دينية)
(كثر التهاون من النساء بها)

يا معشر النساء هل من سامعه ... نصائحاً تتلى لكن جامعه
ومن تكن بما اقول عامله ... فتلك في جنات عدن نازله
فالمكث في دار الفنا قليل ... وهي الى دار البقا سبيل
والله أللهَ اماء الله في ... لزوم دوركن والتعفف
فان هذا الدهر معدوم الوفا ... وقد سمعتن الكلام آنفا
والخير كل الخير في الصلاة ... وفعلها اوائل الاوقات
وليس بين مسلم وكافر ... الا الصلاة في الحديث الشاهر
وكنّ بااليسير قانعات ... تظفرن يوم الحشر بالجنات
وارفضن للكبر المشوم والحسد ... وكل ما حرمه الفرد الصمد
واقبح القبائح الوخيمه ... الغيبة الشنعاء والنميمه
فتلك والعياذ بالرحمن ... موجبة الحلول في النيران
وطاعة الازواج فرض لازم ... به ينال الفوز والمغانم
والويل كل الويل بل والهاويه ... لمن لامر الزوج كانت عاصيه
واعلمن ان حقه عظيم ... واجر من قامت به جسيم
وفي الاحاديث الصحاح المسنده ... ما لست لا والله احصي عدده
وهنا جواد نظمي وقفا ... فالحمد لله الكريم وكفى
وصل مولانا على الرسول ... وآله وصحبه الفحول[1].

---

(١) وقد طبعت هذه الارجوزة سنة ١٢٨٧.

الى هنا ينتهي ما تيسر لنا جمعه في هذه الفصول عن النهضة الاصلاحية وادوار حياة المجاهد الاعظم السيد ابي المرتضى بن شهاب وسيرته، ونختم الكتاب بحمد الله على لطفه وتيسيره وتوفيقه كما بدأنا بالحمد والشكر له على عظيم انعامه وجزيل فضله وإنزال شآبيب رحمته وصلاته على النبي المصطفى محمد وآله وسلم تسليما كثيرا.

محمد اسد شهاب

المراجع

الكتب المطبوعة

رشفة الصادي للسيد ابن شهاب، طبع بمصر عام ١٣٠٢.

ديوان السيد ابن شهاب طبع اندونيسيا ١٩٢٤.

تاريخ حضرموت للسيد صالح الحامدي، طبع القاهرة.

ادوار من تاريخ حضرموت للسيد محمد احمد الشاطري، طبع لبنان.

تاريخ الدولة الكثيرية للاستاذ محمد بن هاشم، طبع القاهرة.

صفحات من تاريخ اندونيسيا لمحمد اسد شهاب، طبع لبنان ١٩٧٢.

كفاح تركستان لمحمد اسد شهاب، طبع لبنان ١٩٧٢.

جولة في ربوع جزر مورو لمحمد اسد شهاب، طبع لبنان.

الامام المهاجر للسيد محمد ضياء شهاب، طبع لبنان.

الامام المهاجر ما له ولنسله من الفضائل والمآثر الاستاذ عبدالله بن نوح، طبع لبنان.

الاسلام في اندونيسيا لمحمد ضياء شهاب وعبدالله بن نوح، طبع لبنان

المراجعات للعلامة السيد شرف الدين الموسوي، طبع لبنان.

شمس الظهيرة للسيد المرشهور وتحقيق ضياء شهاب، طبع لبنان.

الغدير للعلامة الاميني، طبع بغداد

اعيان الشيعة للعلامة السيد محسن الامين، طبع دمشق.

المدخل للسيد الحداد وتحقيق ضياء شهاب، طبع لبنان.

عقود الالماس للسيد علوي الحداد، طبع مصر.

افريقيا بين التوحيد والتثليث للسيد محمد احمد الحداد، طبع لبنان.

الغاية والاساس للسيد مصطفى عبدالرحمن العطاس، طبع بيروت.

الكتب المخطوطة

السيد ابن شهاب للسيد حسين المحضار.

تاريخ اندونيسيا العام للسيد محمد ضياء شهاب.

متفرقات من قصائد ابن شهاب الحمينية.

بعض من مراسلاته.

بعض من خطبه.

الصحف والمجلات

نشرات وكالة الانباء APB، جاكرتا ـ اندونيسيا.

جريدة حضرموت، سورابايا ـ اندونيسيا.

جريدة السلام، سنغافورا.

مجلة النهضة الحضرمية، سنغافورا.

مجلة صوت حضرموت، سنغافورا.

مجلة الذكرى، سنغافورا.

مجلة المهجر، سورابايا ـ اندونيسيا.

مجلة اليران بارو، سورابايا ـ اندونيسيا.

مجلة إنصاف، جاكرتا ـ اندونيسيا.

مجلة فبينا، جاكرتا ـ اندونيسيا.

مجلة الرابطة، جاكرتا ـ اندونيسيا.

مجلة الثقافة، جاكرتا ـ اندونيسيا.

مجلة الرشيد ،بغداد.

مجلة المرشد العربي، اللاذقية ـ سوريا.

مجلة العرفان، صيدا ـ لبنان.

مجلة العربي، الكويت.

فهرس الكتاب